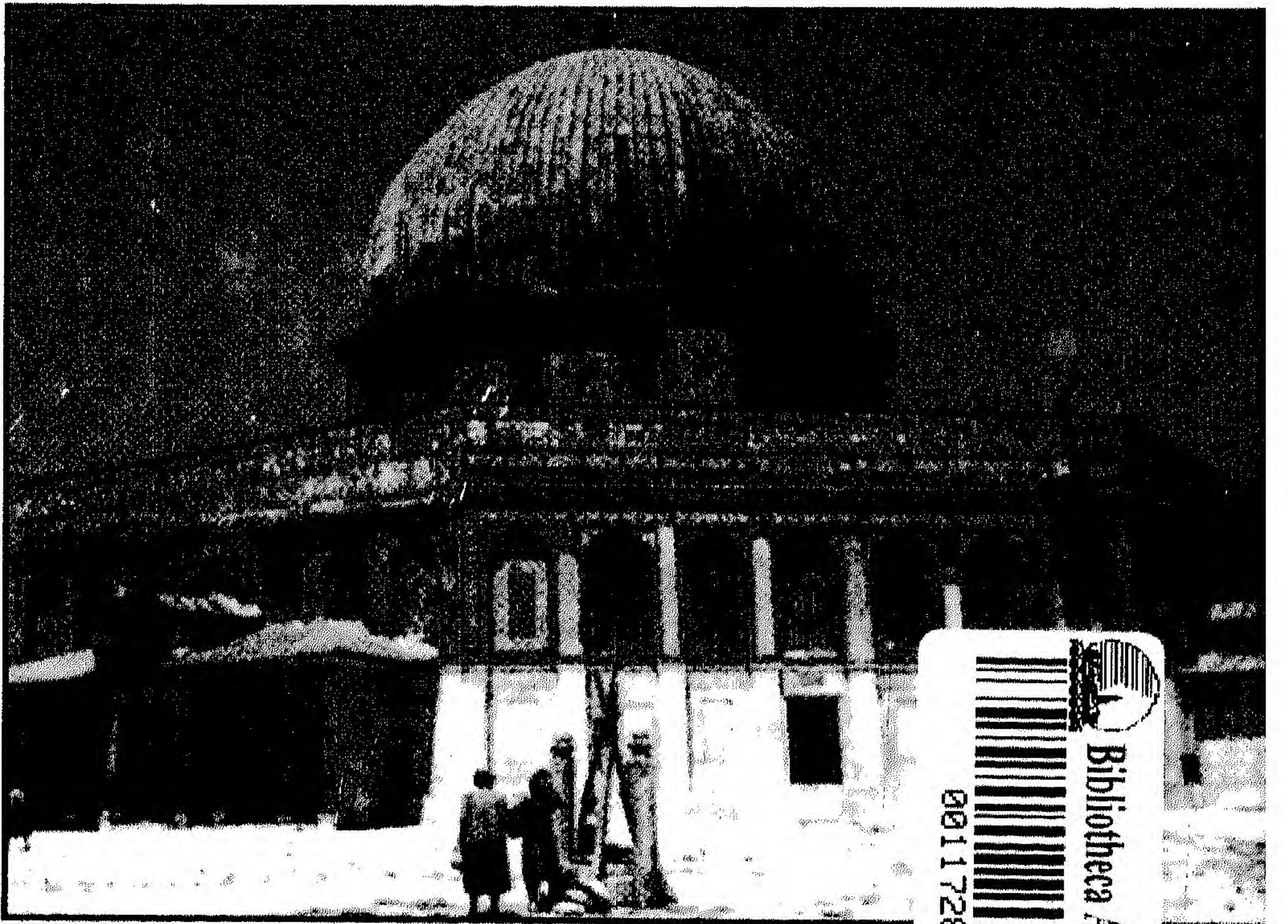


فلسطين

فلسطين

فلسطين

الحقيقة والتاريخ



شاهد عيان

مكتبة



روائع مجدلاوي

عمان - الاردن

فلسطين

الحقيقة والتاريخ

صالح الشرع

فلسطين

الحقيقة والتاريخ



مكتبة
روائع مجدلاوي

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٥٢٠/٦/١٩٩٥)

رقم التصنيف	:	٩٥٦٤ر٣٢٠
المؤلف ومن هو في حكمه	:	صالح الشرع
عنوان المصنف	:	فلسطين الحقيقة والتاريخ
رؤوس الموضوعات	:	١- فلسطين -أوضاع سياسية
رقم الايداع	:	(٥٢٠/٦/١٩٩٥)
الملاحظات	:	عمان - مكتبة روائع مجدلاوي

* تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الناشر

مكتبة

روائع مجدلاوي

ص.ب ١٨١٩، هاتف ٦٥٨٨٥٩ فاكس ٦٢١٠٥٩

عمان - الاردن



المؤلف ملحق عسكري في بريطانيا عام ١٩٥٢

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لقد تجاوزت مرحلة الطموحات للمستقبل و لم يبق لي إلا الذكريات بخيرها وشرها بعد أن أصبحت تاريخاً يثير الشجون، ذكريات لا يمحوها الزمن، بل يزيدها عمقاً، ويزيدني تعلقاً بها.

اهدي كتابي هذا إلى أبناء الجيل العربي الذين تفتحت أعينهم على إنقسامات قبلية وعشائرية ،وعلى زعامات محلّية تطالب كلها بالانقسام والتجزئة، وإقامة الكيانات الأقليمية، أو تعمل للوصول اليها، وقد وصل بعضهم لغاياتهم وأهدافهم، وأخرون مازالوا سائرين إليها.

وإلى هذا الجيل من الشعب الفلسطيني الذي عانى منذ طفولته الهجرة واللجوء والتشرد، ولا يزال أغلبه يُعاني من عدم الأستقرار، وشظف العيش لاجئين داخل وطنهم العربي، وفي مواقع ومخيمات داخل بلدهم فلسطين.

ولقد حاولت بقدر الإمكان، في هذا الكتاب، فتح نافذة صغيرة يطلّع من خلالها القارئ على حقيقة ما جرى، وما يمكن أن يجري في المنطقة، والذي أوصل الأمور إلى ما هي عليه اليوم وما يمكن أن تصل إليه مستقبلاً، ولعل في هذا عبراً ودروساً لأجيال قادمة كي تعمل على توحيد العمل، والتعاون بصدق واخلاص، لأن نتائج الكلام والشكاوى والخطب ووسائل الأعلام وما شاكلها لاطائل من ورائها.

واخيراً أهدي هذا الكتاب إلى افراد أسرتي جميعاً ذكرى للمراحل التي عشناها معاً في مختلف المواقع والبلدان لتظل معهم على مرِّ الأيام.

والله الموفق

صالح الشرع

تقديم الكتاب

كلمة احببت أن اقولها

قالوا إن الرجل يحفظ أحسن ما يقرأ، ويكتب أحسن ما حفظ ووعى. وهذا المثل ينطبق على مؤلف هذا الكتاب، فإن ذاكرته تعي الكثير من الحقائق والحوادث والأحداث. وقد اختار لنا في هذا الأثر بعض ما يطفو على سطح الذاكرة بعد أن محّصه عقله الرصين وقلبه الأمين.

ولقد قرأت المخطوط بعد جلسات أتيحت لي مع مؤلفه، عرفت منها أنه انسان معتدل المزاج، هادئ الطبع ليس له بدوات لسان، بل ابتسامات حسان، وحديث فيه بساطة وعمق وانس وبهجة، وأحسب أني أقول ما عرفت لا أتزيد، بل أنا إلى التحفظ أميل مني إلى اعطاء النفس مناها في قول ما تراه من الحسن.

كذلك هو شأن ما يقدمه لنا فإن فيه معارف وخبرات في أيام الشدائد والمحن، والأيام العادية، فتجد الحقائق والإثارات.. وقد تحرّى أن يصف ما عرض بالدقة المكنه للإنسان في أحداث سنة ١٩٤٨، وما قبلها وما بعدها، وقد وجدت في تحليله للأغراض الغربية كثيراً من العمق والإحاطة، وإنك لتقرأ صفحة واحدة من ذلك فتجد فيها خلاصة واضحة أملتها التجارب والمعارف والرأي الصائب. ومن ذلك وصف أحوال اليمن الشمالي، فقد وضعت المعرفة الحقائق أمام عينيك دون الإعتماد على تزويق الكلام، والإختفاء وراء العبارات الطنّانة والتعابير الضّبابية.

الحقائق مجردةً فهو يصف ما يثير الأعصاب، ويدعو إلى النقمة على المسيئين باسلوبه السهل الهادئ الرصين من أول جملة إلى آخر كلمة شأن المؤرخ الأمين الذي تهزه المصائب بوصفه إنساناً، لكنه إذا أمسك بالقلم غلَب عليه الحلم الذي هو طبعه.

لقد بدأ المؤلف حياته العملية جندياً، وأدت به همَّته إلى أعلى الرتب العسكرية، ثم إلى الوزارة، والسفارة للأردن في البلاد العربية والأجنبية، وما سمعته من أحاديث الرجل أن له معارف واسعة بأكابر رجال العرب صداقةً، أو زمالةً، أو إتصالاً.

هذا الكتاب من أمتع ما قرأت، وأمل ان أعيد كثيراً منه بعد الطباعة، إنني أهنىء معالي الأخ صالح الشرع على هذه التحفة، ونرجو ان يزيدنا في مقبل الأيام من خبرته الثرّة بفيض من الحقائق تجلوها آراؤه الصائبة.

متّعه الله بالصحة وأمتعنا به

حسني فريز

هذا الكتاب

كثيراً ما يسمع الإنسان عبارة «إن التاريخ رواية يكتبها المنتصرون». ولا نملك إلا أن نوافق على هذه المقولة، كما لا يملك الواحد منا إلا أن يشعر بالتعاطف مع كل من يتصدى للتاريخ، للأحداث التي شهدها وطننا في القرن العشرين.

من السهل أن يكتب الإنسان عن انتصارات يدعي لنفسه الفضل في صنعها، أو المشاركة في تحقيقها، لكن من الشاق على النفس والغير أن يحاول الإنسان رواية أحداث لم تنته بانتصارات، وهي بالتالي لاتشكل مجالاً للتفاخر والتباهي، وإنما هي بحاجة للتفسير، إن لم يكن الإعتذار والتبرير.

ومؤلف هذا الكتاب العميد الركن صالح الشرع في مذكراته هذه ومن باب الصدق مع النفس لم يحاول التبرير، بل حتى التفسير، وإنما يروي من تفاصيل ذكرياته، وهي ذكريات تتعلق بمرحلة، من تاريخنا عاصرها، وأدى دوره على مسرحها جيل مؤلف هذا الكتاب. وكان هذا الجيل مظلوماً بالظروف المحلية والعالمية التي احاطت به، وأعاقت حركته، لأنها كانت أكبر وأقوى منه بكثير، فمن ارهاصات الحرب العالمية الثانية إلى عنفوان الغزو الصهيوني لفلسطين، ومن الآمال الجياشة في حركة التحرر العربي، والتطلع نحو الوحدة، إلى ظاهرة جمال عبدالناصر، بما جسدته من آمال وما نخرها من عيوب.

وبقدر ما كان هذا الجيل مظلوماً، فإنه كان ظالماً للأجيال التي سبقته حتى تصوَّر أن مهمته هي رفض جميع ما كانت تمثلة تلك الأجيال، وشطب كل مأثرة لها، ثم التعالي فوق أنقاضها.

وحاول مؤلف هذا الكتاب الأخ والصديق صالح الشرع أن يعطي الكثير ممن زاملهم، أو عرفهم، أو عاصرهم حقهم في الذكر والتقدير بالقدر الذي يستطيع، وإذ

أزعم أن المؤلف لم يعط بعضهم جميع ما يستحق، فإنني واثق أنه لم يكن باستطاعته أن ينتقد، ويدين بعضهم الآخر بالشكل الذي يتمناه، وبخاصة أن منهم من لم يكمل دوره على مسرح الحياة، وليس عدلاً أن يُعطى مالا يستحق، أو أن يدان من حيث لا يحتسب، لذلك فإنني آمل من القارئ الكريم أن يقدر ظروف المؤلف إذ يسكت عن أمور معينة من المفروض الكلام عنها، أو حين يمس مساً خفيفاً أشخاصاً هزُّوا الناس هزاً عنيفاً، أو عندما يمر مرور الكرام بأحداث ضاعت معها أوطان وكرامات.

ويغفر للكاتب هذا كله، أنه حرص في حياته العملية كجندي مقاتل، ثم كمسؤول سياسي، وأخيراً كاتب مذكرات، أن يحافظ على ما أوتيه من خلق رخي، ولسان عف ويد نظيفة.

د. وليد القمحاوي

كلمة المؤلف

مقدمة

لاشك في أن لكل نوع من المخلوقات نظامه، وقوانين حياته، وقد ورد في الآية الكريمة عن هذه المخلوقات قوله تعالى: «**ومـا من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ثم إلى ربهم يحشرون**».

جيمع هذه المخلوقات لها أنظمتها وضوابطها في الحياة يعجز العقل البشري عن إدراك معظم دقائقها، ومنذ خُلق الإنسان وهو يخضع لأنظمة كانت تتلاءم مع محيطه وعقليته وطرق معيشته. وارتقت هذه الأنظمة مع مرور الزمن، وارتقاء الإنسان الذي تميزٌ عن المخلوقات الأخرى بعقلة وحواسّه وتكوينه، وبدأ يتدرَّج في الحياة والمجتمع من فرد إلى عضو في عائلة، ثم جماعة وعشيرة. وانتسب إلى عرق وإلى امّة ومناطق سكن مميَّزة ثم ثابتة في قرى ومدن، وهكذا إلى أن وصل إلى المستويات التي نراها ونعيشها.

ومن البداية صار لابد من وجود سلطة مطاعة تنظم علاقات الناس ببعضهم من كبير العائلة إلى كبير العشيرة، ثم إلى الشيوخ والأمراء والحكام. وبقدر ما كان شيخ العشيرة، أو أميرها عارفاً وأميناً ومدركاً، تتفوق جماعة على غيرها في نظام المعيشة، والمساواة والعيش بأمن واستقرار.

ومع تطور العلم والمعرفة، وتشعب المسؤوليات صار لابد من وضع ضوابط وحدود تحفظ حقوق الناس، وتؤمن مصالحهم، وتحدُّ من الاحتكار، والإعتداء على بعضهم.

ثم توصلوا إلى وضع الأنظمة والقوانين والدساتير التي تضبط علاقات الناس ببعضهم وبقياداتهم التي تطورت مع الزمن إلى الأوضاع التي نراها ونعرفها.

وقد سادت عدة طرق في الحكم والسيطرة وتدخلت الأنظمة الدينية لضمان الحرية والمساواة والعدالة، إضافة إلى القوانين المختلفة. ومع هذا فإن الإنسان مطبوع على حب الإنفراد بالسلطة والجنوح عن الحق.

وعلى أية حال فإنه لايمكن لأية أمّـة أن تنظم حياتها، وتحصل على الأمن والاستقرار والتقدم من دون اشراف سلطة تتمتع بصلاحيات التخطيط، والتنفيذ والإشراف على تطبيق مختلف الأنظمة المشار اليها.

يكاد الشعب الفلسطيني ينفرد بالحرمان من هذه الحقوق الطبيعية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وإلى يومنا هذا، عدا فترات معدودة في أماكن محدودة. صحيح أن هنالك بلداناً حكمها الأجنبي، أو استعمرها، أو ضمهًا وأهلها إلى أرضه ووطنه لكن الذي حدث ويحدث في فلسطين لم يسبق له مثيل.

وكانت السلطة البريطانية، أثناء انتدابها للإشراف على إدارة فلسطين قد مارست حرمان الفلسطينيين العرب من الكثير من الحقوق والحريات فلم يكن لهم أية هيئة تمثيلية في أي مجال سواء من النواحي الإدارية أو التنظيمية أو الثقافية كما كان لليهود وذلك منذ انهاء العهد العثماني وتولي السلطات البريطانية إدارة البلاد إلى آخر أيام الإنتداب عدا عن زعامات قبلية وعشائرية يصارع بعضها بعضاً، وتوزع التهم على بعضها جزافاً، وكذلك على الحكام العرب الذين لم يكونوا في حال أحسن منهم، ولم يعد دور بريطانيا وحلفائها في ايصال الوضع الذي نحن عليه اليوم خافياً على أحد إلا أولئك الذين لافرق بين وجودهم أو عدمه. لقد مارست العمل العسكري والمدني في فلسطين وغيرها منذ قبل بداية الحرب العالمية الثانية في الأردن وفلسطين، أي من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٨٢ وسأحاول سرد بعض ما أتذكره من احداث إضافة إلى ماكنت أسجله في حينه من أحداث عام ١٩٤٨، وما بعدها كما كانت تقع في هذه المذكرات عدا تلك التي لامجال للخوض بها وقد عفا عليها الزمن والماضي لا يعود.

المؤلف

الفصل الأول

موجز عن سيرة خدماتي العسكرية

بعد دراستي الثانوية في إربد، إلتحقت جندياً في الجيش العربي الأردني بتاريخ ١٣/١٠/١٩٣٤، ودخلت دورة عسكرية في معسكر المحطَّة بعمان. كان تعداد الجيش آنذاك، بحدود ٧٥٠ فرداً من جميع الرتب، منهم ٣٧ ضابطاً، و٦٠ ضابط صف، والباقون من الرتب الأخرى، ونحو ٨٠ فرداً من أبناء العشائر البدوية هم أساس قوة البادية. ولم يكن نظام مرشحي الضباط معمولاً به في ذلك الحين.

اشتركت في دورة عسكرية تدرَّبنا خلالها على استعمال الأسلحة المتوفرة، ودرسنا قوانين الشرطة والدرك، والحقوق الجزائية، والقوانين الخاصة، وقانون صيانة المزروعات، ومواد قانون الجزاء. وجرى فحص دورتنا من قبل لجنة قانونية برئاسة النائب العام السيد توفيق سنُّو، ولجنة أخرى عسكرية برئاسة مساعد قائد الجيش، فحصلت على شهادة رفِّعت بموجبها إلى رتبة جندي أول. وبعد ستة أشهر دخلت دورة ثانية، فحصلت على شهادة تخولني الترفيع إلى رتبة نائب، ثم نقيب بحسب الشواغر. نُقلت بعدها إلى الكرك، وعملت في مخفر القصر، ثم وكيل قوة بالوكالة فقائداً لمخفر القطرانة. كان الزعيم كلوب الأنجليزي قائداً لمنطقة البادية، وكان يتردد على مخفر القطرانة في أثناء زياراته المتكررة للعشائر البدوية في الجنوب، وينام في المخفر عندنا في ذهابه وعودته. وصارت علاقتي معه جيدة، وهو رجل لطيف وطباعه عشائرية. كلمني ذات يوم، هاتفياً، من عمان قائلاً: إن الشيخ بخيت الدراوشة، من شيوخ الحويطات، والذي كان يقيم مع جماعة من عشيرته في خيامهم القريبة من القطرانة، هو رجل كريم ومضياف، وهاأنا أرسل لك بعض المواد التموينية

لتأخذها له، وتبلغه سلامي، وتقول له إنها هدية مني، كان هذا في عام ١٩٤٠ في أثناء بداية الحرب العالمية الثانية، وكانت المؤن المستوردة محدودة.

جاءت سيارة متوسطة الحجم محملة بالأرز والسكّر والحلاوة والتمر والقهوة والطحين وغير ذلك وذهبت وقدمتها للشيخ بخيت الذي كان ممتناً وشاكراً.

بعد نحو شهر حضر للمخفر ثلاثة اشخاص سوريين، كانوا في طريقهم إلى معان، واشتكوا من أن خمسة اشخاص من البدو يركبون الجمال أوقفوا سيارتهم قرب محطة سكة حديد السواقة جنوبي القطرانة، وسلبوهم كل أمتعتهم بعد أن هددوهم بالسلاح، ثم اتجهوا إلى الجنوب. وإتصلت هاتفياً بقائد المنطقة الرئيس راضي عنّاب، وأخبرته بالحادث، وحركت دورية من الفرسان إلى الموقع، وبعد قليل إتصل بي كلوب باشا مستوضحاً عن تفصيلات الحادث، ثم قال لي: إذهب إلى الشيخ بخيت وبلّغه سلامي، واخبره بالحادث، وكيف وقع. وقل له إنني أريد الهجّانة الخمسة منه دون سواه. ذهبت، وبلّغت الشيخ بذلك، فقال: يبشر أبو فارس، يعني كلوب باشا«كان كلوب في هذه المرحلة هو قائد الجيش حيث خلف اللواء بيك باشا قائد الجيش السابق».

استنفر الشيخ ثلاثة، أو اربعة اشخاص من حوله، فركبوا جمالهم بسرعة، وحملوا أسلحتهم، وربط كل واحد منهم حطّة بيضاء على رُمح، وصعد إلى أحد المرتفعات في المنطقة، وهو يلوِّح برمحه ومنديله. لم يمض من الوقت الاّ نصف ساعة حتى هرع الخيالة والهجانة من كل اتجاه يستطلعون الخبر، إما من الأشخاص على المرتفعات، أو من الشيخ بخيت نفسه. ثم توجهوا على شكل جماعات إلى الجنوب، وعدت أنا إلى المخفر. وفي المساء حضر الشيخ بخيت برفقة عدد من جماعته، ومعهم الهجانة الخمسة الذين سلبوا السوريين وسلمني اياهم مع اسلحتهم والأشياء التي سلبوها كاملة غير منقوصة، وقد عرفت انهم تعقبوا آثار هذه العصابة بواسطة خبراء من العشيرة يجيدون تقصي الأثر إلى ان التحقوا بهم، وطوقوهم في منطقة وادي الحسا حيث استسلموا.

كان هذا أول صنيع من الشيخ بخيت رداً على الهدية السالفة الذكر. لقد ذكرت هذه القصة كنموذج من طرق المحافظة على الأمن ضمن مناطق نفوذ القبائل في

البوادي العربية، الذي كان سارياً عبر مراحل التاريخ ولا يزال كذلك بطريقة واخرى. جرى تشكيل سريتي فرسان في الجيش إضافة إلى سرايا الحاميات التي بوشر بتشكيلها بسبب توقع امتداد الحرب. ونقلت من منطقة الكرك إلى سرية الفرسان الأولى بعمان بقصد إرسالها إلى الحدود الشمالية مع سوريا، ومنطقة الأغوار على حدود فلسطين، وبقصد المحافظة على الأمن في تلك المناطق، ومنع إمرار الأسلحة والمسلحين إلى فلسطين. وأوكلت قيادة هذه السرية إلى الملازم السيد أحمد محمد الحسين العواملة من السلط لقيادتها فذهب إلى عيادة طبيّة وحصل على تقرير بأنه مصاب بالم في فقرات ظهره، وأن ركوب الخيل يزيد مرضه، عندها قال كلوب باشا: يتسلم قيادتها نائب السرية صالح الشرع، وسنعين قائداً لها في المستقبل القريب. اخذت السرية إلى مواقع في الأماكن المتاخمة لنهر اليرموك ومنحدرات الأغوار.

جرى، فيما بعد، تعيين الرئيس عبدالرحمن الجمل من إربد قائداً للسرية، وتسلمت انا قيادة احدى فئاتها في قرية حرتا، ثم نقلت وفئتي هذه إلى موقع الحمَّة التي كانت جزءًا من فلسطين، حيث أخلتها قوة الشرطة الأنجليزية، وحللنا محلّهم، وقد جرى إلحاق مفارز إضافية معي، وصرت مسؤولاً عن مفارز التعقيب التي أصبح واجبها منع تسرُّب الأسلحة، والمسلحين المناضلين إلى فلسطين ابتداءً من بلدة العدسية الواقعة على نهر اليرموك من الشمال حتى قرية كريِّمة جنوباً.

وبدأت اضع الكمائن، وأرسل الدوريات على طول المنطقة المذكورة لهذه الغاية. وأشعر الآن أن بمقدوري الحديث عن بعض الأشياء التي عفا عليها الزمن، والتي ما كان يمكن الإعتراف بها في حينها أيام كلوب باشا ومجموعته.

في احدى الليالي، وبينما كنت أقود دورية من عشرين فارساً لمراقبة بعض المخاضات«المخاضة هي موقع المياه الضحلة التي يمكن عبورها سيراً على الأقدام عبر نهر الأردن» .بين جسر المجامع ،وبلدة العدسية بناءعلى معلومات من قيادة الجيش بعمان تفيد بأن جماعة من المسلحين ستجتاز النهر في طريقها إلى فلسطين، تلك الليلة. جاء عريف من حرس المقدمة، واسمه جودة من قرية مادبا ليخبرني بأنهم ضبطوا ثلاثة اشخاص ومعهم مجموعة من الحيوانات محملة بالبنادق والعتاد،

فأسرعت للأمام ووجدت الجماعة المذكورة وهي ترتعد خوفاً، والجنود يحيطون بهم شاهرين السلاح، يبدو أن افراد الجماعة القوا اسلحتهم الفردية في الظلام حينما بوغتوا بالجنود، وعندما شاهدتهم صحت بالجنود قائلاً: ما هذه الإدعاءات والتخيلات الفارغة ألا تفرِّقون بين الزيت والبنادق، ألا ترون أن هذه الحيوانات محملة بزيت الزيتون؟ تركتهم وشأنهم واخذت جميع الجنود معي، واتجهت جنوباً لجهة قرية الباقورة. جاء العريف جودة ليسير بفرسه إلى جانبي ثم قال: ياسيدي لو إنك قلت أي شيء عما يحمله الجماعة ماعدا الزيت لأنه يأتي من فلسطين ليباع في الأردن. فقلت له: ألا يجوز أن ثمن الزيت لم يعجبهم فاعادوه إلى مصدره فقال: والله هذه لم تخطر على بالنا. وقد ذهبت هذه الحكاية مثلاً فبعد هذا الحادث كلما قابلت دورياتنا، أو كمائننا أشياء محملة على الحيوانات قال بعضهم للبعض الآخر: هذا زيت عائد إلى فلسطين، وصارت هذه من النكات التي يتندَّر بها الجنود، جنود تلك الأيام الذين كانوا يحفظون الأسرار ويقدرون الواجب القومي، وصارت معروفة ومتداولة حتى بين ناقلي الأسلحة أنفسهم.

وثمة حكاية أخرى حول الموضوع نفسه اليكم ملخصها: ذهبت يوماً إلى عمي المرحوم محمد أمين الشرع في إربد، ووصلته في الصباح الباكر، ودخلت غرفة الضيوف، فوجدت عمي يهيئ القهوة الساده وفوجئت أن الضيوف قد ارتبكوا، ووقفوا مشدوهين عندما شاهدوني بملابسي العسكرية. اسرع العم وهدأ من روعهم قائلا: إطمئنوا هذا صالح ابن أخي. عندئذ سلموا علي، وجلسوا، وكان كبيرهم السيد يوسف أبو درَّة من منطقة جنين، وكان قد لمع اسمه بوصفه أحد قادة الثورة الفلسطينية حينذاك، وقد أعدمته السلطات البريطانية فيما بعد. كانت الغرفة كومة من الأسلحة والعتاد وبطبيعة الحال عرفت أن هذه الأسلحة يتم شراؤها وتجميعها في سوريا لتصل إلى بيت السيد محمد المفلح الزعبي من قرية اليادودة «زرته عدة مرات في أثناء إقامتي بدمشق عام ١٩٦٠ مع شقيقه أحمد، واستعرضنا تلك الذكريات». وتُنقل من هناك إلى بيت السيد ضيف الله الصالح في قرية الشجرة بالأردن، فبيت العم أبو عادل محمد أمين في إربد، ثم إلى الأمير محمد الصالح الغزاوي في غور الشيخ حسين، وبواسطة أخويه عبدالله وعبدالقادر تنقل إلى رئيس

بلدية بيسان الدكتور رشاد درويش. ومن هناك يجري توزيعها على المناضلين «الدكتور رشاد التحق في الجيش الأردني في مرحلة لاحقة، وخدم معي مديراً لإسعاف الميدان في مجموعة اللواء الهاشمي الذي كنت اقوده في منطقة نابلس، واكتشفت دوره هذا عرضاً، وعرفت أنه رئيس بلدية بيسان السابق، وتصارحنا بتفصيلات هذا الموضوع». في عام ١٩٨٢، حينما عدت من السفارة في الكويت إلى عمان، عرفت أن رشاد مريض في بيته بالزرقاء، وذهبت وعائلتي لزيارته فوجدت أنه مصاب بتصلُّب الشرايين في القلب، وأن جسمه لا يحتمل إجراء عملية جراحية، وهو يعرف ذلك كطبيب، وينتظر النهاية. إستقبلنا باكياً وحزيناً ولاشك في أن شريطاً طويلاً من الذكريات قد مرَّ بمخيلته.

قال ليّ إنه لم ير زائراً عدا أفراد عائلته منذ عدة أشهر، ولم يخرج من بيته.

وبعد نحو شهر إنتقل إلى رحمته تعالى، فذهبت لتعزية أسرته لم أجد مكاناً لأيقاف سيارتي في الشارع المؤدي لبيته لكثرة المعزِّين. وجدت هناك السيد مضر بدران رئيس الوزراء، ومعظم الوزراء، وعشرات الأطباء والمواطنين من كل مكان، فتذكرت شكوى رشاد من العزلة حياً، وقارنت ذلك مع وضعه ميتاً، وقلت: هذه هي الدنيا.

أرحت العم أبا عادل من نقل هذه الأسلحة إلى السيد محمد الصالح بطريقة التهريب، والمخاطرة وباعداد قليلة وفرديَّة، وصرت انقلها بالسيارة العسكرية كلما أمكن ذلك، وأنا واثق من أن مثل هذا التصرف خير من التملص من العمل في سرية الفرسان.كان هذا بطبيعة الحال، مخالفاً لواجبات وظيفتي الرسمية أنذاك، ولاشك في أن كلوب باشا سيفاجأ بهذا الاعتراف اذا اتيح له الأطلاع على مذكراتي هذه، أو وجد من يحدثه عنها وهو الآن مقيم في لندن.

إن طابع مذكراتي هذه لا يتسع لذكر حكايات مماثلة، وذلك لعدم الخروج عن الموضوع، ولأن هنالك شيئاً من حب الظهور الذي لا أريده. وفي مطلع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ تشكلت سرية فرسان بعمان، ونقلت قائداً لإحدى فئاتها، وتنقلت هذه السرية في قرى ومواقع نهري اليرموك والأردن، وموقع الحمَّة في فلسطين

للقيام بواجبات أمنية كما ورد ذكرها. نقلت بعدها إلى سرية المشاة الأولى في حيفا قائداً لاحدى فئاتها، ومسؤولاً عن حراسة ميناء حيفا الذي كانت تصله السفن المحملة بالأسلحة من دول الحلفاء، ثم تنقل براً إلى روسيا عبر الأردن والعراق وإيران.

اشتركت في دورات عسكرية في معسكرات اللطرون وناثانيا، ثم نقلت إلى قيادة اللواء الوحيد في الأردن الذي شكِّل حديثاً في موقع البويضا شرقي إربد، حيث شكلّت أول مدرسة تدريب في الجيش، ونسّبت مدربيها من الضباط، وضباط الصف الذين اشتركوا في دورات مناسبة، وقد اشترك في دورات هذه المدرسة جميع ضباط، وضباط صف هذا اللواء ثم الجنود. وبعد مرور سنتين نقلت إلى معسكر صرفند جنوبي يافا في فلسطين قائداً لسرية المشاة الأولى، ثم قائداً لذلك المعسكر عند بدء انسحاب القوات البريطانية منه حيث كان القاعدة الرئيسية لهم في فلسطين، ثم تسلمت معسكر الجيش البريطاني في بيت نبالا. ثم نقلت إلى قيادة اللواء الأول الذي كان قد نقل إلى فلسطين في تلك المرحلة، وتجمع في معسكر العفُّولة قرب الناصرة في أواخر أيام الأنتداب ركن تدريب واستخبارات. ثم عاد اللواء إلى شرق الأردن وجرى تشكيل الفرقة الأردنية الأولى من كتائب هذا اللواء الثلاث، وكتيبة شكلت حديثاً باسم الكتيبة الرابعة.

إنقسمت هذه الكتائب الأربع إلى لواءين سُميًا: الأول والثالث، وقد عينت في قيادة اللواء الأول في العمل نفسه.

تحركت هذه الفرقة إلى فلسطين يوم ١٥/٥/١٩٤٨ بعد انسحاب بريطانيا، واثناء الانتداب بيوم واحد، وأقام لواؤنا في مستنبت عسكر شرقي نابلس. وفي يوم ٢١/٥/١٩٤٨ تحركنا إلى القدس، ودخلت احدى كتائبنا حي الشيخ جّراح، ووضعنا قيادتنا في بيت السيد راغب النشاشيبي، والبيوت المجاورة له، واستمرت العمليات والمناوشات والصدامات مع القوات اليهودية حتى إقامة الهدنة الأولى، وما بعدها إلى الهدنة الثانية. في يوم ٥/٦/١٩٤٨ تشكلت في الجيش كتيبة اضافية هي الكتيبة الخامسة، وعيِّنت اركان حرب لها، وتحركت هذه الكتيبة إلى منطقة بدّو شمال غربي القدس.

بدأت الهدنة الثانية يوم ١٩٤٨/٧/٢١ وجرى إرسالي في دورة عسكرية إلى بريطانيا يوم ١٩٤٨/٧/٢٤. كانت دورة قادة كتائب في مدرسة المشاة في معسكر «وورمنستر».

وبعد انتهاء هذه الدورة جرى تنسيبي إلى دورة اركان حرب في معسكر «بيكونزفيلد». انتهت يوم ١٩٤٩/٣/١٦ وعدت إلى عملي في الكتيبة الخامسة في القدس، وكانت قيادتها في عمارة المتحف المقابل لسور القدس. في يوم ١٩٤٩/٣/٩ قرر الجيش العراقي الانسحاب من فلسطين، وتقرر تسلم الكتيبة الخامسة مواقعه في منطقة مثلث الشعراوية الذي يشتمل على مناطق قلقيلية، وطولكرم، وباقة الغربية.

ذهبت يوم ١٩٤٩/٣/١٢ إلى قيادة الجبهة العراقية حيث أنيطت بي مهمَّة الكشف على المنطقة، وتسلمها منها، وأمضيت مع القطعات العراقية ٢٨ يوماً، حيث جرى تسلم مواقعها من قائد الجبهة الزعيم نجيب الربيعي، وعادت إلى العراق يوم ١٩٤٩/٤/٧. وفي ١٩٤٩/٤/٢٠ عينت ضابط ارتباط في لجنة الهدنة المشتركة اضافة إلى وظيفتي، وقد عانينا من مشاكل الحدود، واحداثها اليومية طويلاً.

وبعد سنة كاملة نقل لواؤنا الذي كان قد نقل من القدس إلى نابلس في مرحلة سابقة، إلى موقع المفرق في شرقي الأردن لغرض التدريب، ونقلت إلى قيادة اللواء ركن عمليات وتدريب. وفي ١٩٥٢/٢/١٧ جرى تعييني ملحقاً عسكرياً جوياً في بريطانيا. وبعد مضي عامين جرى تنسيبي للألتحاق بكلية الأركان البريطانية في كامبرلي. وبعد التخرج عدت إلى الأردن، وبوشر بافتتاح كلية الأركان الأردنية في مطلع عام ١٩٥٥، وعينت كبير معلمين فيها. وبعد تخرج الدورة الأولى منها، والمباشرة بالأستعداد لبدء الدورة الثانية جرى الأستغناء عن خدمات الفريق كلوب باشا قائد الجيش، واستدعت بريطانيا، الضباط المعارين للجيش الأردني، وعددهم ١٧ ضابطاً. وبعد مغادرة كلوب بنحو ساعة، صباح يوم ١٩٥٦/٣/١ طلبني هاتفياً رئيس الأركان الجديد اللواء راضي باشا عنَّاب، وأبلغني بتعييني قائداً للكتيبة الأولى المجاورة لموقع كلية الأركان، وتم ذلك بعد بضعة أيام. تحركت مع كتيبتي هذه، ومعي في الأسناد كتيبة مدرعات، وكتيبة مدفعية إلى غور الأردن مقابل مدينة بيسان،

وذلك تحسباً لتحركات محتملة من قبل اسرائيل. وبعد مضي شهر جرى تعييني قائداً لمجموعة اللواء الهاشمي في منطقة نابلس، وعدت لمواجهة المشاكل الحدودية التي لا تنتهي مع اليهود، وبعد حوالي سنة، أي يوم ٤/٢/١٩٥٧ جرى تعييني ممثلاً للأردن في القيادة العسكرية العربية المشتركة وملحقاً عسكرياً في القاهرة. وبعد بضعة أشهر جرت ملابسات وتشويشات عربية سببت انسحاب الأردن من القيادة المشتركة، وعدت إلى موقعي السابق في نابلس قائد اللواء نفسه، وحاكماً عسكرياً في المنطقة. وبعد مرحلة من التشويشات المعتادة جرى نقل اللواء إلى منطقة الزرقاء لإعطائه قسطاً من التدريب، واجراء المناورات. وفي مطلع عام ١٩٥٨ قام الزعيم العراقي عبدالكريم قاسم بحركة انقلابية في العراق، واستولى على السلطة كما هو معروف. وتتابعت التشويشات والملابسات في الأردن التي جرى، بسببها نقلي ملحقاً عسكرياً في المانيا الغربية، ووصلت إلى العاصمة بون يوم ١٣/ ١/ ١٩٥٩. صارت أمامي فرص نادرة للاطلاع على مواقع معارك الحرب العالمية الثانية في أنحاء المانيا، والتعرف على بعض القادة الألمان الذين خاضوا تلك المعارك، وعلى بعض السياسيين الذين أداروها، وإقامة علاقات صداقة مع بعضهم. وتتابعت التشويشات في الأردن، كما يعرفها العقلاء والمطلعون، مما أوجب ترك عملي، وذهابي إلى القاهرة لاجئاً سياسياً، وقد صدر بحقي حكم الأعلام غيابياً. أقمت في دمشق في أثناء قيام الجمهورية العربية المتحدة، وبقيت فيها إلى أن جرى الانفصال، وانهاء الوحدة، حيث ذهبت إلى القاهرة، وبقيت فيها حتى أواخر عام ١٩٦٩، حيث عدت إلى الأردن، وعينت مديراً لشرطة البلقاء برتبة عميد. كانت منطقة السلط والأغوار تعج بالفدائيين، كما هو الحال في عمان، وبعض المدن، والمواقع الأخرى، والتي تجري فيها المشاكل والصدامات بدون وعي، أو تعقل مع جميع الأطراف، وعدم إدراك الجميع بانهم شعب واحد من امّة واحدة، وأن عدوهم واحد، أيضاً، يتربص بهم الدوائر. لم تقع في منطقة السلط مشاكل تذكر، وكان التعاون قائماً بين جميع الأطراف، المشاكل كلها تسوّى إدارياً بثقة تامّة.

في يوم ٢٠/٨/ ١٩٧٠ أستدعيت إلى القصر الملكي في الحمّر حيث جرى تشكيل الحكومة العسكرية، وأسندت إليّ وزارة الداخلية والأوقاف والمقدسات

الأسلامية، وذلك، كما قيل لنا، لأن الحكومة المدنية التي كانت قائمة عجزت عن تقدير الموقف، وتوحيد الجهود ضد العدو المشترك.

ولكن برغم هذا لم تكن هنالك فرصة أمام هذه الحكومة للعمل المشترك، وإمكان التقارب والتفاهم، وتوحيد الجهود والعمل، إذ إنه بعد تشكيلها بخمس ساعات ليلية هي من الثانية عشرة ليلاً حتى الخامسة صباحاً فوجئنا بوقوع الصدام بين قطعات عسكرية دخلت إلى عمان وتنظيمات الفدائيين المتمركزة في الأحياء المدنية.

لاشك في أن أيدياً خفية وجهت جميع الجهود إلى غير اهدافها الصحيحة. استقالت هذه الحكومة بعد عشرة أيام من تشكيلها دون أن تكون لها فرصة عمل حقيقية، وخلفتها حكومة مدنية برئاسة السيد أحمد طوقان بقيت معها في وزارة الداخلية. وبعد شهر استقالت هذه الحكومة، أيضاً، وبقيت خارج السلطة مدة أربع سنوات، عينت بعدها محافظاً في الكرك، وامضيت فيها ثلاث سنوات، وبعدها عينت سفيراً في اليمن الشمالي، واليمن الجنوبي مقيماً في صنعاء، وغير مقيم في عدن،وامضيت فيهما أربع سنوات جرت خلالها حركات انقلابية وصدامات في القطرين لعبت فيها أيد اجنبية تماماً كما جرى في الأردن، وراح ضحية هذه الحركات ثلاثة رؤساء جمهورية هم كل من :«إبراهيم الحمدي، وأحمد الغشمي في الشمال، وسالم ربيّع علي في عدن رحمهم الله جميعاً». وراح الاف الضحايا من شعب البلدين بصدامات قبلية وحزبية توجهها ، وتمولها جهات خارجية يعرفها القوميون والواعون في البلدين.

وبعد أربع سنوات قضيتها في اليمن جرى نقلي سفيراً في الكويت. وبعد نحو سنتين أُحلت على التقاعد بعد عمل دام ٣٨ عاماً في الدولة، ومختلف المواقع والبلدان، وستأتي التفصيلات في متن الكتاب.

ملاحظة

في عام ١٩٦٤ وفي أثناء اقامتي في القاهرة التحقت إلى كلية الحقوق في السنة الدراسية الثانية حيث اعتبرت شهادة كلية الأركان التي أحملها في مستوى السنة

الثانية حقوق وكان هذا سارياً بالنسبة لخريجي كلية الأركان من الضباط المصريين. وفي عام ١٩٦٦. تعرفت على الكثيرين من القيادات السياسية وعلى عدد من علماء الأزهر وأقمت علاقات صداقة مع كل من الشيخ أحمد حسن الباقوري، شيخ الجامع الأزهر، والشيخ عبدالله العربي مدير معهد الدراسات الإسلامية العليا والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ أحمد الشرباجي، والشيخ عيسى عبدة، وجرى تبادل الزيارات الخاصة بيننا وقد طلب مني هؤلاء العلماء أن أتوقف عن الدراسة في كلية الحقوق، وألتحق بمعهد الدراسات الأسلامية العليا التابع للأزهر الشريف، لأن هذا أنسب لمن هم في سنِّي، ووضعي الأجتماعي من مزاملة طلاب دون سن أولادي، ولمزاملة طلاب هذا المعهد الذين يحمل اغلبهم الشهادات الجامعية قبل انتسابهم إلى هذا المعهد، وهم على مستوى اساتذة كلية الحقوق، وإن الدراسة في هذا المعهد تشتمل على الأوضاع الدينية والسياسية في جميع البلاد الأسلامية منذ صدر الأسلام إلى يومنا هذا. وعلى جميع التقلبات التي حصلت في هذه البلدان عبر القرون. ومثل هذه المواد لا تدرَّس، على هذا المستوى، في أية جامعة. وافقت على الفكرة والتحقت بالمعهد، وامضيت مدة سنتين على أحسن علاقة مع اساتذته. وفي العام ١٩٦٩ عدت إلى الأردن كما سبق ذكره.

تمهيد

كان جدّي قاضياً شرعياً أيام الخلافة العثمانية، ومن هنا جاءت تسمية عائلة الشرع إلى فرع عائلتنا، وهو المرحوم الشيخ محمد صالح بن أحمد أبن موسى أبن سلامة أبن موسى أبن سلامة، وسلامة الأول جاء ومعه شقيقه عبدالسلام، وأبن شقيقه محمد من الطائف في الحجاز إلى مصر قبل نحو اربعمائة سنة، واقاموا في محافظة الشرقية. إستوطن شقيقه عبدالسلام هناك، وأحفاده الآن يشكلون عائلتي الأزهري وأبو الروس.

وارتحل سلامة وابن شقيقه محمد إلى مجدل عسقلان في فلسطين لأعمال تجارية، في حين بقي محمد في المجدل، واحفاده الآن يشكلون عائلتي الحلاق والتنيرة زرتهم في المجدل أثناء عملي في حيفا، وعميدهم السيد إبراهيم عباس أبو فؤاد، هم حاليا موزعون لاجئون في دنيا العرب. ذهب سلامة إلى قرية بدّيا قضاء جماعين في منطقة نابلس، وأقام فيها وأحفاده نحن عشيرة سلامة الآن. درس جدّي الشريعة في الأزهر، والحقوق في استانبول، ثم عيّن قاضياً شرعياً ورئيس محكمة في حوران التي كان شمال الأردن جزءاً منها حتى نهاية الحكم العثماني، واستوطن في قرية حوارة التابعة لإربد عام ١٨٧٦. وقد أنجب أربعة أولاد هم كل من : والدي محمد سليم، والأعمام محمد أمين، ومحمد غازي، ومحمد راغب، وثلاث بنات هن : خديجة، وسكينة، وأمينة، أما أنا فقد رزقت بسبعة أولاد وثلاث بنات هم :كمال، ومحمد، وفيصل، وجمال، وعبدالرحمن، وفؤاد، ووليد، وتركية، ومريم، وعايدة.

إنتسبت كما ذكرت في المقدمة إلى الجيش العربي الأردني بتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٣٤، وكان مؤلفاً من وحدات الشرطة والدرك من فرسان ومشاة .ولم يكن يتجاوز عددها سبعمائة وخمسين فرداً حتى عام ١٩٣٩ حينما بدأت الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ يزداد تدريجياً بالتنسيق مع بريطانيا بموجب معاهدة، واتفاقيات تعاون مع القوات البريطانية في المنطقة. وكان عدد الضباط سبعة وثلاثين بمن فيهم قائد الجيش ومعاونوه والباقون من الرتب والأعمال الأخرى وموّزعون على خمس مناطق هي بحسب التنظيم الإداري آنذاك كما يلي :

منطقة عجلون ومركزها إربد، منطقة البلقاء ومركزها السلط، وتتبعها عمان والزرقاء، والحدود بينها وبين منطقة عجلون وادي الزرقاء، وبينها وبين منطقة الكرك وادي الموجب، ثم منطقتا الكرك ومعان، ومديرية شرطة العاصمة، وكان معسكر هذه القوات الرئيسي في جوار محطة السكة الحديد بعمان، وإذا قيل المحطة أو المعسكر فإن كل أردني يعرف أنه يعني القاعدة الرئيسية للجيش التي يتم فيها التدريب، ويحتفظ فيها بالقوة الأحتياطية التي ترسل منها التعزيزات إلى جميع المناطق، ويتمركز فيها فرسان يتراوح عددهم بين ٦٠-٨٠ فارساً، ومثل هذا العدد تقريباً من المشاة. يقود هذا المعسكرضابط برتبة رائد، ويساعدة ٤-٥ ضباط أحدهم قائد الفرسان وآخر للمشاة، ومدير للسجن، ومدير للمستودعات، وضابط موسيقي، وبضعة ملازمين لأعمال إدارية.

كان قادة المناطق تتراوح رتبهم بين رائد، ونقيب يساعد كل منهم ضابط برتبة نقيب، أو ملازم، وقائد درك في قيادة المنطقة، وضباط قادة مقاطعات.

كانت في منطقة إربد مقاطعتان هما: جرش وعجلون، إضافة إلى مقاطعة إربد نفسها، وفي البلقاء مقاطعة عمان، ومقاطعة، مأدبا، وتتبعها مخافر الزرقاء، وناعور، ووادي السير، وبعض قرى وعشائر بني حسن، وبني صخر، ومخفر ذيبان، وكلها تابعة للسلط، وفي الكرك مقاطعة الطفيلة،وفي معان مقاطعتا الشوبك والعقبة.

كانت قيادة الجيش تتألف من قائد الجيش، ومساعدين اثنين أحدهما للأمن ويضطلع بواجبات مدير الأمن العام الحالية وقيادة القوات المسلحة، والثاني مساعداً للإدارة يتولى جميع الشؤون الإدارية- اللوازم والمالية والمرتب واللاسلكي يساعده بعض الضباط والموظفين الإداريين المدنيين.

كان أول قائد للجيش، عند انتسابي للخدمة عام ١٩٣٤، النقيب البريطاني فريدريك بيك الذي كان يعمل في صفوف الثورة العربية الكبرى وقد رفع إلى رتبة امير لواء عند تشكيل الجيش الأردني، وصار يدعى بيك باشا.

وقد خلفة في اواخر عام ١٩٣٩ الزعيم جون باجت كلَبْ كلوب باشا.

استمر هذا الوضع حتى بوادر الحرب العالمية الثانية حينما احتلت المانيا النمسا، وتشيكوسلوفاكيا، ثم بولندا فتشكلت في الأردن سريتا فرسان على اساس تعزيز الأمن الداخلي. وحينما نشبت الحرب تشكلت قوة اضافية سميت قوة الاحتياط وبوشر بتدريبها في معسكر المحطة عام ١٩٣٩.

كما بوشر بتشكيل سرايا مشاة، تدريجياً، من هذه القوة، وإرسالها إلى فلسطين للتعاون مع القوات البريطانية على اساس التحالف القائم بين البلدين. وجرى إرسال سريتي مشاة احداهما إلى حيفا، والثانية إلى مطار عاقر قرب مدينة الرملة، ثم جرى التوسع بتشكيل هذه السرايا إلى أن بلغ مجموعها احدى عشرة سرية. وكان مجموع كل سرية نحو مائتي فرد من جميع الرتب، وجرى توزيعها على قيادتين هما: الحامية الأولى في فلسطين، والحامية الثانية في العراق، وكانت واجبات هذه الوحدات حراسة المعسكرات، والمستودعات البريطانية بتوفير الجنود البريطانيين، واخذهم إلى جبهات القتال، ثم تأمين سير قوافل الأسلحة من موانئ فلسطين إلى مصر لتعزيز جبهة شمال افريقيا، ثم إلى الجبهة الروسية قبيل نهاية الحرب عن طريق الأردن- العراق- إيران، وحماية مستودعات الأسلحة والذخيرة في الأراضي الفلسطينية والعراقية.

كنت في هذه المرحلة قائداً لأحدى فئات السرية الأولى في حيفا عام ١٩٤٢،ثم قائداً لتلك السرية فيما بعد.

وفي بداية فصل الشتاء عام ١٩٤١ صدر أمر من القيادة بتعيين حراسة على مقر سمو الأمير عبدالله، في غور الشونة الجنوبية، من سرية الفرسان على أن يُنتخب ستون جندياً منها لهذه الغاية، وتم تعييني مسؤولا عن هذا الواجب، فتحركت إلى هناك ومعي القوة المذكورة. وصل سمو الأمير إلى مخيم أقيم هناك. عرفت أنه يحب إداء صلاة الصبح حاضراً مع الحاشية يومياً في مكان مجاور لخيمة سموه، وهو عبارة عن مربّع من الحجارة مدهونة بالكلس الأبيض، ومفروشة بالحصير. حضرت للصلاة مبكراً، وأذّن سمو الأمير بنفسه بصوت عذب، ومنخفض ثم قام إماماً بالحضور. وصادف أن كنت إلى جانب سمو الأمير طلال، حكى لي نكتة جميلة لن أنساها، وصرت أقابله في خيمته باستمرار، وقد جرت مفارقات عجيبة معه في

تلك المرحلة بسبب كتابته رسالة إلى السيد رشيد عالي الكيلاني في العراق قد أذكر أسبابها ونتائجها في مناسبة أخرى. وقد اجتمعت وسموه ثانية فيما بعد عام ١٩٤٥ في قيادة اللواء الأول في موقع جسر الجامع حيث كان مساعداً لقائد الكتيبة الثانية برتبة رائد، وكان قائدها إنجليزياً «تخرج سموه من كلية الحرب البريطانية في سانت هيرست». وكنت قائداً لمدرسة تدريب الجيش، وكان موقف سموه واضحاً ومعروفاً مع الانجليز، وهو استمرار لموقفه منهم في مخيم الشونة عام ١٩٤١ الذي لقي بسببه متاعب فيما بعد.

بعد الصلاة تقدمنا للسلام على سمو الأمير عبدالله، وما أن جاء دوري وأقبلت عليه وإذا به يمد اصبعه نحوي قائلاً لمن حوله: أنظروا أنه ديجول بعينيه وأنفه وتقاطيع وجهه، ويعني بذلك الجنرال ديغول الفرنسي. راح الكل ينادونني باسم ديغول. في تلك المرحلة كان الجنرال ديغول يقيم في أريحا ومعه قطعات فرنسية تسمى قوة ديغول- هي قوات فرنسا الحرَّة التي دخلت، في تلك المرحلة، إلى سوريا مع القوات البريطانية التي دخلت من فلسطين بقيادة الجنرال باجت، وأخرجت القوات الفرنسية التي كانت موالية لألمانيا. كان ديغول يتردد على سمو الأمير، وكان معسكره مقابلاً لموقع الشونة وقد قابلته مراراً، وكان يصافحنا بحرارة فائقة اثناء استقباله وتوديعه.

وفي احد الأيام، وكان الوقت عصراً، وسمو الأمير عبدالله جالس أمام خيمته وأمامه الشيخ حمزه العربي، وبين يديه المصحف الشريف، وهو يستمع إلى سموه يتلو القرآن الكريم غيباً، كعادته عصر كل يوم، وصادف أن مررت بقربه ومعي جنود الحرس عائدين من حصة تدريب، ولم الاحظ الوضع، أو أتقيدٌ بعدم اداء التحية، وقد أديت التحية المعتادة قائلاً إلى الشمال انظر، فأنتصب سموه واقفاً، وبدلاً من أن يرد التحية أشار باصبعه قائلاً، أنا اشهد أنك ابليس، وأن جنودك أبالسة، أهكذا تقطع علي قراءة القرآن لأرد لك ولجنودك التحية؟، وأتبعها بدردشة لم أفهمها، وهربت مع الطابور من دون ان أسمع تكملتها. في صباح اليوم التالي أدينا صلاة الصبح كالمعتاد، وبعد انتهائها قدم سموه نحوي باسماً، ووضع يده على كتفي قائلاً: أنت زعلان ياديغول، ثم استطرد قائلاً: يا ابني لا شيء أفضل من القرآن، وحينما أقرأ

القـرآن لا أريد أن يقـاطعني شـيء. قلت:عـفـواً ياسـيـدي، لم يكن بامكانـي المرور من أمامكم بهذا الوضـع من دون إداء التحـية. قـال: هذا صـحـيح عسـكرياً، لكنها غلطة من الناحـية الدينية، وضـحك، وضـحك الجـميع، وبطبيعة الحـال لم أكرر المرور من ذلك المكان بعدها.

وحكاية أخرى حصلت مع سموه ذات يوم، وهي كما يلي:

وصل سموه يوماً إلى المخيمّ قادماً من عمان، ونزل من السيارة ضاحكاً، ودخل إلى خـيـمـة المطبخ، وطلب من الطاهي وعـاءً وسكيناً، وقـد أنزل السـائق كـمـيـة من البندورة من السـيـارة. قال سـمـوه للطاهي: أنا أريد أن اكل من تعبي هذا اليـوم، وقـد روى لي السـائق مـاحـصل قائلاً: اثناء مـرورهم من وادي شـعيب شـاهدوا شـخـصـاً يؤشـر للسـيـارة بالوقـوف، وبشكل حـمـاسـي جداً، فـأمر سـمـوه السـائق بـالوقـوف، ونزل بنفسـه يسـأل الرجل مـاذا يريد، وجد أن مـعـه صـندوقي بندورة يريد تحـميلهما على حـمـاره، وبمـجـرد أن وصـل سـمـوه أمام الرجل وخلفة جندي الحرس «كان حرس سموه جندي واحد سلاحه المسدس، بعيداً عن التحوطات والمظاهر». حمل الرجل احد الصناديق، ووضـعه على جانب ظهر الحـمار قائلاً لسـمـوه: الزم ياخوي أي طالباً اليه أن يسند الصـندوق بيديه فاسـتجـاب سـمـوه لطلبه، واشـار إلى جندي الحـرس بعدم التدخُّل، اسـتدار الرجل للجهة الثانية وحمل الصـندوق الثاني، ووضـعه مـقابل الأول، وربطهما ببعضـهما، ثم اغترف كمية من البندورة، أقسم لسموه أن يأخذها بدل تعبه، ففعل بكل رضا وسرور.

كان الرجل من النوع البسـيط للغاية بحيث لم يدرك، أو يلاحظ أنه يتـعـامل مع شـخص غير عادي، أو يلاحظ الجندي الحـارس بالملابس العسكرية والأعلام المرفوعة على مقدمة السيارة، وقد هيأ سموه فعلاً وعاءً من السلطة وهو في منتهى السرور.

أنتهاء العمل في مخيم الشونة

بعد انتهاء فصل الشتـاء عاد سمو الأمـير إلى عمـان، فتسلمت تعليمـات بالذهاب إلى مقاطعة مـأدبا، ومعي مفرزة الحرس لحل مشـاكل عشائرية وقعت بين عشـائر بني حميدة، وبني صـخـر، قتلت خلالها جماعة من بني صـخر أحد شيوخ بني حـمـيدة

المدعو عبدالله الجمعاني، وذهبت إلى المنطقة التي وقع فيها الخلاف بين مواقع العشيرتين شرقي ذيبان، وتم القبض على القتلة، وارسالهم إلى سجن عمان، وجرى حل الخلاف عشائرياً. ومن هناك نقلت إلى المفرق مسؤولاً عن مخفر الشرطة، ومخافر شرطة البادية. وبعد فترة نقلت إلى سرية الأمن الأولى في حيفا قائداً لإحدى فئاتها، وتسلمت حراسة الميناء وقيادتي خلف بنك باركلس على شارع الملوك للإشراف على عملية انزال الأسلحة من السفن القادمة من أوروبا، وشحنها بواسطة قوافل السيارات العسكرية البريطانية لتذهب إلى روسيا عبر الأردن والعراق وإيران، وستأتي تفصيلات هذه العملية في مكان آخر.

وجدير بالذكر انني تسلمت قيادة معسكر صرفند عام ١٩٤٧، وهو أكبر معسكر بريطاني في فلسطين عند انسحاب القوات البريطانية،ومعي سريتان الأولى بقيادتي والرابعة عشرة بقيادة محمود الرفاعي. وكان في صرفند الرئيس عبدالله التل مسؤولاً عن حراسة القوافل العسكرية التي تنقل الأسلحة من مصر، ومنطقة القتال إلى الأردن. وكان يرسل بعض افراد اللاسلكي إلى مدينة الرملة لتدريب المناضلين على استعمال أجهزة اللاسلكي. وفي هذه الفترة تعرفت على اللجان القومية، كما كانوا يسمونها، في مدينتي اللد والرملة، وعلى السادة محمود علاء الدين رئيس بلدية الرملة،والحاج عواد رئيس اللجنة القومية في اللد، وقررت العمل على تدريب شباب المدينتين الذين تنسبهم اللجان القومية تدريباً أولياً على استعمال الأسلحة. وعينت النائب توفيق القسوس من الكرك وكيل القوة عندي، ومعه جماعة من ضباط الصف المدربين لهذه الغاية في مدينة اللد. وقد باشروا بالعمل يومياً، وكنت التقيهم هناك في مدرسة الصلاحية، حيث يجتمعون مساءً بعد دوام المدارس، وانصراف الطلاب ويستمرون ليلاً على فك وتركيب الأسلحة، وكيفية استعمالها، وكنا نعطيهم ما امكن من الذخيرة ونأخذهم على دفعات لموقع ميدان الرماية في موقع النبي روبين على ساحل البحر، يطلقون النار على الأهداف على أساس انهم مراسلون أوطهاة أو عمال في مختلف المهن في المعسكر، ولابد من تدريبهم. هذا وقد دربنا المئات من شباب مدينة اللد بهذه الطريقة.

أما بالنسبة لمدينة الرملة، فقد أرسلت الملازم السيد قاسم الناصر قائد احدى الفئات «اللواء السيد قاسم الناصر مدير الدفاع المدني فيما بعد» للقيام بتدريب شبابها، وليقابل، أولاً، السيد محمود علاء الدين رئيس البلدية،والاتفاق معه على الترتيبات اللازمة. ذهب قاسم إلى بيت محمود للتفاهم معه سراً، وبعيداً عن مكاتب البلدية وموظفيها، فوجده هناك، ولم يهتم بمجيء الزائر، أو يرحب به، كان يعرف، بطبيعة الحال، أسباب الزيارة من أحد الوسطاء، فقال له: تفضّل اجلس، وبادره بالكلام، على الفور، ومن دون مقدمات قائلاً: نحن والله لا نتمكن من السماح بتدريب شبابنا من قبل القوات الأردنية، ولا نعرف ماوراء هذا التدريب، وأنا جاءتني تعليمات من الهيئة العربية العليا بأن لا نتعامل معكم في هذا المجال، أما اذا كان شباب الرملة يرغبون في ممارسة هذا التدريب، فهم يقومون على مسؤوليتهم.

جاء قاسم ساخطاً وأبلغني بماحصل، ولاشك أنه سيتذكر هذا الموقف بكل اسى عندما يقرأ هذه السطور بعد أن مضت عليه ثلاثون عاماً، وأن السيد محمود سيقرأها، أيضاً، وكلاهما الآن من سكان عمان.

إن كنت أتوقع عذراً للسيد محمود لهذا الموقف فهو أنه لا يعرف ان هذا التدريب كان على اساس مبادرة شخصية مني، ولا علم لقيادة الجيش بها وأنها كانت مخاطرة ومسؤولية كبرى في تلك المرحلة.

سأذكر في مكان لاحق كيف جرى احتلال مدينتي اللد والرملة، وكيف دخلت القوات اليهودية إلى اللد، وأن معظم أولئك الشباب الذين دربناهم صمدوا، وهم يقاومون المصفحات والرشاشات اليهودية إلى أن انتهى العتاد من ايديهم، وقتل معظمهم في اثناء المقاومة، كما قتل كثيرون منهم اغتيالاً بعد الاحتلال.

وكانت هناك سريّة مشاة أردنية بقيادة الرئيس أديب القاسم النواصرة انتهى عتادها، أيضاً فأبرق أديب إلى قيادة الفرقة قائلاً: إنتهى العتاد ولم يبق إلا ما يعادل خمس طلقات لكل بندقية فهل ننسحب، أم نستسلم؟

فجاءه الأمر بالانسحاب، عندئذ أحرق كل مهمات السرية بما فيها السيارات، ووصل إلى رام الله مع جنوده وأسلحتهم الفردية.

قابلت الحاج عواد رئيس اللجنة القومية في اللد سابقاً في دمشق عام ١٩٦٠، عندما جئت اليها لاجئاً سياسياً اثناء إقامة الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، وكنت أقيم في بيت السيد عبداللطيف الأسطواني في حي المهاجرين، وحضر الحاج عواد، وسلّم علي فلم أعرفه، فاستهجن ذلك، وصار يبكي قائلاً: أنا الحاج عواد، هل نسيتني يا أباكمال؟ لقد هرعت لأراك عندما قرأت، في الصحف، أنك أتيت إلى دمشق: كان عهدي بالحاج عواد رجلاً ضخماً، ممتلئاً متجعّد الوجه لايكاد حجمه يساوي ثلثي حجم الحاج عواد الذي عرفته في اللد.

وكان محطّم الجسم، ضعيف البنية. واسيته وجلسنا نتحدث، ونتذكر أيام اللد بكل حزنٍ وأسى. زرته في قبو يسكنه في رأس الصالحية «القبو كما يسمونه في دمشق هو شقة صغيرة تحت أرضية البيوت» وكان له ولد يدرس البكالوريا، أي نهاية الثانوي، وكانوا يعيشون على بطاقة تموين اللاجئين. قابلت صديقنا السيد عبدالحميد السراج رئيس المجلس التنفيذي، وعرضت عليه موضوعه. فخصص له راتباً شهرياً من هيئة إدارة اللاجئين الفلسطينيين، وقدم لابنه منحة في الدولة لأنهاء دراسته الجامعية.

في اوائل عام ١٩٤٨، جرى نقل سريتي من معسـ ـ صرفند إلى معسكر بيت نبالا البريطاني، الذي يحوي مستودعات أسلحة، وذخيرة، وتسلمنا حراستها، وكانت سرايا أخرى تحرس مستودعات مماثلة في أنحاء فلسطين. ولم نكن نعرف أننا سنعود إلى شرق الأردن قريباً، وأن الجيش البريطاني سيسلّم محتويات هذه المستودعات لليهود، وكان المناضل المعروف السيد حسن سلامة له قيادة قريبة من قيادتنا، وقاعدة أخرى في عمارة مستقلة تسمى ملجأ الرجا، غربي مدينة الرملة، في مواجهة مستعمرة ريشون اليهودية غرباً. زرته في مكتبه فوجدت معه المهندس كاظم بدوي الذي سبق أن عرفته مهندساً في بلدية الرملة، وكان قد ترك عمله هناك والتحق بالمناضلين «السيد كاظم التحق بالجيش الأردني، ووصل إلى رتبة عقيد» وجدت في قيادة حسن ستة جنود من الجيش الأردني، كانوا قد هربوا من الجيش باسلحتهم، والتحقوا بالمناضلين. حيّوني التحية العسكرية، وجاء أحدهم وسلمّ علي وقبّل يدي، وقد عرفته جيداً فقد كان من مرتّب قيادة اللواء في خو واسمه د غليب،

وهو من عشائر الحويطات. جاء زملاؤه أيضاً وسلموا علي، وكانوا يرتدون، جميعاً، ملابسهم العسكرية الكاملة عدا لباس الرأس، وعندما سألتهم عن سبب هروبهم من الجيش قالوا: نريد أن نحارب اليهود. فقلت لهم: إننا كلنا سنحارب اليهود بعد خروج الأنجليز من فلسطين قريباً،فقالوا إنهم يشعرون بأنهم استعجلوا في هروبهم وطالما أن الأمر كذلك، وأن الجيش والمناضلين سيتعاونون فأنهم يرجونني أن أعمل على اعادتهم للجيش، وبناءً على طلبهم وموافقة السيد حسن سلامة توسطت لهم بالطريقة الرسمية، وتم العفو عنهم، وعادوا إلى صفوف الجيش، وربما كان هذا الاجراء بالنسبة للقضية وعلاقة المناضلين بها، خير اجراء جنبها التعقيد. لقد صار دغيليب من ملاك الكتيبة الثانية، وعندما دخلت يوم ١٩/٥/١٩٤٨ إلى حي الشيخ جراح استشهد في ذلك اليوم نفسه.

ذهبت والسيد حسن سلامة إلى ملجأ الرجا، وهو بناية تتكون من ٣-٤ طوابق على ما اعتقد، جرى بناؤها كملجأ للعجزة تبرعاً من أحد مواطني يافا، وكان السيد حسن سلامة يستعملها معتقلاً يحتجز فيه أولئك الذين كانوا يعتبرونهم ضد الثورة. وقد فهمت أن الذين كانوا يدفعون تبرعات للثورة، ويؤيدونها يخلى سبيلهم. وجدت أن حارسين من المتطوعين الألمان، الذين رافقوا حسن من المانيا ليحاربوا في صفوف الثورة ضد اليهود، يحرسان البناية وكان أحدهما يقف في المدخل الرئيسي، والأخر على السطح، وهو ظاهر للعيان من مسافة بعيدة. نصحت السيد حسن بلزوم وضع الحرس في خنادق حول البناية، وليس في العراء، وكانت المناوشات جارية في ذلك الحين بين المناضلين واليهود والسكان العرب، وأحياناً مع القطعات الأردنية.

قال: يا أخ صالح أتريدنا أن نخاف، ونختبئ من اليهود في الخنادق «نحن عايزين أنهم يهاجمونا ونشوفهم بعيوننا»، وهذا ما نتمناه. لم يمض أسبوع على هذا اللقاء حتى قام اليهود بنسف المبنى ليلاً من أساسه، وقتل من كانو فيه. ولم ينج منهم إلا ما ندر، حيث دُمِّر تدميراً كاملاً، وراح ضحية الحادث نحو ثلاثين شخصاً هم الحرس والمعتقلون.

كنت ارسل لحسن كل ما أمكن من مستودعات الجيش البريطاني من المواد التي تلزم لاستعمالهم بعد مغادرة الموظفين البريطانيين إلى أماكن سكنهم بعد الدوام، وكان الضباط وضباط الصف والجنود في أوج حماستهم لتزويد المناضلين بهذه

المواد، وكانت الروح الوطنية العارمة في تلك الأيام لا تسمح بأمرار اية معلومات من هذا القبيل خارج نطاق السرية، ولكن المناضلين لم يكونوا يتحلون بالتنظيم والأنضباط والوعي بعكس ماكان عليه اليهود، ومعظم هذه الأسباب يعود إلى موقف دولة الاحتلال من الطرفين كما سبق ذكره، حيث كان اليهود مدربين ومنظمين والكل يعرف دوره، ولذلك فانهم حينما جرى اعلان قيام دولتهم يوم ١٤/٥/١٩٤٨،ارتدى كل منهم ملابسه العسكرية، وحصل على رتبته التي توصل اليها، والسلاح المخصص له، وأصبحوا قوة منضبطة.

على سبيل المثال، فأنني قد اجتمعت بعد الهدنة الثانية مع اليهود في قرية برطعة كضابط ارتباط في لجنة الهدنة أثناء تخطيط حدود الهدنة المؤقتة، وكان من الجانب اليهودي المقدم موسى ديان، ومعه ضابطان هما موداي وإيتان ومعنا ممثل الأمم المتحدة المقدم الفرنسي بيرجو، فقد حياني موداي التحية العسكرية، فلم أرد عليه، واشتكى إلى بيرجو الذي سألني، بنوع من العتاب، فأجبته أن جيشاً عمره شهر لايمكن ان يفرز ضباطاً بهذه الرتب، وبهذه السرعة، ونحن لا نعترف لا بجيشهم ولا بدولتهم أصلاً، فرد موداي موجهاً الحديث إلى بيرجو قائلاً: ياسيدي أنا ضابط في جيش اسرائيل منذ سبع سنوات. وفي مناسبة ثانية مع بيرجو في مكتبي في طولكرم قال لي:إن هؤلاء منظمون ويدخلون دورات تدريب منذ مدة طويلة، وهم يعرفون جميع اراضي فلسطين وقد تجولوا فيها كشافة، وزواراً، وهم منظمون في وحدات،وكل فرد يعرف واجبه.

في مطلع نيسان نقلت من السرية الأولى، في بيت نبالا، إلى قيادة اللواء الأول في معسكر العفولة قرب الناصرة، ركن تدريب وعمليات، وبدأت وحداته تتجمع حيث كانت موزعة إلى عدة مواقع، وذلك بقصد العودة إلى شرق الأردن.

الفصل الثاني

الوضع العام في فلسطين

عند انتهاء الانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥

الوضع اليهودي:

١- من المعروف بما لا يقبل الجدل أن من أهداف الأستعمار البريطاني في المنطقة العربية في الشرق الأوسط العمل على قيام، وتثبيت الكيان اليهودي في فلسطين تنفيذاً لوعد بلفور المعروف الذي أقرته الدولة البريطانية، والذي يتماشى مع مصالحهم المستقبلية في المنطقة العربية كما كانوا يعتقدون. وقد جرى تعيين أول حاكم عام باسم المندوب السامي على فلسطين، وشرق الأردن، اليهودي الصهيوني هربرت صمويل الذي سبق ذكره. وهذا دليل واضح على حسن نيتهم مع اليهود، وسوء النيَّة الواضحة مع العرب، وقد باشر المذكور بوضع القوانين والأنظمة وتأسيس أجهزة الدولة بالشكل الذي يضمن قيام الكيان اليهودي، وتهيئة الأوضاع اللازمة لتأسيسه ورعايته بصورة تدريجية تتلاءم مع مجرى الحوادث.

قامت الحرب العالمية الثانية فكانت فرصة ذهبية لليهود في قيام الكيان اليهودي لأنها أوجبت خروج مئات الألوف من اليهود من بلدانهم الأصلية في المانيا، وبولند، وبلغاريا، ورومانيا، وغيرها من البلدان التي شملتها الحرب، في هجرة منظمة إلى فلسطين، ولولا هذه الحرب لما امكن إقناع، أو ترغيب هذه الأعداد بالهجرة إلى فلسطين. ربما أن هناك اسباباً وطرقاً كثيرة أسهمت في العمل على إقامة الحرب

أصلاً والوصول إلى هذه النتائج التي أوجبت نزوح هؤلاء من مواطنهم الأصلية التي عاش فيها اباؤهم وأجدادهم، وينتمون اليها أصلاً وعرقاً، ولما امكن إقامة دولتهم بصورتها الحالية إلا بعد عدة أجيال من العمل إذا قُدِّر لها أن تقوم أصلاً.

كان عدد كبير من هؤلاء القادمين إلى فلسطين قد سبق لهم الخدمة العسكرية في بلدانهم أو أولئك الذين تطوعوا للخدمة في قوات الحلفاء أفراداً، وجماعات أثناء الحرب بالأضافة إلى اللواء اليهودي الذي أسسته بريطانيا، وجرى إرساله إلى جبهة ايطاليا، ثم جرى إرسالة إلى فلسطين فيما بعد.

٢- كانت القوات البريطانية في فلسطين قد درَّبت، أو ساعدت، أو سمحت بتدريب العديد من الشباب اليهود في المدارس ومختلف مراكز العمل على اقتناء الأسلحة واستعمالها وتخزينها وحتى تصنيعها في اماكن سرِّية لم تكن خافية على السلطة الحاكمة.

٣-فوضت الوكالة اليهودية بالإشراف، وممارسة العمل في جوانب رئيسية من صلاحيات الدولة المنتدبة لا مجال لحصرها والذين عاصروا ايام الانتداب يعرفون الكثير منها، وعلى سبيل المثال مجال التربية والتعليم الذي كان مستقلاً عن مناهج الدولة بموازنته وكوادره وبرامجه وكأنه يتبع دولة أخرى، وكانت الوكالة اليهودية عبارة عن هيكل مستقل، أي دولة داخل الدولة، وهي نفسها التي أعلنت قيامها دولة مستقلة يوم ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ وهي في الحقيقة كانت قائمة فعلاً من دون حاجة إلى تشكيل جديد إلا بتسمية الأشخاص للأعمال التي كانوا يمارسونها فعلاً.

حينما كنت في السرية الأولى في حيفا عام ١٩٤٣ كانت قيادة السرية في موقع على جبل النبي شعنان في الكرمل. كان الجنرال البريطاني أرسكين قائداً لحامية حيفا، وقد أشرك جماعة من شباب اليهود في كل الدورات العسكرية التي كانت تعقد لصغار الضباط، وقد تخرج العديد منهم، وصاروا من نواة الجيش اليهودي فيما بعد.

٤- اتضح أن عدد القوات اليهودية النظامية، وشبه النظامية عند اعلان دولتهم يوم ١٥/ ٥/ ١٩٤٨. كان بحدود ٦٥ ألفاً. وعندما بدأت القوات البريطانية

الجلاء عن فلسطين سلّمت كميات كبيرة من الأعتدة العسكرية لليهود، من مستودعات صرفند ومعسكر كردانه وغيرها من المعسكرات التي كان يحرسها الجيش الأردني. نحن ضباط وأفراد الجيش الأردني شاهدناها تنقل من تلك المستودعات بسيارات الجيش البريطاني، وبطبيعة الحال لم ترسل إلى بريطانيا،ولم تسلم للعرب، لكنها شحنت من المستودعات التي كنا نتولى حراستها، وقد الت هذه المعسكرات نفسها إلى اليهود عند انسحاب القوات البريطانية والأردنية من فلسطين.

٥- في أخر يوم من أيام الانتداب كان اليهود قد تسلموا من السلطات العسكرية البريطانية جميع معسكراتها كاملة تماماً مثلما تسلّم أية وحدة عسكرية إلى وحدة أُخرى على ما تبقى في هذه المعسكرات من مهمات، كما سلمتهم معظم المواقع الحيوية ومهدت لهم الأستيلاء على جميع الأراضي والمناطق التي حددها قرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وعلى مناطق اضافية أخرى ومدن وقرى كان سكانها عزّلاً من السلاح، وغادروها، أو طردوا منها تحت سمع وبصر القوات البريطانية، عدا عدد قليل من المواطنين الذين بقوا في أماكنهم إيماناً بالقضاء والقدر، وهكذا كانت بريطانيا قد أوفت بالتزاماتها تجاه اليهود بأمانة واخلاص.

الأوضاع العربية

١- كان المواطنون الفلسطينيون محرومين من ممارسة أي تنظيم، ويتعرضون للعقاب الصارم الذي يصل أحيانا إلى الإعدام في حالة حيازة السلاح.

٢- لم يكن لأية جماعة عربية حق التنظيم في أحزاب، أو تكتلات، أو ممارسة أي حق إداري، أو قانوني أسوة باليهود. وكانت السلطة المنتدبة تشجع الخلافات بين المواطنين في مدنهم وقراهم وعائلاتهم لأتفه الأسباب. وقد أدت هذه الخلافات إلى صدامات وحوادث دامية في كثير من الحالات، وعلى جميع المستويات.

٣- في أواخر أيام الأنتداب والأيام التي أعقبته، وحينما بدأ اليهود بحملاتهم الإرهابية بدأ العرب بالنزوح عن مدنهم وقراهم إلى المناطق العربية البعيدة عن مناطق اليهود، وزاد النزوح على أثر مذبحة ديرياسين، والإعتداءات وتهويل الأشاعات، وبدأ المواطنون يغادرون فلسطين إلى البلدان العربية المجاورة وذلك لعدم استعدادهم المسبّق لمواجهة الحوادث على المستوى اللازم.

٤- إن جلاء القوات البريطانية، وانهاء الكيان القانوني والسلطات الأدارية والأمنية القائمة، وترك البلاد نهباً للفوضى ومن دون، أية سلطة بلدية هو تكملة لما بدأه الأنجليز من تهيئة لإقامة الكيان اليهودي الذي أصبح هو التنظيم الوحيد القائم في فلسطين بعد أن سلموا جميع دوائر الدولة، ومواقع الجيش والأمن العام إلى اليهود تماماً مثلما تسلّم أية أدارة حكومية إلى خلفها.

٥- إن جلاء الانجليز كدولة منتدبة من الأمم المتحدة التي كانت تسمى عصبة الأمم، وترك البلاد خالية من جميع السلطات، هكذا للقضاء والقدر لا يمكن تفسيره بالعدالة، وحسن النية، أو بعدم التواطؤ والكراهية لهذه الأمّة منذ عهد ريكاردوس المعروف، ولا يخفى على أي إنسان يعرف ذلك الوضع أنه كان على بريطانيا أن تطلب من هيئة الأمم المتحدة التي أقرت انتدابها على فلسطين أن تنتدب دولة أخرى أو مجموعة دول أخرى لترسل قواتها إلى فلسطين، وتتسلّم المسؤولية القانونية والنظامية والأمنية وتقوم بحفظ النظام، وتطبيق مقررات الأمم المتحدة، وتشرف على تأسيس دولة عربية، وأخرى يهودية بناءً على قرارات الجمعية نفسها عام ١٩٤٧، وأن تؤمن حفظ السلام والأمن لمدة مناسبة من الزمن إلى أن يستقر النظام والأمن بين الطرفين، وضمان عدم الأحتكاك بينهما أسوة بباقي الدول المتجاورة. لا أقول انني شخصياً أقر هذا الإجراء، ولكن هكذا كان الواقع الواجب إجراؤه في تلك المرحلة.

هذا ما يمكن أن يقوله أي انسان غير عربي لا علاقة له بمجرى الحوادث، ولا يعرف أن فلسطين وما حولها هي موطن العرب منذ فجر التاريخ البشري، وجميع الكتب الدينية والتاريخية تبين ذلك.

٦- هذا الوضع السائب، والاهمال المتعمد والتواطؤ الواضح أوجب على الجامعة العربية أن تقرر إرسال قواتها لتقف على حدود التقسيم المشار إليها لحفظ الأمن والنظام في المناطق العربية المشار إليها، والحيلولة دون تجاوز اليهود إليها وعسى أن ترسل الأمم المتحدة لجاناً، أو قوات أمنية تشرف على إقامة التقسيم المقترح. ورغم ذلك فقد كانت بريطانيا،و الدول المؤيدة لها، واليهود أنفسهم متأكدين من عدم إمكان الدول العربية التعاون لوضع الحق في نصابه لأنهم يعرفون ما عملت ايديهم لتجزئة الوطن العربي خلال ثلاثين سنة مضت على استعمارهم بلدان المنطقة بعد تجزئتها إلى دويلات متباينة، وبث التفرقة بينها، وحرص كياناتها على الانفراد بالحكم كما هو معروف. وهذا ما حصل عملياً، ولم تدخل إلى فلسطين إلاّ قوات رمزية لم تتمكن حتى من تغطية هذا الواجب، ولم يشترك في هذا الواجب معظم البلدان غير المجاورة لفلسطين مباشرة إلاّ ما ندر.

الفصل الثالث

تحرك القوات إلى فلسطين يوم ١٩٤٨/٥/١٥ والمناوشات التي جرت في المنطقة حتى اقامة الهدنة

ملاحظات من مفكرتي التي بدأت بتدوينها يومياً اعتباراً من يوم ١٩٤٨/٥/١٣، على أساس معرفتي ومشاهداتي الشخصية في تلك المرحلة.

جرى تجميع القوات الأردنية التي ستدخل إلى فلسطين يوم ١٩٤٨/٥/١٥، في منطقة خو شرقي الزرقاء، وكان قد اعيد تنظيمها على أساس فرقة قوامها لواءان، كل لواء مؤلف من كتيبتين ومعهما بعض الأسلحة المساندة كما سيأتي ذكره.

ذهبت يوم ١٩٤٨/٥/١٣، إلى قريتنا حوارة لتوديع الوالدين والأهل، وكان بيتنا يعج بالنازحين من الأقارب والأصدقاء القادمين من فلسطين، وصارت الوالدة تشجعني قائلة: «أنا لا أخاف عليك وعلى اخوتك، وأريدكم أن تكونوا شجعاناً لتنتزعوا حق هؤلاء الضيوف الذين شردهم اليهود، هُم وأطفالهم كما ترى».

كان حديثها هذا باللهجة الحماسية العامية المعروفة، وهي تقصدني وأخويَّ صادق وسعيد، وكلنا في عداد القوات المسلَّحة.

كانت غرفة الضيوف - المضافة - مقسمة بين ثلاث عائلات من قرية طيرة حيفا، عدا من قاسمونا غرف السكن الأخرى مما اضطر الوالد بعد أيام إلى استئجار بيت الخال محمد العواد في إربد، والأنتقال إليه، وترك بيت حوارة للضيوف النازحين.

يوم ١٤/٤/١٩٤٨

تحركت الفرقة من خو لتقضي ليلة ١٤، ١٥/٤/١٩٤٨ في غور الشونة الجنوبية، وتتحرك صباح ١٥ إلى فلسطين. صباح يوم ١٤ أجريت الكشف في موقع الشونة، وخصصت مواقع مبيت لوائنا، وعدت مساءً حيث تحركنا فوراً، وفي أثناء حركة لوائنا كانت القوافل تسير بشكل مهرجان، والأغاني والأهازيج تتبادل بين أفراد الجيش، وجموع الأهلين الذين اصطفوا على جوانب الطرق يشجعون، ويطلقون النار من أسلحتهم في الفضاء، ولا انسى مجموعة من نساء البدو، أعتقد أنهن من عشيرة العدوان غربي صويلح اللواتي رقصن الرقصات البدوية، وبينهن امرأة عجوز تلوح لنا بغليونها الطويل، وهي تردد الأهازيج التي اعتادت نساء العرب على ترديدها تشجيعاً للمحاربين حتى أن رعاة الغنم، على طول وادي شعيب، كانوا يهزجون بتلك الأهازيج، ويطلقون النار في الفضاء. لم تكن توجد قيود على اقتناء الأسلحة واستعمالها في تلك الأيام، وبطبيعة الحال كان الجنود يردون على الجميع بالمثل. وأنا أعترف إنني عاجز عن وصف تلك الحماسة والاستعداد للتضحية بين جميع الرتب .في ذلك اليوم، وبعد أن تجمعت الفرقة في منطقة الشونة، حضر جلالة الملك عبدالله، ومعه السيد عبدالرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية، وعدد من القادة والسياسيين، وصافح الضباط بحرارة، وتمنى لنا التوفيق والنجاح في مهمتنا، والقى كلمة مؤثرة الهبت الحماسة في نفوس الجميع وأثارت النخوة العربية الأصيلة لحماية الأخوة عرب فلسطين، ورفع الضيم عنهم.

كان من المقرر أن تتمركز قيادة لوائنا في معسكر أللطرون، وهو معسكر بريطاني كنا نستعمله مدرسة لتدريب وحداتنا أثناء الأنتداب وكانت الكتيبتان الأولى والثالثة في الأمام، وأحداهما في قرية عنَّابة على يمين الطريق إلى يافا، والإخرى في منطقة قرية القباب على اليسار، وكنا نعرف المنطقة جيداً، حيث أقامت فيها سرايانا طوال أيام الحرب العالمية الثانية وكان على اللواء الثالث أن يتمركز في منطقة القدس.

بعد عودة جلالة الملك إلى عمان عقد كلوب باشا رئيس الأركان اجتماعاً حضره قائد الفرقة، وقادة الألوية، وضباط الأركان، وقادة الكتائب، وأعطى تعليمات جديدة لتبديل مواقع الوحدات التي كان مقرراً ذهابها إليها، وأن يذهب لوائنا إلى منطقة

نابلس، واللواء الثالث إلى منطقة القدس، وذلك لأن البلدان العربية المعنية بقرار الجامعة العربية لم ترسل القطعات الكافية لتغطية الواجبات التي خصصت إلى كل منها. وقال إن من المفروض أن تتمركز الجيوش العربية في الأماكن التي خصصت لكل منها على اساس مشروع التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، وأن تحافظ هذه القوات على الأمن والنظام وادارة هذه المناطق وحمايتها من أي اعتداء إلى حين ايجاد حل ملزم للطرفين: العرب واليهود، تفرضه الأمم المتحدة على أساس قرار التقسيم، وربما على أساس الأمر الواقع.

كان إلى جانبي الزميلان محمود الروسان، ومعن أبو نوار فقلت لهما: يتضح إن القضية قضية تقسيم، وليست قضية حرب، وما عليكما إلاّ أن تحملا حبالاً للتقسيم «جرت العادة في قرى الأردن أن يقسم المزارعون الأرض بينهم بالحبال بدل الأمتار هذا وقد استمرا يذكرانني بهذه النكتة في السنوات اللاحقة».

الصورة التي كانت في أذهاننا والشائعة في العالم العربي آنذاك هي أن جيوش الجامعة العربية ستدخل فلسطين، وتقضي على الإرهاب اليهودي، وتعمل على إقامة دولة عربية فلسطينية يكون اليهود فيها أقلية بحسب واقعهم آنذاك لهم حقوق المواطنين، وعليهم نفس الواجبات.

كان قد أُعيد تنظيم كتائب وسرايا الجيش العربي بعد عودتها من فلسطين إلى منطقة الزرقاء في الأردن عند انتهاء الأنتداب البريطاني، ومباشرة القوات البريطانية بالانسحاب على أساس فرقة مشاة كما سبق ايجازه، وعلى النسق التالي:

مجموع الفرقة أربع كتائب مشاة، كل كتيبتين تشكلان لواء، اللواء الأول من الكتيبتين الأولى والثالثة بقيادة العقيد البريطاني جولدي، واللواء الثاني وقد سمي باللواء الثالث من الكتيبتين الثانية والرابعة بقيادة العقيدة البريطاني أشتن.

وكانت كتيبة مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطلا تحوي ١٨ مدفعاً جرى اقتسامها بين اللواءين على أساس بطارية من ٦ مدافع لكل منهما، والبطارية الثالثة بقيت بأمر قيادة الفرقة. كانت سرية مدرعات مع كل لواء، وسرية نقليات واحدة لخدمة الفرقة، ووحدات لاسلكي، وتموين واسعاف ميدان مع كل لواء، كان هنالك لواء رابع اسمياً

قيادته، في رام الله، مؤلفة من ثلّة ضباط، وفئة مواصلات بقيادة المقدم أحمد صدقي الجندي، ومعه فئة مواصلات، وبإمرته ثلاث سرايا مشاة: وهؤلاء لم ينسحبوا من فلسطين عند انتهاء الانتداب. وكانت إحدى هذه السرايا تقوم بحراسة القوافل بين مصر وفلسطين والأردن، ومنها مجموعة في نابلس تحرس الدوائر الحكومية، وسريتان في مناطق شرقي القدس «دخلنا القدس القديمة باسم الكتيبة السادسة» ومعهما عدد من المناضلين المتطوعين.

قائد الفرقة الزعيم ن.و.لاش «التحق في الجيش الأردني من بوليس فلسطين عام ١٩٣٧ مع زميل آخر باسم مكاردم، وكلاهما برتبة نائب «رقيب» وأُعطيت لكل منهما رتبة ملازم ثانٍ. وكنت آنذاك جنديا في معسكر المحطة، وقد عرفتهما جيداً. مكاردم قتل وهو يتعقب المناضلين القادمين من سوريا وشمال الأردن في طريقهم إلى فلسطين، حينما كانوا يحتشدون في جبال ديرابي سعيد قرب قريتي زمال، وسمُّوع في محافظة إربد، واستمر لاش يترفع تدريجياً وسريعاً إلى أن وصل إلى رتبة لواء وقائد فرقة. وحينما جاء الجنرال روبرتسون رئيس الأركان البريطاني بزيارة للأردن، وسأل لاش عن الدورات العسكرية التي اشترك فيها، وعرف أنه لم يشترك بأية دورة طلب استبداله، وكانت المعاهدة سارية بين الأردن وبريطانيا، وتسلم اللواء سام كوك بديلاً عنه».

تحركت هذه الفرقة من منطقة غور الشونة صباح ١٩٤٨/٥/١٥ إلى فلسطين عن طريق جسر اللنبي، جسر الحسين فيما بعد، ثم عن طريق الجتلك إلى نابلس، وتمركز اللواء الأول في المنطقة، وقيادته في مشنبت عسكر. استمر اللواء الثالث إلى منطقة رام الله. أقامت الكتيبة الأولى في منطقة ديرشرف، والثالثة في منطقة حوارة، وجرى حفر الخنادق وتوزيع ذخيرة الخط الأمامي، وبوشر بتحريك الدوريات الثابتة والمتحركة إلى القرى الأمامية في مناطق قلقيلية وطولكرم.

في عام ١٩٤٨ أجريت الكشف على المواقع الأمامية كركن عمليات، واستخبارات في القرى الأمامية، ومخافر الشرطة الفلسطينية التي بقيت في أماكنها بعد الجلاء، واصبحت مرتبطة معنا، وقد دُعيت إلى اجتماع في قرية عنبتا عقد في بيت السيد حافظ الحمدالله حضره عدد من وجوه قضاء نابلس، ورؤساء البلديات،

ورؤساء اللجان القومية في المنطقة، وممثلين عن مناطق اللد والرملة. وصادف وجود عدد من ضباط الجيش السوري الذين تطوعوا للعمل في صفوف المناضلين بإذن خاص، ومنهم الرئيسان أديب الشيشكلي «رئيس جمهورية فيما بعد» واكرم ديري والملازم عبدالحميد السراج. عرفت السيدين أكرم والسراج صديقين، وزميلين في سوريا، ومصر أثناء وحدة البلدين ولاجئين سياسيين في مصر في مرحلة لاحقة بعد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. كان القصد من الاجتماع تدارس الوضع العام في المنطقة بعد مباشرة دخول القوات العربية إلى فلسطين. تحدث السيد سليمان طوقان رئيس بلدية نابلس، ثم السيد محمود علاء الدين رئيس بلدية الرملة، والسيد هاشم الجيوسي رئيس بلدية طولكرم، وأخرون من ممثلي القرى والهيئات. والكل يطالب بالأسراع بإرسال وحدات عسكرية إلى الأمام لحماية مدينتي اللد والرملة والقرى الأمامية الكثيرة في منطقة الشعراوية، وما بين قلقيلية وباقة الغربية التي بدأت تتعرض للاعتداء اليهودي.

كتبت رسالة أوجزت فيها وقائع الاجتماع، وأعطيتها لأخي صادق ركن عمليات قيادة الفرقة ليقابل مع قائد الفرقة رؤساء البلديات، ويستمع شخصياً إلى وجهات نظرهم وعدت إلى قيادة اللواء، وأخبرت قائد اللواء عما دار في الاجتماع، والأوضاع التي سمعت أخبارها عن القرى الأمامية، وتعرضها للأعتداء. وفي المساء أخبرني أخي صادق أنه قابل قائد الفرقة مع وفد البلديات فشرحوا له الحالة القائمة في المنطقة.

وفي مساء ١٧/ ٥ ذهبت إلى قرية جبع على طريق نابلس – جنين لمقابلة قائد جيش الأنقاذ السيد فوزي القاوقجي، حيث كانت قيادته هناك للطلب منه الحضور إلى قيادة اللواء بقصد تنسيق العمل بين الجيش والمناضلين. لم يكن السيد فوزي هناك، وعرفت أنه ذهب ليشرف على عملية اشتباك بين المناضلين واليهود في منطقة وادي الحوارث جنوبي مدينة الناصرة،وقيل لي أنه سيعود قريباً. قابلت في قيادته كلاً من السادة: المقدم محمود الهندي، والمقدم علي دندسن الحلبي من الضباط السوريين والمدعو فايز إبراهيم من سيلة الظهر «جرى الأتصال مع السيد محمود الهندي وولده هاني عندما أقمت بدمشق عام ١٩٦٠». عاد السيد فوزي من وادي

الحوارث، وحضر معي إلى قيادة اللواء، واجتمع مع قائد اللواء لمدة ساعة ونصف، ثم عاد إلى قيادته.

١٨/٥/١٩٤٨

بدأ جيش الإنقاذ الذي قيل أن عدده كان بحدود خمسة الاف رجل، ينسحب من القرى الأمامية الواقعة بين منطقة جنين وقلقيلية جنوباً، عائداً إلى شرق الأردن، ومنها إلى سوريا، ثم إلى منطقة الجليل، وجبال الناصرة في شمال فلسطين. وذلك بسبب أن القطعات السورية ليس لديها العددالكافي لتغطية هذه المنطقة المخصصة لها في خطة الجامعة العربية. القطعات السورية لم تدخل منطقة الجليل فيما بعد، ولا الأراضي الفلسطينية في جميع المراحل عدا منطقة جنوب بحيرة طبريا التي سبق ذكرها، وحتي يومنا هذا.

في مساء ١٨/ ٥ كان قائد اللواء قد ذهب إلى قيادة الفرقة، وقد حركنا مفرزة من الكتيبة الأولى مؤلفة من فئة مدرعات، وبضع سيارات مسلَّحة بالرشاشات، ومدافع الهاون إلى قلقيلية بعد وصول أخبار مفادها أن اليهود قد هاجموا قرية كفرسابا، وأن سكانها بدأوا يهربون منها. وقد ضربت هذه الدورية جماعة من اليهود وجدت أنهم متمركزون في المدرسة خارج القرية، وطردتهم منها بعد أن أوقعت فيهم بعض الخسائر. وعندما عاد قائد اللواء، وعرف أنني أرسلت الأمر بتحريك تلك الدورية جمع ضباط قيادة اللواء، واكد أوامر قائد الفرقة التي تقضي بعدم إعطاء الأوامر بإجراء أية عمليات إلا من قبل قائد اللواء شخصياً.

حضر في هذا اليوم سمو الأمير نايف إلى قيادة اللواء باسم القائد العام للجبهة، وكان معه كل من كلوب باشا، والزعيم لاش قائد الفرقة، واجتمعا مع قائد اللواء من دون أن يشترك معهم سمو الأمير، وقد تمشيت معه خارج المكتب إلى أن أنهوا اجتماعهم، وذكرت له ما دار في اجتماع عنبتا، وارسال وفد منهم إلى قيادة الفرقة،وموضوع مناوشة قرية كفرسابا، وموضوع قائد جبهة الانقاذ السيد فوزي القاوقجي. وكل ما عرفته خلال الايام الثلاثة الماضية أنه كان مستاءً، ومتشائماً، وقال إنه سيشرح هذا الوضع لجلالة والده بعمان.

١٩٤٨/٥/١٩

كان المناضلون في القدس قد أخرجوا المسلحين اليهود من حي الشيخ جراح الذي تسللوا إليه يوم ١٥/٥، ولكن اليهود عادوا هذا اليوم بقوات اكبر إلى الحي، ثم دخلوا إلى دار الحكومة، وبيت المندوب السامي. وقد دخلت الكتيبة الثانية هذا اليوم إلى الحي قادمة من موقع قلنديا شمال القدس، وطردت اليهود من هذه المواقع، واندفعت في حي الشيخ جراح جنوباً حتى أسوار القدس القديمة، واتصلت مع قطعات الكتيبة السادسة داخل السور واستقرت قيادة الكتيبة في فندق فريال المقابل لبوابة دمشق. كان قائد الكتيبة المقدم البريطاني سليد قد جُرح، وعهدت قيادة الفرقة إلى أخي صادق بقيادة الكتيبة، واتمام العملية فأتمها بنجاح. وكانت خسائر الكتيبة طفيفة جداً حيث قتل جندي واحد، وجرح قائد الكتيبة وثلاثة جنود، وقتل صحفي بريطاني.

كان اليهود في هذا اليوم قد حركوا لواء نظامياً، وعناصر أخرى من قواتهم شبه النظامية من مناطق تل أبيب لتعزيز قواتهم في القدس، ولكن الكتيبة الرابعة تصدت لهم في موقع اللطرون، وباب الواد، وفاجأتهم مدفعيتها في أرض مكشوفة غربي دير اللطرون، واوقعت بهم خسائر فادحة، فانسحبوا من دون نظام، وقد جمعت الكتيبة نحو ثمانمائة قطعة سلاح من اسلحتهم الخفيفة التي قتل أو جُرح معظم حامليها. وفي هذا اليوم حاولت القوة العراقية التي قوامها مجموعة كتيبة ترابط في موقع المنشية في غور الأردن، واجتياز النهر عبر جسر المجامع، ولكنها اخفقت، لأن اليهود قد فجروًا عبوات ناسفة في منتصف الجسر، وحالوا دون استعماله، كما أنهم سيطروا عليه بنيران أسلحتهم من مستعمرة جيشر الملاصقة له من الجهة الغربية. وقام العراقيون بعدها بنصب جسر عائم فوق النهر جنوباً، واجتازته احدى سراياهم، وصعدت إلى مرتفع كوكب الهوى شمالي مدينة بيسان مستعملة طريقاً ترابية ملتوية وضيقة تسير عليها السيارات بكل صعوبة. ويبدو أن اليهود سبقوهم إليها، ووضعوا كمائن على أطراف الطريق وأحاطوا بالسرية، وأوقعوا بها خسائر فادحة.

وصلت القوات المصرية اليوم إلى غزَّة بعد مسيرة ثلاثة أيام مستعملة الطريق الساحلية، تاركة المستعمرات اليهودية على يمينها، وفي العمق، وتوقفت هذا المساء في منطقة المجدل. وكان الجيش اللبناني يدافع عن حدود لبنان الجنوبية من داخل أراضي لبنان.

اما الجيش السوري فكان في منطقة سمخ، وقد احتل مستعمرتين يهوديتين قرب شاطئ بحيرة طبرياً الجنوبي خاليتين من السكان، حيث هرب سكانهما إلى منطقة طبريا سلفاً.

٢٠/٥/١٩٤٨

القطعات العراقية لم تزل شرقي نهر الأردن، فلم يعبر أي جندي منها إلى فلسطين، القطعات اللبنانية داخل أراضيها. القطعات المصرية تقدمت مسافة ستة كيلو مرّات شمالي المجدل، وصلت إلى قرية بيت حنين. القطعات الأردنية تناوش اليهود ما بين حي الشيخ جراح العربي، وحي مشيرم اليهودي، وخارج أسوار القدس، وفي مناطق باب الواد، واللطرون وعمواس، القطعات السورية في منطقة سمخ وقد صبّت المدفعية السورية نيرانها عليهم خطأ من منطقة كفر حارب في مرتفعات الجولان، وقتلت وجرحت عدداً من قواتهم خطأ.

كانت القوات السورية، وهي بحدود الثلاثة آلاف رجل، هي كل ما أمكن جمعه من رجال الشرطة والدرك، وإعادة تنظيمهم بعد جلاء الفرنسيين عن سوريا، وقد ذهبت هذه القوة يوم ١٥/٥ إلى لبنان بهدف الوصول إلى مدينة عكا ومنطقتها في فلسطين.

وعندما وصلت بلدة النبطية مساءً تلقت أمراً بالعودة لتدخل فلسطين من منطقة سمخ جنوبي بحيرة طبريا، تنفيذاً لخطة الجامعة العربية، فعادت وعبرت مرتفعات الجولان والحمّة إلى منطقة سمخ، وفي اليوم التالي احتلت المستعمرتين اللتين سبق ذكرهما وهي اليوم متمركزة هناك .

٢١/٥/١٩٤٨

تقدمت إحدى سرايا الكتيبة الثالثة من لوائنا ووصلت إلى موقع قلنديا، فدخلت إلى مواقع الكتيبة الثانية في حي الشيخ جراح للتعرف على مواقع هذه الكتيبة، ولتحل الكتيبة الثالثة محل الكتيبة الثانية التي ستلتحق إلى لوائها في موقع باب الواد. وأثناء تقدم هذه السرية التي كانت تتقدمها ثلاث مدرعات ضلّت طريقها في شوارع القدس قرب حي المصرارة. فأصابت إحدى قذائف مدافع اليهود المقاومة للدروع المدرعة الأولى، وقتل فيها الملازم محمد نجيب النصيرات، وكذلك تعطلت ثلاث مدرعات من هذه السرية بمحاذاة عمارة نوتردام، وهي تحاول العبور غرباً في منطقة القدس الجديدة، جرح فيها ثلاثة جنود، وعادوا مع باقي اعداد المدرعات، ولكن هذه المدرعات أغلقت الشارع الوحيد بين العمارة وسور القدس، وشكلت حاجزاً صعباً أمام المدرعات الأخرى وقام اليهود بحماية هذا الحاجز من عمارة نوتردام والعمارات المجاورة.

وفي هذا اليوم أذيع من مختلف محطات الأذاعة أن مندوب امريكا في هيئة الأمم المتحدة تقدم باقتراح تدخُّل الأمم المتحدة، وفرض الحل الذي أقترحته عام ١٩٤٧ بالقوة، وإقامة دولتين مستقلتين: عربية ويهودية، وأيد اقتراحه هذا مندوب روسيا السيد غروميكو بينما عارضة مندوب الصين وأغلب الأعضاء.

٢١/٥/١٩٤٨

تقدمت بقية الكتيبة الثالثة من لوائنا لتحل محل الكتيبة الثانية التي ستلحق بلوائها، وقد سبق أن تحركت معظم عناصر هذه الكتيبة ليلاً.

٢٢/٥/١٩٤٨

اكتمل دخول الكتيبة الثالثة هذه إلى منطقة الشيخ جراح، وحلّت قيادتها محل الكتيبة الثانية في فندق فريال، وتوغلت سرية منها إلى الحي اليهودي غرباً، ووصلت إلى عمارة بنك باركلس. وعندئذ تلقى قائدها الملازم. غازي الحربي أمراً بالعودة على أساس أن الهدف أمامه أكبر من مقدرة السرية.

رفض غازي تنفيذ الأمر والعودة، وتمركز في عمارة نوتردام التي كان قد احتلها فهدده قائد الكتيبة الأنجليزي باستعمال القوة ضده فأذعن، وانسحب إلى

منطقة مكشوفة فأصيب تسعة عشر جندياً من سريته بين قتيل وجريح. وقد خسرت الكتيبة الثالثة، عدا خسارة سرية غازي أثناء دخولها إلى حي الشيخ جراح في منطقة مخفر الشرطة، واطراف حي مشيرم وسان هدريا، عشرة جنود، والملازم عيد أويلم قائد احدى السرايا، والنائبين سند ناصر وسليمان كساب. النائب سند ناصر كان مدرباً معي في مدرسة المشاة، وقد قتل على الأسلاك الشائكة غربي مركز الشرطة، وهو يحاول العبور غرباً عبر الأسلاك، وبقي جثمانه ذلك اليوم في مكانه بسبب كثافة النيران، وقد تسللت في الليلة التالية ومعي عريف وجنديان فحملناه إلى مركز الشرطة، وجري حفر حفرة بجوار الزاوية الجنوبية الشرقية للمخفر، وواريناه التراب «أرشدت والده إلى ذلك المكان فيما بعد».أعتقد أن خسائر اليهود كانت أكثر بكثير من خسائرنا.

تمركزت قيادة لوائنا في خربة أراسا شرق شعفاط وتمركزت الكتيبة الأولى في منطقتي قريتي بدُّو، والنبي صمويل في مواجهة محطة الرادار. وهذه المحطة كانت تستعملها القوات البريطانية أثناء الحرب، وقد سلموها لليهود، كانت تقع على مرتفع شرقي قرية أبو غوش تشرف على ما حولها من المناطق في الشمال والشرق، وعلى منطقة القسطل، وباب الواد جنوباً، وهي مطوقة بالأسلاك الشائكة والخنادق الدفاعية، وقد اطلق اليهود يوم ٢٣/ ٥/ ١٩٤٨ النار من هذه المراكز على موقع السرية المقابلة له مستعملين الهاونات، فقتلوا جندياً، وجرحوا نحو عشرين جراحاً خفيفة بشظايا القنابل، ومن بيهم قائد السرية الملازم محمد نعمان.

١٩٤٨/٥/٢٤

جرى في منطقة الكتيبة الثالثة في القدس وضع مدفع ميدان قرب دير الأرمن في مواجهة عمارة نوتردام، وأُطلقت منه عدة طلقات عليها أحدثت فيها فجوة كبيرة بسبب استعمالها من قبل الصيادين اليهود على أساس أن تتقدم سرية لاحتلالها، لكن المنطقة كانت مكشوفة تماماً وتوقفت العملية.

حضر سمو الأمير نايف إلى القدس، وأمر بوضع مدفع من عيار ٨ عقدة مقابل مستشفى هداسا، والجامعة العبرية حيث ترابط فيهما قوات يهودية، وتحيطهما أسلاك شائكة، ومواقع دفاعية لضربهما بصورة مباشرة «هذا المدفع هو أحد مدفعين

من هذا العيار أرسلتهما الينا القوات العراقية»، وعندما عرف قائد الفرقة بذلك أرسل أحد ضباط الفرقة، وهو الرائد السيد علي الحياري ليقنع سمو الأمير أن هذين الموقعين هما من المراكز الثقافية والحضارية، ولا يجوز هدمهما، وأبلغه أنه في حال إطلاق أية طلقة عليهما فإنه سيعيد المدفعين إلى عمان، وطلب من علي أن يستعمل لباقته، ويقنع سمو الأمير بذلك. لم ترق هذه الطريقة لسمو الأمير فعاد إلى عمان حانقاً ولم تتم العملية يقي هذان الموقعان شوكة في حلق كل من يدخل القدس من منطقة شعفاط، وهو المدخل الوحيد للقدس من الشمال.

وفي هذا اليوم عين السيد إبراهيم هاشم حاكماً عسكرياً عاماً، ومركزه مدينة نابلس وذهبت إلى هناك لإحضار فئتين من جنود اللواء كانتا تقومان بحراسة دوائر الدولة قبل تسليم المنطقة للعراقيين. قابلت الحاكم العسكري وعرضت عليه الأمر فعارض ذلك لعدم وجود من يقوم بمهامه، فقلت له إنني كلمت الأخوة العراقيين وهم سيقومون بهذا الواجب، ونحن في حاجة إلى كل جندي في القدس، لأن جنودنا لاينامون ليلاً ولا ونهاراً على مواقع الكتيبة الأولى، فتقرر التخلص من هذا الموقع. ذهبت مع قائد اللواء العقيد جولدي قبل فجر يوم ٢٥ / ٥، وكشفنا الموقع، ودرسنا طرق اقتحامه على الطبيعة ووضعنا ترتيبات اقتحامة واحتلاله، وعدنا لقيادة الكتيبة، ووضعنا خطة الهجوم نحن وقائدها لاحتلالها موقع الرادار هذا، ومستعمرة الخمسة التي تعزِّزه من الجهة الغربية على أن تبدأ العملية في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي «٢٦ / ٥». تحركنا في منتصف تلك الليلة أنا وقائد اللواء، وقائد بطارية المدفعية، ومعنا طبيب اللواء محمد أمين تلحوق إلى قيادة الكتيبة، وبعد استعراض الخطة مرة ثانية تحركنا إلى موقع مقابل مرتفع الرادار من الجهة الشرقية للإشراف على سير العملية من مسافة اربعمائة متر تقريباً، بدأ الهجوم الساعة ٣,٣٠ صباحاً بإطلاق نيران ستة مدافع ٣ إنش مورتر، وستة رشاشات فكرز فتحت نيرانها في آن واحد مع نيران مدافع بطارية الميدان من منطقة النبي صمويل وبعد فترة توقيت سير جنودنا مع نيران الاسناد هذه فاقتحمت السرية الرابعة بقيادة الملازم سلامة اعتِّيق الموقع واحتلته. وفي أثناء تقدم السرية يبدو أن المدافعين اليهود اكتشفوا موقعنا، فتصدى لنا ثلاثة جنود من أبراج قريبة لنا على اطراف الموقع من الشرق والشمال

وأخذوا يرمونننا بصليات متقطعة من رشاشاتهم، وكان رصاصهم يصيب الحجارة أما منا، ونحن نزحف وراء جدار طويل ارتفاعة نحو نصف متر، ويزيد في منطقة ملأى باشواك المرار الحادة، ولكننا لم نتأثر بها، أو نشعر بوخزاتها في اجسامنا إلا عندما بدأنا نقتلعها من أجسامنا بعد العملية، كنا نحن الأربعة وسلاحنا المسدسات التي لا تنفع في هذه الحالة نتجاوب مع الرصاص بالضحك، واحياناً بالتشائم، وقد أنقذنا إحتلال الموقع من هذا الموقف «كانت هذه أول مرة أسمع فيها بالشتائم البذيئة باللغة الأنجليزية من كبار الضباط، ويبدو أن مثل هذا الموقف يزيل الوقار».

إجتاحت السرية موقع الردار على أهازيج جنودها البدوية الحماسية وكأنهم في مهرجان بهيج.وقتلت فيه ثلاثة عشر فرداً، وجرحت اخرين، وهرب الباقون من فجوة في الزاوية الجنوبية الغربية إلى الوادي جنوباً باتجاه القسطل. واستشهد من السرية خمسة جنود، وجرح خمسة عشر منهم قائد السرية الذي كُسرت ساقه «تسلمت قيادة الكتيبة الأولى هذه في مرحلة لاحقة كما سيأتي ذكره». وبعد تضميد جروح بعض الجرحى في نقطة الاسعاف حملوا اسلحتهم والتحقوا بزملائهم في الخط الأمامي، رافضين التخلف عن القتال. هكذا كانت الروح المعنوية في صفوف الجيش أما أفراد اليهود فكانوا يحملون جرحاهم، حيث تتعاون كل جماعة على حمل شخص على بطانية، أو نقّالة، وهم قريبون منا، وظاهرون للعيان. وقد أطلق بعض أفراد قوتنا النار عليهم، فسمعنا نداء مساعد قائد الكتيبة الرئيس خالد الصحن على جهاز اللاسلكي يأمر بعدم إطلاق النار على الجرحى، ومَن يحملونهم قائلاً :إن هذا عيب، وليس من عاداتنا فتوقف اطلاق النار عليهم، ونزلوا إلى الوادي جنوباً بسلام.

في هذه الفترة نقلت مدافع الميدان نيرانها من موقع الرادار إلى مستعمرة الخمسة وأسمها اليهودي «مشمار هاميتا»، وقد شبّت فيها الحرائق وتصاعد الغبار من المباني المصابة، وتقدمت فئة المدرعات تتبعها السريتان الأولى والثانية بنظام المعركة لاحتلالها كمرحلة ثانية من العملية وشرع سكانها يهربون إلى الجنوب، وبدأت المدرعات تصب نيران مدافعها ورشاشاتها على المستعمرة، وهي تقترب منها ولكن قائد اللواء أعطى امراً عبر جهاز اللاسلكي، بوقف إطلاق النار، وعودة القطعات المتقدمة إلى ماوراء موقع الرادار من الجهة الشرقية، وعندما سألته عن السبب، وقلت

له: إن المستعمرة ستسقط حالاً، وإنها لا توجد فيها مقاومة تذكر كما ترى، فأجاب قائلاً: يكفي ما عملناه هذا اليوم، وسنكمل المهّمة غداً.

لم نحاول إكمال تلك المهمة، وصارت تلك المستعمرة مصدر إزعاج لجميع الوحدات التي أشغلت موقع الرادار فيما بعد.

ملاحظة:

طالما ورد ذكر العقيد جولدي في هذه المناسبة، فقد خطر لي أن أذكر مناسبات مماثلة سبقت، ومنها حينما سحب سرية غازي الحربي من عمارة نوتردام في القدس بعد احتلالها كما سبق ذكره، وقد أخفقت محاولة استعادتها في مرحلة لاحقة. ثم عندما اعترض على عملية إخراج اليهود من قرية كفر سابا في منطقة قلقيليا، وها هو قد أوقف احتلال مستعمرة الخمسة في المراحل الأخيرة من سقوطها أذكر مايلي:

حينما كنت ملحقاً عسكرياً في بريطانيا في عام ١٩٥٢، وما بعدها، وكان المقدم البريطاني بلا كدن الذي عمل معنا في الجيش الأردني قد عاد من الأردن، وعمل موظفاً محلياً في دائرة الملحق العسكري قلت له: إنني أدعو الضباط الأنجليز الذين خدموا معنا في الجيش الأردني، وفي مراكز قيادية لحضور حفلات السفارة، ولكن اللواء لاش الذي كان قائد فرقة، والعقيد جولدي الذي كان قائد لواء لا يحضران هذه المناسبات. قال لي: إن لاش يعمل معلماً في مدرسة ابتدائية براتب بسيط، ولا شك في أنه يخجل من الظهور أمام من يعرفونه برتبة لواء، ولقب باشا، وهو في هذا الوضع غير المناسب معنوياً. أما جولدي قائد لوائنا السابق، فلا شك أنه يخجل من الحضور الى حفلات السفارة ومعه زوجته لأنها يهودية. عندها تذكرت أحداث كفر سابا، وعمارة نوتردام، ومستعمرة الخمسة التي سبق ذكرها ومرّت في خاطري ذكريات أعمالٍ كثيرة كانت تعالَج خطأ، ولم نتمكن من تغييرها في ذلك الحنين.

زوجة جولدي هذه كانت سكرتيرته الخاصة أثناء هذه العمليات منذ دخول لوائنا الى المنطقة، وكانت تطّلع بحكم عملها على جميع التعليمات الصادرة والواردة.

١٩٤٨/٥/٢٦

في هذا اليوم صبَّت مدفعيتنا النار على الأحياء اليهودية في القدس الجديدة. وفي المساء جرى تبديل قائد المدفعية المقدم محمد المعايطة بحجة تبذيره لعتاد المدفعية، ومن دون اسناد عملية، أو أخذ أوامر بذلك، وجرى إرساله إلى عمان محجوزاً تمهيداً لمحاكمته، لكن لم يحاكم، وقدعُيِّن الميجر البريطاني بولاك بديلاً له، وفي اليوم التالي أطلق بولاك مائة وثماني قنابل على ملعب كرة قدم في حي البقعة الغربي، وهذا يعني أن لا اقتصاد في العتاد، ولا إصابة اهداف أو إسناد عملية.

١٩٤٨/٥/٢٧

ذهبت لتفقد مواقع قطعاتنا في حي الشيخ جراح والمصرارة الملاصقتين لحي مشيرم اليهودي، وكانت العمارات متجاورة، أو متلاصقة تكاد تكون مشتركة في عدَّة حالات. وقد صادف اشتراك جنود الطرفين في عمارة واحدة، أو تبادلها في معارك محلية بالقنابل اليدوية، والأسلحة الخفيفة.

وكانت الإصابات متوقفة على الخط والرصاص المتقطع لا يتوقف. وفي المصرارة أوعزت بفتح ثغرات بين جدران البيوت الخالية من السكان، والتي هجرها أهلها؛ وبذلك سهلت عملية التصيُّد من المزاغل، من دون الحاجة الى الظهور في العراء ثم عدت إلى قيادتنا الأمامية في بيت راغب النشاشيبي، وكان أمام مدخله الشمالي خندق فيه عدد من الجنود، وبمجرد اجتيازه، ودخول المبنى سقطت في داخله قنبلة مدفع مورتر، وقتلت خمسة جنود.

١٩٤٨/٥/٢٨

وصل جلالة الملك عبد الله، إلى قيادتنا وقد رافقته ومعي مدرعتان إلى موقع الكتيبة الرابعة في أول باب الواد بجوار قرية عمواس. كان قائدها المقدم حابس المجالي، وأركان حرب الكتيبة الرئيس محمود الروسان، وقد شرحا وقائع معركة يوم ٢٠/ ٥ مع اليهود التي أطلق عليها اسم معركة باب الواد وعدنا الى رام الله حيث زار جلالته مقر الحاكم العسكري السيد عارف العارف ومعه جماعة من المستقبلين. وكان قلقاً جداً على ما يجري في القدس ومهتماً بمعرفة الوضع العام فيها. وقد

شرحت لجلالته تفصيلات ما جرى منذ دخولنا اليها، وحتى آخر ساعة، وفي هذا اليوم سقط الحي اليهودي في القدس القديمة بأيدي الكتيبة السادسة الملحقة بلوائنا، وهي بقيادة الرائد عبد الله التل.

وكان اليهود في الليلة الماضية في اثناء تطويق الحي المذكور، قد حاولوا تخفيف الضغط عليه من خارج السور، وتقدموا على مواقع الكتيبة الثالثة خارج السور، وعلى الشيخ جراح. وعندها اتصل بي قائد الكتيبة، وطلب مساندته بنيران المدفعية على حشود اليهود، وقال إنه سيضطر الى إدخال كتيبة الى داخل السور والقيام بالدفاع من هناك. أيقظت قائد اللواء وأخبرته عن مكالمة قائد الكتيبة فاتصل بدوره مع قائد الكتيبة، وعرف منه الموقف. كان اطلاق نار المدفعية موقوفاً إلا بأمر قائد الفرقه شخصياً، وذلك بسبب نقص الذخيرة بشكل خطير حيث كانت مجموع قنابل بطاريتنا في ذلك اليوم ١٦٤ قنبلة. وقد أمكن إطلاق سبعين قنبلة منها على تجمعات اليهود، فتفرقوا، وكان ذلك بعد موافقة قائد الفرقة، ثم صارت هذه القنابل تأتينا بالتقسيط حيث تأتي بالطائرة من قاعدة فايد البريطانية، في مصر إلى عمان، ثم تأتي إلينا لتوزع على الوحدات بحسب درجات الأهمية، وهذا يبيّن إننا دخلنا فلسطين بعتاد محدود جداً، وليس بقصد الحرب، وأنما للحفاظ على الأمن والإدارة كما سبق ذكره.

١٩٤٨/٥/٢٩

طلبت بريطانيا سحب ضباطها المعارين للأردن من الجبهة بدعوى اعتراض اليهود. في الأمم المتحدة على وجودهم في فلسطين في حالة حرب إلى شرق الأردن. وكان معظم قادة الوحدات من قائد الفرقة، وقادة الألوية والكتائب، ووحدات المدرعات والمدفعيّة من الأنجليز، وكانت المواقع التي يشغلها الضباط العرب محدودة ، وعددهم بحدود ضابطين برتبة مقدم، وأربعة برتبة رائد، وعشرة برتبة رئيس وملازم أول، وعدد مماثل برتبة ملازم ثانٍ، وحتى أن بعض هولاء لم يكونوا مهيئين للقيادات. وكان يوجد عدد مماثل في سرايا الأمن التي تقوم بالحراسات، والأعمال الإدارية، حتى أن بعض السرايا كان يقودها وكلاء أو نقباء.

صدر هذا الأمر ونحن في حالات اشتباكات مسلّحة، وعمليات حربية مستمرة ليلاً، ونهاراً، وعدد قطعاتنا كما سبق ذكره، وليست لدينا قطعات احتياطية تمكننا من استبدال من يعملون في خطوط أمامية ليلاً ونهاراً، واعادتهم إلى الخلف لفترات استراحة. وجاء علاج هذا الموقف أشد وأنكى حيث أعيد هولاء الضباط إلى عمان، وجرى استبدالهم بضباط انجليز من أولئك الذين يعملون في أعمال ادارية في القيادة، ومعظمهم متقاعدون من الجيش البريطاني، ويعملون بعقود خاصة. جرى إحضار قسم من هؤلاء من عمان على عجل، وحلّوا مكان الضباط المعارين. وعلى هذا الأساس تسلم مدير الإدارة واللوازم قائد لواء، وصار المدير المالي مدير عمليات، وتسلم ضابط الصيانة والمشاغل والادارة ضباط أركان، وهكذا. وأضيفت مهزلة أخرى هي الادعاء بعدم وجود بديل لقائد لوائنا العقيد جولدي، أو لا يجوز إبعاده عن الساحة بسبب بعض الأحداث التي سبق ذكرها، ومنها مواضيع كفرسابا، والنوتردام، ومستعمرة الخمسة، وغيرها سالفة الذكر؛ ولذلك صدر الأمر بنقل قيادة لوائنا كاملة إلى شرق الأردن، فوضعناها شرقي طف يوشع السلط، شرقي معمل الأدوية حالياً، وما زلت أشاهده كلما مررت من هناك وأتذكر تلك الأيام .

١٩٤٨/٥/٣٠

صرنا ندير عمليات لوائنا في القدس لاسلكياً من هناك، أمضينا في هذا الموقع خمسة أيام، ونحن عاجزون عن فهم ما يجري.

١٩٤٨/٦/٥

تلقينا أمراً باعادة قيادة لوائنا إلى فلسطين، وعدنا إلى موضع قرب قرية بيتين في منطقة رام الله، وليس إلى القدس، فهمنا أن سبب عودتنا هو أن جلالة الملك عرف بالموضوع، وأمر باعادتنا الى فلسطين فوراً، لكن في اليوم نفسه أعيدت قيادة الفرقة الخلفية إلى معسكر المفرق في شرق الأردن.

١٩٤٨/٦/٦

ارسلني قائد اللواء لحضور اجتماع في قيادة العراقيين في مشبت عسكر شرقي نابلس. حضرت الاجتماع، وتحدث فيه سمو الوصي عبد الإله حول إعادة

التنظيم، ووضع القطعات العراقية في أماكن، وتحصينها، وتقوية مواقعها الدفاعية، وعدم التراجع عنها، وفي الوقت نفسه عدم العمل على توسيعها تنفيذاً لمقررات هيئة الأمم المتحدة القاضية، بالتقسيم، على أساس أن هيئة الأمم هذه ستتولى تخطيط حدود ثابتة، ومعترف بها بين العرب واليهود، وتشرف عليها إلى أن يستتب الأمن، وتستقر الأمور، كانت التعزيزات العراقية تصل باستمرار لتنفيذ هذا الواجب، وقد عدت وأوجزت قائد اللواء بوقائع الإجتماع.

١٩٤٨/٦/٨

ذهبت الى قيادة اللواء الذي سمي باللواء الرابع في منطقة رام الله، وكان قائده المقدم أحمد صدقي الجندي، وكان في القيادة نحو أربعة ضباط، واركان حرب اللواء الملازم راضي العبد الله الخصاونة، ومعهم فئة تموين، وبعض الفرق الإدارية. وتتبع هذا اللواء أربع سرايا من بقايا الحاميات التي تشكلت منها الفرقة، سريتان منها داخل اسوار القدس القديمة تحملان اسم الكتيبة السادسة، ومعها مجموعات فدائيين سيأتي ذكرها، وسريتان تقومان باعمال أمن متفرقة، وقد ارتبطت الكتيبة السادسة هذه بلوائنا من النواحي العسكرية. وجدت مع راضي في مكتبه وفداً من اهالي يافا واللد والرملة، فقالوا إن اليهود ممعنون في نهب البيوت والمحال التجارية التي هجرها أهلها في يافا، وقد نسفوا سينما الحمراء أمس واليوم، وهم يطوقون مناطق اللد والرملة، منذ هذا الصباح.

كان الجميع يعتقدون أن الجيوش العربية لم تزل تتهيأ للاندفاع صوب الساحل للقضاء على اليهود، وهم بطبيعة الحال، لا يعرفون حجم القوات العربية التي دخلت الى فلسطين، ومدى تسليحها، وما هي اهدافها الحقيقية، ولا يعلمون أن القطعات العسكرية نفسها لا تعرف الواجبات والأهداف التي قدمت من اجلها، وقد رثينا أنا وراضي، لحالهم ولحالنا معهم في هذا الموقف.

١٩٤٨/٦/٩

صدر أمر من رئاسة الأركان وقع عليه جميع الضباط في القدس، وجرى تبليغه لجميع الرتب، يقضي بالتوقف عن إطلاق النار على الأحياء اليهودية إلا إذا فتح

اليـهـود النـار على قطعـاتنا من تلك الأحـيـاء، وفي هـذه الحـالـة يـجـري الـرد على الموقع الذي تطلق منه النار، وليس على الأمـاكن الأخـرى الآهلة بالسكان. ذهبت الى قـيـادة الكتيبة الثالثة في باب العـامود، وحينمـا دخلت الى المنعطف المؤدي إلى جسر الشيخ جرّاح وجدت الرائد الركن كورفيلد في لوائنـا. كان ضـابطاً مغروراً يصف لنا بطولاته في مـعـارك دنكرك، وفي شـمـال افـريقـيـا وغـيـرهـا، رغم أن مظهـره لا يوحي بذلك. وجدته واقفاً في مدرّعة قرب مدخل الجسر. أردت في الحقيقة إهانته، سـألته عن سبب وقوفه، فقال: إن اليهود يفتحون النار من رشـاشـاتهم الثقيلة من حي مشيرم المقابل على كل سيـارة تحـاول عبـور الجسـر، ونظراً إلى رد الفعل النفسي، نتيـجـة لتوقيع أمر عدم اطلاق النار المذكور، أخذت موقع سائق سيـارتي الجيب المكشوفة «محمد حسن غزلان من قريتي حواره»، وقلت لكورفيلد: أنظر كيف سأعبر الجسر، واتبعني إذا أردت.

وقدّرت خـلال ثوان أن اليـهـود ليـسـوا في وضـع اطلاق النار الدائم، لا هم ولا غيـرهم، في هذا الوضـع، وأن أيديهم ليست دائمـا على الزّناد، ولا بد أنهم يراقبـون مرور السيارات، أو ظهور الأشخاص. وحينما يرى احدهم الهدف يصوّب سلاحه، ثم يطلق النار، وهذا يستغرق بعض الثـواني التي يمكن خـلالهـا لسـيـارة الجـيب المسرعة ،أن تجتاز الجسر، وتختفي وراءه، قبل إحكام التصويب، واطلاق النار، أو التمكن من إصـابتـهـا أثناء سيـرهـا بهذه السـرعة الخـاطفة. إضافة إلى أنهم ربما لا يتوقعون من أحد أن يعبر هـذه المنطقة المكشوفة أمامـهم، والواقـعة تحت الرمـاية بسـيـارة جيب مكشوفة، ويبـدو أن تقـديري كـان في محلّه إذ إنني بعد أن اندفعت بالسـيارة انهالت الرشاشات على المنطقة، وقد استدرت فوق الجسر، واختفيت على مبعدة منه بين الأبنية، ووصلت الى مقابل بوابة دمشق في سور القدس حيث قيادة الكتيبة.

بعد وصـوالي بفترة وصلت مدرّعة كورفيلد، ونزل منهـا منزعـجاً ومـرتبكاً، يطلب الإسعاف السريع. .يبدو أنه خجل من التخلف بعد مروري، فأغلق كل نوافذ مدرعته عدا تلك الفجوة الصغيرة المعروفة في المدرعات التي ينظر منهـا السائق ليرى طريقه، وقد أغلق الفجوة المماثلة التي أمامه، وحينما استدارت المدرعة فوق الجسر

وصارت مقابلة لحي مشيرم فتحت عليها النار، وأدخل القضاء والقدر رصاصة من الفجوة الضيقة أمام السائق وأصابت عينه، وفقأتها، وبقي السائق حياً، وتمكن من ايصال المدرعة الى الشارع المستور جنوبي الجسر، ثم قام السيد كورفيلد بإكمال المشوار، توقف كورفيلد بعد هذه الحادثة عن التبجح والادعاء ببطولاته في دنكرك وغيرها، رغم أنه لم يفعل شيئا في دنكرك يستوجب الافتخار، وان التاريخ العسكري يطلق عليها هزيمة دنكرك، عدت الى حي الشيخ جراح سيرا على الأقدام عبر وادي الجوز، وتركت سيارتي وسائقها في قيادة الكتيبة، ومررت إلى مواقع سريتين تتمركزان في جنوبي الشيخ جراح يقودها كل من الملازمين خالد مجلي الخريشا، وفارس العبد من معان، ثم واصلت السير الى قيادة اللواء.

١٩٤٨/٦/١٠

جرى إعلان الهدنة الأولى لتبدأ من الساعة الثامنة صباح الغد الموافق ٦/١١، ولمدة أربعة أسابيع، ووافق عليها جميع الأطراف. في هذا اليوم كانت مجموعة اللواء المصري متمركزة في مواقع المجدل- غزة - والفالوجة، والقوات السورية في منطقة سمخ على ضفة بحيرة طبريا الجنوبية، والقوات اللبنانية داخل اراضيها، والقوات العراقية الموجودة على أرض فلسطين في منطقة نابلس لا تزيد على قوة لواء من الناحية العددية، بما فيها القطعات الإدارية، أما القوات الأردنية فهي مؤلفة من الفرق التي سبق ذكر تفصيلاتها، وأماكن تواجدها.

ولا يوجد أي تنسيق بين هذه القطعات من الناحية العملية.

الفصل الرابع

اعادة التنظيم بعد الهدنة الاولى

بدأ الجيش الأردني باعادة التنظيم، وتشكيل وحدات جديدة، وكانت الأوضاع المادية تتحكم بالموقف، وذلك لأن موازنة الجيش قائمة على الإعانة البريطانية المحددة بموجب معاهدة بين الطرفين يتقرر على أساسها تسليح الجيش وتجهيزه بحدود معينة تتلاءم مع سياسة بريطانيا، ومخططاتها. وعلى هذا الأساس يتحدد حجم الجيش، وحدود إمكانياته.

أعيد تشكيل وتنظيم الكتيبة السادسة في القدس القديمة، والتي كانت تتألف من سريتي مشاة مستقلتين، وسرية مناضلين تسمى سرية حمدي منكو وهو من تجار عمان الوطنيين المتحمسين، والذي كانت نفقات هذه السرية على حسابه الخاص، وكذلك مجموعة مناضلين برئاسة: السيد كامل عريقات.

أعيد تنظيم هذه الكتيبة بقيادة قائدها نفسه المقدم عبدالله التل، وجرى تزويدها بقطعات إدارية ولوازم وأسلحة مساندة، وجرى اكمال مرتبها أسوة بالكتائب الأخرى في الفرقة، وبقيت مجموعات المناضلين مرتبطة بها.

١٩٤٨/٦/٥

طلبت من قيادة الفرقة الأمامية في موقع بيثونيا، ذهبت وقابلت مدير العمليات، وحضر وكيل القائد علي الحياري، وقابلنا معاً قائد الفرقة الذي أبلغنا أنه قرر تشكيل كتيبة جديدة باسم الكتيبة الخامسة بقيادة السيد علي، وانا اركان حرب لها. وقال علينا أن ننتخب الضباط المناسبين لهذه الكتيبة من الوحدات الأخرى، وأن نأخذ ضباط الصف والأفراد والأسلحة الخفيفة من سرايا الحاميات المتبقية بأمر الفرقة،

والأسلحة المساندة وعناصرها من وحدات الفرقة بالتنسيق مع مدير العمليات الذي كان حاضراً في الاجتماع، على أن لا تؤثر هذه الأجراءات تأثيراً كبيراً على فعاليات الكتائب الأربع التي تتشكل منها الفرقة القائمة حالياً، وخاصة بعد أن جرى اكمال الكتيبة السادسة بهذه الطريقة، وبذلك تصبح الفرقة مؤلفة من ست كتائب بدلاً من أربع. وطلب أن تكون هذه الكتيبة جاهزة للعمليات قبل يوم ١٠/٧/١٩٤٨ أي موعد نهاية الهدنة، وأن على ركن العمليات، وركن اللوازم إجراء التنقلات التي ننسبها من ضباط وضباط صف وأفراد مع الأسلحة، والمهمات اللازمة بأسرع وقت ممكن، وأن تشكل هذه الكتيبة في مدرسة بيت خينا، ونداوم فيها من صباح الغد، وأن تكون طلباتنا شفهية أو هاتفية، ويتم تنفيذها حالاً.

وفي اليوم نفسه الذي داومنا في المدرسة ونسبّنا أسماء قادة السرايا والفئات، وعدد ضباط الصف، والأفراد لكل عمل في الكتيبة، وكان عدد أفراد الجيش محدوداً ولا أبالغ إذا قلت إنني كنت أعرف جميع الضباط، ومعظم ضباط الصف شخصياً، وذلك لأن جميع منتسبي اللواء الأساسي والوحيد من ضباط، وضباط صف، وافراد اشتركوا في دورات مدرسة التدريب التي كنت أقودها. وهذا سهل سرعة اختيارهم. حددنا كميات وأنواع الأسلحة والطلبات الأدارية، وكنا نأخذ كل كشف ننتهي من إعداده إلى قيادة الفرقة، ويجري تنفيذه.

وفي يوم ٢٠/٦ كانت الكتيبة كاملة المرتب والتجهيز، وقد ساعدت جرأتنا ومعرفتنا السابقة بسرايا الحاميات وضباطها على تنظيم الكتيبة بهذه السرعة!

عيَّنا الرئيس سليمان مسعود لقيادة السرية الأولى، والرئيس محمد خلف العمري للسرية الثانية، والملازم راضي العبدالله للسرية الثالثة، والرائد كريم اوهان للسرية المساندة، والملازم عبدالله العايد لسرية القيادة.

بدأنا بتدريب الكتيبة ليلاً ونهاراً على الأسلحة المتيسرة، ومراحل الحرب من انسحاب ودفاع وهجوم وتقدم ...الخ. وبحسب مواقع التدريب المتاحة، كان قسم من الجنود قد التحقوا من سرايا الحاميات، وهي سرايا حراسات، واخرون من الكتائب العاملة والمدرِّبة. طبقنا برامج تدريب لمدة اسبوعين، ثم انتقلنا إلى المواقع التي كانت تتمركز فيها الكتيبةالأولى في منطقة بدُّو، والرادار التي سبق ذكرها، وذلك قبل

انتهاء الهدنة بيوم واحد هو يوم ٤٨/٧/٩ على أساس أن تذهب الكتيبة الأولى الى منطقة الرملة وتهاجم في الساعات الأولى من صباح ٧/١١ مستعمرتي ريشون ورخوبت، ثم تتمركز في معسكر صرفند.

العمل بعد انتهاء الهدنة الأولى

تحركت الكتيبة الخامسة إلى منطقة بدّو، وتحركت الكتيبة الأولى إلى منطقة بير زيت بدلاً من التوجه غرباً إلى منطقة الرملة، ومن هناك تلقيت أمراً مستعجلاً للحركة إلى منطقة العدسية في شمال غرب الأردن، على أساس أن معلومات وصلت إلى قيادة الجيش تفيد بأن اليهود سيهاجمون منطقة العدسية، ويتوغلون منها شرقاً إلى منطقة أم قيس وشمال الأردن الخالية من أية قوات أردنية، ولذلك صُرف النظر عن عملية ريشون ورخوبت:

لقد اتضح فيما بعد أن هذه المعلومات لا صحة لها، وأنه لم تصل أيه معلومات إلى القيادة من هذا القبيل، وقيل فيما بعد أنه كان هنالك تنسيق بين الأردن ومصر لتتقدم القوات المصرية من موقع الفالوجة والمجدل، بعد انتهاء الهدنة شمالاً في التوقيت نفسه الذي تتقدم فيه الكتيبة الأولى غرباً، ونظراً لأن القوات المصرية عجزت عن التقدم، وجرى تثبيتها وتطويقها في الفالوجة أختلقت قصة تقدم اليهود إلى العدسية وام قيس لتبرير الغاء حركة الكتيبة الأولى غرباً.

ورغم ذلك فإن من يستعرض أوضاع القوات العربية التي تواجدت على أرض فلسطين في هذه المرحلة، واهدافها الحقيقية التي دخلت فلسطين لتطبيقها، واستعدادات اليهود في منطقة اللد والرملة كما سيرد ذكره مع كيفية احتلالهما في التوقيت نفسه، وحجم القوات اليهودية التي قامت بالعملية، وكيفية إنسحاب السرية الأردنية التي تم ارسالها إلى المدينتين بعد قيام الهدنة كما سيأتي ذكره، يمكن أن يعيد النظر، ويقدر ذلك الموقف، وتتضح له الحقائق، وأنا، في الواقع، اذكر الحقائق كما وقعت فعلاً.

احتلال مدينتي اللد والرملة

في صباح يوم ١١/٧/١٩٤٨، وهو يوم حركة الكتيبة الأولى من بيرزيت إلى داميا في غور الأردن باتجاه العدسية هاجم اليهود مدينتي اللد والرملة. كان وكيل القائد ادريس سلطان حاكماً عسكرياً على المدينتين، والرئيس أديب القاسم قائداً لسرية مشاة من سرايا الحاميات تحرس المدينتين: «هذه السرية ذهبت إلى هناك ثالث يوم الهدنة بقصد التواجد في المنطقة على أساس أنها في القسم العربي من فلسطين، ولم يكن أي وجود أردني فيها قبل الهدنة» وفي الصباح الباكر تقدمت القوات اليهودية إلى مطار اللد، واحتلته دون مقاومة لأن فئة من مشاة السرية كانت تحرسه وانسحبت قبل بدء الهجوم. وكانت فئة أخرى في مدينة الرملة وانسحبت أيضاً، وذلك لضخامة القوات المهاجمة، واستحالة المقاومة في هذا الموقف. كانت قطعات السرية الباقية موزعة على مستوى حضائر متفرقة بين محطة سكة حديد اللد، ومركز الشرطة، والمواقع الأخرى، وتجمعت هذه السرية في موقع مركز الشرطة الرئيسي بين المدينتين، وصار موقفها دفاعياً أمام قوة معادية قيل إنها بحدود لواءين ، أي أكثر من عشرين ضعفاً بالنسبة إلى عدد السرية. وكانت آخر برقية وصلت من قائدها إلى قيادة الفرقة قال فيها: انتهى العتاد، ولم يبق إلاّ ما يعادل خمس إطلاقات لكل بندقية، هل ننسحب أم نستسلم؟ وقد صدر له الأمر بالانسحاب، وكان قد جرى تطويقهم من الشمال والغرب والجنوب، ويبدو أن اليهود تركوا الفجوة الشرقية كمخرج للسرية تجنباً للاحتكاك بها ووقوع خسائر، ففضلوا الطريقة الأيسر.

أحرقت السرية سياراتها، وأثاث جنودها، وصناديق ملابسهم، وانسحبوا سيراً على الأقدام من الفجوة الشرقية، فوصلوا إلى رام الله بأسلحتهم الفردية. وفي نحو الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم وصل كلوب باشا، فجأة إلى موقع كتيبتنا الخامسة، وصعدنا معه، أنا وقائد الكتيبة، إلى مرتفع غربي قرية بدو ويشرف على السهل الساحلي، وكنت أحمل منظار ميدان طلبه مني، ونظر إلى جهة اللد والرملة. وهما تظهران للعيان وقال: إنني أرى دخاناً وغباراً غير عادي في اللد، ونظرت بعده في المنظار، كما نظر قائد الكتيبة فشاهدنا دخاناً غير عادي يتصاعد من أطراف المدينة. ولم نكن نعرف ما حصل، وكنا نشاهد، عادة، دخان القطار هناك، فقلت

للباشا : هذا دخان القطار نراه يومياً، فقال لا، إنه أكثر من دخان القطار، وأنا خائف على اللد والرملة. وكان فعلاً مكفهر الوجه، وتبدو عليه علائم الامتعاض الشديد. ولا شك في أن قيادة الفرقة قد وضعت في الصورة مبكراً، ونحن لم نكن نعرف ما حصل، وتحرك من عندنا إلى قيادة الفرقة، وعدنا نحن إلى قيادتنا وإذا باخي صادق ركن عمليات الفرقة يطلبنا، وقد أخبرنا بما حصل، وطلب ارسال سيارات النقل باتجاه المدينتين، وقال إن الشرطة العسكرية على الطريق وسترشد السائقين إلى أماكن تواجد أهالي المدينتين الذين هربوا، أو طردوا من بيوتهم، وهم يتوجهون شرقا سيراً على الأقدام. وقد احتل اليهود تينك المدينتين، ويبدو أن الفرقة لم تصلها معلومات عن الأوضاع هناك بعد اعطاء أمر الانسحاب للسرية، إلاّ بعد وصول أفرادها، وطلائع الهاربين من سكان المدينتين في بعض الحالات بسياراتهم:

اعيدت الكتيبة الأولى عند وصولها إلى داميا في غور الأردن في طريقها إلى العدسية، وجرى إرسال سريتين منها تعززهما فئة مدرعات إلى قرى دير طريف، وبيت نبالا شمالي اللد، فأخرجتا اليهود منهما، وتقدمت باقي الكتيبة إلى قرية الجيب، وهاجمت مواقع اليهود حولها، واحاطت بنحو فئتين منهم وأبادتهم، ثم تقدمت فئة مدرعات مع الملازم حمد ابو دخينة، ودخلت مدينة اللد من الشمال، وطردت اعداداً من اليهود من شوارعها. وقد اعتقد اليهود أن هذه مقدمة قوة قادمة من الشمال، فانسحبوا من بعض الشوارع، ولكن تلك المدرعات التي كانت مهمتها الكشف عادت من حيث أتت بعد مناوشات محدودة لعدم إمكان خوضها معركة. كان يقدر عدد القوات اليهودية المهاجمة بما لا يقل عن لواء، وجاءت التقديرات فيما بعد أنهم أكثر من ذلك بسبب انضمام مجموعات غير نظامية اليهم. وحينما شاهد اليهود المدرعات عائدة دخلوا المدينة، وقتلوا كل من شاهدوه والتجأ الكثيرون إلى المسجد فتبعوهم وأبادوهم. وقد روى بعضهم أن دماءهم جرت من أرضية المسجد إلى الشارع، كما قيل أن عدد القتلى تجاوز الستمائة، وأن الجرحى كانوا يموتون ودماؤهم تنزف من دون اسعاف.

في هذا اليوم نفسه تعرض الملازم محمد فلاح من الكتيبة الأولى إلى كمين في منطقة دير طريف، حيث دخل هو وفئته بين كمينين متقابلين من اليهود، وفتحت

عليهم نار مخبأة من كلا الجانبين من مسافة قريبة فقتل ومعه سبعة عشر جندياً عدا الجرحى. وفي اليوم نفسه ٧/١١ حاولت المجموعة من اليهود الدخول إلى منطقة خراب اللحم التابعة لقرية بيت عنان، في منطقة كتيبتنا الخامسة، فتصدت لهم قوة خفيفة محمولة بسيارات مسلحة، وقتلت مجموعة منهم بمن فيهم قائدهم الرئيس دان، وفرّ الباقون وراء منحدر اختفوا وراءه، وجرى دفن ستة من قتلاهم في الموقع نفسه.

١٩٤٨/٧/١٣

فتح اليهود نيران مدافع المورتر من منطقة ابو غوش على موقع سريتنا المساندة في سفح المرتفع المواجه لقرية بدّو من الغرب، وصادف أن كنت مع السرية، وصرت أنادي على الجنود للنزول إلى الخنادق، لكنهم لم يفعلوا ذلك، وجاءني جندي من قرية سحاب أسمه فلاح يونس سبق أن خدم معي في الحرس الملكي، وهو يصيح على زملائه، ويحضهم على عدم الدخول إلى الخنادق بحجة أنهم لن يختبئوا، ويعتادوا على الخوف من اليهود ولو ابيدوا كلهم. وبدلاً من أن أعنفه، واقتل فيه روح الحماسة شكرته على روحه الطيبة وشجاعته. هكذا كانت الروح المعنوية بين رجال الجيش. لم تقع إصابات نتيجة هذه الرماية. وكانت معظم القنابل تتساقط بعيداً عن موقع تجمع السرية.

استمرت المناوشات والصراعات المحلية في كل مكان بعد انتهاء الهدنة وتبادل اطلاق النار على طول خطوط المواجهة مع القطعات الأردنية وفي هذه المرحلة حشد اليهود معظم قواتهم على الجبهة المصرية في منطقة النقب، وحول اللواء الأمامي في منطقة الفالوجة وغزّة. وبعد معارك دامت ثمانية أيام قيل أن اليهود خسروا خلالها نحو ثلاثة الاف شخص بين قتيل وجريح كما اخبرني فيما بعد أحد ضباط هيئة الأمم المتحدة، لكنهم احتلوا، في الأخير، جميع اراضي النقب حتى الحدود الأصلية بين مصر وفلسطين، وطوقوا اللواء الموجود في منطقة الفالوجة من جميع الجهات.

وعندها جرى اتصال بين الجامعة العربية، وهيئة الأمم المتحدة، فقبل جميع الأطراف بالتوقف عن اطلاق النار في جميع الجهات والتوقيع على قبول هدنة دائمة، والعمل على الوصول للحل السلمي.

١٩٤٨/٧/٢٤

بعد سريان الهدنة بثلاثة أيام ذهبت أنا وزميل اخر للاشتراك في دورة عسكرية في بريطانيا، ولأول مرّة يشترك ضباط اردنيون في دورات عسكرية هناك، مرت طائرتنا في طريقها إلى القاهرة فوق القدس وبئر السبع ورفح والعريش والقنطرة، وكانت بعض المناوشات مستمرة هنا وهناك بين القطعات المصرية واليهودية نراها رؤية العين من الطائرة الصغيرة ذات الجناحين. مرّت طائرة صغيرة يهودية ذات جناح واحد من نوع طائرات الكشف إلى جوار طائرتنا، ولم تعرفنا. ولا شك انها كانت غير مسلحة. التحقت إلى دورة نقليات عسكرية وميكانيك في معسكر بوردون. وبعد انتهائها التحقت إلى أركان حرب كتيبة، وقادة سرايا في معسكر بيكونزفيلد، استغرقت مدة الدورتين تسعة اشهر. وقد انضمت الأدارة هذه فيما بعد، إلى كلية الأركان البريطانية في كامبرلي، وقابلت بعض مدربيها الذين كانوا موجهين في كلية الأركان عندما التحقت اليها عام ١٩٥٤.

عدت، بعد ذلك، إلى الأردن والتحقت إلى الكتيبة الخامسة في عملي السابق أركان حرب الكتيبة في القدس، وقيادتها في عمارة المتحف المقابل للسور، ومسؤولة عن المنطقة الواقعة خارج اسوار القدس والدفاع عن المنطقة بالإشتراك مع الكتيبة السادسة. كانت الاسلحة المساندة في الكتيبتين مركّزة على أسوار القدس، وعلى جميع مناطق الاقتراب والمداخل المؤدية إلى مواقع الكتيبتين. وكانت المناوشات والرماية بمختلف الأسلحة تجري من حين لآخر رغم قيام الهدنة.

في ٣/٢/١٩٤٩ نشبت معركة محلية بين كتيبة عراقية في منطقة كفر قاسم واليهود في رأس العين وذهبت إلى هناك في اليوم التالي للاطلاع على الوضع، كان قائد الكتيبة المقدم عبد الكريم قاسم الذي سبق أن اجتمعت معه مراراً في بيت ابن العم الدكتور رفعت عودة في قرية بريا، أو في قيادته في كفر قاسم. قابلته هذه المرة، وعرفت انه احتل موقع رأس العين من اليهود، ومزرعة مجاورة كانوا يحتلونها تسمى بيارة المختار، وامتنع عن الخروج منها رغم قيام الهدنة، ووساطة مراقبي الأمم المتحدة. وقد اطلعني على برقية وصلته من دائرة اللواء الزعيم نجيب الربيعي يأمره بالانسحاب، وإعادة وحداتها إلى مواقعها. وقال إنه اجاب على البرقية قائلاً أنا

لا أنسحب إلا إلى بغداد، وبقيت قطعاته هناك إلى ان انسحبت مع الجيش العراقي إلى بغداد في مرحلة لاحقة سيأتي ذكرها.

تبادل أسرى عرب ويهود في القدس

حينما سقط الحي اليهودي في القدس القديمة، يوم ١٩٤٨/٥/٢٨ سمح للنساء والأطفال والعجزة ورجال الدين بمغادرة القدس القديمة والذهاب إلى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة مع رجال الصليب الأحمر الدولي، من دون قيد أو شرط. جرى اعتقال من هم في سن الجندية، وجرى ارسالهم إلى معسكر اعتقال في موقع أم الجمال شمال شرقي المفرق في شرق الأردن. وفي منتصف شباط عام ١٩٤٩ جرى التفاوض بواسطة مندوبي الأمم المتحدة لتبادل الأسرى. جرى الأتفاق وتحدد موعد المبادلة وأحضر الأسرى اليهود إلى القدس، وكانوا نحو مائة وخمسين أسيراً، جميعهم من الشباب، وكانوا يرتدون ملابس جيدة ونظيفة صرفت لهم في أثناء الأسر. وكانوا يظهرون كأنهم عائدون من مناورة عسكرية وهم يرتدون ملابس خاكي موحدة وتنقلهم سيارات عسكرية، والجميع يبدون بصحة جيدةحيث كانوا يعاملون كأسرى حرب بموجب القوانين الدولية. احتشد عدد كبير من مندوبي الصحف العالمية لالتقاط الصور، وإرسال المعلومات إلى صحفهم. كان الأردن قد قدّر هذا الموقف وأراد الظهور امام العالم بمظهر الدولة التي تحترم القوانين والأعراف الدولية المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب. حضر من الجانب اليهودي لتسلمهم كل من الدكتور بيران حاكم القدس، والمقدم موسى ديان، ومجموعة من اليهود ومراقبي الأمم المتحدة. ومن الجانب العربي المقدم عبدالله التل، الحاكم العسكري في القدس، ومندوب عن القيادة العامة بعمان، وأنا عن القيادة العسكرية في القدس. جرى تسليم الأسرى اليهود، واجتازوا الحد الفاصل بين الطرفين في موقع متعارف عليه بأسم بوابة مندل بوم، وربما كان اسماً لأحد الأجانب الذين كانوا يقيمون في ذلك الحي. وبعد مغادرة الأسرى اليهود بنحو نصف ساعة أقبل طابور الأسرى العرب من داخل القاطع اليهودي، وكانوا عبارة عن خليط من سكان القرى التي استولى عليها اليهود من دون ادنى مقاومة، أو من الذين شرّدوا من المناطق الساحلية،

واحتجزهم اليهود. ولم يكن بينهم إلا قلة نادرة من الشباب، الباقون من الكهول والعجزة، وكان عددهم مئة وخمسين فرداً يلبسون أسمالاً بالية هي ملابسهم التي بقيت على أجسادهم عشرة شهور تقريباً، مسترسلي اللحى، لأنهم لم يحلقوها قط اثناء الأسر، وكانت صحتهم متردية وتبدو عليهم علائم المذلّة وسوءا لتغذية. وهذه حقيقة ليس فيها ادني مبالغة، ولا شك في أن من بقي منهم حياً سيطلع على هذه المذكرات، أو أنه رواها لابنائه واحفاده ليؤكد هذه الحقائق. كانوا يسيرون بنظام الأربعات، ويتوكأ بعضهم على بعض من الأعياء. استقبلناهم بالبكاء بدل الترحيب، وأبدى مندوبو الأمم المتحدة خجلهم وأسفهم من تحمل مسؤوليةالاشراف على هذا التبادل المتناقض، وازدروا أنفسهم لوضعهم في هذا الموقف. لم يبد من اليهود إلاّ كل صلف، ولم يخجلوا من هذا الموقف المشين. وبعد هذا ماذا صنع الرأي العام العالمي؟ لم يتعرض للإهانة إلا الضمير والشرف العربي. وما يؤلم حقاً هو دأب الدول العربية وسعيها الحثيث من تلك الأيام إلى يومنا هذا لاقناع الرأي العام العالمي بالحق العربي في فلسطين، ولا أدري متى سيقتنع الرأي العام العالمي بهذا الحق، وما هي الاجراءات العملية التي يمكن أن يطبقها في فلسطين حينما يقتنع. وأخيراً لا بد أن يقتنع القادة العرب أو تقتنع شعوبهم أن الرأي العام العالمي لا شيء، وأنه لن يعيد الحق العربي في فلسطين، وأن الحق لا يعود إلا بالقوة.

انسحاب الجيش العراقي من فلسطين

١٩٤٩/٣/٩

تقرر سحب الجيش العراقي من فلسطين، وعودته إلى العراق. وقد عقد اجتماع في قيادة لوائنا برئاسة قائد الفرقة لتنظيم عملية تسلّم مواقعه، وتقرر أن تتسلم الكتيبة الخامسة المنطقة الواقعة بين باقة الغربية شمالاً وقرية كفر قاسم جنوباً. كانت القوات العراقية التي تتمركز في الخط الأمامي وفي العمق في هذه المنطقة تقارب قوة فرقة إذ إن الجيش العراقي عزّز قواته في فلسطين بعد الهدنة، الأولى والثانية، ووصل تعدادها إلى فرقتين، ولواء مدرعات ولواء الحرس الملكي.

١٩٤٩/٣/١٠

جرى تسليم مواقع كتيبتنا في القدس الى سريتين من ملاك قيادة الفرقة، وبدأت الكتيبة تتجمع، وتستعد للحركة إلى منطقة نابلس، وقد عهد إلي بمهمة الكشف ودراسة مواقع الجيش العراقي، وتسلمها، وإحلال قطعات الكتيبة مكانها.

١٩٤٩/٣/١٢

ذهبت إلى معسكر نور شمس شرقي طولكرم، وقابلت الزعيم نجيب الربيعي قائد مجموعة اللواء في الخط الأمامي بين باقة وكفر قاسم بهدف كشف وتنظيم عملية تسلّم المنطقة، وأرسل معي الرائد الركن العسكري خليل سعيد «وصل إلى رتبة لواء فيما بعد»، ومعه مجموعة من الضباط إلى مواقع الكتائب الأمامية، كانت احداها في منطقة شويكة، ،وثلاث اخرى في مواقع طولكرم وقلقيلية وكفر قاسم، وفي اليوم التالي أجرينا الكشف على مواقع ثلاث كتائب أخرى في مناطق قرى ديرالغصون وزيتا وعتيل وباقة الغربية. كانت سبع كتائب في الخط الأمامي، وخلفها لواء احتياط في منطقة دير شرف، ولواء آخر في منطقة يعبد، ولواء ثالث في منطقة طوباس ولواء رابع في منطقة غورداميا.

كان الترتيب أن تتسلم الكتيبة الخامسة الأردنية الخط الأمامي الذي تحتله سبع كتائب عراقية، ووراءها الألوية المشار اليها، وسوف لا يكون لنا إسناد، أو احتياط في الخلف. ذهبت مع الزعيم نجيب الربيعي، بعد إنهاء الكشف، إلى قيادة الجبهة العراقية في قرية رفيديا غربي نابلس، وقابلنا قائد الجبهة الفريق نور الدين محمود باشا، وأطلعناه على الترتيبات لتسلم المواقع الأمامية. وكان الترتيب هو وضع فئة أردنية مكان كل كتيبة عراقية! وأماكن كثيرة لقطعات عراقية خفيفة تركناها خالية، وكان وضعاً مزرياً حقاً، وبعيدا عن المنطق. قلت للباشا نور الدين، هل أن عطوفتك مقتنع بهذا الأجراء؟ وهل تعتقد أن بامكان كتيبة واحدة أن تحل مكان وحداتكم، وتتحمل مسؤولياتها؟ كان اعتدادي بنفسي يفوق كثيراً حجم رتبتي ومركزي، ثم قلت: كيف ولماذا يا سيدي تعيدون جيشاً هو أقوى الجيوش العربية في فلسطين واكبرها حجماً، وفي هذا الوضع الحرج إلى العراق، ولتحل محله كتيبة واحدة، وجيشنا كله حالياً

مؤلف من خمس كتائب موزعة في مناطق القدس والخليل، وعلى طول الخطوط الأمامية ولا تكاد تعزز كتيبة واحدة لتسلم مواقعكم في منطقة نابلس، وأخرى لمنطقة جنين في الشمال.

قال بلهجته العراقية: يعني تريدونني أن أقوم بعصيان «وقد قام بعملية انقلاب في العراق في مرحلة لاحقه سمي انقلاب نور الدين محمود باشا ولكنه قضي عليه»، واستطرد قائلاً: أنا عسكري وأخذت أوامر بالعودة بعد أن أسلّم هذه المواقع لكم، فاذا كنتم لا تتسلمونها فأنا على استعداد لتسليمها إلى رؤساء البلديات والمخاتير واعود إلى بغداد.

١٩٤٩/٣/١٣

أخذت قيادة سرايا الكتيبة واجرينا الكشف على مواقع القطعات العراقية، كان قائد الكتيبة في كفر قاسم المقدم عبد الكريم قاسم الذي كنت على معرفة سابقة به ولي معه أحاديث طويلة عن الأحداث الجارية في فلسطين كانت تجري بيننا في بديا أو كفر قاسم. كانت سرية من كتيبتنا يقودها الملازم سعود الرشدان ستحل مكان كتيبة عبد الكريم، وكان سعود معي في خيمة عبد الكريم عندما سألني عن معلوماتي عن اتفاقية رودس، وهل ستكون قرية كفر قاسم داخلة في الحيِّز اليهودي بموجب تلك الأتفاقية فأجبته بالايجاب، وعندها نادى بصوته وبعصبية على أحد قادة السرايا وطلب إحضار فئة الأشغال. وكانت هناك مقبرة صغيرة في موقع الكتيبة تضم اثنين وعشرين شهيداً سقطوا في اثناء معركة رأس العين، وفي حوادث متفرقة أخرى فأمر بفتح قبورهم، وإخراج جثثهم ونقلها إلى مقبرة الشهداء العراقيين على مفرق جنين -قباطيا، وقال أنا أسلمكم المواقع، ولكني لن أترك جثث جنودي الشهداء لتطأها أقدام اليهود. وكان أمام قيادة الكتيبة تمثال يسمونه تمثال النصر، فأمر بهدمه ونفذ أمره.

وبمناسبة ذكر تسلم موقع عبد الكريم قاسم هذا اتذكر في إحدى زياراتي له، وبينما كنا جالسين أمام خيمته، وكان يرتدي القميص والبنطلون القصير، فإذا

بسيارة تأتي وتقف أمامنا. نزل منها سمو الوصي على عرش العراق عبدالاله ، ومشى نحونا وقال: السلام عليكم، فقمت وأسرعت اليه، وسلمت عليه، في حين رد عليه عبد الكريم: عليكم السلام، وبقي جالساً. استدار الوصي إلى سيارته. وغادر المكان، وعندما سألت عبد الكريم عن سبب عدم احترام الضيف. قال أنه وصل فجأة، من دون موعد سابق وهكذا.

كان تصرف قائد الكتيبة في قرية شويكة مماثلاً لتصرف عبد الكريم قاسم، وقد نسيت اسمه، وانفجر بالبكاء من شدّة التأثر عندما وقع علي الدور والتسليم . جرى تسلم هذه المواقع إعتباراً من يوم ٧/ ٤/ ١٩٤٩ حيث سبق لي بعد إجراء الكشف، ومعي قادة السرايا يوم ٤ ١/ ٣ أن عدت إلى قيادة الكتيبة في القدس، والتحقت في اليوم التالي بمفردي إلى قيادة الجبهة العراقية، وأقمت في القيادة الأمامية في نور شمس مع السيد نجيب الربيعي لأكون على اتصال مع قطعاتهم الأمامية، والتعرف على مواقعهم ومجرى الحوادث، وذلك انتظاراً لصدور الأمر النهائي من بغداد بانسحابهم. ويبدو أنه كان يوجد أخذ ورد، ودراسة للموضوع، وخلافات داخلية حول الانسحاب أو عدمه، إلا أن الأمر النهائي بالانسحاب وصل أخيراً.

وفي يوم ٧/ ٤ جئ بالكتيبة الخامسة، وباشرنا بتسلم مواقع الجيش العراقي الذي بدأ يتراجع من الخطوط الأمامية والخلفية عائداً إلى منطقة تجمع بالمفرق في شرق الأردن ومن هناك تحرك عائداً إلى العراق.

أذكر أنني كنت قد ذهبت إلى عمان يوم ٢٢/ ٣/ ٤٩، وقابلت اثنين من أعضاء الوفد الأردني المفاوض في رودس، حيث حضرا للتشاور مع الحكومة في موضوع خطوط الهدنة في منطقتي الجيش العراقي والأردني. وقال لي أحدهما، الرئيس علي أبو نوار أن وفدنا كان يفاوض باسم الأردن والعراق، وكان مع وفدنا تفويض موقع من الحكومة العراقية يتضمن ذلك. كان الوفد يتألف من السادة رياض المفلح، واحمد صدقي الجندي، ومحمد المعايطة، وراضي الهنداوي، وعلي ابو نوار، وفتحي ياسين. وقال لي علي إن الوفد توصل إلى تحديد خطوط هدنة مؤقتة يعمل بها الى حين قيام الأمم المتحدة بايجاد حل دائم للقضية الفلسطينية.

١٩٤٩/٣/٢٥

وصلت مجموعة كتيبة مدرعة من الجيش البريطاني إلى العقبة لحماية الميناء، والحدود الأردنية تطبيقاً للمعاهدة الدفاعية القائمة بين البلدين.

١٩٤٩/٣/٣٠

وقّع الوفدان الأردني واليهودي اتفاقية الهدنة الدائمة في رودس. وقد وقع الوفد الأردني باسم الأردن والعراق على أساس أن يتسلم الجيش الأردني مواقع الجيش العراقي الذي باشر بالانسحاب يوم ١٩٤٩/٤/٧.

١٩٤٩/٣/٣٠

وقع انقلاب عسكري على الحكم في سوريا بقيادة الزعيم حسني الزعيم، وصدرت اربعة بلاغات باسم قيادة الثورة تعلن استيلاءها على السلطة.

١٩٤٩/٤/٧

بوشر بتسلم الكتيبة الخامسة لمواقع القوات العراقية بين كفر قاسم وباقة الغربية، وكتيبة أردنية أخرى هي الكتيبة السابعة لمنطقة جنين كما سبق ذكره.

١٩٤٩/٤/١٧

حضر كلوب باشا إلى قيادة كتيبتنا التي حلت محل القوات العراقية في معسكر نور شمس، وطلب فتح طريق ترابية في قرية ذنّابة شرقي طولكرم حتى قريتي بدِّيا، ودير بلوط لتكون بديلة عن طريق طولكرم–قلقيلية– كفر قاسم. وقد باشرنا بفتحها بواسطة جنود احدى السرايا، ومعاونة أهالي القرى التي ستمر بها هذه الطريق. وقد صار واضحاً لنا أن اتفاقية رودس ستعطي معظم اراضي مثلّث الشعراوية، بما في ذلك الطريق الرئيسية المعبدة المشار اليها، لليهود.

١٩٤٩/٤/٢٠

صدر أمر تعييني ضابط ارتباط في لجنة الهدنة في منطقة نابلس، اضافة الى عملي كأركان حرب الكتيبة، ومسؤولاً عن حوادث ومعاملات حدود الهدنة اعتباراً من حدود مدينة رام الله شمالاً حتى نهر الأردن مروراً بقرى دير بلوط– كفر قاسم– قلقيلية– طولكرم– يعبد– جنين– منطقة الأغوار وحتى نهر الأردن.

حاولت التملص من هذا العمل، ولكن رؤساء البلديات، وكبار شخصيات المنطقة جاءوا الي والحّوا علي بوجوب ممارسة هذا العمل على أساس أنه لا بد من اجرائه، وان معرفتي بالمواطنين ومشاكل المنطقة الداخلية لا تخلو من فائدة فاقتنعت واستمررت بالعمل.

٢٤/٤/١٩٤٩

جرى أول اجتماع مع مراقبي الهدنة، ومندوبين من جانبنا والجانب اليهودي، لتحديد موعد ومكان اجتماع على مستوى لجنة الهدنة المشتركة، وتحديد نقاط البحث وقد تم تحديد نقاط البحث، ومكان وموعد الاجتماع.

٤/٥/ ١٩٤٩

جرى أول اجتماع مع مراقبي الهدنة برئاسة الجنرال الهولندي بيرتر، ومعه اعضاء آخرون من الأمم المتحدة حضره من الجانب الأردني كل من السيد حمد الفرحان وكيل وزارة الإقتصاد، والسيد احمد الخليل متصرف لواء نابلس، وأنا من الجانب العسكري، ومن الجانب اليهودي المقدم موسى ديان، والرائد راماتي وشخصين آخرين. وقد جرى بحث اتفاقية رودس بجميع موادها وبنودها والخرائط والمخططات التابعة لها والتي الحقت بها، ووقعها الوفدان الأردني واليهودي هناك، وصدّقها ممثل الأمم المتحدة، وكذلك المخططات التي ألحقت بالأتفاقية بعد العودة من رودس، مع بحث كيفية تطبيق هذه الاتفاقيات على الأرض.

جرى بحث مطوّل دام عدة ساعات، وقدم موسى ديان مخططاً لخط الهدنة المقترح لا يتطابق مع مخططات خرائط رودس. لم يوافق رئيس وفدنا السيد حمد الفرحان، ولا أي واحد منا على هذه المخططات التي لم يوقعها أعضاء وفدنا إلى رودس، وتصدق من سكرتير الأمم المتحدة بحسب الأصول، وانفض الأجتماع دون اتفاق، ودون تحديد موعد لاجتماع اخر، كما أنه لم يجر بحث موضوع تعديل خط الهدنة في المنطقة التي تسلمناها من العراقيين، وقد جرى تطبيق المخططات الجانبية التي أبرزها الينا ديان مبيناً عليها اسماء وتواقيع موقعيها، والتي اقتطعت لليهود ثلاثمائة واثنين وثمانين ألف دونم، وسبع عشرة قرية من تلك المنطقة، وقد تلقينا الأمر من قائد لوائنا العقيد نيومن الذي حضر إلى قيادة الكتيبة في معسكر

نورشمس، وابلغ قائد كتيبتنا المقدم محمد هاشم بوجوب العودة الى الخطوط الخلفية، وسأذكر تفصيلاتها في مرحلة لاحقة.

في مساء ذلك اليوم أرسلت سيارات من قيادة الكتيبة لإحضار السادة كل من سليمان طوقان رئيس بلدية نابلس وهاشم الجيوسي رئيس بلدية طولكرم، وحلمي العبوشي رئيس بلدية جنين. وعبد الرحيم السبع رئيس مجلس محلي قلقيلية، والمهندس رشدي الجيوسي من طولكرم، وقد حضروا جميعهم إلى مكتبي في محطة طولكرم، واطلعتهم على ما دار في الاجتماع مع المراقبين واليهود، وشرحت تفصيلات المخطط الذي أبرزه موسى ديان، وطلبت منهم بصورة خاصّة أن يذهبوا إلى عمان فوراً، ويقابلوا جلالة الملك عبدالله ويطلعوه على الواقع لاعتقادي الجازم أن جلالته لا يعرف هذه التفصيلات، ولا حجم المنطقة التي ستؤول إلى اليهود بموجب الأتفاق الجانبي المشار اليه، خاصة أن العقيد البريطاني كروكر مدير العمليات في القيادة له توقيع مع الموقعين الخمسة «عرفت فيما بعد ان الموقعين يجهلون الخرائط ومقاييسها وان الفرق بين الخط الأمامي الذي تسلمناه من العراقيين والخط الخلفي الذي ستعود اليه عبارة عن بضعة سنتيمترات على الخارطة من قياس ١/ مائة ألف.

وقد اوصيتهم أن لا يذكروا اسمي كمصدر لهذه المعلومات، وأن يعزوها إلى العضو الفرنسي في هيئة المراقبة المقدم بيرجو الذي كان يترد على طولكرم، ويتعاطف معنا بصدق واخلاص. وذهبوا ليلاً إلى عمان، وحضروا صلاة الصبح مع جلالة الملك، وشرحوا، بعدها، لجلالته الموقف فغضب جداً، وطلب كلوب باشا هاتفياً. ويبدو أنه عنّفه على مسمعهم، وأمر بالاحتفاظ بالمنطقة مهما كلّف الأمر. وفي صباح اليوم نفسه طلبني الملازم فتحي ياسين مرافق كلوب باشا، وهو زميل وصديق وقال ضاحكاً: ماذا عملت مع رؤساء البلديات؟ وأضاف قائلاً: إن كلوب باشا تلقى مكالمة هاتفية من جلالة الملك، وهو غاضب من تصرفك، ويطلب حضورك إلى مطار قلنديا، وهو قادم إلى هناك بالطائرة الآن، وأنا معه «فحضِّر حالك للبهدلة». تحركت فوراً من طولكرم إلى رام الله فمطار قلنديا، ووصلت قبل هبوط الطائرة بدقائق. توقعت أن يكون السيد سليمان طوقان هو الذي ذكر اسمي لجلالة الملك، وذلك بسبب خلافات قبلية بسيطة في المنطقة سأتطرق إلى بعضها في حينها. وقد استمرت فيما بعد

عندما عينت حاكماً عسكرياً في منطقة نابلس، ولم امكّنه من الانتقام من خصومه السياسيين عندما اصبح وزيراً للدفاع، وسيأتي شرحها. نزل كلوب باشا من الطائرة غاضباً، وكان الموقف حرجا بالنسبة إلى ملازم امام قائد الجيش، وقد ابتدرني قائلاً: إن السيد سليمان طوقان قد أخبر جلالة الملك عن تفصيلات اجتماعكم مع اليهود، وحديثك لرؤساء البلديات في مكتبك. كان هذا فور نزوله من سلّم الطائرة، ومشينا إلى صالون استراحة المطار، وكنت قد أخذت فرصة، ولو أنها قصيرة، لتحضير دفاع جديد غير الذي كنت هيأته على أساس أن وفد البلديات هذا سيتقيد بذكر خارطة رودس والمخططات الأمامية والخلفية على الخارطة. ورغم أن مكالمة فتحي جعلتني افكر بكثير من الأحتمالات، لكني لم أتصور أن أحداً منهم سينقل كل التفصيلات بما فيها اتفاقية رودس، واتفاقيات ما بعدها، والتناقض بينهما، وبعد أن جلسنا بدأت أشعر أنني في قفص الاتهام، لكنني في الحقيقة لم أكن خائفاً لأنني أعرف أن الباشا لم يكن متسرعاً، وأنه منطقي ومهذب، ولأن تصرفي هذا كان اجتهاداً مني، وللمصلحة العامة، والاجتهاد قد يخطىء وقد يصيب. سألني عن موضوع رؤساء البلديات، وإرسالهم إلى عمان، لمقابلة جلالة الملك. قلت: إنني فعلاً أحضرت رؤساء البلديات، واطلعتهم على الموقف كما هو لعدة أسباب. منها كسب الوقت لاستعمال نفوذهم كممثلين لسكان المنطقة لعلّه يمكن التمسّك بخارطة اتفاقية رودس، كونها مصدّقة من الأمم المتحدة، ولها صفة دولية. وقد وقعت عليها الحكومة اليهودية، ولا يمكنهم التملص منها، في حين أن المخطط الثاني المراد تطبيقه ليست له هذه الصفة، وثانياً لأن الاشارات التي على الخارطة، أو على المخطط لا تنطبق على المواقع والحدود التي تسلمناها من العراقيين، وستوضح على الأرض بعلامات واشارات واضحة يراها الجميع، ويتم التقيّد بها كحدود هدنة، وهي تعطي قرى واراضي كبيرة لليهود لا يمكن تفسير أسبابها للمواطنين، فقلت إنه بدلاً من أن يفاجأ المواطنون بها موضوعة على الأرض، وهم لا يتوقعون وجودها في هذه الأماكن، أو عندما يتم التراجع عن سبع عشرة قرية مع أراضيها هكذا من دون حرب، أو حتى بحث واتفاق من الأفضل أن أشرح هذا الوضع لممثلي المنطقة، ليذهبوا ويبلغوا هذا الواقع إلى قمة السلطة، ولتجري مناقشته، ،ومعرفة أسبابه مع الدولة، وعندها يقرر وضع هذه

الإشارات للحدود الجديدة على الأرض وقبولها، أو عدمه، أو إيجاد حل بديل من قبل السلطات المدنية، وليس العسكرية. أو أنهم قد يصلون إلى الأقتناع بأن لا مناص من القبول بها على أساس موقف جميع الدول العربية المحيطة بفلسطين، وعودة جيوشها إلى بلادها. وعندها لا نتحمّل نحن في الجيش مسؤولية ليست من واجبنا. أعجبته هذه الفكرة، وهذا التصرف كثيراً وبدا مرتاحاً جداً لهذا الإجراء، وزال عن وجهه النكد فقال: أتدري، إنك عملت خيراً، وانني مرتاح جداً لهذا التصرف من ضابط بهذه الرتبة، ويتحمل هذه المسؤولية، ورغم ذلك أفشيت معلومات سرية للغاية. ولكن ثبت لي الآن أن الإجراء الذي اتخذته كان في محله.

١٩٤٩/٥/٦

صدر أمر من قائد لوائنا في نابلس بسحب وحداتنا الموجودة في قاطع قلقيلية من الخط الأمامي الذي تسلمناه من الوحدات العراقية إلى الخط الخلفي الذي يتلاءم مع المخططات الجانبية التي عرضها ديان في اجتماع طولكرم الذي سبق ذكره، ورفضناها في حينها، والأمر يقضي بأن نعيد قطعاتنا من غربي قرية جلجولية إلى شرقي قرية كفر قاسم، ومن قريتي كفر سابا وقلنسوة إلى خط السكة الحديد المحاذي لقلقيلية من الغرب.

١٩٤٩/٥/٧

تم سحب القطعات المذكورة إلى المواقع الجديدة، وتقدم اليهود إلى المواقع التي أخليناها، بخوف وحذر، وبصورة بطيئة جداً استغرقت طول النهار. وكنت أراقب تقدمهم بألم وأسى. وفي المساء، وبعد تسلمهم المواقع التي أخليناها وصلت برقية من القيادة تأمر بتأجيل الانسحاب من هذا القاطع لمدة اسبوع، وتبعتها برقية أخرى تقول: إعتبروا البرقية السابقة ملغاة، وبرقية ثالثة تقول بوجوب الانسحاب. وقد عرفت فيما بعد أن سبب هذه البلبلة هو أن جلالة الملك عبدالله كان قد أطلع، بصورة خاطئة، على خط الهدنة الأخير، وقيل له إنه لا توجد خسارة في الأرض. وحينما عرف الحقيقة كان الوقت متأخراً، ومرحلة الأنسحاب قد تمّت. كنت قد تعرفت على العضو الفرنسي في لجنة الهدنة المقدم بيرجو الذي سبق ذكره، وتمت بيننا صداقة.

وقد لمست منه عطفاً أكيداً على قضيتنا، وأخبرني بأن اليهود، بالرغم من احتلالهم أراضي النقب من المصريين، زادت خسائرهم على ثلاثة آلاف بين قتيل وجريح، وأن التظاهرات تقوم في كل فلسطين تطالب بإنهاء حالة الحرب والمصالحة مع العرب، وأن القوات اليهودية عادت من النقب ومعنوياتها محطّمة بشكل فاضح، واذا رفضتم الانسحاب من مواقعكم الأمامية الباقية إلى الشمال من قلقيلية فأنهم سيوافقون، والمسألة تحتاج إلى حزم. والحق معكم أمام هيئة الأمم بموجب اتفاقية الهدنة، وأضاف قائلاً إنه لم يسمع أن جيشين متحاربين قبلا بالهدنة ووقف إطلاق النار، ثم تراجع أحدهما من مكانه، إذ إن الهدنة تعني وقف القتال، وبقاء القوات في الأماكن التي بلغتها.

ذهبت إلى نابلس في تلك الليلة، وقابلت قائد اللواء العقيد نيومن، وابلغته بحديث بيرجو وقلت له: الأحسن أن نرفض الانسحاب من قطاع قلقيلية شمالاً، ونبقى في مواقعنا مهما كلف الأمر، صرفني بشكل حسن بعد أن قال لي إنه يرى هذا الرأي، واننا يجب أن نحافظ على مواقعنا الحالية. وقد تحدث هاتفياً مع مدير العمليات في القيادة العقيد هاتون، واطلعه على الأمر، فأجابه المذكور أنه سيمرر هذه المعلومات للحكومة، وعلينا أن ننتظر ما تقرره. عدت إلى طولكرم، وقابلت العضو الأمريكي في لجنة الهدنة الميجر كامبل، وابلغته أننا لن ننسحب لشرقي طريق الأسفلت الواقع بين باقة الغربية، وطولكرم، ومن المواقع التي تتمركز فيها وحداتنا جنوباً حتى قلقيلية، وأن أوامر حكومتنا تقضي بذلك، وقد قمت بهذا الإجراء قبل أن نعرف جواب حكومتنا حول هذا الموقف لأرى رد الفعل اليهودي عندما يبلغهم كامبل هذا الجواب، ولكن لم تسنح الفرصة لمقابلة كامبل في اليوم التالي لأن قائد لوائنا حضر من نابلس بعد عودتي من مقابلة كامبل إلى قيادة الكتيبة، وذهبت لمقابلته حيث أبلغنا أن الحكومة تأمر باعادة قطعاتنا إلى خط الهدنة الخلفي على طول الجبهة حتى باقة الغربية، وذلك لأن هذه القوة القليلة التي تسلمت المنطقة من القوات العراقية لا يمكنها في أي حال من الدفاع عنها في حالة استئناف القتال، ولأنه لا بد من تنفيذ تعليمات الحكومة.

وبناء على هذا عادت قطعاتنا من أمام طولكرم وشويكة، ومن جت وبير السكة وباقه الغربية إلى الخط الجديد «الخط الأخضر»،كما عادت وحدات الكتيبة السابعة

التي تعمل في منطقة جنين إلى هذا الخط، وتم هذا الاجراء مساء يوم ١٩٤٩/٥/٩.
كانت اتفاقية رودس تنص على أن المنطقة التي سنتراجع عنها بعد تسلمها من الجيش العراقي، وبموجب الأتفاقية التي سبق أن الحت اليها هي منطقة عربية، وتشكل فيها قوة أمن عربية من سكانها أنفسهم للمحافظة على الأمن والنظام تحت إشراف الأمم المتحدة، ويمنع على القوات اليهودية دخولها. وعلى هذا الأساس، وبصفتي ضابط ارتباط في لجنة الهدنة، صرت أتجول بين هذه القرى، واتفقد أحوال المواطنين الذين لم يتوقفوا عن الاتصال بالقرى والمواطنين الذين هم في جانبنا شرقي الخط الأخضر هذا. وقد استمر هذا الوضع نحو اسبوع، وفيما كنت أزور قرية صندلا شمالي جنين من القرى التي انسحبت منها قواتنا، وصل ضابطان من الشرطة اليهودية الى القرية وقابلا المختار وعرفا أنني هناك، فاعترضا على وجودي لأن المنطقة تحت إشرافهم ثم انصرفا، ذهبت في اليوم التالي إلى القدس، وطرحت الموضوع أمام لجنة الهدنة المشتركة، فعارض أعضاء هيئة الأمم المتحدة دخول الطرفين من سلطات الأمن، من العرب واليهود، إلى المنطقة، واوعزوا بوجوب التقيد بذلك، وأنهم سيشكلون قوات أمن عربية من سكان المنطقة أنفسهم تحت اشرافهم بحسب قرار هيئة الأمم. التزمنا نحن بهذا القرار، وتوقفت عن الذهاب إلى تلك القرى. ولكن اليهود ما لبثوا بعد أيام أن أدخلوا قواتهم العسكرية اليها، وفرضوا وجودهم. نحن، طبعاً، احتججنا الى لجنة الهدنة على هذا الإجراء.

١٩٤٩/٥/١٢

ذهبت إلى قرية دير الغصون، وقابلت المختار السيد عبدالله الفياض وجماعته، ومدير المدرسة السيد أحمد بدوي، وكشفت معهم المنطقة بينها وبين عتيل وزيتا سيراً على الأقدام نظراً لوعورة الطريق، وخططت لفتح طريق ترابية بينهما وبين مفرق طريق باقة الغربية كطريق بديل عن الطريق الرئيسي المعبّد بين شويكة، وباقة الذي أصبح في الجانب اليهودي، وجرى فتح هذا الطريق بواسطة آليات الكتيبة وجنودها وتعاون المواطنين، ثم جرى تعبيدها فيما بعد.

١٩٤٩/٥/١٤

حضر الوكيل المهندس خسروف عجميان «وصل إلى رتبة لواء»، وهو أرمني الأصل من قيادة الجيش، واشترك معه مهندس يهودي هولندي الأصل والجنسية اسمه حاييم قاون، وباشرا بوضع إشارات بارزة وثابتة على الأرض باشراف مهندس من مراقبي الهدنة إعتباراً من قرية ديربلوط شمالاً ماراً بقرى كفرقاسم- قلقيلية- طولكرم- شويكة- باقة الغربية- يعبد- جنين- زبوبا- الجلمة- فقوعة- جلبون- تل الردغة- وحتى نهر الأردن. وكنت أشرف على أعمالهم، وصار هذا هو خط الهدنة المتعارف عليه بين الطرفين.

جرت بعض التعديلات أثناء ترسيم خط الهدنة على الأرض بالاتفاق مع الجانب اليهودي، وإشراف مراقبي الهدنة؛ وعلى أساس الأمر الواقع، وذلك لأن الخط وضع على الخارطة ارتجالاً، ومن دون دراسة. فقد وجدنا أثناء تطبيقه عملياً أن تقتطع أجزاء من عدة قرى، ومواقع حيوية لا يمكن فصلها، وجرت عدة تعديلات سيرد ذكرها لا حقاً. كانت واحدة من هذه المشاكل التي واجهتنا في قرية برطعة الخط الذي يقسمها إلى شطرين وهي طبيعياً كذلك لأنها واقعة على جانبي واد صغير. وجاء خط الهدنة في منتصفه، فصار القسم الشرقي في جانبنا، والغربي الى جانب اليهود، وفي اجتماع مشترك مع لجنة الهدنة واليهود قال المقدم موسى ديان بكل سهولة ومن دون نقاش، وبنوع من اظهار التسامح، إنه على استعداد لإعطائنا القسم الغربي من القرية لإبقائها موحّدة. لقد شككت في هذا التسامح، واستدعيت المختار والهيئة الاختيارية، وكان المختار من سكان الحي الغربي، وهو يخشى طبعاً أن يخالف رأي اليهود، فوافق، هو وبعض الأعضاء، على رأي ديان، وسكت الباقون. وقد غضب المختار قائلا: إن برطعة قرية صغيرة، وفيها مدرسة واحدة ومسجد واحد، وحتى مقبرة واحدة. ومن الصعب تقسيمها، لا سيما أن العائلات موزعة في كلا الجانبين، وكان كلامه منطقياً ومعقولاً، وكدت أقنع به لولا أن شاباً منهم اسمه مسعود أسعد انبرى لليهود بحماسة قائلا: إن اراضي القرية الزراعية كلها واقعه غربي الوادي، وهنالك نحو ثمانية آلاف دونم أغلبها مزروع بالزيتون، ويطمح اليهود إلى اعطائنا البيوت، ووضع الحد على حافتها من الغرب ويستولون على الأرض. وعندها صدق

حدسي، وأدركت اللعبة اللئيمة، فرفضت قبول هذا التسامح نهائياً. كان معي شخص من طولكرم يرافقني في هذه الاجتماعات، وهو يتقن اللغه العبرية جيداً، وكنت البسه الملابس العسكرية، وأوصيه أن لا يتكلم اللغة العبرية إطلاقاً، بل عليه أن يستوعب أحاديث اليهود فيما بينهم، ويشرحها لي بعد كل لقاء، ذلك لأنني جربت هذه الطريقة مع اخرين قبله، لكنهم لم يصبروا على عدم النطق بالعبرية، إما للتباهي أو بسبب الجهل.

أكدت لموسى ديان والمراقبين بقاء الحي الغربي من القرية معهم. وقد همس المترجم بأذني قائلاً إن ديان أوعز لأحد ضباطه بأن يأخذ مسعود إلى الوادي تحت القرية بعد مغادرتي ويقتله. وبعد انتهاء الاجتماع، وبحضور مراقبي الأمم المتحدة ومنهم صديقنا المقدم الفرنسي بيرجو ركبت سيارتي الجيب، وأدرت محركها، ثم ناديت مسعوداً فحضر إلي، وأمرته بالركوب إلى جانبي ففعل. وخلال ثوان تحركت عائداً إلى طولكرم، فارتبك اليهود بالمفاجأة، ولم يعرفوا كيف يتصرفون خاصة أن معي سيارتي حراسة. وفي الطريق اطلعت مسعوداً على الحقيقة، وسألته عما إذا كان له أقارب في الأردن، فقال إن له شقيقة تسكن في الزرقاء ، فقلت إذهب إلى هناك ولا تعد إلى برطعة ابداً. فقال إن ابويه وبعض اشقائه هنا في برطعة، وفي الحي الغربي الذي مع اليهود، فقلت لا تخف إنهم لن يعملوا شيئاً ضدهم، وذهب ولم أره بعدها إلاّ حينما عدت من مصر عام ١٩٦٩، وعينت مديراً لشرطة السلط، حيث وردت إلي رسالة مع أحد جنود حرس سجن عمان من مسعود تفيد بأنه محكوم عليه بالسجن المؤبد بتهمة كونه عميلاً لليهود، بدعوى أنه يذهب إلى برطعة، ويتسلل إلى القسم الغربي، أو أنه يبقى في القسم الشرقي ويتسلل اليه اقاربه، ويجتمعون. وقد ثبت عليه ذلك، عدة مرات بموجب شهود عيان، واسندت اليه تهمة نقل المعلومات إلى اليهود، والتعاون معهم. وذكر في رسالته أنني الوحيد الذي يعرف موضوعه، وأضاف: أنني كنت أذهب فعلاً إلى برطعة لأرى والدي واخواني كما تعرف، وأنه لولا تدخلي لقتله اليهود. قابلت جلالة الملك حسين وشرحت لجلالته هذه القصّة، وبعد بضعة أيام حضر الأخ مسعود إلى مكتبي بالسلط مفرجاً عنه بارادة ملكية، وقد قدم لي هدية من صنع يديه في السجن هي صورة للصخرة المشرفة مصنوعة من الخرز الصغير الملّون ما أزال احتفظ بها كذكرى لتلك الأحداث المؤلمة.

عاد مسعود وطلب مساعدته للحصول على جواز سفر، والسماح له بالذهاب إلى الكويت فسهّلت مهمته وسافر، وحينما ذهبت سفيراً إلى الكويت عام ١٩٨١ فوجئت بمسعود واولاده يحضرون إلى بيتي للسلام علي، وقال إنه يمتلك قطعة أرض في جنوب العراق، وقد أقام فيها بيتاً للسكن ومزرعة، وهو يعيش هناك بصورة دائمة ولا ادري ماذا صنعت به أحداث العراق، أرجوله ولأولاده السلامة:

١٩٤٩/٥/١٥

ذكرى يوم دخولنا فلسطين في العام الماضي، ذكرى أليمة حقا. وقفت اليوم على خط الهدنة غربي قلقيلية، ومعي السيد عبد الرحيم السبع رئيس المجلس المحلي، واستعرضنا الأحداث التي مرّت خلال العام الماضي بكل ألمٍ وأسى، وذهبت إلى قرية زيتا في الشمال، ووقفت نفس الموقف، أنظر إلي الجانب الاخر غرباً إلى الأراضي التي أصبحت يهودية تفصلها عنا اشارات وحدود وعلامات الهدنة، والتي ما كانت يهودية عبر الزمان. مرّت سيارة يهودية على بعد أمتار مني، ووقف أحد ركابها، وناداني بلهجة عربية ركيكة قائلا: «حرام عليك تقف هون في أراضي دولة إسرائيل» ثم ابتعدت السيارة عني.

١٩٤٩/٥/١٦

عقد اجتماع أمام محطة سكة حديد طولكرم مع الجنرال بيرنز كبير مراقبي الهدنة، حضرته أنا والمقدم موسى ديان، وبعض ضباط الطرفين، وتم الاتفاق على السماح للمواطنين من شرقي خط الهدنة بحصاد مزروعاتهم، وجني ثمارهم لهذا الموسم الذي نضجت فيه بعد وضع خط الهدنة، وخلال الاجتماع عرض على ديان أن نعطيهم محطة سكه حديد طولكرم ليستفيدوا من استعمال الطريق الحديدية إلى محطة اللد، لأن خط الهدنة جعل المحطة، وبضع مئات الأمتار من الطريق بجانبنا، رغم أن الطريق من حيفا إلى باقة الغربية ومنها إلى اللد بايديهم، على أن يعيدوا الينا أربعة أضعاف مساحة المحطة في أي مكان نختاره غربي خط الهدنة، وقد رفضت هذا الطلب رأساً، ومن دون الرجوع لأي مرجع، وذلك بقصد بقاء خط القطار معطلاً، ولكن اليهود قاموا بإنشاء طريق بديل غربي المحطة واستعملوه فيما بعد.

١٩٤٩/٥/١٧

ذهبت إلى قرية بديا، ومنها إلى عمان، أنا وابن العم الدكتور رفعت عودة، وقابلنا السيد حمد الفرحان رئيس الجانب الأردني في لجنة الهدنة، وبعض أعضائها، وتشاورنا حول استبدالي من العمل في اللجنة لأنني لم أكن راغباً فيه، وفي مجالسة اليهود لحل مشاكل الحدود المعقدة، وهو حرق للأعصاب. ووصلنا إلى قرار الاستمرارية لأن هذا العمل لا بد منه على أساس أن استمراري يخفف المصاعب، ومشاكل الحدود التي صرت مطلعاً عليها.

١٩٤٩/٥/٢٦

جرى اجتماع لجنة الهدنة في مركز بلدية باقة الغربية قدمت فيه عده شكاوى عن تجاوزات اليهود للاتفاقية، وإدخال بعض قواتهم المسلّحة إلى قرى جت، وميسر خلافاً للاتفاقية. وتقرر منعهم من ذلك، والأكتفاء باشراف أفراد الشرطة مؤقتاً، والمباشرة بتجنيد شرطة عربية بديلة في القرى نفسها.

١٩٤٩/٥/٢٧

اجتمعت في قيادة الكتيبة السابعة في مخفر سيلة الظهر مع قائد اللواء نيومن، وقائد الكتيبة خالد الصحن، وقائد الكتيبة السادسة عبدالله التل الذي حضر من القدس،وشرح لنا عن تسرّب اليهود من حي مشيرم، واقامتهم في البيوت العربية الخالية من السكان في المنطقة الحرام، وأنهم قد شغلوا حوالي نصف المنطقة، وأن لجنة الهدنة، ليست لديها السلطة الفعلية لمنعهم، أو اخراج الذين سكنوها فعلاً، وأن هنالك تقصيراً يتمثل في عدم اسكان أصحاب البيوت الأصليين فيها طالما أن الهدنة تشمل الجميع، وقال إنه يخشى من استيلاء اليهود على المنطقة الحرام كلها بهذه الطريقة، وقد وعد قائد اللواء بان يتصل مع القيادة لهذه الغاية.

عرض حل اداري لمدينة القدس

١٩٤٩/٥/٢٩

جرى اجتماع لجنة الهدنة في القدس برئاسة الجنرال بيرنز، حضره السادة حمد الفرحان، وعبدالله التل، وأنا من الجانب العربي، والدكتور بيران، وموسى

ديان، وراماتي من الجانب اليهودي. وجرى بحث مطوّل حول إجراء تقسيم إداري في القدس عرضه ديان لتثبيت خط الهدنة بشكل يعيد الحياة الطبيعية اليها. انتظاراً للحل النهائي لقضية فلسطين عرض ديان أن يكون خط الهدنة حداً ماراً من مركز شرطة القدس في الطريق الغربي من منطقة الشيخ جراح، وغرب المصرارة، ثم يسير غرباً خارج سور القدس إلى باب الخليل، ثم يتجه جنوباً في الطريق الرئيسي المار بحي البقعة إلى بيت لحم، ويكون شرقي هذا الخط عربياً، وغربه يهودياً، وأن يسمح لليهود بالمرور إلى حائط المبكى بطريقة حرّة، وكذلك المرور من حي سانهدريا الى الجامعةالعبرية، ومستشفى هداسا، وأن يجري العمل على إعادة الحياة الطبيعية إلى القدس.

كان بودنا عرض هذا الاقتراح على الحكومة لاقراره لولا أن القضية حسّاسة، وأن اي إجراء من هذا النوع من شأنه السير في تجزئتها، ولسنا نحن الطرف الوحيد فيها. ولذلك لم نبت بهذا الاقتراح وتركناه معلقاً، واقترح عليّ بعضهم أن أذهب، واعرض الموضوع على كلوب باشا، وذهبت إلى عمان وقابلته، وشرحت له الموضوع، فقال بطريقته المعروفة، ما هو أنا انجليزي، وكيفما تدخلت فلا يعتبر رأيي مقبولاً في هذا الظرف، وأرى أن تذهب إلى رئيس الوزراء توفيق باشا ابو الهدى، وتطلعه على الموقف. وقد كلّم توفيق باشا هاتفياً، وذهبت اليه وقصصت عليه ما دار في الجلسة المشار اليها، فقال إن الموضوع حساس جداً، ومهم للغاية، ولكن من الصعب علينا أن نتبناه لأنه يخص أهل البلاد انفسهم، ومن المؤسف أنهم ليسوا في وضع يمكّنهم من التدخل، وليست لهم سلطة فعلية تمثلهم، وتمارس حق التفاوض وقبول هذا الاقتراح أو عدمه، ونحن حضرنا للمنطقة كجزء من الجامعة العربية، ولا يمكننا التصرف في هذه الأمور، والأحسن أن لا تفتحوا مجالاً لبحثها ودعته وعدت إلى مركز عملي في طولكرم بعد أن مررت بالقدس، واطلعت بعض الزملاء على الموقف.

١٩٤٩/٥/٣٠

اجتمعت مع لجنة الهدنة والمقدم موسى ديان غربي كلية خضوري في طولكرم، وتحدد يوم ٦/١ موعداً لدخول المزارعين من جانبنا إلى أراضيهم غربي خط الهدنة الجديد لجني محصولاتهم بشرط أن لا يدخلوا المستعمرات اليهودية في تلك المنطقة، وكان معي السادة راضي النابلسي، ونعيم عبد الهادي، وحافظ حمدالله أحضرتهم

معي بناءً على ترتيب مسبّق مع ديان ليتفقدوا مزارعهم في المنطقة التي عزلها خط الهدنه، وأصبحت في الجانب اليهودي، وفي ١/٦ باشر المزارعون بالدخول عبر خط الهدنة، وحصاد مزروعاتهم، ونقلها إلى جانبنا.

وانتهى اليوم بشكل عادي. وفي اليوم الثاني حضرت دورية يهودية للمنطقة قرب قرية بيرالسكة غربي شويكة، وكانت تسير على خط الهدنة دورية مماثلة من جانبنا. وكان أحد افرادها الجندي عواد حزام وقد شاهد الجنود اليهود يمرون من أمامه على بعد بضعة أمتار، وهم ثلاثة جنود، فأطلق النار عليهم من رشاشته فقتلهم جميعاً.

توقف الحصاد في ذلك اليوم، وعاد المزارعون إلى شرقي خط الهدنة، وعقد إجتماع مع لجنة الهدنة، والجانب اليهودي، وتقرر استئناف الحصاد، وتشكيل هيئة تحقيق للجندي المعتدي. تشكلت الهيئة، فأفاد الجندي عواد بأنه سمع الجنود اليهود يوجهون عبارات معيبة للنساء العربيات، وهن يعملن في الحصاد، ولم يتحمل سماع ذلك فقتلهم. وقد ثبت إدعاؤه هذا بشهادة عدد من الشهود. تشكل مجلس عسكري لحاكمته برئاسة المقدم حابس المجالي، أثبتت هيئة التحقيق في محضرها أن الجنود اليهود قد لفظوا كلمات بذيئة ومعيبة أثارت حميّة الجندي عواد، فاطلق النار عليهم، وقررت المحكمة ترفيع عواد إلى جندي أول، ومنحه اجازة شهر وتم ذلك.

الغريب في هذا الموقف هو أنني ذهبت بعد وقوع الحادث، ووقفت عند جثث الجنود القتلى وحضر ضابط يهودي ومعه ثلة من الجنود بسيارة نقلوا الجثث فيها، ولم يعترضني أحد منهم ، ولم أفطن إلى هذه المخاطرة إلاّ بعد ذهابهم وعودتي.

١٩٤٩/٦/٨

جرى اجتماع في خربة جبارة قرب الطيّبة للطرفين، نحن واليهود ومندوبي الأمم المتحدة، وتداولنا وضع خط الهدنة الذي كان قد تم من دون دراسة واقعية للمنطقة. وكان يقتطع أجزاءً من بعض القرى والمواقع لها تأثير حيوي، ومن الصعب تطبيقه على الأرض، ومن هذه المواقع ما يلي:

يقتطع مدرسة قرية فرعون. ونحو اربعة وعشرين بيتاً من قرية شويكة، ومدرسة قرية زيتا، ومعها البئر الأرتوازي الوحيد الذي يزودها بالماء، ويعطي قرية نزلة عيسى كلها لليهود، ويقطع قرية برطعة إلى نصفين.ونتيجة لمباحثات متكررة، ومعقدة لهذه اللجان جرت بعض التعديلات على هذا الخط، وأعيدت لنا مدرسة فرعون، وحي شويكة «لم أزل أذكر شيخاً مسناً من قرية شويكة بقي بيته بعيداً عن خط الهدنة غرباً حتى أن التعديل لم يصله، وعندما رأى المهندسين يضعون الإشارات شرقي بيته وكنت معهم في ذلك اليوم جاء متحمساً يشتم ويلعن قائلاً: إن هذه قلة حياء ووقاحة، وما بقي علينا إلا أن تسكنّوا اليهود مع نسائنا».

أصررت على دفع خط الهدنة وراء بيته، وعقدت جلسة خاصة تشدد المراقبون فيها، أيضاً، وجرى ضم بيته وارضه الينا، والله أعلم بالعواقب.أعيدت لنا مدرسة زيتا وقرية نزلة عيسى، وجرى نقل مخفر شرطة يهودي كان قد اقيم فيها، وأسماها المختار سعيد ابراهيم نزلة صالح باسمي على أساس انني استرددتها لهم من اليهود، وبقيت قرية برطعة مقسمة إلى نصفين. ولها قصة خاصّة سبق ذكرها. وقد شملت التعديلات استعادة الف دونم غربي قرية زيتا مع البئر الأرتوازي الذي سبق ذكره، وخمسمائة دونم من أراضي دير الغصون، ومائة وخمسين دونماً من أرض شويكة، ومائة دونم من أرض فرعون مع المدرسة، والف دونم من أرض قلقيلية، وألف وخمسمائة من أرض دير بلوط، وألف ومائتي دونم من أرض بدرس، وهي كل ما تبقى لهذه القرية من اراضيها. هذه كلها أشياء صغيرة اذاما قورنت بما ضاع من أراض نتيجة لسوء التصرف، والحملات المدروسة والمركزة من قبل سلطة الأنتداب، والتنظيمات اليهودية، والتخلف العربي.

١٩٤٩/٦/١٥

حضر كلوب باشا إلى نابلس وتحدث في اجتماع لضباط الجيش والأمن العام في المنطقة، عن عدم شمول المعاهدة القائمة بين الأردن وبريطانيا الدفاع عن الضفة الغربية، وقال إن الموضوع مدار بحث بين الحكومتين، وإن بريطانيا غير ملزمة حالياً بالدفاع عن الجزء الفلسطيني الذي تحتله الأردن، ولذلك علينا أن لا نقوم بأعمال استفزازية في هذه المنطقة، وأن نمنع أعمال التسلل والسرقة داخل الأراضي المحتلة

حتى لا نجر اليهود إلى معركة نحن على غير استعداد لها. وحتى لو أن بريطانيا أرادت تقديم المساعدة لنا في حالة استئناف القتال لأغراض الدفاع عن شرقي الأردن، فأن الأمر يحتاج إلى موافقة البرلمان البريطاني، ثم تحضير القطعات لتصلنا بحراً عن طريق العقبة المنفذ الوحيد إلى الأردن، وسيأخذ هذا الإجراء وقتاً طويلاً من لحظة طلب المساعدة حتى وصولها إلى العقبة، ولذلك ما علينا إلا أن نحول دون الوصول إلى هذا الموقف، ثم تحدث عن إمكانيات الأردن المادية والعسكرية، وقارنها مع القوات اليهودية وامكانياتها، وأظهر عدم وجود وجه مقارنة بين الطرفين. وعندما انهى محاضرته استوضح عما إذا كانت هنالك أسئلة، ونظر إليّ عدد كبير من الضباط دون أن يتكلموا، ولكنني فهمت مضمون نظراتهم، فرفعت يدي طالباً الكلام، وسمح بذلك فوقفت، وتحدثت عن القوة العددية للشعب الفلسطيني، وعن استعداده للتضحية، وعن إمكانية تسليحه بالتعاون مع البلدان العربية، وتنظيم حرب العصابات، وشل حركة اليهود باعمال تخريبية، وصدامات مسلّحة على طول حدودهم مع الأردن وسوريا ولبنان ومصر. وقلت إن سلاحاً خفيفاً على مستوى بنادق وعتاد يكفي لمثل هذه العمليات، وسقت أمثلة على شعوب حررت بلدانها من الاستعمار، أو من السلطات الغاشمة بهذه الطريقة، وأن هنالك إمكانية لتدريب ما لا يقل عن مائة ألف رجل لهذه الغاية. وأكدت أن المئات والألوف من الشعب الفلسطيني لم يسبق لهم أن لمسوا السلاح بأيديهم، ولم يشاهدوه إلا من بعيد مع الجنود البريطانيين، أو رجال الأمن أيام الانتداب. جميع هؤلاء مستعدون للتضحية، ويلتهبون حماسة إذا أتيحت لهم هذه الفرصة، كما أن هنالك الكثيرين من الأقطار العربية الذين يحملون هذا الاعتقاد، وعلى استعداد للتضحية والفداء. وتكلمت عن تعامل سلطات الانتداب مع اليهود، وتدريب رجالهم على مختلف الأسلحة، وإتاحة حملها بمختلف الطرق والتسميات كحرس مستعمرات، أو متطوعي الحرب مع الحلفاء، وتدريب ضباط وضباط صف وجنود في صفوف قوات الاحتلال، وحلفائها خارج وداخل فلسطين، وذكرت بعض مشاهداتي الشخصية مع بعض الرفاق في الجيش وأعمال تدريب اليهود في مختلف الدورات العسكرية في حيفا باشراف قائد منطقة حيفا الجنرال أرسكين. ثم تكلمت عن تعامل هذه السلطات نفسها مع العرب

بالشكل الذي لا يخفى على أحد من تطبيق الأحكام التي كانت تصل إلى الإعدام بحق من يحملون السلاح، أو يقتنونه من العرب، وابرزت صورة واضحة عن تعامل سلطات الأحتلال مع العرب ومع اليهود مما أوصل عرب فلسطين إلى الحالة التي نراها ونعرفها. لم يعلق الباشا على كلامي، ولم يكن في الحقيقة ما قلته خافياً عليه سوى أنه قال سنبحث هذا الموضوع مع الحكومة لتقرر ما تراه مناسباً. والواقع أن هذه الاجراءات ليست من صلاحياته وحده، وأن الأردن ليست لديها الإمكانيات للقيام بهذا العمل من الناحية المادية، وأن على دول الجامعه العربية كلها، أو البلدان العربية المحيطة بفلسطين أولاً أن تتعاون في هذا المجال. وبعد بضعة أيام جرى تنسيبي للالتحاق في دورة عسكرية في بريطانيا للمرة الثالثة، فذهبت إلى مدرسة المشاة في معسكر وورمنستر لمدة خمسة أشهر في دورة قادة كتائب. وبعد انتهاء الدورة جرى انتدابي ملحقاً عسكرياً بالوكالة في لندن لمدة ثلاثة أشهر، جرى بعدها تنسيبي للالتحاق بكلية الأركان، فاعتذرت بأن لغتي الأنجليزية لا تساعدني على المسير في هذه الدورة بنجاح، في الحقيقة إنني لم أكن راغباً في الأبتعاد عن الأردن أكثر من ذلك. ووافقت القيادة على اعتذاري، وعدت لأجد أنني قد عينت ركن تدريب واستخبارات في قيادة اللواء الأول، وهو عملي السابق في اللواء. كان قائد اللواء الزعيم سام كوك الذي سبق أن كان قائداً للقوات البريطانية في منطقة قناة السويس برتبة لواء، وقوامها ثمانون الفاً وهم من الضباط المعروفين بكفاءتهم في الجيش البريطاني، وبعد أسبوع جرى نقل اللواء من نابلس إلى المفرق بهدف أخذ قسط من التدريب في المناطق الشرقية الخالية من السكان. وهناك بدأنا بالتدريب الإفرادي والإجمالي، ومراحل الحرب المعروفة لدى العسكريين، جرى، بطبيعة الحال، التقارب والتفاهم بين الضباط الذين يشعرون بعجرفة بعض الضباط الأنجليز واستعلائهم وخصوصاً أولئك الذين سبق لهم العمل في المستعمرات، أو الذين رفعوا استثناءً تعويضاً للخسائر ولسد النقص أثناء الحرب، وكذلك تصرفات بعض ضباطنا الذين حصلوا على رتب عالية بطرق عرفية، وكانت بعض تصرفات الطرفين تبدو شاذّة، وأحياناً سخيفة. كنا دائماً نبحث كيفية قيادة وحدات جيشنا من قبل ضباطنا الذين كانوا يبدون أحياناً أفضل من بعض قادتهم، وقد استمر هذا الوضع مدة عامين.

التقيت مع الرئيس محمود الروسان الذي كان يقوم بمثل عملي في اللواء الثالث حيث زرته في بيته في معسكر الزرقاء، وتحدثنا في الموضوع نفسه طويلاً، واتفقنا على بث روح التعاون بين صغار الضباط، والتوعية بهذا الواقع تدريجياً، وأن نعمل على توليهم قيادات الفئات والسرايا، وإشراكهم في الدورات العسكرية وتقوية روح الصداقة والتعاون بينهم.

١٩٥٢/٢/١٧

عينت ملحقاً عسكرياً وجوياً في لندن، وسافرت اليها وباشرت العمل الذي مارسته بعض الوقت، كما سبق أن ذكرت. وبعد مضي شهر تقريباً وصل الأخ محمود الروسان إلى لندن في طريقه إلى واشنطن حيث عيّن ملحقاً عسكرياً هناك. كان الأخ محمود يضع كل ما في قلبه على لسانه، ولا شك في أن طريقة تعامله مع صغار الضباط، ونقل ملاحظاتنا اليهم كانت من أسباب هذه التنقلات، كنت قد وصلت إلى لندن يوم ٢٤/ ٢/ ١٩٥٢، وكأنني عائد من إجازة، وواصلت العمل الذي لم يكن جديداً علي لأنني مارسته ثلاثه اشهر كما سبق ذكره. وكنت على معرفة وعلاقه مع جميع موظفي السفارة والملحقية، وكذلك مع السفارات العربية والأجنبية، ووزارة الحربية، والدوائرذات العلاقة بعملي. كان السفير الأردني لم يزل السيد فوزي الملقي الذي كانت علاقات الصداقه قائمة بين عائلتينا في إربد، واستمرت فيما بعد، وقد امضينا مدة سنة معاً ، عاد بعدها مع سمو الأمير حسين إلى عمان في مطلع عام ١٩٥٣، حيث جرى تتويج سموه ملكاً، وجرى تعيين السيد فوزي رئيساً للوزارة. وجاء بعده السيد سليمان النابلسي سفيراً، وتمتنت الصداقة بيننا. وفي نهاية العام نقل السيد سليمان وخلفه السيد يوسف هيكل، ثم التحقت بدوري في كلية الأركان البريطانية. كانت مكاتب السفارة في العمارة رقم ٦ بحدائق فليمور في حي هاي ستريت كنز نجتون، وفيها جهاز السفارة، ومكتب الملحق العسكري. وفي العمارة ١٦ المجاورة تقيم بقية الجهاز الأداري للملحقية. وفي العمارة ١٨ نادياً للضباط، وشقق لإقامة القادمين من وإلى الدورات. كان الضباط يشتركون في مختلف دورات مدارس الجيش البريطاني من قادة الفئآت إلى كلية الأركان لعدم وجود مدارس عسكرية بهذه المستويات في الأردن آنذاك.

كان اللواء جون باجت كلوب المتعارف عليه باسم كلوب باشا رئيساً للأركان، ويتردد دائماً على لندن لمتابعة الأعمال الأدارية والعسكرية مع وزارة الحربية وغيرها من فروع الدولة البريطانية. وقد تعرفت بواسطته على الكثيرين من القادة السياسيين والعسكريين البريطانيين في مختلف المواقع السياسية والعسكرية. سبق أن كان كل من جلالة الملك حسين وجلالة الملك فيصل، أولياء عهد الأردن والعراق، يدرسان في كلية هاروا قبل تتويجهما. وبعد أن أتما الدورة جاءني اشعار من القيادة لإدخال سمو الأمير حسين في كلية ساندهيرست لمدة ستة أشهر حيث سيبلغ سن الثامنة عشرة، ويعود للأردن ليتوج ملكاً.

أخذت موافقة وزارة الحربية، وإدارة الكلية، وذهبت مع سموه وقابلنا قائد الكلية الجنرال دوني، وأطلعته على نسخة موافقة وزارة الحربية بشأن مدة الدورة المطلوبة، وداوم في الكلية باسم المرشح الضابط الأمير حسين، وصار الكل ينادونه بهذا الأسم، وجئت في اليوم الثاني من التحاقه فوجدته منهمكاً في تنظيف بندقيته وتجهيزاته، وتلميع أحذيته أسوة بباقي زملائه، واصابعه مغمورة بالكيوي، وزيت السلاح، ويبدو عليه الجد والنشاط. قابلت الجنرال دوني، وسألته عن أوضاعه، فضحك وقال إنه بمجرد أن ارتدى الملابس العسكرية بدأ يحيي الضابط ويقف وقفة عسكرية أمام الرؤساء والمدربين، وقد استمر جلالته على هذا الوضع منذ تلك الأيام، ولم يزل يقف ويمشي بصورة عسكرية، وفي كل مناسبة حتى يومنا هذا.

في معظم المناسبات التي كنت أقابل جلالته فيها كان الحديث يدور حول التخلص من الضباط الانجليز في جيشنا، وإحلال الأردنيين محلهم. وكان يقول بحماسة إنه ينتظر اليوم الذي يرى فيه أننا نقود جيشنا بأنفسنا. أحاديث متشعبة كانت تدور حول هذا الموضوع سأتعرض لبعضها. بعد مغادرة الضباط الأنجليز للأردن والمنافسات التي جلبت الكثير من المشاكل، وكل من عايش تلك المرحلة يلمس أسبابها ومشاكلها. انتهت مرحلة ساندهيرست، وعاد جلالته إلى عمان، وجرى تتويجه يوم ٣/٥/١٩٥٣.

بحث موضوع جلاء القوات البريطانية عن الأراضي المصرية في البرلمان البريطاني

في أواخر عام ١٩٥٣ كانت مناسبة في سفارتنا بلندن حضرها السيد محمود فوزي وزير الخارجية المصرية، والشريف زيد بن الحسين سفيرالعراق، وسفير الأردن السيد فوزي الملقي، والملحقون العسكريون كل من الزعيم غازي الداغستاني من العراق، والعقيد محمد المغربي من مصر، وأنا، وآخرين من السفارات العربية. ودعي اليها السيد انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية، والسيد سولسبري رئيس الديوان الملكي البريطاني: أخذ السيد محمود فوزي بيد السيد أنطوني ايدن قائلا: تعال يا عزيزي نجلس ونناقش بعض الأمور، ونغتنم فرصة هذا اللقاء، وجلسنا وسكت الجميع عفوياً يستمعون لحديثنا، بدأ الحديث فوزي قائلاً، يا عزيزي نحن واياكم أصدقاء قدامى، وبين بلدينا مصالح حيوية مشتركة، غالباً أنتم المستفيدون اكثر، فنحن نستورد معظم احتياجاتنا من مصنوعاتكم، وقد اعتاد عليها شعبنا، وهو يفضلها على معظم منتجات البلدان الأخرى، رغم أنه قد توجد صناعات أجود وأقل ثمناً منها، ونعطيكم تسهيلات في قناة السويس لا نعطيها لغيركم، نبيعكم القطن المصري الذي يندر وجود مثله، ولا نبيعه لغيركم وكذلك الأرز المصري، ساعدناكم أثناء الحرب الماضية بمواد تموينية وغيرها، واعطيناكم تسهيلات كثيرة كنتم بأمس الحاجة اليها. أعطيناكم تسهيلات عسكرية وأمنية على قواعدكم ومستودعاتكم ومواصلاتكم. لا شك في أن قادة المعارك قدروها حق تقديرها. وبيننا اتفاقيات مثل جميع البلدان الصديقة: إنتهت الحرب لصالحكم، فبدأتم تعاملوننا كبلد مستعمر. قواتكم في منطقة القنال بحدود ثمانين ألفاً بدأت تعاملنا كقوات إحتلال على أراضي دولة معادية، وقد اعتدت على عدّة مخافر للشرطة المصرية، وقتلت وجرحت وأسرت معظم افرادها. نحن أصدقاء وحلفاء رسمياً، لكنكم تعاملوننا كأعداء. لقد تحرك الشعب المصري ضدكم في هذه المرحلة وهاهم الفدائيون يقتلون ويجرحون من جنودكم كل يوم، ويهاجمون قواتكم في كل مكان، ولا يجرؤ أي من جنودكم على دخول المدن والقرى المصرية خارج منطقة القنال، أعني أنكم تقيمون بيننا أعداء، وليس أصدقاء وحلفاء.

إن القنال لم يعد ما نعاً مائياً في الحروب الحديثة وأمام الأسلحة المتطورة، فلماذا لا تسحبون قواتكم هذه، وتوفرون النفقات الباهظة عليها، وفي الوقت نفسه تحافظون على صداقتكم وتعاونكم معنا كما في السابق. لقد بدأ الشعب المصري يقاطع البضائع الأنجليزية تلقائياً، وربما تضطر الدولة لإيقاف الاستيراد من بريطانيا. ويرتبط معظم التجار مع بلدان كثيرة، ويستورد البضائع منها. وهنالك بلدان تطلب شراء القطن المصري، وقد نضطر لوقف بيعه اليكم قريباً.

وهكذا عدّد السيد محمود فوزي أخطاءً ترتكبها بريطانيا ضد مصلحة الطرفين. وكان يتكلم باسلوبه الهادئ العذب المعروف «لقد زرته في بيته في القاهرة حينما عيّنت مندوباً للأردن في القيادة العربية المشتركة في مرحلة لاحقة، وهو يعيش حياةً بسيطة عادية خالية من المظاهر. وكانت أجور بيته ثمانية جنيهات شهرياً». وفي نهاية الحديث قال إيدن، إن كل هذه النقاط تستحق الدراسة، وهي على جانب عظيم من الأهمية، وسنبحثها على مستوى الدولة، وكان الاقتناع بما قاله فوزي بادياً عليه، وهو يصغي بكل إهتمام.

وبعد بضعة أيام طلبني العقيد محمد المغربي، الملحق العسكري المصري هاتفياً، وقال لي إن البرلمان البريطاني سيناقش غداً النقاط التي أثارها السيد محمود فوزي أمام إيدن في سفارتكم، فدعونا نذهب، أنت وغازي الداغستاني وأنا، لحضور الجلسه. ثم قال: أنا أخذت تذاكر دخول الجلسة لنا الثلاثه سلفاً، ذهبنا إلى البرلمان، وكان السفير المصري السيد كامل عبد الرحيم حاضراً. حضر الوزراء يتوسطهم السيد ونستون شيرشل رئيس الوزراء، وعلى يمينه السيد انطوني ايدن، وعلى يساره السيد سولسبري رئيس الديوان الملكي، أو كما يسمونهم حامل أختام الملكة، وجلس جميع أعضاء البرلمان، وفي مواجهتهم السيد أتلي زعيم المعارضة، ومجموعة ممثلي أحزاب المعارضة.

وقف السيد ايدن، وشرح بالتفصيل جميع النقاط التي أثارها السيد محمود فوزي، ونقاطاً أخرى عن وجهة نظر السفارة البريطانية في القاهرة، وقيادة القوات البريطانية في منطقة القنال، وقال: إن الحكومة ترى وجوب الجلاء عن قاعدة قناة السويس بموجب اتفاقية مقترحة، وقد شرح نقاط الاتفاقية التي أعدوا صورتها،

وكان أهمها إبقاء من ٣-٥ آلاف فنيّ ومهني في القاعدة بملابس مدنية لصيانة المواقع العسكرية والمدنية الإدارية، وجلاء بقية القوات اقتصاداً للنفقات. وحفاظاً على صداقة مصر، نبقي على علاقات طيبة اقتصادياً وتجارياً، ومرتبطين باتفاقات دفاعية تخولنا العودة في حالة الحرب، أو الإنذار بالحرب، وحتى إذا تعرضت بلدان الشرق الأوسط بما فيها تركيا لخطر الحرب يحق لنا العودة إلى المنطقة بموجب الاتفاقية المقترحة، وعندها نعود حلفاء وأصدقاء، لا اعداءً كما هو الآن عملياً، وعندها نستعمل الطرق البحرية والبرية والقواعد الجوية برضاء وترحيب مصر. ها نحن الآن اعداءً للمصريين، ومدنهم وقراهم محرمة على جميع صفوف افرادنا هناك الذين يتعرضون للاعتداء يومياً. لقد قررت حكومتنا هذا الإجراء، ووضعت مسودة إتفاقية تشمل النقاط التي شرحتها لكم، ولابد من التصويت عليها، وأخذ موافقة البرلمان .

وقف السيد اتلي زعيم المعارضة وقال: نحن رحلنا عن الهند التي كانوا يسمونها درّة التاج البريطاني رحلنا دون إجبار، أو إكراه وتركناها تقسّم نفسها إلى دولتين هما الهند وباكستان، وكانت تجربة قاسية لنا هي انفصال الهند كلها عن التاج البريطاني فلماذا نكرر هذه الغلطة ونجلو عن مصر، ومن سيرغمنا على هذا الجلاء؟ إرتفعت أصوات المعارضة، هذا يقف ويصيح قائلاً لا نوافق، وذاك يتهم الحكومة بالتهاون والإهمال وضياع الامبراطورية .....الخ. وحينما هدأت العاصفة وقف ايدن مرة ثانية: وقال: الهند وباكستان معنا، وهما جزء من الكومنولث، لم نفقد شيئاً هناك، لقد خسرنا رواتب نحو اربعمائة موظف من كبار الموظفين هناك، لكننا ربحنا أضعافاً مضاعفة من زيادة أثمان بعض صادراتنا اليهم، ومن تخفيض أثمان بعض الخامات التي نستوردها منهم، وعلاقتنا معهم ممتازة وتتسم بكل صداقة وتعاون. تكلم ايدن باسهاب عن هذا الموضوع، وكان في منتهى الوضوح، وحسن المنطق، والإقناع، وصفّق له الجميع. وقف أتلي وقال: نحن نوافق مبدئياً إذا كان السيد شيرشل يؤكد أن هذه الأتفاقية لمصلحة بريطانيا، ونحن نثق باخلاصه، وحسن تقديره بكل أمانة وشرف.

وقف شيرشل يتوكأ على كتف إيدن، وقال: أرى أن الأتفاقية في محلها، وأنها لمصلحة بريطانيا، ومصلحة الأمن في المنطقة. ثم جلس فصفّق له الجميع. وقد جرى

توقيع الاتفاقية فيما بعد عندما جرى طرحها أمام البرلمان ومناقشتها والموافقة عليها. وتم الجلاء على مراحل كما هو معروف، ولكن مضاعفات وتعقيدات حصلت في أواخر عمليات الانسحاب لم تطبق فيها الاتفاقية، قادت إلى عملية العدوان الثلاثي على مصر، وسأشرح تفصيلاتها فيما بعد، حيث عيّنت في مرحلة لاحقة ممثلاً للأردن في القيادة العسكرية العربية المشتركة في القاهرة، واطلعت على معلومات عن اتفاقية الجلاء هذه، والتوترات التي صاحبتها واعقبتها، والتي قادت إلى عملية العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ سأوردها في مكانها بحسب تسلسل وقائعها.

العودة من بريطانيا إلى الأردن

حينما أنهيت دورة كلية الأركان في مطلع عام ١٩٥٥ عدت والزميل الأخ محمد أحمد سليم، وعائلاتنا بالسيارات عن طريق دوفر- كاليه- باريس- مرسيليا جنوا، ثم بحراً إلى بيروت عن طريق صقلية - الأسكندرية فدمشق. وفي درعا على حدود الأردن استقبلنا الوالد والعم أبو عادل، ومجموعة من الأصدقاء. وكان ولدي عبد الرحمن مع الوالدة يركض بين المستقبلين، ويسأل عني، وعن والدته دون أن يعرفنا لأننا تركناه صغيراً. وكنا اعطيناه اسم أخي عبد الرحمن الذي توفي بحادث سيارة، وقد تعلقت به الوالدة وتركناه معها.

عينت كبير معلمين في كلية الأركان الأردنية،كما عين فيها ضابطان انجليزيان هما المقدم روبرتسون مديراً لها، وكان يعمل في كلية مماثلة في بورما مديراً قبل حضوره إلى الأردن، والثاني الرائد ناجل برومج زميلي في كلية الأركان البريطانية. وكنت أقدم منه رتبةً. وبدأ تأسيس كلية الأركان هذه في الأردن لأول مرّة، وقد التحق بها مدربان آخران من الجيش العراقي هما المقدمان عبد الجبار شنشل، وابراهيم فيصل الأنصاري، كنت قد تعرفت عليهما في زيارة لاحقة لكلية الأركان العراقية «كلاهما عمل رئيساً للأركان في الجيش العراقي في مرحلة لاحقة».

بدأنا بتهيئة التمارين والمخططات والمحاضرات في أثناء اقامة مبنى الكلية في موقع خو شرقي الزرقاء . ذهبت إلى بغداد، وامضيت ستة اسابيع للاطلاع على

مناهج كلية الأركان العراقية، ثم اطلعت على مناهج كلية الأركان المصرية لمعرفة مناهج تدريس التاريخ العسكري العربي في كلتا الكليتين، ووجدت أن كلتيهما تدرس معارك الحربين العالميتين الأولى والثانية، وليس للعرب دور يمكن تدريسه على مستوى الكليات الحديثة. وعندما عرضت الموضوع على كلوب باشا قال لي إن العرب ليس لهم تاريخ عسكري بعد الفتوحات الأسلامية يتناسب مع مستوى التكنيك والتنظيم والتسليح الحديث ووسائل الحركة والتنقّل، وما عليكم إلاّ أن تطبقوا المناهج التي يجري تدريسها في كليتي بغداد وكامبرلي. وعلى هذا قمت بترجمة مناهج كامبرلي إلى العربية، وأخذ ما يتطابق معها من التمارين العراقية، وطبقناها في كلية الأركان الأردنية. وقد واجهت صعوبات جمة في الدورة الأولى هذه لأن المعلمين الأنجليز لا يعرفون اللغة العربية، ومعظم الطلاب لا يتقنون الأنجليزية، وكنت اتحمل الترجمة للطرفين سواء محاضرات المعلمين، أو أسئلة الطلاب.

أثناء إقامتي في بغداد المدة التي ذكرتها لاستعراض مناهج كليتهم اتصلت مع بعض الضباط الذين سبقت لي معرفتهم، أو التعاون معهم في فلسطين، أو في لندن منذ عام ١٩٤٨، وما بعدها والذين وجدت أنهم يعملون في القيادة العامة، أو مراكز رئيسية في القوات المسلّحة، ومنهم الفريق رفيق عارف القائد العام، والزعماء غازي الداغستاني، وصالح زكي، ونوري جميل، واحمد مرعي، ورفعت سري، وناجي طالب، وعدنان حسين، وعارف عبد الرزاق، وكثيرون غيرهم. كذلك الأصدقاء إبراهيم فيصل، وعبد الجبار شنشل، وعادل أمين خاكي، المدرسون في كلية الأركان. استعرضنا مراراً، وفي عدة مناسبات ذكريات أحداث فلسطين، ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

ثم عدت إلى عمان، وبدأنا ندرس أول دورة كلية أركان، حيث تشكلت الدورة من إثني عشر ضابطاً هم كل من الرؤساء: أحمد زعرور، وعبد الرحمن العرموطي، وخلف الطلوحي، وحيدر مصطفى، وخلف الحديد، والملازمين نذير رشيد، ومحمد عربيات، وخالد الياور، وعبدالله بهاء الدين، ورزق الله حداد.

وبعد انتهاء الدورة الأولى هذه اقترحت على كلوب باشا أن أذهب وتلاميذ الدورة إلى العراق، لنقوم بزيارة إلى وحدات الجيش العراقي، ونطلع على تشكيلاتهم

وتسليحهم وتنظيمهم اسوة بدورات كلية الأركان البريطانية التي يذهب طلابها في نهاية كل دورة إلى مواقع معارك سابقة خارج الأراضي البريطانية، وفي انحاء أوروبا لدراسة سير المعارك، ومواقعها ونتائجها، فوافق.

في تلك المرحلة كانت مفاوضات حلف بغداد تجري في المنطقة، فطلب أن أستطلع آراء كبار القادة العسكريين وغيرهم من الضباط في حلف بغداد، وهل هم راضون عنه، أو مقتنعون فعلاً أم لا؟ ذهبت مع الدورة إلى بغداد، وفي أثناء وجودنا هناك طلبت من اللواء غازي الداغستاني رئيس الأركان، وزميلي السابق كملحقين عسكريين في لندن أن أذهب واياه لزيارة نوري باشا السعيد رئيس الوزراء للسلام عليه، حيث يتردد على لندن، أثناء وجودنا هناك، ونجتمع معه عدة مناسبات ودعوات. وقد رأيت أن زيارته واجبة، ذهبنا إلى بيته على شاطىء نهر دجله مساءً، ودارت أحاديث مختلفة عن أوضاع البلدان العربية وتوقعاته لمستقبل المنطقة. سألته عن رأيه في حلف بغداد والفوائد التي يمكن الحصول عليها من الاشتراك فيه، ويبدو أن الموضوع حساس جداً بالنسبة اليه، فأجاب باهتمام قائلاً: إن الناس يلومونني من أجل قبول هذا الحلف، ويقولون عني إنني خائن، وأنا لا أعرف الأسباب، فهل الخيانة غواية يحبها الإنسان؟ ربما اكون مخطئاً، او غلطاناً، ولكن لماذا خائن؟ أنا حاربت الأتراك في الحرب العالمية الأولى، وكنت في أول صفوف الثورة العربية الكبرى، ثم حاربت الفرنسيين في سوريا حينما فرضوا وجودهم في لبنان، ثم في سوريا، وحاربت الأنجليز هنا في موقعة الحبانية، وغيرها، وثبتنا استقلال العراق الكامل.

ثم إن هذا البيت الذي أسكنه بنته الدولة، وأنا ليست لدي موارد تمكنني من بناء بيت ولا يوجد لي حساب في أي بنك وكل عمري اعيش على الراتب.

أنا أقول بصراحة إننا كعرب في المنطقة مع الغرب، وليس مع الشرق بالرغم عن كل تصرفاتهم الخاطئة، وهناك عدّة عوامل تؤيد هذا الرأي: إن الشرقيين إذا دخلوا بلداً لايخرجون منه أبداً، وهم طامعون في المنطقة، منذ عدّه أجيال، يريدون الخليج العربي طريقاً إلى المحيط الهندي، وكذلك السيطرة على منابع البترول في المنطقة، هذا وأن سكان هذه المناطق مسلمون ومسيحيون لا يتقبلون الشيوعية، وهنالك أمثلة حيّة في بلدان شرق أوروبا، والقوقاز أدخلت في النطاق الشيوعي، ويصعب

خروجها منه. هذه الدول دخلت بلادنا بأسم حماية، أو وصاية، أو استعمار، وقد خرج معظمها، وسيخرج الباقون عاجلاً أو آجلاً: ثقافتنا الحديثه غربية، وأسلحتنا والمصنوعات الأخرى نستوردها من الغرب، وبترولنا يستورده الغرب، وحاجتهم اليه مثل حاجتنا إلى ثمنه، والظروف الدولية لا تساعدنا على كسب الحرب ضد اسرائيل في هذه المرحلة. الان معروض علينا إقامة جيش من مليون جندي في المنطقة، وسنأخذ كل الأسلحة والتجهيزات اللازمة لهذا الجيش مجاناً، ومنها الآن ثلاثة آلاف دبابة، وألف طائرة مع المدفعية والأسلحة الأخرى. وهناك شرط بأن لا نحارب إلا إذا اعتدي علينا.

أنا أقول إن اسرائيل ستتقوقع في الجزء الذي تحتله من فلسطين حالياً، فقد يجري تعديل مناسب في الحدود إذا سار الاتجاه للحل السلمي، وهي لا تتمكن من الاعتداء علينا لأننا سنكون أقوى منها بمراحل، ومن جهة ثانية فنحن واياها حلفاء مع الغرب، وعندها سينصرف اليهود إلى الأعمال الصناعية والزراعية والتجارية، وسوف لا تتسع الرقعة التي بأيديهم لأكثر من السكان الموجودين حالياً، وستتوقف الهجرات الجديدة، وقد يستعاض عنها بالنزوح إلى الخارج لعدم استيعاب المنطقة، وسيكون لدينا جيش قوي جداً في المنطقة بقيادة عسكرية واحدة. ولدينا العمق الأستراتيجي عندما تنضم الأردن، وغيرها إلى هذا الحلف. ولا يمكن الحكم على الظروف الدولية بأن تبقى على وضعية واحدة، وأن تستمر دائماً وابداً ضد مصلحتنا، ثم اضاف قائلاً: من يمنع قائد هذا الجيش الضخم من اغتنام أي ظرف دولي مناسب، ومفاجأة اليهود، والقضاء على كيانهم الحالي، وإعادتهم إلى وضعهم الطبيعي، ثم الوقوف على جبل الكرمل في حيفا، وإداء التحية للغرب، ويقول لهم: نحن استرددنا بلادنا، ونحن باقون حلفاؤكم. ماذا سيفعلون؟ هل سيجردون جيوشهم ليحاربونا، أم ماذا، وحينئذ ليكن ما يكون. أنا هذا رأيي الصريح الواضح.

دعاني للعشاء في نادي الضباط في اليوم التالي مع ضباط الدورة، وقال لغازي أن يرتب الدعوة، فاعتذرت بارتباط سابق للعشاء، وعندما استوضح عن مكان الدعوة قلت إننا وعدنا علي لتناول العشاء عنده، وعندما استوضح عن علي هذا قلت له إنه صياد سمك يشوي السمك المسقوف على نهر دجلة مقابل شارع عمو الياس،

فضحك كثيراً على هذه النكتة، وفي المساء التالي حضرت مع ضباط الدورة للعشاء في النادي وكان كبار ضباط القيادة هناك. وعندما دخلنا قاعة الطعام واذا بالباشا يعد السمك المسقوف من ١-٩ على المائدة من السمك ذي الحجم الكبير إضافة إلى العشاء الأصلي، وقال ضاحكا: هذا السمك من عند علي.

ذهبنا إلى كركوك وزرنا الفرقة الثانية بقيادة اللواء صالح زكي، ومنها ذهبنا إلى الموصل، وزرنا قائد الموقع العقيد عبد الوهاب الشواف، وكان يرافقنا الزعيم أحمد مرعي مدير الاستخبارات العراقية، ومرافق خاص هو المقدم عادل أمين خالي زميلي في كلية الأركان. طلبته شخصياً من رئيس الأركان. وفي أثناء السهرة في نادي الضباط، وكان حديث حلف بغداد يدور بين الحضور، وكانت اراء كبار الضباط تتجه إلى اتجاهين، أحدهما من رأي نوري باشا، والآخر من رأي عدم الانحياز لا للغرب ولا للشرق. ويقولون ما لنا ومال الصراعات الدولية، نحن نبقى أصدقاء للجميع، ولا نتدخل في خلافاتهم. سألني بعضهم عن رأيي في الحلف، فأبديت بعض الملاحظات، ومنها: أن حلفاءنا واصدقاءنا الانجليز هم الذين اصدروا وعد بلفور المعروف واتفاقية سايكس بيكو بالأشتراك مع الفرنسيين، واقتسموا المنطقة العربية كمناطق احتلال استعمار وحماية ووصاية ...الخ. والإنجليز أنفسهم هم الذين نصبوا صمويل اليهودي الصهيوني المعروف أول مندوب سامي على فلسطين، وشرق الأردن، واقتطع اليهود أراضي الدولة التي ورثوها عن الدولة العثمانية، وأقاموا عليها المستعمرات اليهودية الجماعية، وهم الذين أوجدوا وسلحوا حرس المستعمرات، وسمحوا وساعدوا على تنظيم، وتجهيز نحو عشرين ألفاً من حرس المستعمرات، هؤلاء الذين ارتدوا جميعهم الملابس والرتب العسكرية، وتحولوا إلى جيش نظامي، أو شبه نظامي يوم اعلان دولتهم في ١٤/٥/١٩٤٨، في حين عاملوا العرب في المرحلة نفسها بقسوة. واوقعوا بهم أشد العقوبات التي وصلت إلى الإعدام في كثير من الحالات بسبب حيازة السلاح أو العتاد. وطرحت أحاديث مختلفة عن معلوماتنا ومشاهداتنا والمراحل التي عشناها في فلسطين مع وحدات الجيش الأردني أثناء الحرب العالمية الثانية.

نمنا في فندق السكة بالموصل. وفي الصباح الباكر طلبني الأخ غازي الداغستاني هاتفياً من بغداد، وطلب عودتنا بالقطار لأمر مستعجل، وجاء السيد

أحمد العقيل الياور يطلب من العقيد الشواف تأجيل سفرنا إلى ما بعد الغداء لأنه دعا العشرات من وجهاء العشائر، وكبار الضباط للغداء معنا فاعتذر الشواف لأن الأمر ليس بيده، فغضب أحمد الياور، وصار يوزّع الذبائح النيئة على الناس في الشوارع «اجتمعت مع أحمد الياور عام ١٩٦٠ في دمشق لاجئين سياسيين». أخذنا القطار إلى بغداد، فوجدنا طائرة اردنية قد وصلت من عمان لأخذنا. وفي مطار ماركا وجدت من يبلغني بالذهاب الى القيادة لمقابلة كلوب باشا الذي سألني عن حديث الليلة الماضية في نادي ضباط الموصل. وقال إن نوري باشا السعيد طلبه هاتفياً الساعة الثانية عشرة ليلاً، وأطلعه على الحديث الذي دار في نادي الضباط، فقلت له إنه كان حديثاً عابراً، ومن باب المزاح والتسلية، وانتهى الموضوع بسلام.

كان كلوب باشا مضطرباً بسبب التظاهرات القائمة في عمان ضد حلف بغداد. وبعد شهرين تم الأستغناء عن خدماته، وغادر البلاد يوم ١/٣/١٩٥٦ وكانت إقالته قد سبقته، وصاحبته ملابسات كتب عنها كلوب نفسه في كتابه جندي مع العرب. أما الآن، وبعد التطورات التي حصلت في العالم، وفي منطقتنا يعود الإنسان بأفكاره الى تلك الأيام، والأوضاع العربية، ويرجع بأفكاره إلى آراء المرحوم نوري السعيد، وإلى ما وصلت إليه عالمياً وعربياً، ويقارن بينها وبين أوضاعنا الحاضرة، وهو إذ يفعل ذلك فلا بد أن يعيد النظر، ويحكّم العقل، ويدرك الخطأ والصواب.

١٩٥٦/٣/١

في صباح هذا اليوم، وبعد سفر كلوب باشا جواً إلى قبرص بنحو ساعة طلبني هاتفياً اللواء السيد راضي عناب الذي حل محل كلوب رئيساً للأركان، وأمر أن أذهب خلال عشر دقائق إلى الكتيبة الأولى، وأتولى قيادتها، وهي من أقدم الكتائب آنذاك، وجميع افرادها من أبناء العشائر البدوية. وقال لي كلمني من هناك، واطلعني على ما يجري في هذه الكتيبة وأنا أعرف أن علاقتك جيدة مع ضباط وافراد البدو. وصلت الكتيبة، ووجدت انها ومهماتها محمولة بالسيارات، وأنها على استعداد للحركة. استدعيت الضباط، إلى نادي الكتيبة، وسألت عن سبب استعدادهم، والى أين هم ذاهبون، وعرفت أن قائد الكتيبة المقدم بارسون أمرهم بالاستعداد لحركة عسكرية بناءً على أمر الزعيم ياري قائد اللواء، وأنهم تحت انذار نصف ساعة للحركة، وقالوا

إن قائد الكتيبة ذهب إلى قيادة اللواء لأخذ التعليمات الأخيرة، كان بعضهم يعتقد أن جلالة الملك طلب حركة الكتيبة إلى الضفة الغربية، وأن كلوب باشا يعارض، وأن خلافاً وقع بينهما ... إلخ. جلست معهم، وبدأت أتحدث عن الأنجليز، ودورهم في قضية فلسطين، وعن تصرفاتهم في كل بلد عربي تواجدوا فيه. كان معظمهم يعرفون ميولي في هذه الناحية، وسبق أن اشتركوا جميعاً في دورات مدرسة تدريب الجيش بعد أن اسستها كما سبق ذكره، تكلمت عن المرحلة التي مررنا بها عام ١٩٤٨ عندما كانت هذه الكتيبة من لوائنا، اثناء معركة الرادار وغيرها، واستعرضت حوادث اللد والرملة وتسليم حيفا ويافا وصرفند ومعسكرات فلسطين لليهود. واخيراً أبلغتهم أن جلالة الملك قد فصل كلوب باشا من الجيش، وأنه قد غادر الأردن هذا الصباح، وعين اللواء راضي عناب باشا بدلاً منه، وأنني عينت قائداً لكتيبتكم هذه اعتباراً من الآن، وأن قائدها السابق المقدم بارسون يحضر لتسليمي الكتيبة، لكنه قد يتأخر بعض الوقت. طلبني راضي باشا مرتين هاتفياً اثناء حديثي مع الضباط فطمأنته على الوضع، وكان عدم الرضا بادياً على وجوه بعض الضباط في بداية حديثي، ولكنهم بعد أن عرفوا الواقع تحمسوا، وأبدوا كل ابتهاج لهذه النتيجة.

طلبت جميع مراتب الكتيبة، واجلستهم على الأرض في ساحة القيادة وتكلمت معم، واطلعتهم على الموقف، فعلت هتافاتهم بحياة جلالة الملك، وقائد الجيش وقائد الكتيبة الجديد، ثم ابلغتهم بالغاء الاستعداد للحركة والعودة للوضع الطبيعي. وفي اليوم التالي طلبت قائد الكتيبة لإجراء التسليم المعتاد، ووداع الكتيبة فحضر بعد تردد، وجمعت الكتيبة ووقفنا أمامها، وكان يرتعد خوفاً. وقد تردد في الوقوف معي، لكنني شجعته وطمأنته بأن الأمور عادية، وانه شخصياً لا علاقة له بالموضوع، وقد ودّع الكتيبة بكلمة موجزه ترجمتها له ثم دعوته ليشرب الشاي مع الضابط في النادي، وودعته وعاد الى معسكر الزرقاء.

سارت الأمور في شكلها الطبيعي المعتاد، ولكن ما لبث التشاحن أن ظهر في الجيش، وصار بعضهم يعمل ناشطاً للحصول على مكاسب، ومراكز، وبدأت الفتنة في صفوف الجيش مبنية على الطمع والحسد والتسابق الرخيص على شيء صاروا يسمونه الإخلاص. وبعد عشرين يوماً فوجئت بتطويق بيتي في معسكر الزرقاء

بسرية مدرعات عرفت أن قائدها الملازم هاني حدادين من قريه مادبا. لم أعرف سبب هذا التطويق في حينه، ووجدت أن بيت أخي صادق في نفس المعسكر كان مطوقاً أيضاً، وبقي الطوق حتى الصباح، وقد قطعت عن بيوتنا خطوط الهاتف.. وفي الصباح عرفت ان كتيبتي كانت مطوقة أيضاً بكتيبة مدرعات، وقطعات اخرى، وأن احد الضباط انتدب لقيادتها، وحضر لتسلمها، ولكن ضباط الكتيبة احتجزوه في احدى الغرف واقفلوا ابوابها، ووضعوا عليها حراسة حتى الصباح عندما أبلغهم بمهمته ثم اخلوا سبيله. وفي الصباح ذهبت وأخي صادق إلى القيادة العامة بعمان وقابلنا رئيس الأركان راضي باشا، وعرضنا عليه موضوع التطويق مستوضحين عن أسبابه، فخلع نطاقه العسكري وطرحه على طاولة مكتبه، وهو على أشد ما يكون من حالات العصبية والأنفعال قائلاً: أنا بطّلت رئيس اركان طالما أن الأمور وصلت إلى هذه الدرجة من السخف، وعدم تقدير الأمور. واردف قائلاً: أنا لم أعرف شيئاً عن هذا التطويق كرئيس أركان إلا في الساعة الثالثة صباح اليوم حينما طلبني وزير الدفاع السيد فلاح المدادحة وذهبت معه إلى القصر الملكي، وقابلنا جلالة الملك الذي كان ينتظرنا في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وطرح علينا موضوع عملية التطويق على أنها إجراءات تحفظية بناءً على معلومات وصلته مفادها أننا ندبر حركة في منطقه خو والزرقاء كان من المقرر أن تبدأ هذه الليلة. وقد استعرضنا الموضوع مع جلالته، واتضح لنا بما لا يقبل الشك أن العملية مختلقة، ولا أساس لها من الصحة، ثم قال لنا أرى أن تذهبا وتقابلا جلالته حول الموضوع، ولعلمكم فأن مصدر الأخبارية هو زميلكم قائد اللواء الموجود في رام الله الرائد علي ابو نوار. ذهبنا تواً وقابلنا جلالة الملك الذي أبدى استياءً بالغاً لما حصل، وقال إنه لا يعرف التفصيلات والأسماء، وأن بعضهم أبلغه أن حركة عسكرية يجري إعدادها في معسكرات خو للتحرك إلى عمان، وعندها أوعز باتخاذ الأحتياطات اللازمة تلك الليلة.

وعندها قلت لجلالته ،لاشك في أن التسابق على الولاء، واظهار الأخلاص طمعاً بالمكاسب هو السبب وطالما أن قيادة الجيش موجودة في عمان، وبأمرها جميع الوحدات فلماذا لا تتحمل هي مثل هذه المسؤولية، أو أن تحاط علماً بها في الأقل، قال جلالته لاشك أن خطأً قد حصل، وأنا في الحقيقة لم اعرف المقصودين بهذا الإجراء،

وعندما عرفت بذلك أوقفت العملية والاحتياطات،وآمل أن تمسحوها بهذه اللحية، وقبض على لحيته ضاحكاً، وأضاف. أرجو أن تعتبروها وكأنها لم تكن. واستدعى رئيس الديوان، وطلب احضار صورة حديثة لجلالته، وكتب عليها إهداء لي عبارة عن جملة لطيفة لم أزل احتفظ بها.

وبعد يومين تحركت بكتيبتي الى منطقه الأغوار مقابل مدينة بيسان، ومعي كتيبة مدفعية وكتيبة دبابات على أساس وصول معلومات عن تحشدات، وتحركات يهودية في منطقة بيسان، وتمركزنا في منطقة وادي اليابس ومخفر القرن تحسباً لنزول قوات يهودية إلى الغور، وتحركها باتجاه البحر الميت بهدف عزل الضفة الغربية.

وبعد أربعة أيام طلبت إلى قيادة الجيش بعمان، وبلغت بتعييني قائداً للواء الهاشمي بمنطقة نابلس، وتحركت إلى هناك بعد أن سلمت قيادة القوة في الأغوار.

كان اللواء الهاشمي يتألف من الكتائب التالية: السادسة وقائدها الرائد ارشيد مرشود، والتاسعة الرائد سلامه عتيق ، والعاشرة الرائد فريد القطب، واسعاف الميدان المقدم الطبيب رشاد درويش، والمشاغل الرئيس هشام الجندي. وفي الأسناد كتيبة مدفعية الميدان الثالثة بقيادة الرائد إحسان الحلواني، وكتيبة المدرعات الأولى بقيادة الرائد الشريف ناصربن جميل، وكتيبة المدرعات الثالثة بقيادة الرائد نايف الحديد. ثم جرى تشكيل كتائب الحرس الوطني تدريجياً في المنطقة، منها ست كتائب محلية، وخمس حرس حدود. وكلها مرتبطة عسكرياً مع قيادة اللواء.

لقد رؤي أن حشد هذه القوة في منطقة نابلس وطوباس وجنين مسيطرة على سهل العفولة، ومدخل منطقة بيسان يجعل تحرك القوات اليهودية من سهل العفولة، ومنطقة بيسان إلى غور الأردن مجازفة لن يقدموا عليها. ولذلك جرت تقوية هذه الجبهة، وبدلاً من وقوفنا موقفاً دفاعياً في منطقة الأغوار. بدأنا باقامة مراكز دفاعية أمامية، وخلفية ابتداء من حدودنا مع منطقة القدس، وحتى نهر الأردن جنوب شرقي بيسان ونستعد لعمليات دفاعية وهجومية. وبدلّنا جميع الخطط التي كانت مقررة من قبل القيادة الأنجليزية السابقة.

بدأ اليهود يقومون باعتداءات على مخافر الشرطة الواقعه في مناطق وادي عربة في الغور الجنوبي، ومخفر الرهوة جنوبي الخليل، ومخفر حسان، وقتلوا عدداً من رجال الشرطة. كانوا يهاجمون كلاً من هذه المخافر بقوة كتيبة تساندها المدفعية والدروع ليظهروا نصراً ساحقاً أمام شعبهم، والبلدان التي تساندهم. وكان أفراد هذه المخافر لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، وسلاحهم سلاح الشرطة. عرف فيما بعد أن قائد تلك العمليات كان المقدم شارون الذي صار وزيراً للدفاع فيما بعد، وأن سبب إجرائها مرتبط بخروج بريطانيا من الأردن، وجزء من التآمر بين قوى العدوان الثلاثي على مصر، والذي كان سيشمل الضفة الغربية من الأردن لو أنها اشتركت في حرب عام ١٩٥٦، وعمليه المخافر هذه كانت استفزازاً وتحريضاً للأردن للأشتراك ليجدوا الحجة للتدخل ضد الأردن كدولة معتدية من ضمن مخطط دول العدوان كما سيأتي ذكره.

وصلتنا معلومات عن تحضير هجوم على أحد مخافر منطقة نابلس على غرار ما جرى في مخافر الجنوب وبدأنا بالاستعداد لشن هجمات معاكسة ضد هجومات محتملة، على أيّ من هذه المخافر، وهي مخافر مستحة وقلقيلية وطولكرم وجنين وباقة الشرقية وتل الحامض في وادي الأردن وكلها متاخمة لخط الهدنة مع اليهود، وتقع ضمن الاحتمالات المتوقعة.

بدأنا بإعداد وحدات لتكون جاهزة للتحرك بانذار قصير على محاور التقدم إلى هذه المخافر، وإعداد الخطط الأحتياطية لتجميع وحدات إضافية، وبأسرع وقت ممكن في المنطقة التي تتعرض للاعتداء، ونشطت الدوريات والمراقبات والكمائن على جميع هذه المحاور، وفي مساء يوم ١٠/٦/١٩٥٦، وفي تمام الساعة العاشرة والربع مساءً، وبينما كنت على مرتفع في موقع جنيد غربي نابلس، وهو موقع قيادتنا الأمامية، وعندي إحساس بوقوع عدوان في تلك الليلة على أحد مواقعنا سمعت فجأة أصوات مجموعة من الأنفجارات في جهة قلقيلية غرباً.

وكانت لنا فئة متمركزة في موقع صوفين شرقي قلقيلية مباشرة، ومشرفة على مخفر الشرطة. إتصلت مع قائد الفئة فقال إن وابلاً من قذائف المدفعية يتساقط عليهم، وانهم جميعاً في الخنادق «كانت خنادق الفئة محفورة جيداً تتخللها اقبية تحت الأرض، ومزاغل لإطلاق النار إلى جميع الجهات، ومحاطة بالأسلاك الشائكة.

كنت في صباح ذلك اليوم قد تفقدت موقع هذه الفئة، ومررت على مخفر الشرطة ووجدت أن عدداً من عائلات الجنود يقيمون في الشقق العليا المخصصة لسكن العائلات فأمرت بترحيلهم، واسكانهم في القرية، فقال ضابط المركز الملازم موسى حسين وهو من سكان ديرابي سعيد بمنطقة إربد أنه يصعب جداً ايجاد مساكن لهم، طلبت إحضار المخاتير فحضروا، وأمرتهم أن يستضيفوا تلك العائلات مؤقتا وبصورة فورية مهما كانت الصعوبات، ولم تمض أربع ساعات حتى تم ترحيل تلك العائلات إلى القرية، وكأنني كنت أتنبأ بحتمية وقوع الإعتداء. وهذا ما حصل.

كانت الكتيبة التاسعة متمركزة قرب قرية جين صافوط على طريق قلقيلية، وبانذار نصف ساعة للحركة في ذلك اليوم، ومثلها باقي وحدات اللواء الموضوعة في انذار ٢٤ ساعة بصورة دائمة، ويجري اختصار مدد الإنذار لتصل إلى أقل وقت ممكن بحسب المعلومات، أو التوقعات على كل محور، أمرت بحركة هذه الكتيبة إلى قلقيلية عن طريق النبي الياس، ومن هناك تترجل من السيارات وتتقدم سيراً على الأقدام بنظام المعركة، وتتجه يميناً لتدخل منطقة قلقيلية من المرتفع الواقع شمال شرقي القرية، وليس من الجهة الشرقية بالطريق المعبدة العادية حيث توقعت أن القطعات المعادية ستهاجم موقع الفئة المتمركزة في صوفين بعد وقف رماية المدفعية عليه. وهذا ما حصل فعلاً، ولكن قائد الكتيبة الرائد سلامة اعتيق عندما وصل إلى موقع النبي الياس استصوب التقدم رأساً إلى قلقيلية لكسب الوقت، وقرب المسافة، واتصل معي لاسلكياً يقول، إن الفرصة سانحة، والمسافة أقرب فهل نستمر في الاستقامة نفسها؟ فوافقته على ذلك، لكنه ما لبث أن اصطدم بكمائن معادية في سفوح المنحدرات غربي مقام النبي الياس، واعاق هذا تقدمه لتعامله مع هذه الكمائن، وانهائها، لكنه أعطى وقتاً لليهود لنسف مخفر قلقيلية ورغم هذا فقد كانت قد أعدت فجوة في جدار المخفر الشرقي تتصل بخندق يتجه شرقاً إلى موقع الفئة في صوفين. وقد تسرب جنود المخفر إلى ذلك الموقع عند بدء اطلاق النار، ووصلوا إلى قاعدة الفئه بسلام عدا قلّة منهم اعتقدت أن بناء المخفر يحميها فبقيت فيه. صدّ موقع صوفين هذا أربع هجمات، وكبّد اليهود نحو ستين قتيلاً، ومنهم قائد الكتيبة التي

قامت بالهجومات. وقد الحّ مراقبو الهدنة على تسلم جثمانه، وتم ذلك، وارسلوه إلى القدس المحتلة واحتفلوا به هناك.

كانت مدفعية اليهود تصب نيرانها على موقع الفئه أثناء تقدم مشاتهم، وعندما يصلون إلى أطراف الموقع، ويتوقف إطلاق نيران المدفع تفتح الفئة نيرانها عليهم من المزاغل خلف الأسلاك الشائكه، فيباد أكثرهم، ويتراجع الباقون. قاموا بهده المحاولة عدة مرات، واخفقوا إلى أن انسحبوا خائبين، وقد رأينا دماءهم الغزيرة تغطي مواقع كثيرة على طريق الإسفلت، وقد سحبوا معظم جثثهم أثناء العملية، أو بواسطة مراقبي الأمم المتحدة بعد العملية، وهم حريصون جداً على نقل جثث قتلاهم.

التحقت في الكتيبة في موقع صوفين، وتقدمت طلائعها إلى قلقيلية والمناوشات جارية بين الطريفين، واليهود يتراجعون. وكانت قطعاتهم محتشدة في منطقة المخفر، وشمالاً حتى الوادي القريب منه وجميع نقلياتهم محتشدة هناك. جرى فتح نيران مدافعنا من منطقة عزون فأصابت منطقة التحشد إصابات مباشرة، ثم نقلت نيرانها إلى ثمانية مواقع سبق أن جرى تسجيلها تسجيلاً وهمياً على سبيل الاحتياط لاحتمالات المستقبل في هذه المنطقة، كما جرى ذلك في جميع المواقع التي تقع على مدى رماية المدفعية، وقد وقعت خسائر بين الطرفين منها أن احدى الطائرات المعادية قذفت سيارة محمّلة بالمناضلين كانت قادمة إلى جهة قلقيلية، فاستشهد فيها اثنان وثلاثون شاباً، وكان خطأهم أنهم مروا في منطقة خطرة، والاشتباكات قائمة فيها بعلم الجميع، وهم في سيارة شحن كبرى. وكان عليهم أن يغادروها، ويتفرقوا أفراداً لا يشكلون هدفاً لطائرة قاذفة قنابل. خسرنا اثناء هذه العملية عشرين فرداً بينهم ثلاثة ضباط، وأحد عشر شرطياً وستة جنود. الشرطة هم المجموعة التي كانت في داخل المخفر عند نسفه، ولم ينسحب افرادها مع زملائهم إلى موقع الفئة. كانت خسائر اليهود مائتين وخمسة وسبعين فرداً من عسكريين ومدنيين منهم تسعة عشر ضابطاً، كما علمنا من رجال لجنة الهدنة، وقد كتبت الصحف اليهودية الأرقام نفسها في مرحلة لاحقة.

كان الملازم فتحور سليمان قد وصل مع طلائع الكتيبة السادسة التي حركتها من دير شرف لتعزيز الكتيبة التاسعة، ووصل شمال قلقيلية، ومعه مجموعة كشف

أمام الكتيبة، وقد فوجىء باعداد كبيرة من اليهود، فدخل ومجموعته إلى عبارة تحت الطريق، واجتازوه شرقاً دون أن يشاهدوه، وبقي حتى نهاية المعركة، وقد وصلني الخبر أنه قد قتل، وعندما وصلت إلى الموقع بعد انسحاب اليهود كان قد انسحب هو ومجموعته من العبارة، وحينما عاد ليلتحق مع مقدمة كتيبته شاهد سلكاً هاتفياً يتدلى من أحد أعمدة الهاتف فأراد إصلاحه، وما أن جذبه حتى انفجر لغم يتصل بالسلك في داخل الأرض فقتله فوراً رحمه الله.

اتفاقية القيادة العسكرية العربية المشتركة

٢٠/١٠/١٩٥٦

جرى توقيع اتفاقية القيادة العسكرية المشتركة بين الأردن ومصر والسعودية واليمن «ومن المصادفات العجيبة أنني وأنا أعيد كتابة مذكراتي بقصد توحيدها في كتاب واحد، وكانت الساعة الخامسة صباحاً، وجدت أن هذا اليوم هو ٢٠/١٠/١٩٩٢ أي أنه مرّ على توقيع هذه الأتفاقية ثمانية وثلاثون عاماً، مرّت كما يمر السحاب باحداثها وتقلباتها العجيبة، وهذه هي الدنيا». وفي اليوم التالي ٢١/١٠/١٩٥٦ بدأ العدوان الثلاثي من قبل انجلترا، وفرنسا، واليهود على مصر بانزال قواتهم بحراً في بورسعيد، واختراق اليهود لأراضي سيناء كما سترد تفصيلاته فيما بعد، وقد صدر الأمر إلينا ليقوم لواؤنا باختراق عميق في المنطقة الواقعة بين قلقيلية وطولكرم والوصول إلى البحر غرباً بقصد شطر اسرائيل، وعزل شمالها عن جنوبها على أن يساعدنا في توسيع هذه الثغرة وحمايتها كل من لواء طلال الذي سيلتحق بنا من منطقة سنجل، ومجموعة قتال سورية تحركت من دمشق على عجل لهذه الغاية. وقد وصلت المجموعة السورية بقيادة العقيد سهيل العشي، يساعده المقدم أحمد عبد الكريم.

خططنا لهذا الهجوم بعد أن أجرينا الكشف اللازم لتتم العملية على ثلاث مراحل حيث يتم احتلال خمس مستعمرات على مرحلتين، وهي المستعمرات الموجودة بيننا وبين البحر، ثم يدخل اللواء الثالث ليكمل الاختراق وتقرر إجراء هذا الهجوم ليلة

٢٣/٢٤/١٠/١٩٥٦. وقبل الشروع بالعملية بأربع ساعات جاءنا الأمر بالغائها، وأخذ مواقع دفاعية على أساس أن مصر طلبت ذلك لأن بريطانيا وفرنسا مشاركتان في الحرب ضد مصر، وأن برقية وصلت من الدولة المصرية توضح ذلك، وتطلب عدم اشراك الجبهة الشرقية، وتوسيع نطاق الحرب، وأن مصر ستتحمل العدوان وتلجأ إلى الأمم المتحدة. لم يكن واضحاً لمصر في بداية العملية، وتقدم اسرائيل عبر سيناء، أن بريطانيا وفرنسا هما اساسها إلا بعد أن نزلت قوات الدولتين من البحر في بورسعيد، وكان اعتقاد المصريين ان اسرائيل هي القائمة بالعملية، وأن عملية القطع بين قلقيلية ،والبحر سيشل حركتهم تماماً حيث إنها تفصل شمال اسرائيل عن جنوبها، وستأتي التفصيلات فيما بعد.

الفصل الخامس

العمل في القيادة العسكرية العربية المشتركة

١٩٥٧/٢/٤

صدر أمر نقلي إلى القاهرة ملحقاً عسكرياً، وممثلاً للأردن في القيادة العسكرية العربية المشتركة. سلمت قيادة مجموعة اللواء، وتهيأت للسفر. قابلت جلاله الملك حسين يوم ٢/١٢، حيث قال لي إن علاقتنا مع مصر أصبحت حيوية، ومصيرنا واحد، وأريدك أن تكون ممثلي الخاص هناك، وأن تتشدد بطلب المساعدات العسكرية، وخصوصاً المدفعية والدبابات والتنسيق بين الجبهتين الشرقية والغربية، وابراز أهمية موقعنا الجغرافي، وحدودنا الطويلة مع العدو. وفي اليوم التالي أمر بإقامة حفلة وداع لي في فندق البتراء أشرف عليها وزير الدفاع السيد محمد علي العجلوني، واشتركت فيها فرقة موسيقى القرب العسكرية، وعدد من الوزراء وكبار الضباط. لم تجر أية حفلة في مثل هذه المناسبة لا قبل ولا بعد تعييني هذا لوداع ضابط برتبة مقدم، وكانت إبتهاجاً باقامة قيادة عسكرية عربية واحدة منذ الثورة العربية الكبرى.

وصلت إلى القاهرة يوم ١٩٥٧/٢/١٤ وافتتحت مكتباً في السفارة الأردنية، في ميدان المساحة بالدقي لجهاز الملحق العسكري الذي يرافقني من عمان، ومكتباً آخر خصصته القيادة المشتركة بعمارة متحف الصحراء بمصر الجديدة مع ممثلي الجيوش العربية، وفي يوم ٢/١٦ جرى احتفال القيادة المشتركة برفع العلم الأردني بين أعلام الدول العربية الممثلة في هذه القيادة حضره الفريق عبدالحكيم عامر القائد العام، ورئيس الأركان العميد محمد حافظ اسماعيل، وضابط الأركان، وعدد من

القادة المصريين بمختلف الأسلحة. وحضر من البعثة السعودية المقدم مصطفى المدني، والرئيس علي القباني، وعبدالله ابوالشيخ وضباط آخرون، ومن البعثة السورية رئيسها العقيد جمال فيصل، ومساعده المقدم احمد عبد الكريم، وعدد آخر من القيادات العربية لا مجال لذكر أسمائهم. تكلم المشير مرحباً بي ممثلاً للقوات المسلحة الأردنية، وباشتراك الأردن في هذه القيادة التي هي نواة تجمع الأمة العربية، ومعتزاً بالآمال المتعلقة بهذا التعاون، ومستقبله...الخ، وقد رددت عليه بكلمة تليق بالمناسبة.

وفي اليوم التالي قابلت المشير عبدالحكيم عامر في مكتبه، وقدمت له مصحفاً مذهباً هدية من قائد القوات المسلحة الأردنية السيد علي ابو نوار، ومعه رسالة خاصّة قرأها، وتفحصها جيداً «عرفت محتويات هذه الرسالة في مرحلة لاحقة عندما أتيت إلى مصر لاجئاً سياسياً، ولا مجال لذكر مضمونها في هذه المذكرات». ثم استوضح مني عن تسلسل خدماتي والمواقع التي عملت فيها في القوات المسلّحة، فأعطيته موجزاً عنها، وقد ذكّرني بلقائه معي، اثناء زيارته للأردن، وبعض الامور التي تكلمنا فيها، ودعاني للغداء في بيته المجاور للسفارة البريطانية على نهر النيل في اليوم التالي، وحضر الغداء العميد محمد حافظ اسماعيل، والمقدم توفيق عبد الفتاح، وبعض رؤساء البعثات في القيادة المشتركة، وتحدثت معه طويلاً، وبدا لي أنه جاملني كثيراً.

دعوته للغداء في نادي الصيد ومعه أعضاء القيادة المشتركة، ودعوت معهم المقدم شعراوي جمعة رئيس شعبة التسليح في القيادة العامة المصرية «وزير الداخلية فيما بعد»، وشعراوي صديق قديم اشتركت واياه في دورة عسكرية في مدرسة المشاة البريطانية عام ١٩٥٠، ولنا في تلك المرحلة ذكريات لا تنسى، وخاصة فيما يتعلق بالثورة المصرية وتنظيماتها، وذلك قبل قيامها بعامين، لقد أمضى شعراوي نحو عشر سنوات بين الحجز والسجن والإقامة الجبرية بعد رحيل عبد الناصر، وكان سبق أن تحدث الى الفريق عامر عن معلومات عني حينما عرف عن تعييني ممثلاً للجيش الأردني في القيادة المشتركة، وقد لمست أن عامراً صار يقربني اليه أكثر من أي عضو مماثل في هذه القيادة.

وحينما دارت الأيام دورتها ووصلت إلى القاهرة لاجئاً سياسياً عام ١٩٥٩، وقابلت المشير تعجب كثيراً من مجيئي بهذه الصورة، وقال لا شك في أن هنالك خطأً في تقدير الأمور في الأردن، وعندها فقط عرفت مضمون الرسالة التي سبق ذكرها، والتي قدمتها للمشير مع المصحف الهدية، وقد أعلمني السيد توفيق عبد الفتاح عن مضمونها، ولا أرى لزوماً لنبش القبور والخوض بتفصيلاتها في الوقت الحاضر. وعندما قابلت الرئيس جمال عبد الناصر للتحية بعد اسبوع من التحاقي بالقيادة المشتركة قال من جملة ما قاله: أنا لا أدعو لإقامة اتحاد، أو وحدة مع البلدان العربية في الوقت الحاضر، وخاصة مع الأردن وسوريا. من أين نصل اليهما واسرائيل في الوسط؟ هذه مرحلة بعيدة، ويجب أن تسبقها مراحل. إن كل ما أدعو إليه في هذه المرحلة هو التعاون الجاد المخلص، وفي صدق وصراحة وقلب مفتوح، إنني على استعداد لقسمة رغيف العيش الذي تطوله يدي بيني وبين الأردن، حتى إن امكانية التعاون هذه ستلقى الصعوبات والعقبات لأنها ستحارب بشدة من قبل أصحاب المصالح في المنطقة وخارجها، ويجب أن يكون هذا واضحاً لكل الأخوة العرب وعلى جميع المستويات، ونحن لا نتمكن من العمل من خلال عدّة قيادات وبسلاح نستورده من الخارج، ويمتنع علينا في الظروف الحرجة. يجب أن نضع سلاحنا بايدينا وفي أية منطقة مناسبة، في السودان- في الخليج العربي- في اليمن، بعيداً عن مناطق التماس، نحن في أرضنا والزمن معنا، وعشر سنوات أو خمس عشرة سنة ليست شيئاً بالنسبة إلى وضعنا وقضيتنا، وأما مسألة من يحكم فهذه لا قيمة لها بعد أن نصفّي حسابنا مع اسرائيل لأن أحدنا لن يعيش إلى الأبد.

لقد ذهبت إلى عمان بعد فترة قصيرة من هذا الحديث برحلة عمل بين الأردن وسوريا سيرد ذكرها، وكان ذلك يوم ١٥ رمضان، وأنا أحمل هذه الأفكار، وأذكرها في مناسباتها. وفي احدى المناسبات في القيادة المشتركة سألت المشير عبد الحكيم عامر عن سبب طلبه وقف عملية الاختراق التي أوعز بها لشطر اسرائيل بين قلقيلية والبحر، وبعد أن جاءت المجموعة السورية على عجل لهذه الغاية، فقال: اتضح لنا بعد إنزال القوات المعادية في بورسعيد، وتقدم إسرائيل عبر سيناء، أن أسباب العملية كانت متعددة، وأن مصالح مشتركة للدولة المعتدية جعلتها تنسق فيما بينها عملية

العدوان. فرنسا كانت ناقمة على مصر بسبب مساعدتها لثورة الجزائر، وبريطانيا حاقدة بسبب إجلاء قواتها عن القنال، وإنهاء نفوذها وهيمنتها في مصر، وعدم تقيدها بجميع بنود اتفاقية الجلاء لأن أوضاعاً داخلية أوجبت علينا اتخاذ هذا الأجراء، كما أن فرنسا خسرت نصيب الأسد من أسهمها في القنال بعد تأميمه.

وكانت اسرائيل مخلب القط في هذه العملية حيث تهيأت لها فرصة مناسبة: كانت أهداف المعتدين الثلاثة هي النزول في بورسعيد والاسماعيلية والسيطرة على القنال وما وراءه وإحباط عملية التأميم، وإيقاف مشروع السد العالي الذي سيموّل من واردات القنال، ووقف التنسيق مع الجبهة الشرقية الذي يهدف إلى إقامة تعاون سياسي وقيادة عسكرية موحّدة، وتعاون اقتصادي، ونوعاً من الاتحاد. قررنا التعامل بالموقف سياسياً ودولياً لأن الكتلتين الشرقية والغربية ليستا على استعداد للتحرك العسكري في المنطقة في الوقت الحاضر، ولا هو في مصلحة أي منهما. والجبهه الشرقية في طور البناء، ولسنا جاهزين لخوض معركة على هذا المستوى لأنها لا تتلاءم مع أهدافنا هذه، ولذلك أوقفنا العملية في جبهتكم، وها نحن أحبطنا العملية كلها وعادت الأمور الى وضعها السابق، واستأنفنا السير على طريق التعاون وتوحيد الجهود: وأن قيام القيادة العسكرية المشتركة هذه التي انتم أعضاؤها دليل حي على ذلك، ثم أن عملية الأختراق هذه لو حدثت في جبهتكم لصارت لها مضاعفات وتدخلات عسكرية من البلدان المعتدية، وتعقدت الأمور، وربما أن الجلاء لم يتم، وربما نشأت تعقيدات في الجبهة الشرقية تعيق التنسيق والتعاون في هذه المرحلة: لقد تسابقت الدول الكبرى في العمل على انهاء العدوان وصلت الى التهديد بالتدخل العسكري لأن الظروف ليست مؤاتية لمثل هذه الحرب. في طبيعة الحال فأنه لا يسمح بالتعاون العربي بسهولة لأننا كلما حاولنا فتح هذا الباب تعرضنا لصعوبات مدروسة، ومهيأة لأغلاقه في الوقت المناسب. والتجارب كثيرة في هذا المضمار منذ الحرب العالمية الأولى. إن المسألة خطيرة بالنسبة لمصالح الكثيرين، وتحتاج إلى وعي وتحمل، ومصارحة وتسامح، ولا بد أن نكون في مستوى الأحداث من الوعي والأيمان.

أعود الى موضوع اجتماعات القيادة المشتركة اليومية. كانت هذه الاجتماعات تجري برئاسة المشير عبدالحكيم عامر، وبدأت أشرح تنظيم، وتسليح الجيش

الأردني، وامكانية استيعاب اسلحة غير تلك المتوفرة لديه، وعرض الطلبات التي أوصى بها جلالة الملك، وفروع رئاسة الأركان من مختلف الأسلحة المساندة. وقد وافق القائد العام على تأمينها من موجودات الجيش المصري الحالية، ثم ما يمكن الحصول عليه من الكتلة الشرقية، وعلى ارسال نماذج من هذه الأسلحة المختلفة غير الموجودة في الأردن للتدريب عليها الى حين وصول الكميات اللازمة منها. ،كذلك العمل على توحيد مصادر الأسلحة، والمهمات العسكرية اللازمة لجيوش القيادة المشتركة، والتدرج في بعضها، وانتاج ذخائرها في مصر أو في أي بلد عربي لديه الأمكانية المادية والرغبة في ذلك. عرضت فكرة تخزين الأسلحة، والمهمات، وإقامة المطارات، وملاجئ الطائرات تحت الأرض في الأقبية في بادية الأردن الشرقية، وفي الأراضي السعودية المتاخمة لها لتكون بعيدة عن خطوط المواجهة، وتسهيلاً لحرية العمل وسهولة المناورة: مع اعادة تنظيم الجيشين الأردني والسوري على نسق موحد في الجبهة الشرقية:

وفي ضوء بحوث مستفيضة في هذا المجال تقرر إيفاد لجنة عسكرية لدراسة مواقع الجبهتين في الأردن وسوريا، وتنظيم توزيع الجيشين. ودراسة وضع خطة استراتيجية موحدة لجيوش بلدان القيادة المشتركة، واختيار مواقع المطارات الصحراوية واجراء دراسة عامة لهذه الأوضاع. وتقررت حركة هذه اللجنة يوم ١٤/٤/١٩٥٧ إلى سوريا، ومنها إلى الأردن للقيام بهذه الدراسات، وتقديم تقريرها إلى القائد العام:

١٤/٤/١٩٥٧

تحرك وفد القيادة المشتركة إلى سوريا مؤلفاً من أحد عشر ضابطاً برئاسة اللواء محمد ابراهيم رئيس الأركان المصري، ومندوبين عن جميع البعثات في القيادة المشتركة. وفي اليوم التالي تفقدنا مواقع الجبهة السورية في الجولان. كان هنالك خط دفاعي حصين، ومجموعات من الدبابات داخل استحكامات من الاسمنت المسلّح مغطاة بركام يجعل مناظرها طبيعية، ويعطيها مناعة قوية، وكان بإمكان كل دبابة اطلاق نيرانها في ثلاثة إتجاهات من داخل التحصينات. هذا الخط الدفاعي يبدأ من حافة نهر اليرموك من الجنوب، ويغطي المنطقة شمالاً حتى منحدرات جبل الشيخ،

ويتمركز في الأمام على مراحل الممرات المحدودة عبر أول المرتفعات الغربية لواء مدعم باسلحة مقاومة الطائرات محفور له في مواقع حصينة. وخلف الخط الأمامي هذا اربع مجموعات ألوية مستقلة تسيطر على الجبهة الأمامية، وخمسة الوية أخرى متمركزة في مواقع احتياطية في الخلف للإسناد: قيل لنا أن خبراء المان صمموا هذا الخط الدفاعي أيام حكم الرئيس أديب الشيشكلي، وأن خبراء روساً أضافوا اليه تعديلات فيما بعد. عدنا إلى دمشق لنسمع أن تظاهرات، ومصادمات وقعت في الأردن بين وحدات عسكرية أردنية في معسكرات الزرقاء، وأنه وقع قتلى وجرحى بينها، وأن بعض الضباط وصلوا إلى دمشق هاربين من الجيش الأردني. كانت هذه صدمة عنيفة لوفدنا في هذه المرحلة، واختلط علينا الأمر، وبدا لنا أن مهمتنا قد تعرقلت، ولم يشك أحد منا أن ثمة دسائس. في اليوم التالي اجتمعنا في قيادة الجيش السوري أنا وكل من العقيد عفيف البزرة والمقدمين أمين نفوري، وعبدالحميد السراج واحمد عبد الكريم، وقابلت وإياهم الضباط الأردنيين برئاسة العقيد محمود الموسى عبيدات، وقد جرى إقناعهم بالعودة إلى الأردن، وأن وفدنا سيحاول تسوية الموضوع مع الأردن. وجرى الأتصال هاتفياً مع السفارة السورية في عمان للتدخل بالموضوع الى حين وصول وفدنا إلى عمان. وفي صباح اليوم التالي تلقينا الجواب من السفارة بعدم الموافقة على عودتهم. وقد أسفنا لهذا الموقف، وعندها تقررذهابي إلى الأردن ومعي المقدم توفيق عبد الفتاح من الوفد المصري لاستطلاع الموقف، ومحاولة معالجته، وبحث إمكانية استمرار الوفد بمهمته الأساسية في الأردن.

وفي عمان ذهبت لمقابلة جلالة الملك، وأبقيت المقدم توفيق ينتظرني مع أخي صادق في بيته لأنني عرفت أن تظاهرات شعبية في عمان، وحول القصر الملكي تندد بمصر وسوريا. وقد فوجئت بهذه التظاهرات حول القصر وهي تندد بالبلدين بشكل عجيب لا يتلاءم مع المنطق والواقع الذي أعرفه، وخاصة أنني كنت متأكداً من إخلاص القيادة المصرية لهذا التعاون القائم، وما أبداه السوريون من حسن النية، «عرفت فيما بعد أن السيد توفيق عبد الفتاح اعتقد أنني لم أصطحبه لمقابلة جلالة الملك متعمداً، وهو لم يعرف السبب، وإنني لم أرغب أن يشاهد تلك التظاهرات، والتنديد بجمال عبد الناصر من قبل المتظاهرين، وحتى إنني لم اذكر له هذا السبب فيما بعد عندما جئت إلى مصر لاجئاً سياسياً في مرحلة لاحقة.

قابلت جلالة الملك، وعرضت عليه مهمة وفد القيادة المشتركة، ومفاجأتنا بحوادث الزرقاء، ومدى السير بالمهمة التي نحن قادمون للقيام بها. وكان جلالته مهتما قبل حضور الوفد، وينتظر اتخاذ الإجراءات في الأردن وسوريا.

وبدأ جلالته يتكلم عن الوضع الداخلي في الأردن حيث قال: لقد أنهينا عمل كلوب والضباط الأنجليز الآخرين من جيشنا بناءً على رغبةالشعب، ورغبة سابقة ملحّه في نفسي أنت تعرفها اكثر وأقدم من سواك منذ كنت ملحقاً عسكرياً في لندن، ثم لمست رغبة شعبية في التجاوب مع عرض الدول العربية الشقيقة بإنهاء المعاهدة البريطانية معنا والاستعاضة عن المعونة المادّية البريطانية بمعونة عربية، ولبيت هذه الرغبة، ووافقت على الانضمام إلى القيادة العربية المشتركة، وربطت جيشنا بها، وها أنت ممثلنا في هذه القيادة. ومع الأسف بعد إتمام جميع هذه الاجراءات تنكر لي الكثيرون في الدولة والجيش، وسمعت الهمسات والإشارات التي يكاد بعضهم يعلنها صراحة، وفي الشارع، أن مساندة السلطة في الأردن كانت بيد الأنجليز، وأنه بعد الأستغناء عن خدماتهم فقدت السلطة هذا السند، وهذا غير صحيح طبعاً لأن وضعنا اليوم لا يقارن بوضعنا السابق قبل تحرير بلدنا من تلك الروابط. ثم قال جلالته إن هناك ضباطاً في الجيش أعطوا أهمية ومراكز لا يستحقونها كما ثبت هذا بعد ممارستهم العمل، وكانت تجربة ثبت خطؤها، ويبدو أن التناحر بدأ بين الضباط على وراثة المناصب التي شغرت بعد مغادرة الأنجليز، وأن أشياء تدبر لغير مصلحة البلد.

هذا مايمكن أن ينقل من حديث جلالته. ومن هنا اقتنعت بأن أية عملية حدثت كانت داخلية، ولا علاقة لها اطلاقا بجمال عبد الناصر وقيادته. أمر جلالته بأن أذهب إلى دمشق لأيضاح الموقف لوفد القيادة المشتركة، وابلاغهم بتأجيل زيارتهم للأردن بسبب المشاكل الداخلية التي حصلت، وأنني سوف لا أعود معهم إلى القاهرة إلى أن تسوى الأمور داخلياً، وأمر أن أعود إلى عملي السابق قائداً لمجموعة اللواء الهاشمي في نابلس. ذهبت إلى دمشق في اليوم التالي، وابلغت وفد القيادة المشتركة واقع الحال، ولم يكن عندنا جميعاً أدنى شك بأن وراء العملية أيدياً خفية تعمل ضد

استمرار القيادة المشتركة بعملها وخططها، وإلاّ لما جاء توقيت قيام المشاكل في الأردن مع موعد وصول وفدنا اليها.

أطلعتهم على الموقف، وودعتهم مؤقتاً على أمل اللحاق بهم فيما بعد، وعدت إلى عمان، وتحركت رأساً إلى نابلس، واستلمت عملي السابق وكان ذلك يوم ٢٠/٤/١٩٥٧.

العمل في نابلس

في مساء يوم وصولي الى قيادة اللواء في معسكر حوّارة ذهبت إلى نادي الضباط في نابلس، فوجدت السيد محمد الهنداوي متصرف اللواء، والمقدم السيد قسيم محمد النواصرة مدير الشرطة هناك. وعرفت منهما أن مؤتمراً شعبياً عاماً يضم مندوبين عن الضفتين سيعقد مساءً في بيت السيد عادل الشكعة، وأن وزارة الداخلية وافقت على انعقاده على أن يحضره أحد ضباط الشرطة للاطلاع على مقرراته، وعلمت أن مدير الشرطة قد ارسل الملازم السيد محمد الصّريف ومعه بعض ضباط الصف لحضور المؤتمر. عاد الملازم محمد بعد انتهاء الاجتماع وقال لنا إن المؤتمر اتخذ قرارات تطالب بإقالة الحكومة، وإعادة الضباط الذين هربوا إلى دمشق، والقيام باضراب عام في الضفتين، وبتظاهرات عامة مطالبين بتنفيذ قراراتهم.

ولم يكن، بطبيعة الحال، بمقدور رجال الشرطة بالنسبة إلى نابلس ايقاف التظاهرات، وحفظ الأمن، وبعد إمرار هذه المعلومات من المتصرف، ومدير الشرطة إلى عمان وصلتني تعليمات من القيادة لحفظ الأمن ومنع التظاهرات.

ذهبت إلى قيادة اللواء واستدعيت مجموعة من وجهاء المدينة الذين حضروا الاجتماع وتباحثنا بمقرراته، في ضوء معلومات مندوب الشرطة، واتفقت معهم على إجراء مسيرة سلمية في مدينة نابلس يحضرها من يرغبون من مقاطعات قلقيلية وطولكرم وجنين بدلاً من التظاهرات التي قد تصاحبها الفوضى والاعتداء على ممتلكات المواطنين، والتي قررت قيادة الجيش منعها، وذلك تجنباً لأحتكاك رجال

الجيش والأمن بالمتظاهرين على آن تبدأ هذه المسيرة من مسجد الحاج نمر النابلسي، وتصل إلى دار الحكومة، وأن ارافقكم، أنا وضباط الشرطة، وجرى انتداب السيدين عبد القادر الصالح، وقدري طوقان لإلقاء كلمتين من شرفة دار الحكومة تشكرانهم على وعيهم، وحسن تصرفهم في عرض طلباتهم بطريق عاقلة وسليمة.

إتخذت هذا الإجراء كحل وسط بين قرار المؤتمر، وأوامر القيادة، واصدرت أمراً للوحدات العسكرية بعدم دخول مدن نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية في اليوم التالي، وعدم التعرض لأية مسيرة قد تحصل، واعلامي فوراً عن كل ما يطرأ. وتم إبلاغ المتصرف، مدير الشرطة لإبلاغ مدراء الأقضية بذلك. تمت هذه الإجراءات، ولم يقع ما يعكر صفو الأمن.

في اليوم التالي صدر أمر تعييني حاكماً عسكرياً في منطقة نابلس، وجرى نقل المتصرف، ومدير الشرطة، واضطلعت بمهامهما، وجرى تعيين السيد سليمان طوقان وزير الدفاع حاكماً عسكرياً عاماً. وقد حضر إلى نابلس بعد بضعة أيام، ودعاني للغداء في مزرعة العاصي على جبل جرزيم بمفردي، وتحدثنا بموضوع مؤتمر نابلس، ثم أعطاني كشفاً باسماء مجموعة من وجهاء البلد، وطلب اعتقالهم وإبعادهم إلى معتقل الجفر على أساس أنهم ينتهجون سياسة ضد جلالة الملك وحكومته، وبما إنني كنت أعرفهم خلاف ذلك معرفة حقيقية، وأعرف جيداً أنهم يختلفون معه على أساس الحزبية القائمة في المنطقة منذ أيام الانتداب بين حسيني ونشاشيبي، وحزب استقلال وحزب دفاع ..الخ، فقد قلت له، إنني لا أوافق على اعتقال هذه المجموعة لعدم وجود ما يبرر اعتقالهم، ثم أوضحت له أن هؤلاء هم الطبقة الواعية والمثقفة كما تعرف،وأنهم دعوا إلى بيت السيد عادل الشكعة ولم يتمكنوا من عدم تلبية الدعوة من الناحية الأدبية والأجتماعية. وفي الحقيقة إن دعاية المؤتمر كانت أكبر من الواقع، ووصلت أخباره إلى عمان مفخّمة، وإنهم حضروا تجنباً للنقد، وعلى إنهم من الطبقة البارزة في المجتمع، ومع هذا فإنه لم ينجم عن المؤتمر ما يعكر صفو الأمن، وقلت له إنني أخذت أمراً واضحاً من القيادة بمنع التظاهرات التي قررها المؤتمر، خاصة عند انصراف طلاب المدارس، ولزوم توزيع وحدات الجيش على شوارع المدن الرئيسية، وكان هذا قبل تعييني حاكماً عسكرياً.

وقد قرر المؤتمر قراراته المعروفة. وبالتنسيق مع هؤلاء الذين تطلبون اعتقالهم اتفقنا على استبدال الإضراب والتظاهر بمسيرة سلمية هادئة، وسرت فيها معهم أنا وضباط الشرطة، والمتصرف وبكل هدوء في نهايتها قدموا طلباتهم على لسان خطبائهم دون الحاجة إلى التظاهر، ورشق الحجارة على ممتلكات الناس، وربما استعمال الشدّة من قبل السلطة لوقف هذه الحركات. ثم إن إقالة الوزارة لا تتم بناءً على إرسال برقية من مؤتمر شعبي. وهذا الأمر يعود إلى رأس السلطة، والبرقيات ليست ملزمة لاتخاذ مثل هذا الإجراء. أما الضباط الذين ذهبوا إلى دمشق فقد تقابلت معهم هناك يوم وصولهم من عمان في قيادة الجيش السوري قبل بضعة أيام، وأنا في وفد القيادة العربية المشتركة، وجئت إلى عمان واطلعت السلطة على الموقف، وهم سوف لا يعودون حتى لو سمح لهم بذلك:

وبالرغم من هذا الإيضاح قال وزير الدفاع بصفته الحاكم العسكري العام إنه يعرف هولاء أكثر مني، ويقرر أنه يجب اعتقالهم ومحاكمتهم، وعندها لم أجد بداً من القول له بصراحة إنني لن أفعل ذلك، ولن أعتقل أياً منهم، وإن كنت مصراً على هذا الإجراء فأن بامكانك تعيين حاكم عسكري آخر ينفذ هذا الأمر. وعندها انتصب واقفاً ومشى إلى سيارته، وتحرك عائداً إلى عمان.

«معلوماتي التي يعرفها مواطنو منطقة نابلس هي إن أعلى مركز وصل اليه السيد سليمان طوقان هو رئاسة البلدية، ليس لديه ما يؤهله لمنصب وزير دفاع وحاكم عسكري عام». في مرحلة وجودي في منطقة نابلس تعرفت على الكثيرين من الشباب الواعين المخلصين لأمتهم وبلدهم منهم: الدكتور وليد القمحاوي، وابن العم الدكتور رفعت عودة، والدكتور جميل مرقه، والدكتور عبد المجيد أبو حجلة، والدكتور فارس المسعود، والدكتور صلاح عنبتاوي. والقضاة كل من : راتب الوزني، وهاني الرفاعي، وكثيرون ممن وردت اسماؤهم في مجرى الحديث ضمن هذه المذكرات، وهم بالعشرات. عرفت من هؤلاء وأمثالهم إضافة إلى معرفتي السابقة لقرى ومدن المنطقة خلال عمل خمس عشرة سنة عن الخلافات التي أوجدتها سلطات الانتداب بين جميع تنظيمات وتكتلات الشعب الفلسطيني. ولذلك فإنني حينما تسلمت المسؤولية، كحاكم عسكري، لم يكن من السهل قلب الحقائق، وايقاع المظالم اشباعاً

لرغبات إنسان ضد آخر، والانتقام بصورة رسمية تلبية لرغبات شخصية. ذهب وزير الدفاع إلى عمان، وأرسل لي كتاباً مع ساعٍ من الشرطة العسكرية يطلب فيه اعتقال كل من السادة جمال قاسم، ونعيم عبد الهادي، وعبد القادر الصالح، وفائق العنبتاوي، ووليد قمحاوي، وعادل الشكعة، ووليد الشكعة، ومحمد العمد، ونايف المصري، وصلاح عنبتاوي وإرسالهم إلى معتقل الجفر في جنوب الأردن.

بطبيعة الحال أنا لم أقتنع بتنفيذ هذا الإجراء عندما بحثناه معاً، وجاهياً لأنه ليس من المصلحة في شيء، وكنت قد قررت عدم تنفيذه كما ذكرت، وارسال كتاب خطي لا يبدل شيئاً بالنسبة للحقائق.

طلبت رئيس الأركان اللواء حابس المجالي هاتفياً، وذكرت له إيجازاً عن الموقف، وطلبت تدخله بالموضوع فقال أرجوك أن تتركني على الحياد، والمسألة بين حاكم عسكري عام، وحاكم عسكري فرعي، ولا أريد أن أحشر نفسي فيها. وعندها طلبت دولة رئيس الوزراء السيد سمير الرفاعي، وحاولت أن أضع الصورة أمامه هاتفياً، فقال إنه صار عنده طرف من المعلومات، وطلب حضوري إلى عمان، ومقابلته لدراسة الموقف. ذهبت إلى عمان، وقابلته في بيته قرب دوار اللويبدة، وشرحت له التفصيلات، وقلت إنني قابلت معظم أفراد المجموعة المطلوب اعتقالهم عشية اجتماع مؤتمر نابلس، ونسّقت معهم استبدال الإضراب والتظاهرات بمسيرة سلمية، وهذا الإجراء اتخذته تلقائياً، وقبل تعييني حاكماً عسكرياً حينما اقتنعت بضرورته. ولأن الوضع كان يقتضي تدخلي كقائد القوات العسكرية في المنطقة بالرغم من أن المتصرف، ومدير الشرطة هما المسؤولان قانوناً، وإلى آخر الموضوع، فقال لي، إن معلومات مشوهة وصلت إلى جلالة الملك، وأرى أن تقابل جلالته، وتشرح له الواقع.

ذهبت وقابلت جلالة الملك، وشرحت له الموضوع فكان في منتهى السعادة والرضى لمبادرتي هذه، وقال لي: اعمل ما تراه مناسباً.

عدت إلى نابلس، واستمررت في عملي مضطلعاً بمهام الحاكم العسكري في الدوائر الحكومية، والأمن العام، ووحدات اللواء، والحرس الوطني إضافة إلى مشاكل الحدود اليومية مع اليهود التي لا يراد لها أن تنتهي.

يبدو أن السيد سليمان طوقان اقترح على جلالة الملك تعيين حاكم عسكري بدلاً

مني، والاكتفاء باضطلاعي بالمهام الأخرى بسبب ارهاقي بكثرة العمل، وإصابتي بالتهاب القولون، وبعد عشرين يوماً جرى تعيين اللواء بهجت طبارة حاكماً عسكرياً، وبعد تسلمه العمل ببضعة أيام جمع الأشخاص الذين رفضت اعتقالهم، وآخرين معهم من المستوى نفسه، وارسلهم إلى معتقل الحفر، ولكن عندما وصلوا إلى مدينة معان استضافوهم في قيادة المنطقة، وبكل احترام، لبضعة ايام، ثم افرجوا عنهم مع الاعتذار. يمكن للقارئ أن يميّز بين الموقعين وأيهما أجدى.

وعندها جرى نقل السيد سليمان طوقان إلى عمل آخر وفي اليوم نفسه، وقبل إعلان هذا النقل حضر جلالة الملك إلى قيادة الجيش، وطلب من أخي صادق إبلاغي بهذا النقل بنوع من التندر! وفي المساء أذيع نبأ نقل وزير الدفاع إلى وزير بلاط.

وبعد نحو شهر طلبت لمقابلة جلالة الملك، حيث قال لي إنه قد مضى وقت طويل على لوائي من دون أخذ قسط من التدريب، وأنه يرى أن ننتقل إلى منطقة الزرقاء حيث يتوفر الوقت، ومناطق التدريب. ولوجوب تدريب وحدات مدفعية وهندسة هناك مع لوائنا، وكذلك لإبعاد ضباط وافراد اللواء عن كتل المدنيين. سبق أن كنت أركان حرب الكتيبة الخامسة، وقائدها الشريف محمد هاشم. وكنت أتصرف بحسب اجتهادي في كثير من الأمور التي فوق صلاحياتي، وصلاحيات قائد الكتيبة، فقال لي بيت الشعر الآتي:

إذا لم يكن عوناً من الله للفتى　　　فأول ما يقضي عليه اجتهاده.

إن مضمون هذا البيت قد رافقني في مراحل سابقة ولاحقة ومنه اجتهادي المذكور في نابلس وآخر عند تسلمي قيادة الكتيبة الأولى، ثم علاقاتي مع العراقيين عند تسلمي لمواقعهم في منطقة نابلس، وفي زياراتي ومقابلاتي لهم في بغداد وغيرها. وفي مرحلة عملي سفيراً في الكويت، وقد وردت تلميحات عن هذه الملاحظات في متن المذكرات التي صدرت، وقد يصدر بعضها في مذكرات لاحقة، والاجتهاد قد يصيب، وقد يخطىء، وأنا أحبذ طرق الاجتهاد طالما إنه يستهدف الصدق والمصلحة العامة.

مرحلة وجود اللواء الهاشمي في منطقة الزرقاء

تحرك اللواء الهاشمي من منطقة نابلس إلى منطقة الزرقاء، وباشرنا بوضع مناهج التدريب وتطبيقها مع إشراك الأسلحة المساندة المشار اليها، وإشراك اللواء العراقي المسمى رتل هادي نسبة لقائده الزعيم هادي سالم، والذي كان يعسكر بجوار لوائنا في منطقة خو وكان ملحقاً به سرب طائرات بقيادة المقدم الطيار عارف عبد الرزاق «قائد سلاح الجو، ووزير دفاع، ورئيس وزراء فيما بعد، ولي معه علاقة نادرة لا مجال لذكرها. وقد اجتمعنا أخيراً لاجئين سياسيين في القاهرة».

في هذه المرحلة زار الأردن وفد عراقي برئاسة جلالة الملك فيصل الثاني، ومعه رئيس وزراء العراق السيد نوري السعيد، واللواء رفيق عارف رئيس الأركان، ووزراء آخرون، والعميد ناجي طالب، وهو زميل سابق كملحق عسكري في لندن. وكان عارف عبد الرزاق مساعداً له، ومعه مساعد جوي هو العقيد عبد الخالق السعدون. ولي معهم أحاديث طويلة عن أوضاع الأردن والعراق منذ أحداث عام ١٩٤٨، وما بعدها التي أصبحت جزءاً من تاريخنا، وقد اذكرها في جزء آخر من هذه المذكرات، أو في وقت مناسب.

طلبت رئاسة الأركان مني إجراء مناورة تمثل عملية هجوم يشترك فيها اللواء الهاشمي تساندها كتيبة دبابات وكتيبة مدفعية، واللواء العراقي، ومعه كتيبة دبابات عراقية، ويساند العملية سرب الطيران العراقي.

أجرينا الكشف، ووضعنا مشروع المناورة، واخترعنا الأهداف ومراحل تطبيق العملية.

أقمنا منصّة للضيوف تشرف على منطقة المناورة على طريق الأزرق. ،حضر جلالة الملك حسين ومعه أركان الدولة، ووقف الوفد الأردني والعراقي على المنصّة يراقبان تطبيق العملية. كنت أدير العملية من موقع قريب من المنصّة، ومعي المقدم عارف عبد الرزاق، وكان في اوج الحماسة لهذه المناورة، وهذه المناسبة السعيدة التي جمعت قيادتي البلدين أصبحت تاريخاً يثير الشجون، وقد ذكرني فيها مراراً في أثناء تواجدنا لاجئين سياسيين في القاهرة لا بد من ذكر تفصيلاتها في مناسبة لاحقة.

وقد أعجب الوفد العراقي بمستوى تدريب الجيش الأردني. وبعد مدة من هذا اللقاء حضر وفد عسكري عراقي برئاسة اللواء رفيق عارف رئيس الأركان، ومعه الزعيم ناجي طالب، ومجموعة من الضباط. وجرت احاديث حول السير في طريق الأتحاد والوحدة. وجرى البحث رسمياً على مستوى الدولتين للسير في موضوع الاتحاد بين البلدين كبديل لحلف بغداد، مبتدئاً بالتعاون اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً على أساس أن الحكم القائم فيهما يشكل عائلة واحدة، واهدافها واحدة، ولا مناص من تعاونهما في هذا الظرف الحرج، كما جرى البحث على أساس توحيد القيادتين السياسية والعسكرية، وتم الاتفاق على إقامة الأتحاد الهاشمي، وتعيين وزارة مركزية، وقيادة جيش موحّد في بغداد. وتحركت الوزارة المعنية من الأردن إلى بغداد كأعضاء وزارة موحّدة، وعلى أساس أن السيد ابراهيم هاشم رئيس لوزارة الاتحاد، وسليمان طوقان وزير للدفاع، وأخي صادق نائب لرئيس الأركان ليشتركوا، ومعهم وزراء آخرون من الأردن مع اعضاء عراقيين ينسبهم العراق ليشكلوا وزارة موحدة مركزها بغداد.

وبعد وصولهم بثلاثة أيام ، وبموجب الأتفاقية تحرك أحد الألوية، كمقدمة فرقة في طريقه الى الأردن بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم، ومساعدة العقيد عبد السلام عارف. وحينما مرّ بالعاصمة بغداد، قام بعمليته العسكرية الانقلابية التي راح ضحيتها جميع افراد العائلة المالكة، وعدد آخر من أعضاء الحكومة القائمة، ومنهم رئيس الوزراء نوري السعيد، واستولى على الحكم. لم تكن هذه العملية متوقعة، وخاصة في ذلك الظرف، وربما كانت وراءها أيد خفية للقضاء على الاتحاد قبل ولادته، وتحسباً أن يكون نواة لوحدة أكبر في المشرق العربي، راح ضحية العملية معظم الاعضاء الأردنيين في حكومة الاتحاد ومنهم رئيس وزراء الاتحاد ابراهيم هاشم، ووزير الدفاع سليمان طوقان، وأصيب أخي صادق بعدة جروح نقل على أثرها إلى المستشفى العسكري في معسكر الرشيد، وقد اجتاحت الفوضى العامة شوارع بغداد تقتل كل من تراه في سيارة عسكرية تحت الحراسة حتى اولئك الذين نقلوا من الفنادق وغيرها من العراقيين بقصد حمايتهم من الفوضى على أساس أن تلك السيارات تحمل معتقلين ممن هم ضد الثورة:

كان الوضع غامضاً، ولم نتمكن من معرفة مصيرصادق، وقد اتصلت برئيس الوزراء، ورئيس الأركان وغيرهم من المسؤولين في دوائر الدولة، وعجزنا جميعاً عن الوصول الى نتيجة، وبعدها اتصل الشريف ناصر عن طريق سوريا والموصل بطرق خاصة، فجاءته معلومات تفيد أن صادقاً مصاب بعدة جروح، ولكن ليست خطيرة. وانه في مستشفى الرشيد ببغداد، ومن هذا المصدر عرفنا ما جرى لصادق وزملائه كما مربنا.

صدر الأمر بالتحفظ على ضباط اللواء العراقي رتل هادي، وعلى ضباط كلية الاركان العراقية الذين كانوا يقومون بزيارة الى الأردن ويقيمون في قيادة لوائنا برئاسة مدير الكلية الزعيم حسن مصطفى، كان هذاالاجراء بأمر رئيس الاركان على اساس الخوف من الاعتداء عليهم اذا تجولوا بين المواطنين وكذلك منع الجنود العراقيين من الخروج من معسكراتهم للاسباب نفسها وصارت جميع طلباتهم الإدارية تؤمن من قبل اللواء الهاشمي. طلبت رئاسة الاركان أخذ ضباط اللواء العراقي، وضباط كلية الاركان للإقامة في نادي ضباط معسكر الزرقاء، وعندما بلغت الزعيم حسن مصطفى بهذا الترتيب قال لي : يعني معتقلين : قلت له : معاذ الله، انتم ضيوف وأخوة اعزاء. وذكرت له اسباب التحفظ، وتم ذهاب جميع الضباط الى نادي الزرقاء . حضر كل من العقيد ابراهيم فيصل الانصاري، وعبد الجبار شنشل وزوجته اللذين كانا يقيمان الى جوار بيتنا في المعسكر، وهما صديقان عزيزان، وقالت زوجة عبد الجبار : ضعنا ياابا كمال، فقلت لها: لن تضيعوا الا اذا ضعنا معكم، وما ذنبكم وانتم ضيوفنا هنا، والانقلاب وقع في العراق، ولا علاقة لكم به، بحثنا موضوع صادق ووجوده في مستشفى الرشيد، وكيف نتصرف في موضوعي ، فعرضنا أن يذهب الأخ ابراهيم فيصل إلى بغداد، ويحضره الى الاردن، اتصلت مع رئيس الوزراء، والقائد العام، واخذت موافقتهما وذهب ابراهيم الى بغداد مع حراسه الى الحدود العراقية،وعاد بعد يومين ومعه صادق، واتصلا هاتفياً من حدود الأردن، وقد حلَّق جلاله الملك حسين بطائرته فوق سيارتهما على ارتفاع منخفض في منطقة اتسن فايف. وبعد وصولهما حضر إلى بيت صادق في معسكر العبدلي، ومعه شقيقاه محمد وحسن مهنئاً بالسلامة، وحضر عدد كبير من أركان الدولة والجيش

والأصدقاء وأبدى جلالته فرحاً عظيماً ولا يمكن نسيان موقف جلالته هذا مهما تبدلت الظروف، والتي تبدلت فيما بعد، ولا بد من شرح حقائقها في مرحلة لاحقة.

نشأت في الجيشين وفي جوانب من المواطنين عمليات تسابق رخيص على أظهار الإخلاص للسلطة العليا برز فيها أشخاص يكيلون التهم جزافاً حيثما كان، وكيفما اتفق، وأمضينا عدة شهور في متاهة ضاعت خلالها مقومات الإخلاص الحقيقي، وصار الضباط، وأغلب المراتب الأخرى يراقبون ويحذرون بعضهم، وضعفت الثقة بين الرئيس والمرؤوس.

في هذه المرحلة أعتقد أن أيدياً خفية لعبت دورها لضرب الجيش الأردني من الداخل استمراراً للمخططات التي سبق أن أفسدت استمرار القيادة العربية المشتركة، وها هي قد حطمت الاتحاد بين الأردن والعراق وفي مرحلة لاحقة انهت قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، واستمرت بتدمير الجيوش العربية «كما حصل في العراق، اخيراً»، ثم نزع الثقة، وتنمية العداء بين الدول والشعوب، وخلق التنظيمات العديدة والتكتلات التي تعادي بعضها وتتشعّب أهداف احزابها.

أطيح بالجيش العراقي، وكان هو الضحية الكبرى إذ فقدالعديد من قادته وضباطه، أفنوا بعضهم في حركات انقلابية متلاحقة، وضاعت الثقة ومعها الصداقات والمبادئ والمثل، وساد الطمع بالحكم والجاه والمركز الوظيفي وأبعد الكثيرون عن القوات المسلّحة. كان الجيش السوري قد اخذ نصيبه من هذه المخططات منذ الجلاء الفرنسي عن سوريا، وتلاحقت الانقلابات العسكرية ابتداء من انقلاب حسني الزعيم. إلى سامي الحناوي واديب الشيشكلي، وجاسم علوان، وغيرهم وصولاً إلى الوحدة مع مصر ثم الانقلاب على الوحدة وما تبعه من تغييرات حتى عملية التصحيح القائمة حالياً.

لم ينج الأردن من المرور بهذا الدور، ومواجهة هذه المخططات، لكنها كانت قد حيكت بإحكام أكثر، وطرق مختلفة، وذلك بسبب علاقة الأردن بالقضية الرئيسية، قضية فلسطين، ولا شك في أن التخطيط اراد الإبقاء على الأردن بموارده المحدودة، والتي لا تتناسب مع مسؤولياته، مع سلبه معظم مرتكزاته الأصلية التي أبقته

محتفظاً بعاداته وتقاليده وآماله الوطنية، وخاصة إنه محدود العدد، ويعيش كعائلة واحدة يكاد الفرد فيه يعرف جميع المواطنين، قبائلهم وفروعهم، وكأنهم عائلة واحدة يفرح لفرحهم، ويتألم لآلامهم.

بدأت الكراهية، والتفرقة، والشكوك، والأوهام بطرق وأفكار متعددة تبثّها جهات حاقدة على المجتمع، أو جاهلة، أو مستغلة. وحصلت مضاعفات لا مجال لذكر تفصيلاتها وتسمية بعض أشخاصها في هذا البحث.

ولا شك في أن الكثيرين يدركون ما وراء هذه المخططات، والتآمرات على الأمة العربية، ويوقنون بأن تخلّف الأمة العربية عن ركب الحضارة سببه ابتعادها عن المبادئ القومية، وطول أمد التحكم الأجنبي، وعودتها الى الجاهلية، والتحكم الفردي، والصراع على السلطة. وإنه كلما زاد الوعي القومي، والإيمان بالأمة العربية التي لم تجتمع أمة أخرى على ما اجتمعت عليه من معتقدات، وروابط جنسية، وقومية، كلمـا ١٢٢ وعرقية، وجغرافية، ومبادىء أخلاقية يفتقر اليها معظم شعوب العالم، عرفنا أهمية تعاوننا واتحادنا.

الفصل السادس
العمل ملحقاً عسكرياً في ألمانيا
ثم الذهاب إلى الجمهورية العربية المتحدة

بعد ثورة عبد الكريم قاسم في العراق قامت بلبلة في الأردن، وتشعبت الآراء، والأفكار، وراجت إشاعات، وجرت اتهامات، ومباحثات لامجال لذكر أسبابها، وتفصيلاتها في هذه المرحلة. ولابد من بيانها في جزء آخر وجرى تعييني ملحقاً عسكرياً في المانيا الغربية، وسافرت وأفراد عائلتي على متن احدى الطائرات إلى بيروت يوم ١٢/ ١/ ١٩٥٩ ولا أنسى وداع عدد كبير من الضباط في مطار عمان، وحينما درجت الطائرة على أرض المطار، وألقى الزعيم كريم أوهان بلباس رأسه«القبعة» في الهواء باتجاه الطائرة، وفعل الكثيرون مثله، والكل يلوّح بيديه مودعاً.

وفي اليوم التالي ١٣/ ١/ ٥٩، وصلنا بون، واستقبلنا في المطار السفير عبدالله الزريقات وعائلته، والسيد نبيه نمر السكرتير بالسفارة، وأقمنا في فندق بتهوفن القائم في باحة الموسيقار الشهير بتهوفن، والملاصق لبيته الذي تحول إلى متحف، نحو شهر، ثم انتقلنا إلى بيت استأجرناه في شارع رديندوف شرقي نهر الراين الى جوار بيت المستشار أيدناور. زارني السيد فوت جروّبا الذي كان سفيراً لألمانيا الهتلرية في بغداد، والذي لعب دوراً بارزاً يعرفه العراقيون الذين عاصروه حينما ساند ثورة رشيد عالي الكيلاني بمختلف الأسلحة البرية والجوية. وأحضر معه ولده الشاب ليعرّفه عليّ حرصاً منه على تعريف ولده باصدقائه العرب، ورددت له

الزيارة، ثم تكررت الزيارات بيننا، وعرّفني على الكثيرين من أقرانه، ومنهم صديقه الجنرال هوز نجار قائد الجيش الألماني، ورئيس جامعة بون البروفيسور تيمن، وآخرون ممّن يتعاطفون مع القضايا العربية. وكان يحب الشعب العربي حقاً، ويعرف الكثير عن الفتوحات الإسلامية، وتاريخ المنطقة في عصور ازدهارها. وقال إنه صديق للسيد رشيد عالي الكيلاني ومجموعته.

وحينما أقمت في القاهرة، فيما بعد، تعرفت على السيد رشيد عالي، حيث كان يقيم مع صهره زوج ابنته الدكتور نجم الدين السهروردي اللاجئ السياسي العراقي. وقد أكد لي صداقة جروبا، ومحبته الأكيدة.

صارت في بون مناسبات اتضح لي منها أن جروبا ومجموعته كانوا فعلاً الى جانب الأمّة العربية، ويتعاطفون معها. وأورد بعض ما اتذكره في هذا السياق:

كان ثلاثة من الطلاب الأردنيين قد وزعوا مناشيرفي جامعة بون يهاجمون فيها الصهيونية، العالمية، وتصرفات اليهود في فلسطين. وتوصلت السلطات إلى معرفتهم، واعتقلتهم للتحقيق معهم، واجتمع السفراء العرب المعتمدون في بون في السفارة الأردنية، وجرى بحث الموضوع، ثم الاتفاق على أن يراجع السفير السعودي وزارة الخارجية بشأنهم بصفته عميد السفراء العرب. كنت حاضراً الاجتماع فقلت للمجتمعين إنني أعرف قائد الجيش معرفة لا بأس بها، واقترحت أن اطرح الموضوع عليه لعله ينهيه بصورة جانبية، وإن لم يتم هذا أذهب إلى السفير السعودي ليواصل مساعيه، فوافقوا على هذا الرأي، واتصلت فوراً بسكرتير قائد الجيش، وطلبت موعداً للمقابلة فوافق على ذهابي فوراً، وعندما جلست مع قائد الجيش هوز نجار، وعرف عن موضوع اعتقال الطلاب بسبب المناشير بادرني قائلاً: سأعمل على اخلاء سبيلهم اولاً ثم نتحدّث. أخذ سماعة الهاتف، وتكلم مع جهة أخرى. وبعد إنهاء المكالمة قال لي إن الطلاب سيسبقونك الى السفارة، والآن نتحدث. في الموضوع.

قال إنه شخصياً قد تأثر بالموضوع لأن طلاباً من أصدقائنا العرب يضيّعون أوقاتهم في كتابة المناشير بأيديهم، وبصورة سرِّية، ويلقونها في قاعات الجامعة

دعوةً لقضيتهم، وهذا عمل لاقيمة له إذا قورن بأعمال الصهيونية التي تسيطر على معظم وسائل الأعلام من تلفزيون واذاعة وسينما، مع امتلاكهم للكثير من أسهم البنوك، واشتراكهم في أغلب المصانع، تساعدهم في ذلك قوات الإحتلال في المانيا، وأن اشتراكهم في هذه الأعمال ليس فقط في المانيا بل يشمل كثيراً من البلدان، وعلى الأخص بلدان اوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية وهم يتدخلون في سياسات دول هذه البلدان.

انتم تريدون مجابهتهم إعلامياً بمناشير تكتب بالأيدي، وتوزع سراً ولا فائدة منها. إنكم إذا تعاونتم في بلدانكم تعاوناً اكيداً تشكلون قوة اقتصادية وعسكرية وبشرية تتمكن من سحق إسرائيل في أيام معدودة إذا جرى تنظيمها والتخطيط لها، وستعجز دول الغرب مجتمعة عن إمكانية التحرك السريع لمساعدتها، وسأعرض لك مثالاً حياً مارسناه نحن الألمان، نحن غُلبنا في الحرب العالمية الأولى لأسباب معظمها اقتصادية، وبسبب تطويق بلادنا براً وبحراً ولمدة طويلة. وقبلنا وقف القتال والهدنة، ودفع غرامات مالية كتعويضات وتقسمت بعض أجزاء بلدنا بين المنتصرين فأخذ الفرنسيون منطقة الألزاس واللورين. واخذت النمسا قسماً من بافاريا. واخذت بولونيا أجزاءً من بروسيا. وقبلنا بهذا كله وسكتنا عشرين عاماً، نصنع الدبابات الضخمة، والطائرات الموجهة من دون طيارين، وغيرها إلى أن توصلنا لصنع القنبلة الذرية، وقاربنا على إتمامها واستعمالها في أواخر الحرب العالمية الثانية، لم نتبجح ونخطب في الإذاعات، ونهدد، ونتوعد بالكلام ولم نشك لهيئة أمم، أو مجلس أمن، وقد فاجأنا أوروبا عام ١٩٣٩، وسيطرنا على معظمها وهزمناهم في كل مواجهة، وفرضنا الإحتلال على كل بلد اقتطع أي جزء من المانيا في الحرب العالمية الأولى. وعندما غزونا روسيا كنت أقود أحد الفيالق، وقد احتللنا معظم أجزاء روسيا الحيوية من لينينغراد، وموسكو غرباً. وقد كسرت ساقي في اثناء هذه المعارك كما ترى«وقد كشف عن ساقه، وكانت خشبية ويمشي عليها اعتيادياً»، ثم تألبت علينا معظم بلدان العالم من الغرب والشرق، وجاءت أمريكا بكل ثقلها إلى جانب الحلفاء الأوربيين هم وابناء مستعمراتهم، وحاربونا في عدة جبهات كما هو معروف، وغُلبنا أيضاً، وفُرض علينا الاحتلال، وهاقد مرَّ على نهاية الحرب أربعة عشر عاماً«كان هذا

الحديث عام ١٩٥٩» وألمانيا لم تزل مقسمةً إلى مناطق احتلال، حتى أن البلجيكيين والهولنديين لهم مناطق احتلال في قلب ألمانيا، ومع هذا فإن اقتصادنا اليوم يفوق ماكنا عليه قبل الحرب بمعدل ٢٦٠٪ وستعود ألمانيا قوية وموحدة بعد أن فرض عليها التقسيم إلى دولتين شرقية وغربية، وسيأتي اليوم الذي يحاول فيه المنتصرون الخروج من بلادنا، وتسليمنا مسؤولية الدفاع كاملة ضد كتلة روسيا، وهم في الحقيقة، يحاولون ذلك معنا من الآن، ولكننا نقول لهم، نحن لانستطيع الدفاع عن ألمانيا، وليدافع عنها حلف الأطلسي، وسنبقى نحن نعمل على تقوية اقتصادنا، وتحسين مستوى معيشة شعبنا إلى أقصى حد ممكن، وسنبقى نعمل جميعاً لإعادة وحدة ألمانيا «وها هي ألمانيا عادت موَّحدة، وأنا أعيد توحيد هذه المذكرات في عام ١٩٩٢».

ثم قال يجب أن يتعاون اخواننا العرب تعاوناً يتناسب معهم كأمّة لها تاريخها المجيد والإمكانيات المادية والعددية، والأراضي الشاسعة التي تشكل قارة بحد ذاتها، ولا يركنوا كثيراً لنتائج وسائل الإعلام وغيرها.

زيارة إلى قوات الحلفاء في برلين

وإكمالاً لموضوع الحديث مع الجنرال هوز نجار أذكر أنني حينما كنت ملحقاً عسكرياً في لندن عام ١٩٥٣، دعاني اللواء هوب تومسون قائد قوت الحلفاء في برلين لزيارته، وهوب تومسون سبق أن كان مديراً للعمليات في قيادة الفرقة الوحيدة في الأردن في مرحلة سابقة بينما كنت ركن تدريب اللواء الأول، وكنا أصدقاءً، ذهبت بحراً عن طريق هولندا وامضيت يوماً في معسكر بادن هاوزن مقر قيادة حلف الأطلسي آنذاك، وكان القائد العام للحلف الجنرال آيزنهاور، ومساعده الجنرال مونت غومري، أرسلوني في القطار في اليوم التالي، وأرسلوا معي ضابطاً مرافقاً برتبة ملازم من قيادة الحلف، وفي برلين استقبلني اللواء هوب تومسون، وخصص لي ضابطاً مرافقاً من قيادته، وضباطاً في نادي الضباط بمعسكر رومل الواقع على بحيرة في شمال برلين فسمي فيما بعد بمعسكر مونت غومري. وقد

أمضيت هناك ثلاثة أسابيع زرت خلالها معالم المدينة، وشاهدت مواقع المعارك، وآثار الحرب التي جرت في المنطقة، ورافقت تومسون في مراحل مناورة عسكرية دامت ثلاثة أيام. وبعد انتهائها، ومناقشة الخطأ والصواب، والدروس المستفادة منها، وكان معظم الضباط يضعون السماعات على آذانهم، ويستمعون إلى ترجمة النقاش إلى عدة لغات. وعندها قال لي تومسون: أنا خدمت في جيشكم، ولم أزل أحن إلى شعبكم وبلادكم. وأضاف قائلاً: إن المشتركين في المناورة هم من عدة جنسيات، ويتكلمون عدة لغات. وكثيراً ما حاربت بلدانهم بعضها، وهاهم تحت قيادة واحدة، واهدافهم واحدة كما ترى،قل لجماعتك في الشرق العربي، وهم بطبيعة الحال يعرفون ماأقوله. إنهم أُمة واحدة، ومعتقداتهم واحدة، ولا ينقصهم إلا التعاون.

إن ملاحظات تومسون هذه مطابقة تماماً لملاحظات القائد الألماني هوز نجار التي مرَّ ذكرها.

وأعود للحديث عن وجودي في ألمانيا ملحقاً عسكرياً، فلقد أمضيت سبعة شهور في بون، ثم حصلت ملابسات لا مجال للخوض بتفصيلاتها وقد اذكرها بمناسبة أُخرى.

ذهبت إلى القاهرة لاجئاً سياسياً، وكانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا، وبعد بضعة أيام غادرت القاهره إلى دمشق وأقمت فيها في بداية عام ١٩٦٠، وكانت الأوضاع في سوريا طبيعية ومستقرة، ومالبثت أن جرت انتخابات الاتحاد القومي، وبرز تنظيم هذا الاتحاد، وكان أعضاؤه خليطاً من جميع الأحزاب، والتكتلات، والتنظيمات العلنية والسرِّية. ونشطت هذه التنظيمات نشاطاً ملحوظاً ضد الوحدة بدلاً من أن تعززها، ثم جاء المشير عبد الحكيم عامر نائباً لرئيس الجمهورية لشؤون الاقليم السوري، واصدر عدة قرارات وأنظمة تأميم، وقوانين مطابقة تقريباً لتلك التي تطبَّق في مصر، إذ إنها جمهورية واحدة، ولابد من توحيد قوانينها وأنظمتها.

وهذا الإجراء ساعد على التذمر وأعطاء سبب للتحرك ضد الوحدة، ونشطت الأطراف التي تضررت اقتصادياً، كما نشطت إسرائيل، وأعوانها الذين تهددت مصالحهم. وبدأت التحركات من لبنان، وصارت بيروت مركزاً رئيسياً لتأليب

العناصر السورية المعارضة للوحدة، ونشط الكثيرون في هذا المجال ليحصلوا على مكاسب ماديَّة من دون أن يقدِّروا عواقب مايفعلون، ونتائجه على نواة وحدة مرجوَّة طالما كافح أحرار العرب على طريقها، والسير على اهدافها منذ تفتح الوعي العربي، ولعلَّ ضمائر أولئك النفر قد استيقظت الآن، ووقعوا في تأنيب الضمير بعد فوات الأوان.

وفي أواخر أيام الوحدة علمت من أحد الأصدقاء السوريين في القوات المسلَّحة أن هنالك حركة يجري تحضيرها وتنظيمها للقيام بحركة عسكرية محدودة في دمشق لفك الوحدة مع مصر، فعزمت على إعلام المشير بالموضوع، وذهبت وقابلت مدير مكتبه العقيد عبد الكريم النحلاوي الذي أصَّر على معرفة الغرض من المقابلة، وأصررت أنا على أنها للسلام فقط على أساس علاقتنا أيام القيادة العربية المشتركة، وصرفني يومها على أساس أن المشير مشغول لأعود في اليوم التالي. وعندما عدت عاد عبد الكريم يسأل عن السبب قائلاً: إنه لا بد أن في الأمر شيئاً، فهل تكتّم ذلك عني، إنني قد أكون حاضراً المقابلة مع المشير، أو إنه سيعلمني عن موضوعها لأن الثقة حاصلة، وقد أعطيته موجزاً عن الموضوع، وعندها أقسم لي إن المشير مشغول باجتماع، ثم قال إذهب إلى البيت، وأنا سأطلبك في أول فرصة يخلو فيها. وعدت أنتظر في البيت حتى المساء من دون أن اسمع منه أي خبر.

وبعد منتصف تلك الليلة حصل شيء ما أزال حائراً في تفسيره، فلقد استيقظ ولدي محمد من النوم مرعوباً، وأيقظ جميع افراد العائلة، وهو يبكي، ويقول لقد انهدم البيت علينا، وصرنا نهدئ من روعه وبعد دقائق إندلعت نيران الرشاشات والبنادق بشكل كثيف ومفاجئ في الطرف الجنوبي من الحي ا الذي نسكنه، وهو حي عدنان المالكي، حيث يسكن المشير عبد الحكيم عامر، وعندها أدركت أن العملية قد بدأت، فأسرعت بارتداء ملابسي، وذهبت إلى بيت السيد عبد الحميد السراج أستطلع الخبر، فوجدته مطوقاً بالجنود، وشاهدت الكثيرين من الناس يتجمهرون في الشوارع، ثم ذهبت إلى بيت العميد أحمد زكي، وهو من الجيش المصري، وزميل سابق في القيادة العربية المشتركة ومديرللعمليات في الجيش السوري التي يسمونها الشعبة الأولى، فوجدته مطوقاً أيضاً، فعدت إلى البيت وصار الأمر

واضحاً، وبدأت الإذاعة السورية تذيع البيانات الأول والثاني... الخ، واتضح أن العقيد النحلاوي هو قائد عملية الانفصال، وربما كانت مقابلتي له قد عجلت بإجراء عملية الانفصال. صدر بيان فصل سوريا عن الوحدة مع مصر، وأعقبته عدة بيانات في هذا المضمون، وجاء البيان التاسع يؤكد التمسُّك بالوحدة، وإن القصد من العملية هو عملية تصحيح ثم استقرت النتائج على تكريس الانفصال.

جرى تسفير المشير عامر، ورئيس الأركان جمال فيصل، زميلي في القيادة المشتركة سابقاً، وأعضاء الوزارة السوريين إلى مصر من مطار المزَّة، وعيَّن مأمون الكزبري رئيساً للوزارة السورية الجديدة. كان بيت السيد مأمون ملاصقاً للبيت الذي أسكنه، وجاء الحرس إلى بيته، وصار بيتي ضمن نطاق الحراسة وكل من يأتي إلى بيتي أو يخرج منه اصبح خاضعاً للتفتيش أو الاستفسار. حضر أحد الاصدقاء من ضباط الجيش ونصحني بالابتعاد عن البيت حتى يتبلور الموقف لأن العقيد حيدر الكزبري أحد الضابط البارزين في عملية الأنفصال! وأن مجموعة من زملائه بحثت موضوع اعتقالي، ذهبت إلى معسكر اليرموك، المعروف في دمشق مركزاً للاجئين الفلسطينيين، وأمضيت فيه ثلاثة أيام حيث ثبث لي أن فكرة اعتقالي قوبلت بالرفض من قبل قائد العملية عبد الكريم النحلاوي. عدت إلى البيت، وطلبت السماح لي بمغادرة دمشق إلى القاهرة. وبعد أخذ ورد، ومحاولات صادقة من بعض المسؤولين الجدد لإبقائي في سوريا أصررت على طلبي، فوافقوا عليه وذهبت إلى بيروت، ومعي ولداي كمال وفيصل.

ومنها أخذتنا طائرة إلى القاهرة وبعد سفري إلى القاهرة بأيام جرى اعتقال مجموعة من اللاجئين السياسيين الأردنيين لعدة شهور، ثم عادوا وافرجوا عنها.

حصلت في رحلتي هذه بعض العراقيل في الحدود اللبنانية، ثم في مطار بيروت. واحتجزونا في الحدود اللبنانية في احدى الغرف، وجاء ضابط لبناني ومعه حرس لاصطحابنا إلى بيروت، فطلبت من شقيق الملازم عبد الكريم حيدر أحد اصدقائنا، والموظف في جمارك الحدود إبلاغ وزير الداخلية السيد كمال جنبلاط، فأرسل ضابط شرطة شتوره القريبة من الحدود، واصطحبنا معه إلى

بيروت، وقابلت السيد جنبلاط في مكتبه، حيث كان ينتظر وصولي، وكانت الساعة الحادية عشرة ليلاً، وقد رتب ذهابنا إلى القاهرة على نفقته، وكلف ضابطاً وستة جنود للذهاب معنا إلى المطار حتى صعدنا سلّم الطائرة وكانت ثمة محاولة ضدنا في المطار بترتيب مع السوريين وغيرهم كان يمكن تنفيذها لولا وجود الحرس ولا مجال لذكرها. استأجرت بيتاً في ضاحية المهندسين، والتحقت بي العائلة، وأقمنا في القاهرة حتى عام ١٩٦٩، حيث عدنا إلى الأردن.

بعض المعلومات عن مرحلة إقامتي في القاهرة

أقمنا في القاهرة مع مجموعة من أبناء الأردن، وسوريا، والعراق، وأقطار أخرى في المشرق، والمغرب العربي وقد حضر جميعهم الى مصر في ظروف متشابهة، وأذكر أسماء بعض الذين كانت لي معهم صداقات، وصلات مباشرة، من العراقيين السادة: عبد الرحمن البزاز، وسلمان الصفواني، وعارف عبد الرزاق، وصبحي عبد الحميد، وفؤاد الركابي، ورشيد محسن، وفائق السامرائي، ونجم السهر وردي، ومن سوريا السادة: إحسان الجابري، وعبد الحميد السراج، وجاسم علوان، ورائف المعرّي، وممدوح حبّال، وجادو عز الدين، وهيثم الايوبي، وفوزي شعيب، وعبده حكيم، وغيرهم.

ومن الأردن السادة: عوني عبد الهادي، ونعيم عبد الهادي، وشفيق الرشيدات، وعبدالله التل، وعلي الحياري، وكثيرون غيرهم. ومجموعة من المغرب العربي منهم السادة: صالح بن يوسف، ويوسف الرويس، وإبراهيم طوبال من تونس، وصالح بو يصير من ليبيا. ومن عُمان غالب بن علي، وسلمان الحارثي، وسلطان لحج علي عبد الكريم. ومن اليمن أحمد النغمان، وعبد القوي مكاوي، وعبد الرحمن الأيرياني، وعبد الله الأصنج، وشيخان الحبشي، وقحطان الشعبي.

لقد أوعز المرحوم جمال عبد الناصر بأن يجري تنسيق بين هذه العناصر من الوطن العربي، وأن يتصلوا مع بلدانهم بقصد التفاهم، والوئام بين حكوماتهم، وشعوبهم، والعمل على إقامة حركة عربية واحدة سميت فيما بعد بالحركة

الناصرية، وذلك بصرف النظر عن وجود الأحزاب والتكتلات، وأن تعمل هذه الحركة على توحيد الجهود السياسية والعسكرية، والتعاون الاقتصادي بين البلدان التي يمكن أن تتعاون في هذا المجال. وقد أوعز للسيد فائق السامرائي من العراق أن يشرف على هذه الحركة بعد تدارسها مع هذه العناصر المتواجدة في القاهرة ثم يفتتح مكتباً خاصاً للعمل في هذا المجال. عقد أول إجتماع تمثلت فيه البلدان المعنية بالموضوع في بيت السيد عبد الحميد السرّاج، وأعقبه اجتماع في بيتي استمر إلى بعد منتصف الليل. وبعد نقاش طويل أصر ممثلو بعض الأحزاب وأجنحتها على مشاورة قواعد أحزابهم في مختلف البلدان، وعقد مؤتمرات حزبية هناك لأخذ الموافقة على السير في هذا الاتجاه. وكان اكثر المشتركين في هذا الموضوع السادة: جورج حبش، وهاني الهندي وجماعتهم من القوميين العرب، وعبد الله الريماوي، وفؤاد الركابي وجماعتهم من حزب البعث الذي انقسم الى قسمين، عفلقي برئاسة ميشيل عفلق ومعه صلاح البيطار، وريماوي برئاسة عبد الله الريماوي، ومعه فؤاد الركابي.

وفي صباح اليوم التالي صدرت قصيدة للشاعر والأديب الأخ سليمان الصفواني من الأخوة العراقيين جاء في بيت منها قوله:

قومي رؤوس كلّهم

أرأيت مزرعة البصل

انتظرنا وصول آراء الأحزاب والتنظيمات طويلاً، وقد عرفنا أنهم عقدوا اجتماعات حزبية في العراق وسوريا بصورة علنية، وفي الأردن ربما بصورة سرّية. وكذلك في فروع هذه الاحزاب في البلدان الأخرى. وكانت النتائج تمسك كل حزب بأنه هو القائد للحركة القومية، وأنه هو نواة الوحدة، وأنه لا لزوم للحركة العربية الواحدة. وعندها تأكد بيت شعر الأخ الصفواني الذي مرّ ذكره. ولكن رغم هذه المواقف، فقد التفّت مجموعات كبيرة حول أهداف هذه الحركة ومن دون تنظيم، أو انتساب كباقي الأحزاب، لكنها أفكار آمن الناس بها، والتفوا حولها وايدوها إيماناً بوجوب التعاون العربي المشار إليه.

نبذة عن السيد إحسان الجابري

السيد إحسان الجابري السياسي السوري الحلبي المعروف، ومن الرعيل العربي الذي يعّد أول من نادى بالنهضة العربية حينما تأسس التجمع العربي عام ١٩٠٨ في باريس. عمل لدى البلاط العثماني في عهد السلطان عبد الحميد، ثم سكرتيراً لجلالة الملك فيصل الأول في دمشق. وعاصر الحكم الفرنسي في سوريا فيما بعد وخبر معظم سجون سوريا ومعتقلاتها في تلك المرحلة.

جمعتني به ظروف اللجوء السياسي في حي الدقي بالقاهرة لمدة ثماني سنوات، وهو الأخ الأكبر، والجار العزيز. قضيت و بعض الزملاء من أنحاء الوطن العربي أوقاتاً طويلة نستمع إلى معلومات، ومشاهدات وخبرات مرَّ بها السيد إحسان طوال الست والتسعين سنة التي عاشها حتى هذا اليوم ١/٨/١٩٧٢ مكافحاً، ومناضلاً لجمع كلمة أُمة ووحدة صفِّها.

وأسجل هنا بعض القصص التي سمعتها منه على مسمع بعض الأخوة، وأخص منهم بالذكر كلاً من العقيدين جاسم علوان، وجادو عزالدين. وكنت اسجلهاآنذاك تجنباً للنسيان.

قال السيد إحسان ذات يوم في عام ١٩٣٦بينما كان يقيم في باريس ومعه السيد شكيب ارسلان، وآخرون من الرفاق، جاءتهم مذكرة من الكتلة الوطنية في سوريا تدعو الى ان يلتقوا مع شخص يهودي اسمه ديفد بن غوريون وهو موفد من المؤتمر الصهيوني العالمي. وجاء في المذكرة إن هذا الشخص يتكلم بصراحة ووضوح اكثر من الزعيم الصهيوني المعروف حاييم وايزمن.

وطلبت المذكرة معرفة وجهة نظره ، وما هي الكيفية والحلول التي سيطرحها في موضوع مستقبل اليهود في فلسطين. اجتمع بعض السوريين مع بن غوريون في غرفة السيد احسان في الفندق، ودار الحديث التالي: قال بن غوريون يا اخوان نحن اليهود نعيش معكم في فلسطين منذ مئات وآلاف السنين، لم ننقطع عنها لا نحن ولا انتم وكنا نتناوب الحكم فيها احيانا لنا دولة، واحياناً لكم منذ عهد داوود الى ايام الحكم العربي والعثماني فيما بعد.

وكنا نقل او نكثر بحسب الظروف، ولكننا لم ننقطع عن فلسطين اطلاقا، واستمر وجودنا فيها اما اقوياء او ضعفاء واما حاكمين او محكومين. ولقد توزع الشعب اليهودي على انحاء العالم في عدة مناسبات تاريخية، ولكن شعورنا وايماننا، وعواطفنا بقيت مرتبطة روحيا وادبيا في فلسطين. حصلنا على وعود الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الاولى بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، ونحن لا نزال نعمل للوصول الى هذا الهدف عبر القرون.

الان نحن قررنا انشاء كيان قومي سياسي في فلسطين يعني دولة يهودية تتمتع بكل ما للدولة المستقلة من حقوق، تماما مثلما تتمتع فرنسا، وانجلترا، وغيرهما من الدول بحقوقها، واستقلالها، ولا نرضى ابدا بانشاء كيان ديني فقط مثل كيان الموارنة في لبنان، بل نريد اقامة دولة مستقلة ذات كيان سياسي، ثم قال: نحن وانتم من جنس واحد، وكنا ندين بدين واحد ثم ظهرت المسيحية والاسلام، وبقيت مجموعات على الدين القديم، ودانت مجموعات بالرسالتين المسيحية والاسلام، ونحن نشعر اننا من جنس واحد، ومن بلد واحد رغم التطورات التاريخية، والتقلبات الدولية ولذلك؛ فانه يهمنا التعاون معكم والتعايش بتفاهم، وأن نشكل هذه الدولة، برضاكم التام المطلق.

وأنا قادم لأجد معكم الطريقة التي توصلنا لتشكيلها والتعاون على تطوير المنطقة اقتصاديا. نحن نريد مساحة بسيطة من الارض لإقامة هذه الدولة عليها، يعني منطقة محدودة بين يافا وحيفا مع بعض العمق في الداخل، وانا اعرف ان معظم هذه الاراضي عربية، ولكن كما تعرفون فلسطين واسعة، وتتسع لاكثر من عشر اضعاف السكان الحاليين. وكلها اراض صالحة للإعمار اما المنطقة التي ذكرتها فاننا على استعداد لقبول العرب الموجودين فيها مواطنين اسرائيليين إن ارادوا ذلك، وكل من يريد بيع ارض في هذه المنطقة ليستبدلها بغيرها، فاننا على استعداد لمساعدته بالطريقة الاتية:

ينتخب العرب لجنة حيادية من اي بلد يريدونها وتقدر هذه اللجنة اثمان الاراضي والممتلكات ونحن على استعداد لدفع الثمن الذي يرضى به البائع حتى ولو وصل الى عشر أضعاف تقدير اللجنة.

أما الذين يرغبون في الاحتفاظ بأراضيهم، وممتلكاتهم، وبقائهم مواطنين في الدولة الجديدة. فاننا نرحب بهم، ويكون لهم حق المواطنة الكاملة، أعني المهم عندنا هو قيام هذه الدولة على أية مساحة، ولا يهمنا حجمها. بل إن المهم عندنا هو أن يعيش شعبنا بهوية معروفة بين الدول. أما الخطوة الرئيسية في الموضوع فهي إننا لا نقبل أن نعيش تحت رحمة الدول الأخرى لا شرقية ولا غربية، هذا وإن مساحة الأراضي الشاسعة بين العراق والحجاز والبحر الأبيض يمكن أن نجعلها جنة، ونوسع الزراعة والصناعة، ونجعلها تتسع لعشرات الملايين من السكان في المستقبل. إن هذه الأراضي من أجود بلاد العالم مناخاً وتربة، ويمكن إيصال المياه إلى كل شبر فيها، وإقامة صناعات خفيفة وثقيلة تغطي أسواق آسيا، وأفريقيا لتستغني عن أسواق أوروبا. الأيدي العاملة متوفرة، والمواد الخام متوفرة، والعلم متوفّر. ولأكن صريحاً معكم إذا قلت إننا متعلمون، وأغلبكم جهلة، ونحن أغنياء، وأنتم فقراء، وإن صناعات الكثير من بلدان العالم بأيدينا، ولا بد من تعاونكم معنا لرفع مستواكم، وإعمار هذه البلاد المهملة، وجعلها منطقة سيطرة صناعية وزراعية، ومالية في العالم، نحن نريد بناء مستوطنات، ومدن يسكنها أبناؤنا، وابناؤكم على قدم المساواة. نحن نقدم المال والخبرات، وأنتم تقدمون الأيدي العاملة. وسيتعلم أبناؤكم جميع المهن، ويرتفع مستواهم العلمي والفنيّ. أنا لا أقول بأنه ستكون لنا سيطرة على المناطق الخارجة عن حدود دولتنا، بل أولئك الذين يعملون في مناطقكم من مواطنينا إما أن يحملوا هوية مؤقته للبلد الذي يعملون فيه، أو يدخلوا دخولاً مؤقتاً بإذون عمل.

هذا وقد بسط بن غوريون خارطة عليها مخططات تبين حدود الدولة اليهودية المقترحة، وكذلك الأراضي العربية التي ستقام عليها المشاريع العمرانية والزراعية والصناعية، مبيناً عليها أماكن المستوطنات المقترحة، واستيعابها من السكان، وأماكن المعادن الموجودة فيها. وكانت هذه المشاريع تغطي مناطق الشراة في جنوب الأردن، ومناطق الأزرق، والجولان، وجبل الشيخ إلى مجرى نهر الليطاني وحتى البحر، وهناك مستوطنات تغطي أراضي الأغوار، وسهول المفرق وغيرها.

أضاف بن غوريون: هذه خطتنا بسطتها لكم، وكما ذكرت سابقاً أنتم المستفيدون أكثر منا، فنحن لانكاد نصل إلى خمسة ملايين مستقبلاً في حين أنكم

أكثر من خمسين مليوناً. أصارحكم أكثر، نحن قد قررنا إقامة الدولة التي ذكرتها، ويهمنا جداً رضاكم على قيامها. وكما أسلفت فإننا أقوياء اكثر مما تتصورون، وسنقيمها مهما كان الأمر، وأرجو أن تفهموا وجهة نظري هذه.

إتضح من لهجته أنه كاد يقول إننا سنقيم هذه الدولة شئتم أم أبيتم. وعندها انبرى له أحد الحضور من رفاق إحسان، ولست متأكداً هل هو شكيب أرسلان، أو عبد الرحمن شهبندر، وهو يرتجف غيظاً، وقال لبن غوريون، بالفرنسية: أخرج أيها الخنزير القذر، نحن لا نريد بيع أرض، ولا رفع مستوى شعبنا، ولا تعمير أرضنا عن طريقكم. ضحك بن غوريون، وهم بالخروج، فاستمهلته لأقول له: يا سيد بن غوريون نحن استمعنا إلى وجهة نظرك، وسننقلها إلى شعبنا وحكومتنا، وأرجو أن يكون واضحاً لك أنك تتكلم عن إنشاء دولة لكم على أرض فلسطين، ونحن سوريون كما تعلم، واذا كان هنالك مجال للمفاوضة، فإن الشعب الفلسطيني هو صاحب الأرض، وصاحب القضية، وما عليكم إلا التفاوض معه، وانفض الاجتماع بهذا الشكل.

قال السيد إحسان إنه ورفاقه نظموا محضراً عن هذا الاجتماع، وارسلوا نسخاً منه إلى حكومات البلدان العربية التي اعتقدوا أنها ستهتم بالموضوع في ذلك الحين. يتضح مما تقدم أن منطق بن غوريون كان إلى حد ما يتلاءم مع تلك الظروف، وأن مخطط اليهود كان بعيد المدى، وهو في الحقيقة لا يزال كذلك، وأنه كان مبنياً على الطريق السلمية، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية، وهجرة اليهود من ألمانيا، وبولندا، وغيرها من بلدان شرق أوروبا، ومن روسيا أخيراً بمختلف الطرق والأساليب، وحشدهم في فلسطين، ثم إعدادهم للعمل الحربي في أثناء الحرب وبعدها، وتسليحهم وتدريبهم، قد بدل البرنامج الذي طرحه بن غوريون إلى المخططات التي يجري تنفيذها حالياً. وفي يوم ٩/٦/١٩٦٧ عندما أعلن جمال عبد الناصر، تخليه عن الحكم، واتضح الموقف العسكري العربي على جميع الجبهات، قلت للسيد الجابري: ما رأيك الآن في مخطط بن غوريون الذي سبق أن حدثتنا عنه، والذي عرضه عليكم عام ١٩٣٦؟ قال: في الحقيقة إنه نفّذ وعيده، وإن التخلف العربي الذي كان ولا يزال قائماً هو السبب الرئيسي في كل ما حصل، ولكن الحق معنا والمستقبل

لنا طال الزمان أم قصر ، ولا بد من التعاون العربي الصادق والمخلص، وطرح الأنانية والانفراد بالحكم.

خاطـرة

لمناسبة الحديث عن السيد إحسان الجابري، فقد خطرت ببالي قصة ذكرها لي، حصلت معه، وهو يعمل في ديوان الخليفة السلطان عبد الحميد، وأنه تزوج ابنة كبير مرافقي السلطان . وبعد تنحية السلطان عن الخلافة جرى تنسيب إقامته في بيت ريفي معزول عن الأحياء السكنية في مقاطعه سالونيك. وبعد أربعة اشهر من إقامته هناك اقترح صهر السيد إحسان المذكور أن يذهبا لزيارته كنوع من الوفاء، واستأذنا وسمح لهما بذلك. زارا السلطان، فوجداه يتسلى ببضع أدوات خشبية من طاولات، وخزائن وما شاكلها، وعرفا منه أنه تعلم هذه المهنتة في صغره، وعاد يمارسها للتسلية، وقال لهما إن أحداً لم يزره خلال الأشهر الأربعة الماضية، وأنه تألم جداً من نكران الجميل من الكثيرين من الأصدقاء، وممن أحسن اليهم بتوليهم مراكز عظمى في مختلف أنحاء السلطنة في حين انهم كانوا يقدسونه، ويعظمونه لدرجة تقرب من العبادة! وإن الجميع تنكروا له في هذا الموقف. ثم قال السيد إحسان إن صهره قال للسلطان: إن العادة التي جرى عليها طوال أيام حكمه التي امتدت ستاً ثلاثين عاماً هي أنه لا يبقي أحداً من موظفي القصر لأكثر من عامين، وهذه المدة لاتمكنهم من التقرب إليه، وكسب صداقته، وتعميق تلك الصداقة. وعندها قال السلطان: إن هذا من أحد أسباب رضاء الناس عنه في كل مكان طوال أيام حكمه، وذلك لأن الذي يقضي مدة طويلة في القصر يصبح شريكاً في الحكم، ويتصرف باسم الخليفة على حساب مصالح الشعب، ويجعل أقاربه، وأصدقاءه يحوزون على مراكز الدولة! خطرت ببالي هذه القصة، ورغبت في تدوينها كخاطرة يمكن القياس عليها في كل زمان ومكان.

أول لقاء لي مع اللواء محمد نجيب رئيس جمهورية مصر الأول

في عام ١٩٦٦، وفي اثناء إقامتي في القاهرة كنت أتبادل الزيارات مع السيد أحمد حلمي الصبان الضابط المتقاعد من الجيش الأردني، والذي يقيم في مصر الجديدة في بيت استأجره من السيد حسين الشافعي أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة، وكان قد زوّج ابنته إلى مهندس مصري هو ابن شقيق محمد نجيب. تقاعد أحمد حلمي قبل عام ١٩٤٨، وكنت على معرفة سابقة به، وقد تعرف على السيد نجيب، وهو برتبة عقيد، توثقت بينهما علاقة صداقة بسبب المصاهرة. وحينما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢، وتسلم محمد نجيب رئاسة الجمهورية انتدب أحمد حلمي للعمل في اليمن أيام حكم الامام أحمد حميد الدين، مديراً للأمن العام برتبة لواء، وأمضى فيها عدة سنوات. وعندما عاد كان السيد محمد نجيب تحت الإقامة الجبرية في بيته بحي الزيتون حيث آلت رئاسة الجمهورية إلى السيد جمال عبد الناصر. وفي عام ١٩٦٦ صار يسمح له بالخروج من منزله من الصباح حتى الساعة الثامنة مساءً، ولا يغادره إلاّ في صباح اليوم التالي. وكان يرافقه عند خروجه أحد ضباط الأمن العام. وكان يتردد على بيت حلمي، ونتقابل هناك. وحينما كانت الساعة تصل إلى الثامنة إلا ربعاً يخرج عائداً إلى بيته على بعد مسافة تستغرق عشر دقائق من بيت حلمي، ويقول: خلصت الإجازة، ولا بد من التقيد بالتعليمات. وعبثاً يحاول الضابط المرافق التأخير لإنهاء بعض الأحاديث لكنه لا يقبل ذلك.

في اللقاء الأول تحدثنا مدة ساعة ونصف عن الثورة المصرية، أسبابها، واتجاهاتها، ونتائجها، وعلاقاتها العربية. وكانت الخلافات بين الأردن ومصر على أشدها في تلك الأيام، وكذلك بين مصر وعدة بلدان عربية شأنها الآن، وأنا سفير في في الكويت عام ١٩٧٨، وشأنها مستقبلاً! قال الرئيس نجيب إنه اختلف مع مجلس قيادة الثورة على أشياء جوهرية عامة، وليست شخصية ومنها أن مصر كانت على وفاق وصداقة مع أغلب البلدان العربية إن لم يكن كلها أيام الملكية، وأنه شخصياً كان يرغب باستمرار تلك العلاقات من دون التدخل في شؤون البلدان الشقيقة، وتصنيفها بين رجعية وتقدمية ويسارية ويمينية... الخ. وأما من الناحية المصرية فإنه وزملاءه قاموا بالثورة ضد الحكم الملكي الوراثي، وضد المفاسد والإقطاع

الفاحش والاستغلال، وبعد أن انتهى الحكم الملكي، وآلت السلطة إلى القوات المسلّحة المصرية فإنه يعتقد بوجوب استمرار الحكم، وعدم السماح بانحرافه، ومراقبة سيره إلى أن نطمئن إلى عدم الانتكاس، وضمان تطبيق الدستور والقوانين والأنظمة. وأرى أن يتولى الضباط بعض المراكز الوزارية، ورئاسة مجلس قيادة الثورة إلى مرحلة تالية، ولكن لا يكون الوزراء كلهم من الضباط، وخاصة الوزارات الفنية التي يصعب على الضباط القيام بها. في سبيل المثال فإنه يمكن للضابط المتمرس أن يكون وزيراً للداخلية، أو للمواصلات، أو للأشغال، ولكن ليس مديراً للمالية، أو للتربية أو للتعليم، وما يشابه ذلك من الوزارات الفنية، وهنالك مواطنون من غير الطبقات الإقطاعية مثل وزير الخارجية محمد صلاح الدين الذي كان من أنجح وزراء الخارجية، فلماذا لا يستفاد من خبراتهم. لقد أصرّ الأخوة أعضاء مجلس قيادة الثورة على أن يستولوا على جميع الوزارات، وإنني أرجولهم التوفيق، وتحمل المسؤولية الكبرى الملقاة على عواتقهم، وأرجو أن لا يتحملوا عداء الدول الكبرى لأننا لسنا في موقف يمكننا من ذلك.

وتتابعت اللقاءات مع السيد محمد نجيب في بيت الصبان، وربما لم يكن يذهب إلاّ الى أماكن ذويه كي لا يجلب الإزعاج لأحد. وصادف أن كانت مناسبة عائلية في بيت حلمي فحضرت ومعي العائلة، وحضر مصوّر التقط لنا عدة صور. وحمل السيد نجيب ابنتي عايدة وعمرها أربع سنوات، فالتقط لهما المصور صورة. وبعد نحو اسبوع قال لي إنه يأسف لعدم حصوله على الصور ما عدا واحدة منها، وأضاف إن المخابرات استولوا عليها من استوديو المصور، فأعطاني تلك الصورة.

الطريقة التي أقيل بها السيد محمد نجيب من الحكم

كان السيد حسن التهامي قد أخبرني عن كيفية إقالة السيد محمد نجيب من رئاسة الجمهورية، ففي عام ١٩٥٤ كان التهامي سكرتيراً لمجلس قيادة الثورة برتبة رئيس، وكان قد اشتد الخلاف بين محمد نجيب، ومجلس قيادة الثورة بزعامة جمال عبد الناصر . فاجتمع أعضاء المجلس ما عدا محمد نجيب في نادي القوات البحرية في

الجزيرة، وأبلغهم عبد الناصر أن محمد نجيب يعد بياناً سيذيعه على الشعب يبين فيه خلافاته مع مجلس قيادة الثورة وأسبابها، ويقرر الاستغناء عن خدماتهم وإحالتهم على التقاعد، وإعادة الحكم الدستوري إلى البلاد. ومن الطبيعي أن مجرّد إعلان هذا القرار فأن الملكيين والأقطاعيين سيؤيدونه، ويشجعون الشعب على تأييده بكل الوسائل: الاذاعات، والتظاهرات، والصحافة، وغيرها. وسوف لا يبقى أي وزن لأعضاء مجلس قيادة الثورة منفردين، أو مجتمعين لا في القوات المسلّحة، ولا في الدولة ولا بين المواطنين. تدارس أعضاء المجلس هذا الموقف وهم كل من السادة: جمال عبد الناصر، وزكريا محيى الدين، وعبد اللطيف البغدادي، ورشاد مهنا، وجمال سالم، وخالد محيي الدين، وانور السادات، وبقية الأعضاء. واقترح عليهم حسن التهامي، كما قال لي، أن يذهب إلى رئاسة الجمهورية، ويحضر معه الرئيس محمد نجيب، وما عليهم إلاّ أن يعدوا الترتيبات التي يرغبون فيها عند حضوره، وعندما اكّد لهم أنه سيحضره حتماً بالطريقة التي يراها مناسبة قرروا إعداد بيان استقالته، ليذيعه بصوته على الملأ، ثم يرسل إلى بيته تحت الحراسة المشددة، وتفرض عليه الإقامة الجبرية.

ذهب حسن التهامي إلى قصر القبة في أثناء إعداد أعضاء المجلس خطتهم لحين وصول محمد نجيب. دخل حسن التهامي إلى مكتب الرئيس كعادته بصفته سكرتيرا للمجلس، ووقف أمامه، وصوّب مسدسه إلى رأسه، فاندهش الرئيس متسائلاً عن السبب، وقال: بعرضك لا تطلق النار ماذا تريد؟ فقال له إن مجلس قيادة الثورة منعقد في نادي البحرية في الجزيرة، وأنا مكلّف بأن أحضر مع سيادتك إلى هناك. واستطرد قائلاً: هذه سيارتي الجيب أمام المكتب، وسنخرج معاً الآن، وأنا أسير وراءك، ونذهب بسيارتي إلى مكان الاجتماع، وأرجو أن تعلم بأن أية حركة، أواشارة للحرس، أو معاكسة في الطريق ستجعلني اطلق الرصاص عليك، وهذا المسدس جاهز في جيبي للإطلاق، ويدي على قبضته استعمله في أية لحظة، وليكن ما يكون. قال: أنا استقيل إذا كنتم تريدون ذلك، وتحملوا أنتم المسؤولية. فقال له حسن يمكن بحث هذا في المجلس. وسارا معاً إلى السيارة، ثم اتجها إلى مكان الاجتماع، وهناك طلب عبد الناصر باسم المجتمعين من محمد نجيب أن يوقع على طلب استقالته

المكتوبة والجاهزة. وبعد نقاش قصير وقّعها، ثم طلب منه إذاعتها بصوته ففضل ذلك. وكان جهاز الإذاعة مستعداً لتسجيلها هناك، وجرت إذاعتها.

كانت احدى كتائب الصاعقة قد كلفت بنقل محمد نجيب إلى بيته في حي الزيتون، وركب مع حسن في نفس السيارة تحت حراسة الكتيبة التي كان معظم أفرادها قد طوق البيت، وبدأ بنصب الأسلاك الشائكة حوله، وجرى إدخاله إلى بيته، وطلب منه البقاء تحت الإقامة الجبرية إلى اليوم الذي يجدون فيه أنها لم تعد ملزمة.

تسلم الرئاسة جمال عبد الناصر بصورة مؤقتة إلى أن تجري مراسيم انتخابه رسمياً من قبل المجلس. قامت التظاهرات في كل أنحاء مصر والسودان بعد اذاعة الخبر، وهددت الحكومة السودانية بقطع علاقاتها مع مصر مما جعل المجلس يرسل أجهزة الإذاعة إلى بيت محمد نجيب ليسجلوا له بياناً آخر يقول فيه إنه عدل عن الاستقالة، وإنه عاد إلى ممارسة سلطاته بناءً على رغبة الشعب، ومجلس قيادة الثورة. ولكنه لم يخرج من بيته، أو يمارس أية سلطة، وبقي تحت الإقامه الجبرية.

وبعد بضعة أيام كلّف باذاعة بيان آخر قال فيه إنه يعتذر عن الاستمرار في الحكم لأسباب صحيّة، وأنه يترك المسؤولية بمحض اختياره لمجلس قيادة الثورة لينتخب خلفاً له.

قصصت هذه القصّة على السيد محمد نجيب في بيت السيد حلمي الصبان كما ذكرها لي السيد حسن التهامي في بيته، وبحضور السيد عبد اللطيف العزة، فلم ينفها، ولكنه لم يؤكد أنه خرج من مكتبه تحت تهديد حسن التهامي، وأنه ذهب لحضور ذلك الاجتماع بشكل اعتيادي، ومن دون تهديد. ثم استطرد قائلاً: إنه رغم كل ما جرى فإنه لا يكره أحداً، وإنه يرجو لعبد الناصر التوفيق في حمل مسؤوليته الصعبة، وخاصّة تأمين عيش الشعب المصري، وإعادة التفاهم والتعاون والصداقة الحقيقية مع البلدان العربية.

نبذة عن السيد عبد الحميد السراج

بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٧، وهو اليوم الثالث لدخول الجيش الأردني إلى فلسطين، وكانت قيادة لوائنا في مستنبت عسكر شرقي نابلس، ذهبت إلى بيت السيد حافظ الحمدالله في قرية عنبتا لحضور اجتماع لرؤساء البلديات هناك، مع رؤساء اللجان القومية في المنطقة، فوجدت عدداً من السوريين جاءوا متطوعين من الجيش السوري مع كل من الرئيس أديب الشيشكلي، والملازمين أكرم ديري، وعبد الحميد السرّاج. وجرى التعارف بيننا هناك.

عدت فتقابلت مع السيد عبد الحميد السراج في دمشق عام ١٩٥٧، في أثناء حضوري من القاهرة مع وفد القيادة العربية المشتركة، ومعه كل من اللواء عفيف البزرة رئيس الأركان، والمقدمين احمد عبد الكريم، وأمين نفّوري، وتحدثنا طويلاً عن الضرورة الملحّه للتعاون مع الأردن في جميع المجالات. قالوا إنه كانت لديهم أسلحة انجليزية مثل تلك التي تستعمل في الجيش الأردني فأعطوها للأردن، وإن مجموعة لواء سوري موجودة في معسكر المفرق بالأردن بقيادة العقيد نور الدين الصبّاغ، وهي من ضمن الجبهة الأردنية، ومرتبطة مع قيادتها، وإنهم على استعداد لتعزيزها، وتنسيق التعاون مع الأردن في جبهة واحدة من خلال القيادة المشتركة. كان اجتماعي هذا معهم منفرداً، وخارج نطاق وفد القيادة المشتركة.

«زرت العقيد نور الدين الصباغ في قيادته بمعسكر المفرق في أثناء ذهابي إلى عمان في اليوم التالي». ثم قابلت السيد السرّاج حينما جئت من المانيا إلى سوريا عام ١٩٥٩ في أثناء قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، وكان هو رئيساً للمجلس التنفيذي «أي رئيس وزراء سوريا» مبدئياً قبل محاولة الدمج النهائي بين البلدين الذي لم يتم بسبب عملية الانفصال. وقد قابلته مراراً في بيته، وفي مكتبه، وكنا نستعرض الأحداث الجارية التي زعزعت القيادة المشتركة، وأدت إلى التفرقة.

كانت الأمور مستقرة في سوريا إلى أن جرت انتخابات الاتحاد القومي، وبرز تنظيم الاتحاد مشتملاً على جميع الأحزاب، والتنظيمات العلنية والسريّة، ونشط نشاطاً ملحوظاً ضد الوحدة. وجاء المشيرعبد الحكيم عامر إلى دمشق نائباً لرئيس

الجمهورية لشؤون الأقليم السوري، وأصدر قوانين وأنظمة تأميم مثل تلك التي كانت سارية في مصر، فأصبحت حافزاً للتكتلات والتحركات ضد الوحدة. ذهب عبد الحميد إلى مصر نائباً لرئيس الجمهورية. وقد قال لي إنه حاول توضيح الوضع في سوريا لعبد الناصر مدة ست وعشرين ساعة على مدى اسبوع، مبيناً له التباين الطبقي بين الشعبين السوري والمصري، ووجود جاليات أجنبية كبيرة، وإقطاع فاحش، وأمور اخرى عانت منها مصر وليس لها وجود في سوريا، وإن ما هو ضروري تطبيقه في مصر لاضرورة لتطبيقه في سوريا.

ويبدو أن الحملة على السراج، وأجهزة المخابرات التي كان يديرها في سوريا كانت قوية، فقد تصرفت هذه الأجهزة تصرفاً ترك آثاراً سيئة في نفوس الشعب السوري، الذي كان يعزوها إلى السراج نفسه «في أثناء اقامتنا في مصر بعد فك الوحدة، ومناقشه أوضاع سوريا أيام الوحدة، عرفت أن الكثير من أعمال المخابرات لم يكن السراج يعلم بحقيقتها، وقد علم بها فيما بعد، ولذلك لم تكن علاقته مع رجال المخابرات الذين لجأوا الى مصر بعد الانفصال علاقة حسنة».

نُقل السراج إلى مصر نائباً للرئيس كما ذكرت، واستقر المشير في دمشق يشرف على تطبيق الأنظمه المشاراليها. ولكن الوفود الشعبية السورية من تجار، وأصحاب أملاك وأراضٍ ظلوا يلاحقون عبد الحميد إلى مصر للعمل على إلغاء قوانين التأميم، والأنظمه التي لا تتلاءم مع بنية الشعب السوري. ولما لم يتمكن من تحقيق ذلك قدّم استقالته، وعاد إلى دمشق. وبعد بضعة أيام من عودته جرت عملية الأنفصال كما أسلفنا.

كان اغلب المواطنين في دمشق يعتقد أن عبد الحميد على رأس عملية الانفصال، ولكن بعد تنفيذ العملية، وترحيل المشير، وأعضاء وزارة الوحدة جرى اعتقال عبد الحميد في سجن المزّة. كان مسؤول حرس السجن النقيب منصور الرواشدة من قرية طفس في محافظة حوران. ووالدتي من هذه العائلة، ونحن على علاقة مستمرة معهم. وبعد الانفصال مباشرة حضر كل من والد منصور السيد أحمد اليوس، وشقيقه محسن ليأخذني والعائلة لنقيم عندهم، فأبلغتهما بأنني أتأهب للسفر إلى القاهرة، وأن الموافقه وإجراءات السفر قد تمت، ولكنني أريد منهما العمل على أن

يقوم منصور بإخراج السيد عبد الحميد السراج من السجن، وأن يهربا معاً الى مصر.

وقلت لهما: إنني سأبحث هذا الموضوع مع السلطات المصرية لإجراء الترتيبات اللازمة في لبنان، وسأُعلم منصور بالنتائج. خلعا لباس رأسيهما الحطة والعقال، وضربا بهما الأرض علامة على النخوة العربية الشعبية المعروفة قائلين: ابشر والله لنجعل منصوراً ينفذ طلبك هذا مهما كلّف من تضحيات إلا إذا حال القضاء والقدر دون ذلك. ذهبت إلى القاهرة، وشاورت الأخ أكرم ديري الوزير أيام الوحدة، والذي أصبح لاجئاً سياسياً هناك، حول رأيه في الموضوع، فأعجب به، وشجعني على تنفيذه. ثم قابلت المشير عبد الحكيم عامر، وعرضت عليه الفكرة، ففوجئ بها، وبدا لي أنه يعتقد بصعوبة تحقيقها، ولكنه عندما عرف التفصيلات رحّب بها ترحيباً شديداً. ثم قلت له : إن هنالك احتمالاً أن يقتل منصور، أو يعتقل في أثناء تنفيذ العملية، فكيف ستعيش عائلته واولاده؟ قال: يعيشون كما يعيش أولادي، ولا فرق بينهم. كما إنني على استعداد لوضع مليوني جنيه باسمه في أحد بنوك بيروت. قلت له: إن المادة ليست هي الهدف، والعمل الشريف لا يحتاج إلى ثمن، ويكفي ضمانك لمستقبل معيشتهم إذا أوجبت الظروف ذلك.

كتبت إلى منصور رسالة باليد بواسطة أحد الزملاء في دمشق، فتسلمها وعرض تفصيلات الفكرة على السراج الذي أبدى استغرابه في البداية لهذه الفكرة التي لم تخطر على باله، ولم يطمئن في البداية، لكنه اقتنع بها، وقال لمنصور: دعنا ننتظر بعض الوقت لعل أشياء داخلية تطرأ، إذ إن للوحدة جذوراً، ولها مؤيدين، ولعل حركة مضادّة تعيدها . ولكن الأمور تطورت بسرعة وتكرّس الانفصال.

وفي الليلة المناسبة للخروج من السجن، وبعد عمل الترتيبات اللازمة للتوجه إلى القاهره عبر لبنان، ألبس منصور عبد الحميد الملابس العسكرية برتبة رقيب ، وأخرجه من غرفته ليلاً، وأجلسه في السيارة إلى جانبه، وغادرا سجن المزة على مرأى الحرس، وسار أمامهما زميلان تعاونا معهما، وهما اللذان كانت مراسلاتي مع منصور تتم بواسطتهما، وذلك تحوطاً لحدوث مقابلة مع احدى الدوريات، أو حدوث عطل بالسيارة، حيث توجد واسطة بديلة: وقد أوصلاهما إلى حدود لبنان فأكملا

المشوار إلى قرية المختارة بلد السيد كمال جنبلاط الذي كان ينتظر وصولهما بترتيب مسبق، حيث جرى إرسال مدمّرة مصرية، واتخاذ الإجراءات لنقل السراج ومنصور من المختارة إلى المدمرة على الشاطىء اللبناني. وقد نجحت العملية ووصلا إلى مصر.

بدأت القضية، ببساطة، بيني وبين نفسي من دون إتصال مع السراج نفسه أو توقع منه بأنني سأقوم بهذه «الفزعة». لقد كان دافعي هو شعوري بأن السراج وزملاءه السائرين على أهداف الوحدة، هم مؤسسو نواتها بين سوريا ومصر برغم جميع الصعوبات، ومن ثم لا يجوز أن يبقى هذا الرمز الوحدوي رهين سجن المزّة، ولم تكن لقيادة مصر في تلك المرحلة إمكانية التحرك لإنقاذه.

بدأت العملية ببساطة بالنخوة العربية الأصيلة التي استجاب لها والد منصور وعمه عندما استنهضت همتهما لهذا العمل، ثم تبني المشير عبد الحكيم عامر لقيام مصر باتخاذ الترتيبات النهائية في لبنان.

ومهما حاول بعضهم إظهار دورهم في هذا الموضوع، سواء في سوريا أو مصر، فان الحقيقة هي ماذكرته في هذا الإيجاز، ولا حقيقة سواها اطلاقاً.

عندما وصل السراج ومنصور الى القاهرة احتفلنا بهما في بيتي بضاحية المهندسين مع مجموعة الأصدقاء الأردنيين والسوريين الذين لا يزالون، من دون استثناء احد، يجهلون مجريات هذه العملية إلى الآن.

الفصل السابع

العودة من مصر إلى الأردن

عدت إلى الأردن عام ١٩٦٩، وعينت في الأمن العام برتبة عميد، ونسبت مديراً لشرطة البلقاء في السلط على أساس إنها مرحلة مؤقتة كما أبلغني رئيس الوزراء السيد عبد المنعم الرفاعي، بناءً على رأي جلالة الملك، وذلك لمعرفتي بقيادات الفدائيين السياسية الذين تتمركز قواعدهم الأمامية في منطقة السلط، والأغوار بهدف التعاون معهم في حفظ الأمن الذي كانت تشوبه مشاكل لها أسباب وجذور سآتي على ذكر شيء منها، وذلك بسبب سوء التفاهم ، والدسائس الخارجة عن إرادة الطرفين، وإدراكهما لهدفهم الواحد. وسأتطرق لبعض النقاط التي ربما تتبين لبعضهم أسبابها واهدافها.

كانت قواعد الفدائيين الأمامية منتشرة في أنحاء المحافظة، في الأودية والجبال والأغوار، ويقومون بالعمليات المختلفة في الأراضي المحتلّة –من فلسطين– ويرد اليهود على هذه العمليات بغارات جوية على قواعد الفدائيين، وعلى المواطنين وممتلكاتهم في المنطقة.

جرى اجتماع في قيادة الفرقة الموجودة في المحافظة برئاسة اللواء ناصر بن جميل قائد القوات المسلّحة «اللواء ناصر سبق أن كان يقود كتيبة مدرعات ملحقة باللواء الهاشمي الذي كنت أقوده عام ١٩٥٧ في منطقة نابلس»، واستدعاني لحضوره. وقد حضره قائد الفرقة، وقادة الألوية والكتائب، وجرى بحث الأمور الأمنية، ودور القوات المسلّحة فيها. وقد أمر الجميع بتنفيذ التوجيهات والأعمال التي أطلبها منهم لاستتباب الأمن في المنطقة، وحماية حدودها. وصار بعض القادة يقدم

المساعدات للفدائيين بحسب مواقع وحداتهم من الخطوط الأمامية بعدة وسائل، يحمون انسحابهم أحياناً، ويرفدون دورياتهم بحملة أجهزة اللاسلكي، ومعهم الرموز اللازمة لطلب مساندتهم بالمدفعية، وغيرها في المواقف الحرجة...الخ وقد جعل هذا التنسيق قائماً مع مجموعات الفدائيين في منطقة السلط بكل صداقة وتعاون بعكس ما كان يجري في جهات أخرى. كان اليهود يردون على القصف المدفعي بقصف مماثل، أو بغارات جوية، لكنهم نادراً ما يصيبون اماكن مهمة عدا الأهداف التي تكون ظاهرة للعيان، وذلك لأن بعض الفدائيين كان يتفاخر بالظهور أمام المواطنين إما جهلاً، أو لأسباب أخرى.

كان الأخوة السوريون في تلك المرحلة يعتقدون أن بامكانهم مساعدة الفدائيين بشكل واضح وعملي، وأكثر فعالية. وكانت مرحلة تفاهم وتعاون بين البلدين في هذا المجال، أو إنها مرحلة تسابق، وإظهار من يقدم مساعدة أقوى، فقد أرسلوا كتيبة مدفعية ميدان متوسطة المدى من عيار ١٣٠ ميلمتراً، وضعوها في مرتفعات قريتي عيرا وبرقا وهما تقعان في مرتفعات غربي السلط، ومشرفتان على منطقة مدينة أريحا المحتلة من قبل اليهود، وحفروا لها مواقع هناك. وقد زرتهم مرحباً بهم، ولأقدم أية مساعدة ممكنة، وأشرت عليهم بحفر مواقع بديلة للمدافع، وفي أماكن مستورة، وأن يقسّموا الكتيبة إلى مجموعات صغيرة ٣-٤ مدافع في كل موقع مستقل، وأن يكون لكل مجموعة أكثر من مكان احتياطي، وأن عليهم إذا أرادوا إطلاق النار من قبل أية مجموعة فيجب أن تكون السيارات جاهزة وراء المدافع، وبمجرد أن تطلق أية مجموعة الناريجري سحبها فوراً إلى المواقع البديلة، وذلك لأن اليهود لديهم طائرات موضوعة تحت الإنذار، وأنها ستصل في وقت قصير، وأن مواقع المدافع سيجري تسجيلها ورصد مواقعها. ولكن لم يعجبهم مثل هذا التوجيه من ضابط يرتدي ملابس الشرطة، ولذلك لم يجهزوا مواقع بديلة للمدافع، ولم يقسموا الكتيبة إلى بطاريات، أو مجموعات كما يتطلب الموقف، وطبيعة الأرض، وربما أرادوا بعد يومين من وجودهم أن يُسمعوا أصوات مدافعهم للمواطنين، والفدائيين، إذ إننا سمعنا أصوات مدافع الكتيبة تنطلق ليلاً برماية كثيفة باتجاه منطقة أريحا، وكأنهم يساندون هجوماً مركزاً. ولم تكن في تلك المنطقة أهداف توجب هذه الرماية بحسب

معرفتنا ومعلوماتنا، وجميع سكانها من العرب، ولا يقيم فيها يهودي واحد، ولكن دوريات يهودية كانت تجوب المنطقة بين أريحا، ووادي الباذان شمالاً: أدركت أن المدافع ستكشف نفسها، وتعلن عن مواقعها. وبالطبع فأن اليهود سيجلون مواقعها كما هو معروف. أخذت سيارتي، وذهبت اليهم مسرعاً لتوجيههم بأن يبعدوا مواقع المدافع إلى أي مكان، وكيفما كان، ولا يبقوها في مواقعها، ولكن قبل وصولي بدقائق كانت الطائرات اليهودية قد سبقتني، وضربت الموقع، وأصابت جميع المدافع، وعطلتها، ودمرت معظمها تدميراً كاملاً بإصابات مباشرة، ولم يبق منها ما يصلح للاستعمال. وكان الجنود قد أخلوا المواقع فور سماعهم أزيز الطائرات ونجوا بانفسهم، ولم يصب منهم أحد. وكانت معهم بطارية مقاومة طائرات من النوع الذي يعمل على أجهزة اوتوماتيكية، ويجري توجيه مدافع البطارية بهذه الطريقة إلى الطائرة المهاجمة. عرفت أن اليهود كانوا يرسلون طائرة واحدة أمام مجموعة الطائرات المغيرة، وكانت تأتي من الجنوب على ارتفاع منخفض، وبأقصى سرعة، وحينما تمر بشكل خاطف وتجتاز الموقع شمالاً تتجه مدافع البطارية إليها اوتوماتيكياً، وفي نفس اللحظات تكون مجموعات طائرات قتالية قادمة من الجنوب في حين تكون مدافع البطارية متجهة إلى الطائرة الأولى شمالاً، فتضرب بها من الخلف، وقد تم تدمير هذه البطارية كاملة بهذه الطريقة، وأنا أراقب هذه العملية من مسافة قريبة جداً، وكأنني انظر إلى فيلم سينمائي.

التعامل مع الفدائيين في محافظة السلط

تعرفت في هذه المرحلة على عدد كبير من الفدائيين، وكنت على معرفة سابقة ببعضهم، أو ارتبط بعلاقه قرابة معهم إما في سوريا، أو الأردن، أو فلسطين أيام الأنتداب البريطاني وما بعده، وقبل تشكيل المنظمات، وعلى أساس هذه العلاقات فقد كان في منطقة السلط وضع خاص يختلف عن جميع محافظات المملكة من النواحي الأمنية، وكانت تتخذ الإجراءات الأمنية والقانونية كالمعتاد. وكان التعاون بيني وبين قائد الكفاح المسلّح السيد سمير الخطيب على أحسن وجه. كنت قد عرفته في دمشق بعد أن سرّح من الجيش السوري برتبة رئيس، وهو من خيرة الشباب المخلصين لأمتهم وقضيتهم.

في تلك المرحلة تشعبت الخلافات، وتبادل التهم في البلاد بين منتسبي الجيش، والمنظمات. وقد سبق هذه الخلافات تصريح للوزير اليهودي المعروف موسى ديان قال فيه: إننا سنجعل من الرمح العربي الموجه إلى صدورنا يتوجه إلى العرب أنفسهم، ولم يدرك الكثيرون مغزى تصريحه هذا إلا بعد فوات الأوان «أنا اعرف الكثير عن موسى ديان، والأدوار التي قام بها، وقد ذكرت الكثير من أدواره في مطلع هذه المذكرات».

نشب الصراع بين السلطة والشعب، وبين الفدائيين، وصارت تقع خلافات وصدامات ومشاكل، وتجري تسوية بعضها، وتزداد الأحقاد، ويجري تبادل التهم من يوم الى آخر، وذلك لأن عملاء اليهود غير المباشرين، والمضللين تغلغلوا في كل مجال، وصارت ترتكب الجرائم ضد الابرياء من بين صوف الشعب والقوات المسلّحة، ويرد هؤلاء على الاعتداء إلى أن اصبح كل فريق يعمل على التخلص من الآخر، وصارت الاشتباكات الدموية تقع كل يوم، وعمّت الفوضى، واستفحل الاخلال بالأمن، وخاصة في العاصمة عمان، وكأن عقول الناس قد توقفت عن التفكير، وأن عيونهم صارت لا ترى ولا تعرف من هو الجندي، ومن هو الفدائي، وتناسوا أن الجندي هو إما شقيق الفدائي، أو قريب له أو صديق، وأن الفدائي يرتبط بنفس العلاقة. لقد كانت فتنة، أو لعبة انطلت على الجميع، وأعادت العصبية الجاهلية، والقبلية العربية الى الظهور. وهذا هو الرمح الذي أشار اليه موسى ديان.

كانت السلط مكاناً يُحاسب فيه الفدائيون على أخطائهم أسوة بباقي المواطنين، وكان رجال الكفاح المسلّح التابعون لمنظمة التحرير الفلسطينية، يحضرون المخالفين من الفدائيين إلى مديرية الشرطة لتسوية مخالفاتهم مع المواطنين بسبب تبادل الثقه، والعمل على توجيه كل الجهود للعدو المشترك، والتعاون الجاد المخلص في هذا المجال. وربما كانت معرفتي الشخصية السابقة لها تأثير طيب، وخصوصاً أن الكثيرين من الفدائيين كانوا قد أوقفوا دراساتهم العلمية، والتحقوا في العمل الفدائي.

كنت على معرفة سابقة مع الكثيرين منهم، أو مع ذويهم في اثناء عملي في نابلس حينما كنت أعطي المحاضرات والاشارات لطلاب المدارس. كنت عند محاولة قيام التظاهرات والاضطرابات أحضهم على اتباع النظام، وعدم اللجوء إلى

الغوغائية، والعمل بوعي وإدراك لتفهم القضية الفلسطينية عندما يصيرون رجالاً، وإن القضية كبيرة جداً سيعملون من أجلها هم وابناؤهم، وربما احفادهم، وليس دور الصليبية غائباً عن الأذهان وعن التاريخ.

وجدت الكثيرين من الطلاب قد انخرطوا في العمل الفدائي، وصرت اتدارس معهم واقع شعبنا، وكانوا يؤمنون بأن أيدياً خفية تلعب ادواراً توجه الأمور توجيهاً خاطئاً، وغالباً بسبب الجهل والتخلف. لهذه الأسباب كانت محافظة السلط هادئة تتعاون فيها السلطة مع الفدائيين على معالجة الأخطاء وحل المشاكل اليومية.

قام بعض الوحدات العسكرية بتحركات عشوائية بتوجيه من بعض قادتها، ومن دون علم قياداتهم العليا، بالتوجه إلى عمان لضرب الفدائيين الذين يعبثون بالأمن على أثر مقتل بعض منتسبي القوات المسلّحة والأمن، لا لذنب اقترفوه، ولكن بقصد إيقاع الفتنة. وكان يجري ايقاف هذه الوحدات، واعادتها إلى قواعدها بتدخلات رسمية من أعلى المستويات على أمل تسوية الأمور إدارياً. وكانت تسنح لي الفرص للتحدث مع الضباط في هذه المناسبات على اساس إن معظم كبار الضباط رفاق سلاح بالنسبة لي، ويوجد احترام متبادل، وكنت اشير إلى الدسائس المعادية التي تحاول أن تشغلنا ببعضنا في الوقت الذي يشيد فيه اليهود المستعمرات ويثبتون أقدامهم على أرض فلسطين، وأقول لهم: إذا كانت القوات النظامية التي هي درع الوطن تريد أن تقابل الفوضى بمثلها، وتتعامل مع مجموعات غير نظامية، وبعضها مضلل بالقوة والعنف بدلاً من التوجيه والإرشاد والتوعية، فأن الخسائر أولاً وأخيراً عربية وليست يهودية.

قابلت بعض قادة المنظمات الذين سبقت لي معرفتهم وصداقتهم في دمشق والقاهرة، وحتى قبل تشكيل المنظمات، وقد عرفت منهم شخصياً أن هنالك أناساً انخرطوا في العمل الفدائي في بعض المنظمات بصورة ارتجالية، ومن بلدان مختلفة، وحتى دون التأكد من هوياتهم وسلوكهم، وهم لا يتقيدون بتعليمات قياداتهم، ويتصرفون حسب أهوائهم، وقال لي أحد كبار القادة إنه لا يقبل في منظمته إلا من يقدمون مضابط مصدقة من هيئة اختيارية بلدانهم تبين هوية كل منهم وحسن سلوكه.

لمست من السلطات العليا الرغبة في مغادرة الفدائيين مدينة عمان والمدن الأخرى إلى مواقع أمامية مواجهة لفلسطين، وخالية من السكان لتجنب الاحتكاك نهائياً مع السلطة والمواطنين، والتفرغ الكامل للعمل الذي وجدوا من أجله، وعرضت هذه الفكرة على بعض قادة الفدائيين، فقالوا إنهم على استعداد لذلك إذا توفر حسن النية بين الجميع، وبعد إعطائهم فترة مناسبة لتجهيز مواقع أمامية: هذا وقد عبر بعضهم عن رأيه في الأوضاع القائمة على أساس تعدد المنظمات، وعدم انضباطية بعض افرادها، وتصرف افراد السلطة أحياناً، وأعمال كثيرة يومية تصعّد الموقف الى الفوضى، وانه يخشى من وقوع الصدام.

مثال على بعض الوقائع

في أحد الأيام أحضر لي قائد حرس جسر دامیا شاباً عمرة ٢١ سنة، ومعه رجل وزوجته من سكان منطقة رام الله، قال الضابط: إن هذا الشاب لا يحمل جواز سفر ولا هوية، وإن الرجل وزوجته إدعيا أنه ابنهما، وحينما أخذ الشاب جانباً وسأله عن أسماء عمته وخالته وجده وجدته... الخ، ودون هذه الأسماء، وعاد وقابل الرجل والمرأة مستوضحاً، وجد الحقيقة وارتبك الجميع واعترفوا بما يأتي: قال الرجل إن ضابط الأمن الأسرائيلي سلّمهما هذا الشاب، وطلب منهما أخذه إلى الأردن كابن لهما، وانهما لن يعودا إلى فلسطين بعد اليوم إن لم يفعلا ذلك واعطاهما مبلغ اثنين وثلاثين ديناراً اردنياً ليعطوها إلى ضابط صف حرس الجسر الأردني فور مقابلته، وعلى انفراد، كهدية قائلين له إن الشاب ابنهما، وقد نسي هويته في البيت، وقالا إنهما في الواقع لا يعرفانه أصلاً: واعترف الشاب بأنه عربي من مواليد حيفا، وانه قد أتم تدريبه على عدة اسلحة مع افراد آخرين من الشباب العرب من قبل مدربين يهود، ثم تقرر إرساله إلى عمان بهذه الطريقة ليلتحق بأية منظمة فلسطينية تقبله. وإنه سيستلم خمسين ديناراً شهرياً من شخص بعمان أعطوه إسمه وعنوانه، وانه سيأخذ تعليماته من هذا الشخص.

أرسلت الطرفين مع التحقيقات اللازمة إلى مديرية الأمن العام، وبطبيعة الحال فأن هذا الشاب وأمثاله ربما كانوا مقتنعين ومهيئين لإثارة الفتنة لاعتقادهم أنهم يقومون بعمل وطني يخدم القضية. هذا نموذج من تدخل اليهود في فتنة عام ١٩٧٠ بين الشعب الواحد لحرفه عن اهدافه الحقيقية ضدهم، ولا يتسع المجال لذكر حوادث مماثلة، ولا بد أن قسماً آخر من المواطنين قد جرى تضليلهم وآخرين فشلت محاولات تضليلهم بطريقة أو اخرى لتوسيع شق الخلاف الذي قد يصل الى انعدام وتفريغ الجهود المهيأة ضد اليهود في هذه المرحلة والمراحل اللاحقة، وقد قصدت في هذه العجالة التحذير من هذه المؤامرات الخفية وامثالها والحرص على التعاون الجاد والمخلص بأمانة وشرف.

تشكيل الحكومة العسكرية عام ١٩٧٠

في يوم ٢٨/٨/١٩٧٠ أثناء وجودي مديراً لشرطة السلط استدعيت لمقابلة جلالة الملك حسين في قصر الحمر، وهناك عرفت ان حكومة عسكرية ستشكل بدل الحكومة المدنية القائمة على أساس إن تلك الحكومة لم تتمكن من التفاهم مع المنظمات الفدائية لايجاد الوضع الملائم لإعادة الأمن والنظام، وتوجيه العمل الفدائي إلى الاعمال والأهداف التي شكل من أجلها، ووجدت أمامي مجموعة من الضباط العسكريين هناك. وقد اطّلعنا على اتفاقية موقعة بين جلالة الملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات تقضي بخروج الفدائيين من عمان والمدن الأخرى، وإقامتهم في الأماكن الأمامية المواجهة لفلسطين وإقامة التحصينات اللازمة لهذه الغاية.

قال جلالته إنه يريد تشكيل حكومة عسكرية منا لتطبيق هذه الاتفاقية بتفاهم وتعاون مع المنظمات كعسكريين نقدر خطورة الموقف تجاه اسرائيل وذلك في حال موافقتنا، فوافقنا جميعاً على هذا التكليف وقدّم رئيس الحكومة السابقة السيد عبد المنعم الرفاعي استقالة حكومته ووافق جلالته عليها. عينت وزيراً للداخلية والأوقاف والمقدسات الأسلامية، واقسمنا اليمين الدستورية، واجتمعت الوزارة برئاسة

الرئيس العميد محمد داوود نتداول الموقف، وجرى تعيين المشير حابس المجالي الذي كان قد استدعي معنا لغاية تعيينه حاكماً عسكرياً عاماً، وليتولى مسؤولية حفظ الأمن والاستقرار. وانفض الأجتماع في ساعة متأخرة من الليل على أساس أن يعقد أول اجتماع للوزارة في الساعة الثامنة صباحاً في مبنى وزارة الدفاع لبحث الشروع، بالاتصال بالمنظمات الفدائية وتنظيم السيرفي تطبيق الاتفاقية المشار اليها.

ذهبت للمبيت في كلية الشرطة بالعبدلي واستيقظت الساعة الخامسة صباحا على اصوات قذائف المدفعية ونيران مختلف الاسلحة في كل مكان بأطراف عمان من الشمال والجنوب فنهضت مسرعاً، ارتدي ملابسي وإذا بنيران اسلحة خفيفة رشاشة تطلق من عمارات مقابل كلية الشرطة من الجنوب والشرق على بناية الكلية وقد حطم جميع زجاج نوافذ الغرفة. كانت النيران تصدر من مبنى وزارة التربية ومن برج الكنيسة المقابلة لمبنى الشرطة والتي كان يحتلها الفدائيون. ذهبت الى مبنى وزارة الدفاع تحت وابل من النيران، وبعد تردد سائق السيارة عن السير في مواجهة النيران التي لاشك إنها قد تطلق على السيارة في أية لحظة لكننا توارينا بسرعة عندما دخلنا لمعسكر العبدلي من البوابة المقابلة لمديرية الامن، وهناك اتضح أن وحدات عسكرية أمرت من قبل الحاكم العسكري لتطويق عمان ومنع دخول مسلحين جدد من الفدائيين اليها، وأن وحدات عسكرية دخلت لبعض احياء العاصمة، وقوبلت بمقاومة عنيفة من وحدات الفدائيين والصدامات تدور بين الطرفين في عدة احياء. كانت احدى وحدات الامن متمركزة في جبل القلعة وهي مطوقة من قبل الفدائيين وقد قتل قائدها الرئيس بخيت سراح، ويبدو ان احدى الوحدات اخذت طريقها الى القلعة لفك الطوق ونشبت معركة بينها وبين الفدائيين في منطقة دوار فراس والشارع المؤدي للقلعة كما نشبت صدامات اخرى في عدة اماكن. بحثت الوزارة فورا هذا الواقع وتقرر ان اذهب كوزير داخلية واقابل جلالة الملك واطلعه على الصورة على اساس ان التعليمات التي قال الحاكم العسكري انه اعطاها مبدئيا هي تطويق العاصمة من الخارج ومن مسافات مناسبة لمنع دخول اسلحة وفدائيين جدد اليها بينما يجري التفاوض بين الحكومة والفدائيين للمباشرة بتطبيق اتفاقية القاهرة التي سبق ذكرها، وباعتقادي انه كان يجب أن لا يتخذ اي اجراء تلك الليلة بالذات او

قبل ان تجد الوزارة طريقة للسير بتطبيق الاتفاقية بعيدا عن التسرع والغوغائية التي أوجبت الاشتباكات المسلحة:

ذهبت الى القصر الملكي في الحمر وبينت لجلالته الصورة والمخاطر التي يتعرض لها المواطنون القابعون في بيوتهم اضافة الى الطرفين المسلحين المتصارعين وكل المعلومات التي وصلت الينا فأعطى اوامره المشددة هاتفيا لرئيس الاركان لخروج جميع القطعات العسكرية من العاصمة.

ذهبت الى رئاسة الأركان وقد صدر الامرباخلاء العاصمة من جميع القطعات العسكرية وعدت وأبلغت الوزارة بذلك ولكن الذي حصل في جبل الحسين ومنطقة دوار فراس أنه بمجرد تراجع الوحدات التدريجي إلى الخلف تعقبهم الفدائيون بالنيران والشتائم كقولهم أن القوات العميلة قد انهزمت الخ، وعاد الإشتباك بشكل اعنف من السابق.

كنا في الوزارة نتابع الحوادث لمدة ساعتين تقريباً ولم يتحسن أي شيء في الموقف فعدت، وشرحت مجريات الوضع لجلالة الملك، وبطبيعة الحال كانت التفصيلات تصله من القيادة، فتأثر تأثراً شديداً، واظهر تألمه بصورة عنيفة، واعطى أمراً حازماً بلزوم الخروج من عمان، وعدم بقاء أي جندي فيها مهماً كلّف الأمر، عدت واخذت مدرعة من القيادة ذهبت بها إلى دوار فراس ثم دوار اللويبدة والدوار الثاني في جبل عمان لأراقب تنفيذ هذا الأمر شخصياً ووجدت أن فك الإشتباك لم يعد ممكناً وخصوصاًلأن الأوامر لفك الاشتباك تصدر إلى جانب واحد، وكان صدي تلقي الأوامر بالإنسحاب سيئاً.

تعرضت للنيران ست مرات ولكن درع المدرعة كان يتلقاها، هذا وإنني لست بصدد شرح التفصيلات بهذه العجالة.

بقيت المناوشات والاشتباكات قائمة بضعة أيام رغم التشدد بعدم توسيع نطاقها وارسال الوسطاء من المواطنين الى أن وصل وفد من الجامعة العربية برئاسة السيد الباهي الأدغم رئيس وزراء تونس، وأمكن التوصل الى هدنة والعودة للمباحثات الأساسية: ذهبت الى السفارة المصرية في الأيام الأولى للإشتباكات

لأتفقد أحوال الأخ عثمان نوري سفير مصر وزميلي السابق ملحقاً عسكرياً في المانيا الذي سبق ذكره، وكانت النيران تطلق على غير هدى في ذلك الحي بجبل عمان، ودخلت مكتبه فوجدته جالساً على الأرض يفترش بطانية وبجانبه السيد جعفر النميري رئيس جمهورية السودان الذي كان بزيارة للأردن وكان يزور السفارة بذلك اليوم، وذلك ليكونا دون مستوى ارتفاع النوافذ التي تحطّم زجاجها من الرصاص، وقال لي أن نحو عشرين عائلة من الحي قد لجأوا إلى السفارة ولا يوجد عنده طعام ولا ماء لإطعامهم وإن هنالك أطفالاً في سن الرضاعة بحاجة ماسّة للحليب، ذهبت إلى مديرية تموين الجيش وأمكن تأمين ما يواجه به هذه المشكلة.

دعابة

كان رئيس الوزراء السيد محمد داوود ينام مع باقي الوزراء في جناح القيادة العامة الذي تشغله الوزارة، وكنت اذهب للنوم في كلية الشرطة كلما سنحت فرصة لذلك، ومن طريف ما حصل إنني سمعت من إذاعة خارجية في صباح أحد الأيام ابنته المقيمة في الكويت تتكلم موجهة كلمة إلى أبيها تعنفه قائلة، ما عهدتك يا أبي خائناً لقضيتك، ولا متآمراً على شعبك، إلى غير ذلك من تلك العبارات: بطبيعة الحال هي لا تعرف مسار الأمور والقصد من تشكيل الوزارة العسكرية والتشويشات التي لم تكن من مخطط الوزارة ولا بعلمها. وحضرت للقيادة الساعة السادسة صباحاً ووجدت محمد نائماً فايقظته قاصداً مداعبته «السيد محمد كان برتبة ملازم أول حينما كنت أقود مجموعة اللواء الهاشمي برتبة عقيد، وبعد غيبتي الطويلة في المانيا، ومصر وعودتي للعمل في الأمن العام وجدت إننا متساوون في الرتبة». قلت له هل لك ابنه في الكويت؟ فامتعظ جداً ظاناً أنه أصابها مكروه وهو يسمع الأخبار المزعجة في كل دقيقة، وأعصابه مرهقة، وبدا لي أنّه متعلق، فقلت له مطمئناً لا تخف أنها بخير وصحة جيدة وقد ارسلت لك تحياتها من الإذاعة قائلةً كذا وكذا الى آخر كلمتها. فوجئت بأن الرجل انفجر بالبكاء قائلاً انني فعلاً خائن ولا استحق الحياة، وبصعوبة اسكته قبل أن يدخل أحد على الغرفة، ويراه بهذه الحالة، وكنت في حيرة وأسف لأنني قصدت الدعابة فقط وتحول الموقف إلى مأساة بالنسبة الى رئيس وزراء، واعتقد ان هذا الموقف هو الذي جعله يبقى في مصر لاجئاً سياسياً كما سيأتي ذكره.

وصول وفد من الجامعة العربية إلى عمان للإطلاع على الموقف

وصل السيد الباهي الأدغم رئيس وزراء تونس ومعه وفد من الجامعة العربية بقصد إيجاد حل للمشكلة، والعمل على تطبيق اتفاقية القاهرة مدار البحث، أو إيجاد صيغة جديدة للحل بحسب الوضع القائم، وصار تنسيب مندوبين عن الطرفين «الذين نسوا أو أنسوا أنهم طرف واحد وأن الطرف الثاني قابع غربي نهر الأردن شامتاً وساخراً منهم» للذهاب إلى القاهرة للإجتماع هنالك على مستوى الجامعة العربية، والبلدان العربية المهتمة بالموضوع بدعوة من الرئيس عبد الناصر، وعين السيد محمد داوود رئيساً للوفد الأردني، والحقيقة أنه كان بودي الذهاب بدلاً عنه لكنني لم اتقدم بهذا الطلب، وتركت للمسؤولين أن يقدروا معرفتي السابقة لقيادات الفدائيين أيام تواجدنا في القاهرة، ودمشق، ومعرفتي الشخصية بالقيادة السياسية المصرية، وارتباطي بصداقات قديمة معهم أيام وجودي في القيادة العسكرية العربية المشتركة وإن ذهابي سيكون نافعاً. ولكن يبدو أنه كانت هنالك وجهة نظر أخرى، وصار ارسال السيد محمد داوود ، وهناك طلب اللجوء السياسي إلى مصر، وإرسل استقالته إلى السفارة الأردنية هناك وبقي إلى أن عاد مريضاً في مرحلة لاحقة، وأدخل المستشفى العسكري بعمان حيث انتقل إلى رحمته تعالى.

تشكيل وزارة السيد أحمد طوقان

بعد أن قدم السيد محمد داوود استقالته جرى حل الوزارة العسكرية وكُلف السيد أحمد طوقان بتشكيل وزارة مدنية، وأُسندت إليّ وزارة الداخلية، واستمر الحاكم العسكري يمارس الصلاحيات المتعلقة بالأمن، والمشاكل المتعلقة بمنظمات الفدائيين، والتعامل معهم وتفرغ الوزراء لتصريف أعمال وزاراتهم. كان السيد وصفي التل تواقاً لتشكيل الوزارة لكنه لا يريد التعامل المباشر مع المنظمات الفدائية في هذا الوضع، وكان يحمل هذه الرغبة قبل وقوع الصدامات منذ أيام وجودي في شرطة السلط، وأثناء زياراتي المتكررة له في بيته في المنطقة وقد كلمني حول هذا الموضوع، وطلب عدم، اطلاع أحد على هذه الفكرة.

أمكن الوصول الى تفاهم بين طرفي النزاع على أساس ذهاب الفدائيين الى قواعد أمامية وإخلاء المدن والقري وباشروا بتهيئة مواقعهم الجديدة وإخلاء القواعد السابقة، وبهد شهر واحد من تشكيل وزارة السيد طوقان طُلب منه تقديم استقالته وحكومته، وسمعنا الخبر من الإذاعة عن استقالة حكومتنا، أن السيد وصفي قد شكل حكومة لم اشترك بها.

إنني لست بصدد ذكر تفصيلات هذه المراحل التي اوجزتها: اسبابها وموجباتها واهدافها التي قد تستوجب مجلداً كاملاً لاحتوائها، ولكن تسلل الحوادث أوجب المرور بذكرها تجنباً للقفز على المواضيع وترك الفراغ كما أن دوري فيها كان محدوداً مثلما جاء في سياق الحديث.

رحلة عمل خاصة الى مصر

بعد أن شكل السيد وصفي التل وزارته ببضعة أيام استدعاني لمكتبه، وعرض علي أن أذهب سفيرا إلى بيروت، أو إلى دمشق على أساس ايضاح موقف الأردن الحقيقي من العمل الفدائي، فاعتذرت لصعوبة المرحلة ،والتشويش القائم في الداخل، والخارج، وعدم الوضوح، استدعاني مرةً ثانية وأعاد بحث موضوع السفارة « ربما كانت لديه عقدة من عدم اشراكي بوزارته، وأنه لم يكن هو السبب» وقال أن اصدقاءك المصريين يتحاملون عليّ شخصياً ، وبصورة دائمة وعلاقاتهم السياسية مقطوعة معنا فما رأيك أن تذهب، وتبحث معهم موضوع اعادة العلاقات بيننا وأن تكون سفيرنا عندهم، ثم تبحث موضوع حملاتهم على الأردن، وعليّ شخصياً فقلت لا بأس بهذا!» وذهبت الى القاهرة في اليوم التالي بعد أن قابلت الأخ عثمان نوري سفير مصر بعمان الذي لم تسحبه مصر من الأردن بعد أن عاد سفيرنا من عندهم وأبرق الى حكومته بالموضوع» وهناك قابلت الأصدقاء، والزملاء من الأقطار العربية المقيمين هناك، ثم زرت آخرين من عراقيين، وسوريين، واقطار عربية اخرى وشرحت ما جري في الأردن منذ عودتي من مصر اليها، وعملي في الأمن العام وحتى ذلك الوقت ، وقائعه وتفصيلاته وما تم مع الحكومة العسكرية، تشكيلها،

وعملها ودورها، بما وقع بعمان، واعمال الفدائيين ايام وجودي بالسلط معدداً حوادث فردية، وجماعية كما كانت تقع وهي لا تخدم إلا مصالح خاصة احياناً، واهدافاً غامضة لا مبرر لها، واوضحت أن كل ماجرى لم يتقدم قيد شعرة بالقضية الفلسطينية، ثم قابلت بعض مجموعة عبد الناصر ومنهم الوزراء العاملون بناءً على علاقتيَ، ومعرفتي السابقة معهم وكان قد صادف أن ثالث يوم وصولي هو اليوم الأربعون على وفاة عبد الناصر، وقد ذهبت مع الأخ شعراوي جمعة لزيارة ضريحه في منشية البكري، ومعنا مجموعة من الأصدقاء، والمعارف وقد اوجزت لهم بعض ماذكرته للآخرين في بيت السيد احسان الجابري، وعندها اقسم السيد علي صبري احد الموجودين أنه اقتنع بكل ما قلته، وأنه لو سمع هذا من غيري لما اقتنع به وقد وافقه الآخرون.

ثم قلت لهم بنوع من الدعابة انتم تقولون عن الأردن انها عميلة للغرب بينما انكم تتعاملون مع الشرق وعلى نفس المستوى، الأردن ليس فيها بترول، ولا قناة السويس، ولا نهر النيل وزراعة القطن والأرز وغيرها، وهي تتحمل نفقات قوات مسلحة تفوق طاقتها ومجبرة على الاحتفاظ بها. ولذلك فنحن مجبرون على اخذ المساعدة ممن يقدمها، وعلى هذا فأما أن يكون الطرفان عميلين، او أنه ليست هناك عمالة بل أن كلينا بحاجة للمساعدة، واخذها كلما امكن الحصول عليها على أن لا يتعارض اخذها مع المصالح القومية، ثم لماذا الحملات على وصفي التل بالذات، الرجل كان ضابطاً في جيش الانقاذ مساعداً لقائد اللواء اسماعيل صفوت رئيس اركان الجيش العراقي السابق، وقد كنت احضر في بيته اجتماعات لشخصيات فلسطينية من قادة فدائيين، وغيرهم اثناء وجودي مديراً لشرطة السلط، وكنا نتدارس الأوضاع العامة، وكانت آراؤه وأفكاره مبنية على الواقع، وبعيدة عن التخيلات ، ويجب أن يفرق الأنسان بين مايريد الحصول عليه وبين مايمكن الوصول اليه،ثم ماهو السبب بقطع العلاقات السياسية مع الأردن، وما الفائدة من وقفها، ودوام الحملات الإعلامية .

قالوا من جهة الحملات الأعلامية نحن نوقفها من جانبنا اعتباراً من اليوم سواءً على الأردن او على وصفي التل وأنتم اوقفوها من جانبكم «ابرقت الى وصفي

وتوقفت الحملات الأذاعية من يومها»، وأما من جهة التمثيل السياسي فنحن نرحب بك في القاهرة ،واساساً انت كنت سفيراً للأردن حينما كنت تقيم، بيننا ونعتبرك الآن سفير مصر في الأردن.

عدت إلى الأردن بعد أن امضيت عشرة ايام في القاهرة قابلت الكثير من الأصدقاء وكان مدار احاديثنا هو مجريات احداث الأردن. اوضحت للسيد وصفي كل ماجرى في هذه المقابلات، وبعد بضعة ايام جرى تعيين سفير غيري لمصر، وذهبت وقابلت السيد عثمان نوري سفير مصر الذي كان يتوقع تعييني على اساس ذهابي لهذه الغاية، وقد عرف مني بتعيين السفيرالجديد الذي هو صديقي ايضا، فقال عثمان أن مصر سوف لا تقبل اوراق اعتماد السفير الجديد، وبالفعل لم تقبل مصر اعتماد السفير الجديد إلا بعد بضعة اشهر وقد قبلتها اخيراً بوساطة سعودية على اعلى مستوى، وعندما سألت وصفي عن هذا التناقض، ولماذا كلفني بالمهمة وأرسلني الى مصر اقسم ان الموضوع تم بوساطة جانبية خارجة عن طوقه، ورغبته، وذكر لي اشخاص الوساطة واسبابها التي لا مجال لذكرها.

وحينما اصر وصفي على حضور اجتماع وزراء الدفاع العرب في مصر وكانت العلاقات مع الفدائيين قد تطورت الى الأسوأ بعد خروجهم من عمان، وذهابهم الى جبال عجلون، ثم إخراجهم من هناك، وذهابهم الى سوريا ولم يقبل النصح بعدم الذهاب بداعي عدم علمه او علاقته بالموضوع وجرى اغتياله هناك كما هو معروف رحمه الله.

الفصل الثامن

العمل في محافظة الكرك ثم سفيراً في اليمن

في اول اكتوبر عام ١٩٧٤ طلبني وزير الداخلية السيد احمد عبد الكريم الطراونة هاتفياً وطلب حضوري لمقابلته في الوزارة، وذهبت وقابلته حيث قال لي ان هنالك رغبة بتعييني محافظاً في الكرك اذا كان لدي قبول لهذا العمل وأنه ذاهب لأجتماع مجلس الوزراء لاتخاذ قرار بذلك ، فقلت له انني اوافق على اي عمل اشعر أنه نافع للمجتمع ولا بأس بهذا العمل ، وبعد ثلاثة ايام اديت القسم القانوني امام جلالة الملك وتحركت الى الكرك يوم ٣/ ١٠/ ١٩٧٤ وبقيت فيها الى آخر عام ١٩٧٦ حيث جرى تعييني سفيراً في اليمن.

وفي الكرك اقمت في بيت المحافظة في حي المرج وقد تعرفت على الكثيرين من المواطنين في انحاء المحافظة. في الطفيلة والأغوار في المدن والقرى والبادية وبذلت جهودي لمعرفة قضايا ومشاكل المواطنين المعلقة والعمل على تسويتها، كان راتبي التقاعدي كوزير يزيد كثيراً على راتبي كمحافظ لكنني بالحقيقة لم اقدم على العمل حباً بالوظيفة، او حجم الراتب، ولم اكن يوماً كذلك بل كنت اشعر انها فرصة مناسبة لإعادة اتصالي مع المواطنين بعد غيابي الطويل عن الأردن، وانقطاع صلتي مع الناس ، وصار هدفي العمل على تعاون المواطنين مع بعضهم ومع السلطة النابعة منهم وبدون ارتباط مع سلطة اجنبية، وبدأت اصرف شؤون الناس بكل حزم وعدالة وبشكل يحفظ كرامة الجميع بلا تمييز، أو اعتبار لوساطات ووجاهات عشائرية بحيث يصل كل صاحب حق الى حقه: ويبدو ان جوانب من السلطة تتعلق بالقبلية وتنخدع باسماء براقة لا قيمة لها في المجتمع ولا وزن لها اكثر من التصريح بولائها

وإخلاصها الذي لا وزن له، ولا قيمة حقيقية في المجتمع لم تعجبها تصرفات في حالات معينة آنذاك، وعدم التمييز بين المواطنين ونظراً لاقتناع السلطة العليا بحسن تصرفي وتطبيق العدالة الأجتماعية، كان هنالك حل لابأس به حيث صار تنسيبي للعمل سفيراً وهو عمل معنوي اكثر من عمل محافظ وكان قد مضى على وجودي في الكرك قرابة ثلاثة اعوام، وقد هاتفني السيد مضر بدران رئيس الوزراء، وقال ان هنالك رغبة في ايفادي لعمل خارج الأردن وطلب ان اقابله لبحث الموضوع، وذهبت وقابلته في اليوم نفسه حيث قال لي أن الجمهورية العربية اليمنية بلا سفير حالياً لأن سفيرنا هناك احيل على التقاعد وقد اتجهت النية الى تعيين سفير من اصل عسكري ووقع الاختيار عليك، وارى أن يقوم مساعدك بالكرك باعمال المحافظ الى حين تعيين خلف لك، وأن تحضر الى عمان لتهيىء نفسك للسفر بأداء اليمين واخذ اوراق الأعتماد ، فقلت له على بركة الله، وهيأت متطلبات السفر الرسمية الخاصة وذهبت الى الكرك لوداع موظفي دوائر الدولة والأصدقاء وعدت لعمان وسافرت الى صنعاء.

وصلت إلى صنعاء يوم ٤/ ١/ ١٩٧٧ واستقبلت استقبالاً حافلاً ونادراً في المطار من قبل جميع السفراء العرب والأجانب وممثلي الخارجية اليمنية وبعض الدوائر الأخرى وضباط البعثة العسكرية الأردنية وهم بحدود ثمانين ضابطاً ، ولم يسبق أن استقبل اي سفير وفي اي بلد بهذا المستوى ،كان السيد محمد شاهنكري القائم باعمال السفارة، والعقيد السيد بدر الدين محمد الوديان رئيس البعثة العسكرية هما اللذان هيأا هذا الاستقبال . وفي اليوم التالي لوصولي قدمت نسخة من اوراق اعتمادي للسيد عبد الله الاصنج وزير الخارجية وهو صديق قديم جمعتني واياه ظروف متماثلة في مصر حينما كان عضواً في حركة تحرير عدن هو وزملاؤه كل من عبد القوي مكاوي وقحطان الشعبي وكلاهما عمل رئيساً للجمهورية في عدن بعد تحريرها من الأنجليز ،وكان معهم السيد محمد باسندوة وشيخان الحبشي والسيد محمد احمد نعمان الذي عمل رئيسا للوزارة في صنعاء فيما بعد وكثيرون غيرهم:

كنا جميعاً في القاهرة عدة سنوات وكانوا يترددون على عدن سراً افراداً، وجماعات لتسليح الثوار وتحريكهم، وبعد خروج الأنجليز عادوا الى عدن وصنعاء

واشغلوا مراكز رؤساء جمهوريات ورؤساء وزارات ووزراء على التوالي ثم اختلفوا فيما بعد بينهم على مراكز السلطة وعلى اساس العادات العربية المتبعة والتي هي اساس التخلف العربي وقتلوا او سجنوا او شرّد بعضهم الى خارج البلاد . حضر عبد الله الأصنج ومحمد باسندوة الى صنعاء وعند وصولي اليها كان عبد الله وزيراً للخارجية، وباسندوة وزيراً في الدولة: عبد الله الآن في سجن صنعاء منذ ٤ سنوات ونحن في عام ١٩٨٤ وقحطان الشعبي في سجن عدن قبل وصولي الى صنعاء والى يومنا هذا:

وفي اليوم الثالث لوصولي قدمت اوراق اعتمادي للسيد ابراهيم الحمدي رئيس الجمهورية الذي قامت بيني وبينه علاقة صداقة على الرغم من فارق العمل والمركز ، كانت بعثة عسكرية اردنية ضخمة تعمل على تنظيم وتدريب القوات اليمنية وكان الحمدي يبدي محبته الأكيدة للأردن بعد ان زارها واطلع على ماهية شعبها ، وموقعها الجغرافي واهمية اوضاعها العامة. كنت قابلت الحمدي في مصر اثناء حكم السلاّل وكان قد اعتقل بعض الوقت وكنت اقابله بعد الافراج عنه وقبل ان يسمح له بالعودة إلى صنعاء ، وكنت أعرف صورة لا بأس بها عن جهاد العدنيين واليمنيين الاخرين ضد الاحتلال الانجليزي وقد عرفت الكثير عن المنطقة من اليمنيين في القاهرة الذين كنت التقي معهم غالباً في بيت السيد محمد احمد نعمان الذي كان يسكن في شقة مقابلة لشقتي في العمارة رقم ٢ بشارع عبد الرحيم صبري بالدقي او في بيتي وقد شكل السيد النعمان الوزارة في صنعاء عدة مرات وهو اديب معروف وقد ورد اسمه مراراً في كتب السيد شكيب ارسلان ، وكان يقيم معه بجوارنا ولداه محمد وفؤاد ، محمد عين وزيراً للخارجية في صنعاء وجرى اغتياله في بيروت فيما بعد.

وكان معنا القاضي محمد الزبيري الذي اغتيل في بداية الثورة وقد وجدت ان احد شوارع صنعاء الرئيسية يحمل اسمه، وكذلك كان معنا السيد علي عبد الكريم سلطان لحج والشيخ غالب بن علي من امراء عُمان .

كنت اتحدث يوماً مع الحمدي عن منطقتي عدن وعُمان فقال لي إنه لا يعرف نصف ماأعرفه عنهما، ثم قال إن معلوماته كانت محصورة في الجيش اليمني وكانت معلوماتهم في اليمن اجمالاً عن الوطن العربي محدودة جداً منذ ايام حكم الأئمة الى

أن آلت السلطة اليه بصورة غير متوقعة بينما كان يقود كتيبة من الحرس الوطني في صنعاء.

لقد نهض الحمدي نهضة عجيبة في صنعاء ، فنحن الاردنيين شكلنا لهم ستة الوية وكنا نقوم بتنظيمها وتدريبها وقد قام رئيس البعثة العسكرية العقيد بدر الدين وزملاؤه بجهود جبارة وفي ظروف صعبة للغاية من ضعف الانضباط والتخلف العام تستحق الإعجاب والتقدير.

كان الحمدي يحصل على السلاح بمختلف انواعه من الكتلتين الشرقية والغربية والبلدان التي تدور في فلكهما وعلى المساعدات المادية والتموينية وغيرها بسبب الفقر الموروث والتخلف والحاجة التي ورثوها عن حكم الأئمة ،ولا شك أنه كان يعمل لهدف كبير وبعيد وأن نشاطه هذا كان السبب في القضاء عليه خوفاً من تنفيذ طموحاته بالتوسع في المنطقة جنوباً وشرقاً وشمالاً.

كان السيد النعمان قد استقال من الوزارة الأولى وعاد الى مصر وقال إن سبب استقالته الرئيسي أنه لم يجد في خزانة الدولة مايدفعه رواتب للموظفين أيام حكم عبد الله السلاّل في بداية الثورة، وحينما اغتيل الحمدي كان رصيد اليمن الشمالي في البنك الدولي يزيد على بليون دولار فائضاً عن نفقات الدولة ومشاريعها الإنمائية والعمرانية وهذا مبلغ ضخم جداً في تلك الأيام «دون مقارنة مع بلايين بعض بلدان بترول الخليج او بصراحة بعض حكام تلك البلدان» وكان يحصل على المساعدات العينية والنقدية من بعض بلدان العالم على اساس ان اليمن بلد فقير ومتخلف عن ركب الحضارة ويستشهد على هذا بتقارير واراء الوفود الدولية التي تزور اليمن للأطلاع على حقيقة احوالها.

كان الحمدي مثالاً نادراً للتقشف والاستقامة والمحافظة على اموال الدولة، فهمت من زوجة الحمدي ومن شقيقه محمد وزوجته اثناء حديث عابر أن نفقات بيت الحمدي اليومية كانت بحدود ثلاثين ريالاً وانهم كانوا يعيشون حياةً دون المتوسطة ، وكان يستعمل سيارة فولكس واجن قديمة يقودها بنفسه بعد ساعات العمل.

تكررت لقاءاتي مع الحمدي ونائبه رئيس الأركان احمد الغشمي وتبادل الأحاديث عن الوطن العربي، وهما بسبب موقع بلدهما الجغرافي وعزلتهما عن المشرق والمغرب العربي لايعرفان الكثير عن اوضاع هذه البلدان وكانت اكثر معلوماتهما سماعية واحياناً بعيدة عن الحقائق او مبالغ فيها وخصوصاً من ناحية توزيع التهم، ربما انهما لمسا انني اقول الواقع وبلا غرض ولذلك كانا يستوضحان عن مجريات الحوادث في الأردن وفلسطين وسوريا والعراق وعن اسبابها ونتائجها.

كان الحمدي يؤيد خطوات عبد الناصر في اليمن ويعتقد أنه لابد ان يكون بترول العرب للعرب كل العرب كما يقول عبد الناصر وليس الى افراد وعناصر محدودة تبعثر البلايين هنا، وهناك بينما مواطنوها يعيشون عيشة الفقر والحاجة، وأن تدخل مصر باليمن عند ثورة السلال وما بعدها كان خطوةً على طريق تحقيق هذا الهدف ولانه لابد أن تسهم بالعمل للوصول الى هذا الهدف على اساس أن عدد سكانها شمالاً وجنوباً يزيد اضعافاً عن سكان بلدان الجزيرة المنتجة للبترول :

ولقد سألني الحمدي مرة قائلاً ماذا قال الرسول عليه السلام عن بلاد العرب، واستطرد قائلاً: قال محمد عليه السلام «بارك الله بشامنا ويمننا»، وكان يعني بذلك أنه من اراضي تبوك الى حدود تركيا شمالاً هذه كلها بلاد الشام ومنها جنوباً هي بلاد اليمن، ثم قال إن الرسول عليه السلام لم يقل بارك الله بسعوديتنا وكويتنا ودبينا وشارقتنا وأم قويننا وضحك كثيراً متندراً بهذه الأسماء وقال هذه كلها يمن.

كان الحمدي يعمل بجد ونشاط وأمانة ومن المؤسف أن شعب اليمن لم يكن بالمستوى الذي يقدره بالتقدير اللازم، كان يعمل جاهداً على التقارب بين شمال وجنوب اليمن في شتى المجالات مستهدفا توحيدها، وقد عرفت هذا فيما بعد من السيد سالم ربيع علي رئيس جمهورية اليمن الجنوبي وسيجيء ذكر هذا فيما بعد ،ولاشك أن طموحاته هذه التي كان يقترحها دون تحفظ كانت السبب الرئيس للقضاء عليه وعلى سالم ربيع فيما بعد. وقد اجتمع ابراهيم وسالم رحمهما الله في قعطبة وفي تعز ثلاثة اجتماعات بحضور وفود من دولتي البلدين وبحثوا اسس وقواعد اتحاد البلدين على اساس وضعهما الراهن وتعاون عدن مع الاتحاد

السوفيتي وارتباطاتها معه، ارتباط اليمن الشمالي مع بلدان الكتلتين الشرقية والغربية وعلى اساس ان الحاجة ماسة لمساعدة هذه الأطراف لكليهما، وقد توصلوا الى اتفاق نهائي للاتحاد لم يبق إلا اقراره وتوقيعه في اجتماع الطرفين في عدن الذي تقرر يوم ١٢/ ١٠/ ١٩٧٧ وفي مساء يوم ١١/ ١٠/ ١٩٧٧ قبل سفر الحمدي صباح اليوم التالي أعلمني احد ضباط بعثتنا العسكرية أن الرئيس الحمدي قد قُتل هو وشقيقه عبد الله قائد فرقة العمالقة وأن جثتيهما نقلتا الى المستشفى العسكري نحو السادسة مساءً، ونحو الساعة الثانية عشرة ليلاً اذاع راديو صنعاء النبأ، وقال المذيع ان الرئيس الحمدي وشقيقه قتلا غيلة وأن مجلس قيادة الثورة عقد جلسة طارئة وانتخب نائبه احمد حسين الغشمي رئيساً للمجلس مع بقاء العضوين كل من السيد عبد العزيز عبد الغني رئيساً لمجلس الوزراء وعضوا في المجلس والمقدم عبد الله عبد العالم قائد سلاح المظليين وعضواً في قيادة المجلس، وأن المجلس الجديد قد قرر مواصلة المسيرة والانتقام من مرتكبي الجريمة:

أوعزت لأعضاء البعثة العسكرية وافراد الجالية الأردنية في صنعاء بعدم مغادرة مساكنهم الى ان تنجلي الأمور ،واذا احسوا بالخطر دون تمكننا من إعطاء توجيهات جديدة ان يحضروا مع عائلاتهم الى بيتي او الى مبنى السفارة ايهما اقرب لسكنهم، وذلك احتياطاً لما يمكن ان يحصل في ضوء احداث سابقة عمت فيها الفوضى والنهب والسلب في مدينة صنعاء حينما اغتيل الإمام يحيى حيث اباح ابنه احمد مدينة صنعاء ثلاثة ايام وعمت فيها الفوضى، وكذلك عند محاولة اغتيال الإمام احمد في مرحلة لاحقة، وعندما وقع الانقلاب ضد الإمام البدر حيث اختل وضع الأمن الى مرحلة والى أن عادت السيطرة وحفظ الأمن وغالباً بالطرق العشائرية.

تشكلت هيئة تحقيق صورية بحادث اغتيال الحمدي وشقيقه لم تقم بأي تحقيق او تحاول اظهار اية نتيجة كما ان السلطة الجديدة لم تعين مكان الإعتداء واسبابه او تشير الى الجهة التي ارتكبته.

كيفية اغتيال ابراهيم الحمدي وشقيقه

استناداً الى معلومات مؤكدة ومن اقوال أعوان الحمدي والمقربين اليه من كبار الضباط ومن اقربائه ومنهم زوجته وشقيقه محمد وزوجته وبعض من شاهدوا الحادث ونجوا من الموت ثم هربوا الى خارج البلاد فيما بعد دون ذكر أسماء او تفصيلات تبين مايلي :

جرى التخطيط والتمويل لقتل الحمدي وشقيقه عبد الله الذي يقود فرقة العمالقة وهي القوة الرئيسية في الجيش اليمني ، ووصلت معلومات الى الحمدي تفيد أن صديقه احمد حسين الغشمي وراء عملية تهدف لاغتياله وانه يخطط لتنفيذها ولم يصدق الحمدي هذه المعلومات، واعتقد أنها لمجرد الايقاع في صفوف الثورة التي لها خصوم اقوياء في الداخل والخارج وصرّح بذلك لزوجته متهكماً، وغير قانع بأن الغشمي قد يفكر بذلك لما يربطهما من صداقة واخوة عبر السنين، سيما ان الغشمي يتمتع بصلاحيات غير محدودة. جرى استئجار احد البيوت في جنوب غربي صنعاء وفي معزل عن الاحياء السكنية باسم استراحة الرئيس ، وفي نحو الساعة الثانية ظهر يوم ١١/ ١٠/ ١٩٧٧ عاد الحمدي من مكتبه الى بيته وباشر بتناول طعام الغداء البسيط من البيض والبندورة، وهو جالس على الأرض .دق جرس الهاتف واجابه ، ليجد الغشمي يتحدث من بيته ويدعوه لطعام الغداء فقال إنني اتناول الغداء الآن ، فقال الغشمي ان اخاك عبد الله معنا ومعه جماعة ولن نتناول الطعام الا بحضورك ، فقال لاحول ولا ، ونهض ليذهب، وقد حاولت زوجته اقناعه بعدم الذهاب على اساس المعلومات عن الغشمي وانها لا تطمئن اليه ، فقال لها إن مثل هذا لا يتم بهذا الشكل وفي بيته ووقت الظهر في قلب صنعاء وبحضور شقيقه ومجموعته .لم يجد الحرس لأنهم انصرفوا لطعام الغداء، والغشمي كرئيس اركان يعرف موعد انصراف الجيش وعودتهم ولا شك ان هذا التوقيت مع الدعوة الفجائية كان من ضمن المخطط، فقاد سيارته الفوكس واجن وذهب الى بيت الغشمي الواقع على الطريق الدائري، وبدخوله الصالة التي أعرفها جيداً، وسبق أن زرت الغشمي بها عدة مرات شاهد اخاه عبد الله ملقى على الأرض، والدم يتدفق من انحاء جسمه بالنزع الأخير فقال عملتوها اشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، واطلقت عليه النار من قبل

شخص معروف كان يقف خلف الباب في مؤخرة رأسه وطلقة اخرى في صدره، وسقط فوراً وفارق الحياة ، هذا ما قاله لي شاهد عيان؟

كانت الخطة لئيمة وخبيثة ومنها نقل الأخوان بعد قتلهما الى دار استراحة الرئيس التي استؤجرت لهذه الغاية ضمن الخطة وكان قد تم احضار فتاتين فيتناميتين تحملان الجنسية الفرنسية، وأطلقت عليهما النار بنفس التوقيت ووضعت جثة كل منهما في سرير في احدى الغرف بقصد نقل جثتي ابراهيم وعبد الله ووضعهما الى جوار الضحيتين إمعاناً بالإساءة اليهما والتقاط صور للجميع بهذا الوضع واختلاق اسباب قتلهم جميعاً لارتكابهم الفحشاء، هكذا!! ولاقناع القوات المسلحة وخاصة فرقةالعمالقة بأن الحادث وقع لأسباب لا اخلاقية:

لم يمكن اكمال هذا المخطط بالرغم من ان القتلة صاروا يسربون المعلومات على هذا النحو ولم يمكن نقل القتيلين جهاراً ووقت الظهر من بيت الغشمي لدار الضيافة امام الحشود في الشوارع فانتظروا حتى المساء وارسلوهما للمستشفى. وقد جرت تصفية شهود عيان من حرس الغشمي وغيرهم الذين لم يكونوا ضالعين في المؤامرة إلا من عصم الله ومن غادروا في اول لحظة من الشروع بالجريمة وبعض هؤلاء تمكنوا من تسريب المعلومات واخرون جرى اعتقالهم ولم يعرف مصيرهم.

تسلم السفير الفرنسي جثتي الفتاتين وقد تمكن بلباقته من معرفة كيفية قتلهما بعد الأخفاق في اكمال المخطط، وارسلهما الى فرنسا، وطلب الاطلاع على نتيجة التحقيقات التي تشكلت هيئة تحقيق من اجلها ووعد باطلاعه عليها بعد اكمال التحقيق الذي لم يبدأ اصلاً ثم اخبر حكومته عن المعلومات التي توصل اليها وتوقف عند هذا الحد.

السفير الفرنسي زميل وصديق وهو من مواليد بيروت حينما كان والده من كبار سلطة الانتداب الفرنسي هناك وقد كبر وترعرع واكمل دراسته الجامعية في جامعة بيروت ومن الصعب تفريقه عن اي شخص لبناني بعاداته وتقاليده ولهجته اللبنانية وهو الذي اخبرني عن قضية الفتاتين بنوع من التندر، والنكت اللبنانية عندما تمكن من الوصول الى الحقيقة.

آلت السلطة بطبيعة الحال الى احمد الغشمي كنائب رئيس الجمهورية وفي صباح اليوم التالي أناب السيد عبد العزيز عبد الغني رئيس الوزراء للسير في جنازة الحمدي، وقد فوجئنا اثناء سير الجنازة بحضور السيد سالم ربيع علي رئيس جمهورية عدن واشتراكه بالسير في الجنازة وكان يركب الى جانب الغشمي بسيارته وراء الجنازة، وكانت المعلومات الأولية قد تسربت بسرعة فائقة عن موضوع الاغتيال وكان مئات الوف المواطنين يتزاحمون خلف الجنازة كموج البحر وصاروا يلقون بأحذيتهم بالعشرات على الغشمي اثناء المسيرة وهو يتمايل يميناً وشمالاً تفادياً لإصابة رأسه بالأحذية وكانت الجماهير تردد صائحة: أنت القاتل ياغشمي ، ولكن مفاجأة الغشمي بالحضور وكثافة الحرس ووجود سالم ربيع كضيف عزيز والوضع والتكبير والتهليل حال دون الصدام بهذه المناسبة.

قابلت الغشمي في مكتبه بعد بضعة ايام وقلت له ماالذي جعلك تحضر وتسير مع الجنازة بعد أن أنبت رئيس الوزراء بتشييع الجنازة، فوجيء لهذا السؤال واحمر وجهه وقال لقد أحرجني سالم ربيع بحضوره المفاجيء، ولا شك أنه فهم ما أقصده:

بدأ توزيع ملايين الدولارات التي وصلت بسرعة من الخارج القريب على القبائل وضباط الجيش وذوي النفوذ ، وزيدت رواتب القوات المسلحة مع توزيع مراكز حكومية وتخدير الناس بشتى الطرق.

ومن العجيب أنه بعد مقتل الحمدي بدأت مختلف الانتقادات توجه الى الحمدي، وتروج اشاعات وانتقادات لا حصر لها تماماً مثلما جرى في مصر بعد رحيل عبد الناصر، حيث صارت جماعات محدودة ومعروفة هناك تسمي عهد عبد الناصر العهد المشؤوم ، وهذه هي أمتنا العربية.

لاشك في أن محاولة الحمدي في الاتحاد او الوحدة مع عدن أزعجت سلطات عظمى بسبب ارتباط عدن الظاهري مع الاتحاد السوفيتي ، والخوف من انجرار اليمن بكاملها إلى الكتلة الشرقية. وقد يمتد هذا إلى مناطق البترول كما ورد في حديث الحمدي معي عن العمل على جعل بترول العرب للعرب، وحديثه الذي سبق ذكره عن بلاد الشام واليمن ....الخ وهذا التخطيط المعاكس هو الذي قضى على الحمدي، ثم على سالم ربيع فيما بعد كما سيأتي ذكره.

وبعد مقتل الحمدي وشقيقه قامت انتقاضات ، وتحركات عسكرية وشعبية شملت شمال وجنوب اليمن تعبيراً عن الشعور بأن مقتله كان ضربة لآمالهم في الوحدة التي ناضلوا، وجاهدوا في طريق الوصول اليها عشرات السنين . وكانت أبرز تلك التحركات في اليمن الشمالي حركة المقدم مجاهد الكوهالي قائد أحد الألوية الذي قام بتطويق دوائر الدولة في صنعاء بقصد الاستيلاء على الحكم والانتقام من قتلة الحمدي، ولكنه اضطر للانسحاب إلى الجنوب لخذلانه من بعض وحداته.

ولم تكن هنالك قوة مترابطة بيد السلطة الجديدة تتمكن من ملاحقته . هذا وقد تم استرضاؤه واعادته للعمل في مرحلة لاحقة. ثم حركة المقدم عبد الله عبد العالم عضو مجلس قيادة الثورة، وقائد سلاح المظليين. ومن الجدير بالذكرأن أعلى رتبة في القوات المسلحة اليمنية كانت رتبة مقدم، وكان الحمدي نفسه يحمل هذه الرتبة قبل وبعد تسلمه الحكم، وذلك لأنه حينما استولى على السلطة وجد أن أبناء شيوخ العشائر يحملون رتب ألوية وعمداء، ومعلوماتهم العسكرية لا تصل إلى معلومات ضباط صف الجيوش المتقدمة، ولذلك جعل أعلى رتبة في الجيش رتبة مقدم وقد انفصل المذكورون عن القوات المسلحة تلقائياً ، من جراء ذلك، استصغاراً لرتبة مقدم. وهذا ما قصده الحمدي.

وتبع ذلك اغتيال أحمد الغشمي نفسه، ثم محاولة استيلاء زميله وصديقه علي عبد الله صالح على السلطة بالقوة بعد أن آلت مؤقتاً إلى نائب الغشمي السيد عبد الكريم العرشي، لولا أن مجلس الرئاسة الذي سبق ذكره تجنب تعريض البلاد للعنف،وسفك الدماء وذلك لأن الغشمي وعلي عبد الله كانا قد ثبتا وضعهما بين القوات المسلحة والقوى العشائرية، بواسطة المساعدات المادية الهائلة التي استمرت بالوصول اليهما من خارج اليمن كما سبقت الأشارة اليه، وبعد مقتل الغشمي بالطريقة التي سيرد ذكرها ومحاولة علي عبد الله الاستيلاء على السلطة بالقوة قرر العرشي واعضاء المجلس واعوان الغشمي تجنب التعرض للعنف، واتخذوا اجراءات شبه دستورية، وجمعوا البرلمان بصورة مستعجلة، واستدعونا نحن السفراء العرب والأجانب على عجل لحضور الجلسة، وطرح العرشي على المجتمعين تعيين المقدم علي عبد الله صالح رئيساً للجمهورية، خلفاً للغشمي فأقر الجميع هذا الاقتراح .

ودخل علي عبد الله صالح قاعة الاجتماع بهيئته المعروفة مكشوف الرأس ويلوي على عنقه شماغاً ازرق ويلبس الرداء اليمني كما يعرفه الجميع واقسم اليمين العادية امام العرشي ومجلس الامة والسفراء وانتهت الجلسة على هذا النحو.

تسلم السيد احمد حسين الغشمي رئاسة الجمهورية

واعود الى ذكر تسلّم الغشمي رئاسة الجمهورية بعد اغتيال الحمدي بالشكل التالي:

تسلم السيد احمد حسين الغشمي رئاسة مجلس الوزراء يوم ١١/١٠/١٩٧٧ فور اغتيال الحمدي وشقيقه في بيته ثم بدأ يمهد لتعيين مجلس استشاري يمثل مختلف تجمعات الشعب على اساس التعيين وليس الانتخاب؛ وتم تعيين مجلس من ٩٩ عضواً برئاسة السيد عبد الكريم العرشي، وبعد بضعة ايام قرر هذا المجلس بالاجماع، انتخاب المقدم الغشمي رئيساً للجمهورية، واقسم اليمين الدستورية امام المجلس وبحضور السفراء المعتمدين في صنعاء، وجرى حل مجلس قيادة الثورة الذي كان قائماً منذ ايام الحمدي، كان المقدم عبد الله عبد العالم من اقرب اعوان الحمدي وحينما دعي الحمدي لدعوة الموت في بيت صديقه الغشمي كان عبد الله مدعواً معه ولنفس الغاية لكنه اعتذر عن تلبية الدعوة، ونجا من الموت ولكنه حاول بعدها اظهار حسن النية والتعاون مع الغشمي لكنه وبطبيعة الحال لم يكن موضع ثقته، وحينما انفض مجلس الرئاسة وكان عبد الله عضواً فيه وقع في حرج حيث اصبح ضابطاً عادياً قد يرتبط بأي ضابط اقدم منه في رئاسة الأركان بعد أن كان الشخص الثالث في الدولة، ولهذا اعتزل العمل كقائد سلاح المظليين وقدم استقالته وقابل الرئيس مودعاً وذهب الى مناطق عشيرته الحُجرية في محافظة تعز بالجنوب، وذهبت معه مجموعة حرسه الخاص الذين رفضوا التخلف عنه، وما ان استقر هناك حتى ترك معظم منتسبي سلاح المظلات مواقع عملهم والتحقوا به، وكان يتردد على مدينة تعز، ويزور المحافظ من حين لآخر ومعه حرسه الخاص، وصادف ان كنت ذاهباً الى عدن، عن طريق تعز، وقمت بزيارة المحافظ فوجدت عبد الله هناك، كان عبد

الله صديقاً للحمدي وفي احدى زياراتي له في مكتبه بسلاح المظلات اهداني صورة مبروزة للحمدي لم ازل احتفظ بها، من ذكريات تلك الأيام، وقال لي لا يوجد عندي ما اهديه اليك أعز من هذه الصورة، وها أنا اقدمها اليك: لو كان هنالك نوع من المرونة وحسن التقدير لأسند اليه اي مركز اعتباري، والاحتفاظ بسلاح المظليين متماسكاً حيث أنه كان احسن قوة مدربة عندهم ولكن الاجراء كان عكسياً وقد نسبت اليه السلطة انه كان يحاول القيام بعملية انفصال وضم مناطق السنة في الجنوب اي محافظة تعز وملحقاتها الى جمهورية عدن، وبالمناسبة فأن محافظات اليمن الشمالية بما فيها صنعاء من اتباع المذهب الزيدي كما ان الأئمة السابقين وهم حكام اليمن لعدة اجيال ورؤساء الجمهورية فيما بعد، والقيادات العسكرية جميعهم من الزيدية إلا ماندر من الضباط: ومحافظات الجنوب المتاخمة لعدن بما فيها مناطق تعز من السنة.

تشددت الحراسات على مفارق الطرق المؤدية الى مناطق الحجرية قبيلة عبد الله عبد العالم، ولوحوا له باستعمال القوة، فاتخذ الأحتياطات الدفاعية، وبادلهم التشدد بالموقف مما أدى الى وقوع مناوشات مسلحة بين الطرفين وعندها ارسلت الدولة اليه وفدا عشائرياً، من وجهاء المنطقة للتفاهم معه ومعرفة طلباته لكن هذا الاجراء كان متأخراً، رفض التفاهم مع الوفد، واحتفظ بهم وادى هذا الاجراء الى استعمال القوة ضده فقاوم بعض الوقت، وهو بالحقيقة لا يريد اقامة حرب قبلية موضعية فهو ذكي ومخلص لبلده ومن اكفأ من عرفتهم من ضباطهم، فأنسحب الى عدن، مصطحباً معه الوفد المفاوض كرهائن ليضمن عدم استخدام سلاح الجو ضده اثناء انسحابه، انفصل عنه قسم من مؤيدية، وبموافقته بسبب ارتباطات عائلية وذهب الباقون معه، ومن هناك وبالتعاون مع عدن بدأت مناوشات وعمليات تحرش على حدود البلدين.

حاول الغشمي تحسين علاقاته مع عدن لقطع الطريق بينهم وبين عبد الله خوفا من مساعدته على الانتقام لمقتل الحمدي واحباطهم عملية اقامة الاتحاد بين صنعاء وعدن في مراحله الأخيرة، وحاول الغشمي استعادة الرهائن الذين اصطحبهم عبد الله معه وجرى استغلال طلبه بطريقة مدروسة ادت الى القضاء على الغشمي كما سيأتي بيانه.

موجز عن الوضع في عدن في تلك المرحلة

بتاريخ ٦/٥/١٩٧٨ قدمت اوراق اعتمادي سفيراً غير مقيم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في عدن، الى الرئيس سالم ربيع علي رئيس الجمهورية ووزير الخارجية السيد محمد صالح مطيع وعضوين أخرين من الحزب الحاكم، وبعد تبادل كلمات المجاملة دار حديث بيننا بناءً على استيضاحات الرئيس العديدة والمتشعبة حول القضية الفلسطينية وادوار البلدان العربية المحيطة بها والبعيدة عنها وهو موضوع واسع بطبيعة الحال، وهم بسبب بعدهم وانعزالهم لا يعرفون مراحل تطوير القضية وحقائق الأدوار التي مرت بها إلا مما يذاع او يشاع، قصصت على الأخ سالم كما يخاطبه الجميع «وكلمة الأخ دارجة عندهم ولا يجدون فيها حرجا وهي نوع من حسن المجاملة بعيدة عن الالقاب الضخمة التي يخاطب بها رؤساء الدول الاخرى حيث يقول المتكلم ياأخ سالم بدلا عن يافخامة الرئيس» وعلى صحبه ما اعرفه عن القضية منذ بداية عملي في القوات المسلحة الأردنية الى يومنا هذا وبشكل موجز يتناسب مع الموقف.

بينت الوقائع الرئيسية خلال تلك المدة، كان يستبقيني كلما حاولت الاستئذان والخروج قائلاً، ياأخي هذا تاريخنا الذي نجهل معظم وقائعه بسبب بُعدنا وعزلتنا الجغرافية وظروفنا المناخية، ويستوضح عن المزيد من المعلومات على مدى ساعتين ونصف الساعة، ذكرت له محاولات تعاون بلدان المنطقة ومحاولة اتحاد بعضها او وحدتها والاخفاقات المتكررة واسبابها ولمست منه التعطش لسماع هذه المعلومات، هم معزولون فعلاً من ناحية جغرافية وفي مراحل الاستعمار ، واخيراً ، بسبب علاقات بلدهم مع روسيا خلافاً لجميع البلدان المحيطة بهم: استأذنت السيد الرئيس بأن يسمح بالحديث المفتوح كعربي يتحدث الى عربي وليس كسفير يتحدث رسميا الى رئيس جمهورية وبمناسبة تقديم اوراق اعتماد فرحب بهذا الطلب بكل رحابة صدر وهو يعرف انني اعرف معظم جماعته الذين كانوا يترددون على مصر او يقيمون فيها ويأخذون المساعدات ايام عبد الناصر لمقاومة الانجليز في عدن ولا شك إن بعضهم حدثه عني عندما عرفوا بتعييني سفيراً عندهم:

قلت يا أخ سالم لماذا أنت عامل نفسك شيوعي انت وجماعتك في هذه الزاوية من الجزيرة العربية ؟ هل تصدق ان العرب والاسلام يصيرون شيوعيين حقيقة ويتنازلون عن معتقداتهم ؟

لقد جربت عدة بلدان هذه التجربة قبلكم بسبب ظروف سياسية واقتصادية ودولية ومنها مصر والسودان والعراق وسوريا وغيرها وقد أخفقت جميع هذه التجارب : ولقد سبق لي ان حضرت اجتماعا في جامعة القاهرة بمناسبة زيارة السيد خروتشوف رئيس روسيا الى مصر لحضور مراسيم افتتاح السد العالي التي ساعدت روسيا بتمويله وتصميمه وبنائه. اتعرف ماذا قال عبد الناصر بهذه المناسبة:

قال له: نحن نتعاون مع الاتحاد السوفيتي كمصر وروسيا وليس مع الحزب الشيوعي وإن جميع المصريين الشيوعيين موجودون في السجون والمعتقلات المصرية، استاء خروتشوف بطبيعة الحال ولكنه صفق بحرارة في نهاية خطاب عبد الناصر، وهذا هو الواقع، فلماذا لا تتعاملون انتم مع روسيا على هذا المستوى، وبدأ الاستغراب على وجوه الحاضرين، ثم قلت اننا كلنا في المشرق، والمغرب العربي بأمس الحاجة للعون، والمساعدة، والتوجيه من البلدان المتقدمة صناعياً وعلمياً وثقافياً ، والتي هي بدورها بحاجة لأسواقنا الاستهلاكية، ولشراء خاماتنا وتصنيعها على قوة بترول منطقتنا ولها مصالح كثيرة في المنطقة العربية لاحصر لها ، ولكن طلب العون والمساعدة لابد ان يكون ضمن الاطار والتنسيق العربي وعندها لا يبقى مجال لتوزيع تهم العمالة على بعضنا؛ بدا على وجوه المستمعين الارتياح من هذا الكلام ، ثم قلت لماذا تناصب جيرانك العداء في عُمان والسعودية واليمن الشمالي وما هو الداعي لذلك، ولماذا لا تزورنا في الأردن وتزور سوريا ولبنان والعراق وغيرها ، وإن الكثيرين يتعاونون مع الروس وكتلتهم واكثر منهم يتعاونون مع الغرب، واذا زرت هذه البلدان فأنك سترى ان التعاون معه طبيعي ويلبي مصالح مشتركة ودون حاجة أي الأطراف ان تتبنى مذاهب وعقائد وأنظمة الطرف الآخر.

لقد فوجئ الجميع بهذا الكلام ويبدو انهم لم يسمعوا اي سفير عربي يتحدث بهذه الصراحة والواقعية وفي مثل هذا الموقف .

وفي اليوم التالي قابلت الأخ علي ناصر محمد رئيس الوزراء فقال لي أن الأخ سالم أُعجب بحديثك يوم أمس ولم يكن يتوقع ذلك وإلا لكان قد عمل على تسجيله ، وقد طلب مني ان اسجل لك حديثاً بهذه المقابلة وبنفس المضمون اذا كنت توافق وطبعاً وافقت وسجل لي حديثا طويلاً جواباً على اسئلة كانت مسجلة معه وطرحها علي.

اغتيال رئيسي جمهوريتي اليمن الشمالي والجنوبي

١- اغتيال احمد حسين الغشمي رئيس جمهورية اليمن الشمالية.

اثناء وجودي في عدن عرفت عن تصعيد الخلاف بين كل من عبد الفتاح اسماعيل سكرتير الحزب الشيوعي في عدن وجماعته من جهة، وبين الرئيس سالم ربيع علي وجماعته من جهة أخرى، وقد جرى فصل سبعة عشر ضابطاً من مؤيدي السيد سالم بقرار من الحزب . وغادرت عدن الى صنعاء والأوضاع تتأرجح بين المجموعتين ، وكانت توقعات بعض السفراء هناك إن الصدام واقع لا محالة :

سبق أن ذكرت أن المقدم عبد الله عبد العالم وقواته دخلوا عدن ومعهم مجموعة من شيوخ القبائل كرهائن فوجد سالم ربيع مناسبة للاتصال مع صنعاء في موضوع اعادة الرهائن الذين كانت صنعاء تلح في طلبهم ويبدو أنه اراد اغتنام هذه المناسبة لإعادة إحياء العلاقات التي بدأها هو والحمدي حول الاتحاد بين القطرين والتي تعثرت بمقتل الحمدي، وقد تكلم هاتفياً ثلاث مرات يوم ٢٣/٦/ ٧٩ مع الغشمي قائلاً إنه سيرسل الرهائن ومعهم رسول من طرفه يحمل له رسالة خاصة، ولا شك إن الحزب الشيوعي كان يراقب جميع المكالمات الهاتفية وانهم احيطوا علماً بمكالمات سالم ومضمونها واتخذوا الاجراءات المناسبة لهم .

٢٤/٦/ ١٩٧٩

وصلت طائرة خاصة من عدن الى مطار صنعاء وعلى متنها رسول خاص وأشخاص غير اولئك الذين اخذهم عبد الله عبد العالم معه الى عدن وانما كانوا من الذين احتجزوا في مخالفات عبور الحدود بين البلدين ، وكان الرسول يحمل حقيبة يد مغلقة اراد مدير المخابرات السيد محمد خميس فتحها وتفتيشها وصار جدل

بالموضوع وصل الى الغشمي هاتفياً، ولم يتم تفتيشها، وجاء الرسول الى مكتب الغشمي مع الوفد الذي استقبله ومنهم محمد خميس ، وطلب الغشمي منهم تركه والرسول وحدهما وخرجوا من مكتبه: وبعد دقائق وقع الانفجار في مكتب الرئيس واتلف كل محتويات المكتب وقطع جسم الرسول ارباً واصيب الغشمي اصابات قاتلة فارق الحياة على اثرها في المستشفى، وهوبحالة اغماء شديد: هذا ما اخبرني به السيد محمد خميس فيما بعد، واعطاني هذه التفصيلات ، ومحمد خميس كان يجاورني في السكن ونحن على اتصال دائم، دعا رئيس الوزراء ووزير الخارجية جميع السفراء المعتمدين في صنعاء الى رئاسة الجمهورية التي هي بنفس الوقت القيادة العامة للقوات المسلحة، وشاهدنا آثار الانفجار في مكتب الغشمي واشلاء رسول عدن مبعثرة بين انقاض الاثاث، وقدتحدث وزير الخارجية عبد الله الاصنج وهو اصلاً من سكان عدن متهماً سالم ربيع بخداع الغشمي، وارسال الرسالة الملغومة مع شخص فدائي والقضاء عليه، وقال السيد عبد العزيز عبد الغني ان سالم ربيع تكلم مؤكداً على اهمية الرسالة.، هذا وقد اتهمت سلطات صنعاء رسمياً سالم ربيع بالتخطيط وتنفيذ الجريمة وأذيع بيان الاتهام وتناقلته الإذاعات، والصحف العالمية.

ان الذي اتضح فيما بعدكما اخبرني السيد محمد خميس هو ان السيد سالم ربيع ارسل مبعوثا خاصا من ضباط الامن العام وهو من احد اقاربه، يثق به ويعتمد عليه ومعه الرسالة التي اشار اليها في مكالمته الهاتفية مع الغشمي، وفي طريق هذا الرسول الى المطار جرى اخذه ورسالته الى مكان مجهول وانقطعت اخباره نهائياً واستبدل برسول اخر واستبدلت الرسالة بالحقيبة الملغومة التي يجهل الرسول الجديد محتوياتها، كما واستبدل الشيوخ المحتجزون بأخرين ، وقد احضر الجميع الى المطار مدير مكتب وزير الداخلية السيد صالح مصلح بعد ان تأخر موعد اقلاع الطائرة والمحتجزون الذين جرى التحقيق معهم في صنعاء بعد وقوع الجريمة وقد جرى استغلال مكالمات سالم ورسالته التي جرى إستبدالها واستبدال حاملها والرهائن على الشكل الذي تمت به، ربما أن الفدائي ليس فدائياً وانه يجهل اصلاً محتويات الحقيبة، وأنه أخذا امراً مشدداً بفتحها بينه وبين الغشمي فقط وفي مكتبه وعلى انفراد لأهميتها وهو لا يعرف محتوياتها وما نتج عن فتحها .

جرى دفن الغشمي بجوار ضريح الحمدي في مقبرة الشهداء وحضر دفنه السفراء ايضاً وبضع عشرات من المواطنين وكان اكثرهم يقف امام ضريح الحمدي ويقرأ الفاتحة ويترحم عليه وكانت اللازمة التي يكررها اكثرهم هي: سبحان الله بشر القاتل بالقتل .

اغتيال السيد سالم ربيع علي

بعد اذاعة اخبار صنعاء عن مقتل الغشمي واتهام رئيس عدن سالم ربيع باغتياله اجتمع مجلس الوزراء، ورئاسة الحزب الشيوعي الذي يتزعمه عبد الفتاح اسماعيل واستدعوا السيد سالم لحضور الاجتماع بقصد مناقشته ، ومحاكمته حزبيا بجريمة الاغتيال ، ويبدو أنه عرف قصدهم هذا فرفض الحضور واستعد للدفاع عن مقره وعن نفسه ، وعندها قرر المؤتمرون او «المتآمرون » اعتقاله، وارسلوا قوات خاصة لاعتقاله بالقوة ، فقاومهم الحرس وجرت معركة بين الطرفين وتطورت جداً لأن غالبية القوات المسلحة من القبائل الذين يؤيدون الرئيس سالم ولا يقبلون الانحياز للشيوعية إلا بصورة مظهرية، وكان من المنتظر أن تقف معظم الوحدات العسكرية والقبائل في انحاء البلاد، الى جانب الرئيس سالم ويكسب الجولة ، ولكن سرعان ماتدخل سلاح الجو العسكري وهو سلاح روسي من الناحية العملية لأن كل افراده من الحزب الشيوعي وتلقوا تدريباتهم في الاتحاد السوفيتي، إضافة الى الخبراء والموجهين الروس المتواجدين معهم وكانت عدن تمتلك ١٤٥ طائرة من طراز ميج ٢٣ وضربت الطائرات مبنى الرئاسة، وقتل معظم الموجودين هناك ومعهم سالم ومؤيدوه، واشيع أنه قبض على سالم حياً وحوكم وصدر الحكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم فوراً . لكن الأرجح هو ماذكر اعلاه.

كانت علاقة سالم ربيع مع علي ناصر محمد الرئيس الذي تولى الحكم بعده هي نفس علاقة الرئيس الحمدي مع نائبه الغشمي علاقة اخوة وصداقة وزمالة كفاح طويلة، والنتائج التي انتهى اليها الطرفان متماثلة ايضاً؟

راح ضحية المعارك التي دارت في عدن نحو الفي قتيل كما جاء في الاخبار فيما بعد وذهب سالم ربيع بحجة اتهامه في ترتيب اغتيال الغشمي، ولكن الأمور مالبثت

ان اتضحت وثبتت براءة سالم وضوح الشمس في صنعاء وعدن دولياً وشعبياً وان سالم كان بريئا منه وأنه كان يعمل جاداً على وحدة شطري اليمن، منذ بدأ التعاون مع الحمدي للوصول إلى هذا الهدف.

ويبدو ان الغشمي بدأ يحاول التقرب الى عدن ، مدفوعاً بتوجيه من بلد عربي، مجاور لليمن وتمشياً مع سياسة اعلى يهمها إنهاء النفوذ الشيوعي الروسي في عدن؟

هذا موجز عن بعض ذكرياتي في اليمن كسفير ولست بصدد التوسع بسرد الحوادث والاحداث التي كانت تحركها أيدٍ واموال من خارج اليمن اثناء وجودي بينهم اربع سنوات، وانني ارجو لليمن السعيد التقدم والإزدهار .

انتقالي من اليمن الى عمان ومنها الى الكويت سفيرا

في اول شهر ايار عام ١٩٨٠ ذهبت الى عمان مع وفد يمني برئاسة السيد عبد العزيز عبد الغني رئيس الوزراء وقابلت جلالة الملك حسين على انفراد وشرحت له الكثير عن الاوضاع في الشطرين الشمالي والجنوبي بالتفصيل ، ثم ذكرت أن مناخ اليمن لم يعد يلائم عائلتي من الناحية الصحية وأن ارتفاع صنعاء ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر له تأثير من النواحي الصحية وخصوصاً انني امضيت فيهما مدة اربع سنوات فوافق على طلبي، ووعد خيراً وعندما قابلت جلالته مع الوفد اليمني مساء ذلك اليوم قال له السيد عبد العزيز انهم لايريدون اي بديل عني وقد تشددوا بهذا الطلب، وكان الملك يضحك وينظر الي دون ان يعده بشيء، وفي نهاية الشهر صدر امر نقلي الى عمان ، وقد حاول رئيس الجمهورية السيد علي عبد الله صالح عندما جئت لوداعه ان يتصل مع جلالة الملك، ويلغي النقل وبعد ان طلب الاتصال هاتفياً طلبت ان ينتظر قليلا ويضع سماعة الهاتف لاشرح له السبب، وضع السماعة وذكرت له ان النقل جاء بسبب طلبي لاسباب صحية، وتوقف عن الطلب ثم دعاني الى حفلة خاصة واهداني وسام مأرب من الدرجة الاولى، وهو أعلى وسام عندهم، ثم اقام رئيس الوزراء حفلة خاصة في بيته دعا اليها الاصدقاء من الوزراء والسفراء،

ثم اقام وزير الخارجية حفلة وداعية بهذه المناسبة، وكان الجميع آسفين فعلاً لهذا النقل.

وبالرغم من وجود المشاكل الاجتماعية في اليمن والتخلف في النواحي العلمية والاجتماعية ووجود الامية بين الكبار والصغار، هذا التخلف الذي فرضته العزلة، وعدم وجود المدارس، وفرص التعليم الانادراً وعدم استقرار الأمن بين القبائل فإنني لم ازل اشعر بالأسف على طلب انتقالي منها، وإنني اعتقد أن التاريخ سيعيد نفسه وان اليمن السعيد الذي يسمونه هكذا مجازاً سيكون اسعد بلد عربي طال الزمان ام قصر، اليمن شمال وجنوب وسكانه بحدود احد عشر مليوناً كلهم عرب ينتمون الى قبائل عربية عريقة ومعروفة، واصيلة ليس بينهم اجنبي يحمل جنسيتهم، واراضيهم واسعة وخصبة وتتسع لاضعاف السكان الحاليين وخاماتها ومعادنها غير مستغلة وقد بدأت تتدرج في مضمار العلم والحضارة، والبناء، وكل مقومات الوصول لهذه الاهداف متوفرة فيها، وانني ارجولها الاستقرار وان يحميها الله من عبث العابثين.

وصلت الى عمان وصار تنسيب نقلي سفيراً الى الكويت، وقد اصر السيد عبد الحميد شرف رئيس الوزراء على هذا التعيين بداعي ان هنالك جالية اردنية بحدود ثلاثمائة وثمانين الفاً وانه يعتمد علي «وسبق ان التقيت انا والسيد محمد شرف واخويه عبد الحميد وفواز في القاهرة، وقد جمعتنا ظروف اللجوء السياسي هناك عدة سنوات» وذهبت الى الكويت بتاريخ ١/٦/ ١٩٨٠.

وفي الكويت وجدت العدد الكبير الذي اشار اليه السيد عبد الحميد ومعظمهم من سكان فلسطين الذين يحملون الجنسية الاردنية بعد النكبة ووجدت انني اعرف الغالبية العظمى منهم او اعرف ذويهم وهذا التعارف الزمني ادبياً بأعمال اضافية لا يمكن التخلي عنها، وصرت السفير، والقاضي العشائري، والمختار احياناً للفصل بقضاياهم الرسمية والخاصة ولم يكن هذا العمل مريحاً لكثرة عدد الجالية وكثرة مشاكلهم الخاصة، والعامة بالاضافة الى طقس الكويت المعروف.

وجدت هناك مشاكل نادرة الوجود يتعرض لها افراد الجالية ويستعصي حل اكثرها، وهذه المشاكل أملتها ظروف النازحين عن فلسطين وهي متفرعة عن

مشكلتهم الاصلية التي لم يسبق لها مثيل، بعضهم خرج من الاردن، وذهب الى الكويت مروراً بالسعودية، او العراق بشتى الطرق، اما بلا جوازات سفر اصلاً، او ان مدة جوازاتهم قد انتهت وتوقف العمل بها ويطلب اصحابها تجديدها ، وفي حال ذهابهم للاردن لتجديدها يصادف أن السلطات الاردنية لا تسمح بخروجهم ، او ان السلطات الكويتية لا تسمح بدخولهم وحتى في حال وجود عائلاتهم هناك.

وحكاية نادرة اخرى تكررت عدة مرات وهي أن هناك اطفالاً في سن الدراسة مقيدون باسماء غير أسماء آبائهم، اما لعدم وجود قيود لآبائهم او عدم حيازتهم جوازات سفر واقامات، ولا بد من قيدهم بالمدارس: وآخرون ولدوا في المستشفيات بموجب بطاقات جيرانهم او اقاربهم المقيمين، وجرى تسجيل اسمائهم واصدار اوراق ميلادهم باسماء اصحاب البطاقات المستعارة، ووجدت أن السلطات الكويتية تبعد مرتكبي هذه المخالفات الى الاردن: وعندما قابلت امير الكويت ورئيس الوزراء ، وشرحت لهما الوضع الواقعي لهؤلاء الناس وكيفية خروج بعضهم من الاردن، وانتم قادرون على ايجاد العون الكريم لهم وبحاجة الى عملهم وخبراتهم، ولا شك إن القوانين والانظمة الكويتية تسري عليهم ويمكن معاقبة مخالفيها تماماً كما يعاقب السكان الاصليون عند ارتكابها ، ولماذا اذا ابعادهم الى الاردن:

اوقفت اجراءات الإبعاد هذه نهائياً طيلة وجودي بالكويت.

لم يمض وقت طويل حتى جرى نقل جماعي للسفراء المعتمدين في بلدان الخليج الى عمان حيث جرى نقل خمسة سفراء في آن واحد ولم يكن هنالك سبب لهذا النقل الا تحريك الامور في وزارة الخارجية وربما لإيجاد مجال لنقل سفراء طال عليهم الامد في المركز ونقلت الى عمان اعتباراً من ١/ ٩/ ١٩٨١ وبهذا كنت قد اكملت مدة ثمانية وثلاثين عاماً في العمل في الدولة بمختلف المواقع والبلدان اضافة الى اقامة عشر سنوات في القاهرة كما ورد في المذكرات واحلت الى التقاعد اعتباراً من ١/ ١١/ ١٩٨١ .

ملحق أ

في يوم الجمعة الموافق ٢٠ تموز ١٩٥١ بينما كان اللواء الأول في معسكر المفرق وقائده الزعيم سام كوك وأنا من اركانه، استدعاني قائد اللواء من البيت في المفرق على عجل و قال لي، هل سمعت بما حصل فأجبته بالنفي مستوضحاً. قال لقد اغتيل جلالة الملك عبد الله اثناء الصلاة في المسجد الأقصى بالقدس قبل ساعة، وكان خائفاً ويتوقع حدوث فوضى داخلية في البلاد، ثم تساءل، ماذا سيحدث وهل ستنشب حرب أهلية بين اردني و فلسطيني وماذا سيكون وضع الضباط البريطانيين وهكذا؟ قلت له لن يحدث شيء من هذا الذي ذكرته وسيجتمع مجلس النواب بعد ساعات وينادي بسمو الأمير طلال ملكاً بصفته ولياً للعهد ويجري التحقيق بالحادث، ويأخذ القانون مجراه بحق الجناة، فقال ان سمو الأمير طلال لا يحبنا يعني بذلك الأنجليز، وكانت لحظات حرجة فقلت له ومن يحبكم كدولة.

انها ظروف الأردن السياسية والاقتصادية التي فرضت الوضع القائم وليست هنالك كراهية بين الشعبين ولا شك انك اثناء وجودك بيننا قد عرفت دور بريطانيا في المنطقة:

نادى مجلس النواب بسمو الأمير طلال ملكاً كما ذكرت، واستدعي سام كوك بعد حديثي هذا معه الى القيادة بعمان وجرى ابلاغه بتعيينه حاكماً لمنطقة القدس وذلك تحسبا لوقوع الفوضى هناك، وبالفعل فأن اعمال فوضى ونهب بدأت لولا أنه حال دون توسعها وسيطرت القوات العسكرية على الأسواق والشوارع في انحاء القدس ثم على باقي المدن ولم يحصل ما يخل بالأمن.

بعد اقل من شهر زار جلالة الملك طلال لواءنا واستقبلناه استقبالاً حافلاً، وقد استدعاني لأمشي بجانبه اثناء استعراضه أسلحة اللواء ويضع يده على كتفي أثناء سيرنا ويستوضح عن بعض الأسلحة وكان كلوب باشا قائد الجيس يرمقني بعينيه بشكل غير مريح، وفي أثناء الغداء أجلسني جلالته الى جانبه خلافاً للروتين، وقد لمست أن هذا كان متعمداً ورداً على مواقف الضباط الأنجليز معنا حينما كنا معاً في معسكر جسر المجامع وهو مساعد لقائد الكتيبة الثانية الأنجليزي الذي سبق ذكره.

نبذة عن المقدم المرحوم عبد الله التل

حينما ذهبت الى القاهرة عام ١٩٥٧ ممثلاً للجيش الأردني في القيادة العربية المشتركة قابلني الأخ عبد الله التل وكانت تربطنا علاقة الجوار والزمالة والصداقة، اجتمعنا طلاباً في الصفوف الابتدائية والثانوية في اربد ثم في مدرسة تدريب الجيش بمعسكر العبدلي بعمان، ثم في معسكر اللطرون بفلسطين عام ١٩٤٦ وبعدها في معسكر صرفند حينما كنت قائداً لذلك المعسكر وقد تعاونا على تدريب المناضلين سراً في منطقتي اللد والرملة كما سبق ذكره، ثم وجدنا في القدس اثناء عمليات عام ١٩٤٨، وعدنا والتقينا في مصر عام ١٩٦٠ وما بعدها لاجئين سياسيين الى أن التقينا في الأردن اخيرا عام ١٩٧٠ وفي احدى المناسبات في القاهرة سألت الأخ عبد الله عن علاقته بموضوع اغتيال الملك عبد الله رحمه الله لأنني لم اكن قانعاً بالدور الذي اسند اليه، وحوكم من اجله فنفى نفيا قاطعاً أن له اية علاقة بالموضوع كما أنه كان قد فوجئ بوقوع الحادث كأي انسان آخر وقال أن القضية الصقت وتناقلتها وسائل الأعلام العربية وغيرها وحوكم من اجلها غيابياً وكان الموقف فوق طاقته لنفي ما اسند اليه في تلك المرحلة، وقد طلب مني عرض الموضوع على جلالة الملك حسين عندما حضر الى القاهرة لحضور مؤتمر الضمان الجماعي العربي الذي عقد في قصر الطاهرة، وقد عرضت الموضوع على جلالته بالصورة التي ذكرها عبد الله، فقال جلالته أنه يعرف ذلك، وقلت أن عبد الله يسترحم العفو عنه والغاء الحكم الصادر بحقه او اعادة محاكمته لإثبات براءته فوعد جلالته خيراً وقال إنه سيعرض الموضوع على اطراف العائلة في الأردن والعراق ليكونوا بالصورة ولا يفاجأوا بصدور العفو: وبعد ثمانية ايام من هذا البحث صدر كتاب في بيروت من تأليف عبد الله سبق أن ارسله للطباعة هناك وقد تعرض فيه لجلالة الملك عبد الله ولم يعد لي مجال لمتابعة الموضوع.

شمل العفو الذي صدر عام ١٩٦٥ عبد الله وعاد الى الاردن وارسل من هناك برقية الى مصر فيها تحامل على جمال عبد الناصر ونظامه وتناقلتها الصحف وكررتها الإذاعات، هذه البرقية وضعت عبد الله في موضوع اللوم والعتب من الكثيرين في مصر والأردن وغيرهما من الوطن العربي.

تقابلت مع الشيخ احمد حسن الباقوري صديقنا الأثنين وهو شيخ الأزهر الشريف فقال لي متسائلاً ، ماذا جرى لعبدالله وكيف أرسل هذه البرقية بعد ان امضى بيننا سبعة عشر عاماً في ضيافة عبد الناصر وانني لم اجد تفسيراً لهذا الموقف.

فقلت لسيادته انني سمعتها من الإذاعة لكنني لم ازل متشكك بأن عبد الله وراء الموضوع.

وبعد عودتي الى الأردن عام ١٩٦٩ قلت لعبد الله عن حديث الباقوري في هذا الموضوع فقال لي إن العبارات موضع النقد لم تكن من صياغته وإنه لم يعرف عنها إلا هذا الوقت وحينما كنت وزيراً للداخلية عام ١٩٧٠ زارني الأخ عبد الله ومعه السيد فالح التل وتطرقنا للموضوع الذي سبق ان عرضته على جلالة الملك حسين في القاهرة ثم قال انه لم يستفد من خدماته السابقة لأنها لم تصل الى مدة التقاعد، عرضت عليه العمل محافظاً في وزارة الداخلية فرحب بالفكرة:

كتبت فورا تنسيب تعيينه، واخذت الكتاب بنفسي الى السيد احمد طوقان رئيس الوزراء وعرضت عليه موجزاً عن موضوع عبد الله مع جلالة الملك « فقال يا اخي ارجوك ان لا تورطني بهذا الموضوع الحساس، وطالما أن هنالك بحثاً سابقا مع جلالته في مصر فانا افوضك بمتابعته».

كان السيد سالم المساعدة قد عين محافظاً للعاصمة حديثاً ولم يقسم اليمين الدستوري بعد فأخذت موعداً لذلك بقد اغتنام هذه الفرصة، واثارة موضوع عبد الله وتم ذلك، وبعد القسم وبحضور سالم عرضت الموضوع على جلالته وذكرته بوعده بذلك في القاهرة ، فضحك جلالته، وكان لضحكته معنى واضح لي، ولمعت في ذاكرتي قصة كتاب عبد الله الذي صدر في بيروت في وقت غير مناسب وعرقل الموضوع ، ثم قال على بركة الله.

عدت من الديوان الى الرئاسة، وأبلغت السيد طوقان بموافقة جلالته وأعطيته كتاب التنسيب فأصدر أمر تعيين عبد الله محافظاً في وزارة الداخلية.

لم يمض وقت طويل حتى اصيب عبد الله بمرض السرطان وربما انه كان مصابا به قبل ذلك الوقت وكتم الخبر كما سيأتي . وقد ذهب الى امريكا للمعالجة

دون ان يفصح عن مرضه حتى لعائلته، وشاءت الظروف أن اذهب الى امريكا وان احضر مؤتمراً طبياً في فلوريدا دعاني اليه الدكتور براندو رئيس اطباء او لبني عاصمة ولاية نيويورك الذي كان صهري الدكتور كمال البطينجي مساعداً له، واثناء المؤتمر التقيت بالطبيب الذي اشرف على فحص ومعالجة عبد الله والذي صادف ان عرف انني اردني وسألني عما إذا كانت اعرف عبد الله، فذكرت له انه زميلي، وصديقي فقال اننا في طور اكتشاف علاج جديد لنوع مرضه وعندها عرفت انه مصاب بمرض السرطان ، وذهب عبد الله الى امريكا مرة ثانية ويبدو انهم لم يوفقوا في معالجته على اساس ان المرض وصل الى مراحله الأخيرة، وعاد الى عمان ليأخذ شقيقه احمد الى مقبرة اربد الشمالية وتساءل عن اصحاب الأضرحة هنا ،وهناك واختار مكان ضريحه بجوار احد معارفه ولم يكن احمد او غيره من العائلة يعرف هذا المرض المصاب به، وكانت مفاجأة حزينة، وقد ادخل الى مستشفى الجامعة الأردنية حيث انتقل الى رحمته تعالى، رحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

الأوضاع العامة لبلاد الشام في اواخر العهد العثماني وتطورات الأحداث في المنطقة حتى عام ١٩٤٨

كان قسم من اليهود الذين جرى إخراجهم من إسبانيا مع العرب عند انتهاء الحكم العربي هناك قد حضروا الى تركيا، واعتنق بعضهم الإسلام هروباً، وصار الأتراك يسمونهم يهود الدولما ، وقد حملوا الجنسية العثمانية اسوة بمواطني الدولة، وقد وصل بعضهم الى مراكز عليا، ومنهم المدعو جاويد بك الذي صار وزيراً للمالية في عهد السلطان عبد الحميد. سمعت على لسان جدي الذي كان يعمل في القضاء الشرعي في اسطنبول آنذاك ان جاويد هذا عرض على السلطان عبد الحميد اربعة ملايين دينار تركي ذهباً تدفعها له المنظمات اليهودية ليوافق على توطين اليهود في منطقة الجزيرة الخالية من السكان آنذاك في شمال شرقي مدينة حلب في سوريا، وذلك لأن مجرد ذكر فلسطين، والأماكن المقدسة أمر حساس جداً في تلك الأيام، ولا يمكن التطرق اليه ، وربما كان قصدهم خطوة مبدئية للتواجد في المنطقة ، ومع هذا

فإن عبد الحميد رفض هذا الطلب، وصارت عنده ردة فعل وأصدر فرماناً همايونياً، « اي ارادة ملكية» يمنع تملك اليهود منعاً باتاً في جميع الولايات العثمانية ، ثم عزل جاويد من منصبه، وبعدها بدأ يهود الدولما يتعاونون للإخلال بالأوضاع الاقتصادية في تركيا، وتوسيع الخلاف بين الترك والعرب، ثم قيل في مرحلة لاحقة إن مصطفى كمال الذي حل محل الخليفة فيما بعد كزعيم وطني وحافظ على كيان تركيا كان من يهود الدولما، وهذا غير ثابت، ولكن هناك نقاطاً مهمة تجعله في موضع الشك لأنة قام باعمال لا يقرها الدين او المنطق حيث الغى استعمال اللغة العربية نهائياً، وأحل محلها اللغة التركية رسمياً وشعبياً، واستبدل حروفها بالحروف اللاتينية بما في ذلك القرآن الكريم الذي يعبر باللغة العربية، ويضيع معناه ومضمونه اذا كتب في أية لغة أخرى وخاصة اللاتينة ، وقد ورد في أحدى الآيات الكريمة قوله تعالى :« **إنا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون** ».كما أنه اغلق المساجد ومنع الآذان والصلاة فيها . وإن لم يكن من الدولما فانه قد تعاون معهم. وبعد تنحية السلطان عبد الحميد وسيطرة حزب الاتحاد والترقي ساءت الاحوال الاقتصادية، وبدأت سياسة التتريك وإلغاء استعمال اللغة العربية، وتنفيذ احكام جائرة على الطبقات الواعية من العرب وتنفيذ احكام الإعدام العشوائية مما اوجب على العرب التحرك مطالبين بحقوقهم القومية، واستقلال بلادهم في الجزيرة العربية، ثم في المشرق والمغرب العربي من المحيط الى الخليج العربي:

تدهورت الأوضاع الاقتصادية في الدولة العثمانية، وقامت حروب محلية بينها وبين عدة بلدان تابعة لها في شرق اوروبا، ومنها بلغاريا ورومانيا والبوسنة والهرسك وغيرها، وانفصلت هذه البلدان الواحدة تلو الاخرى عن دولة الخلافة الاسلامية دون ان تدرك هذه الدولة ان اليهود كانوا وراء تدهور الاقتصاد ثم التحريض على تلك الحروب.

البدء بالعمل اليهودي لإنشاء الوطن القومي في فلسطين

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى عرضت الجمعيات اليهودية على الحلفاء، وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا مساعدات مالية وفنية قُدمت لهم من قبل اصحاب رؤوس الاموال اليهود في امريكا، واوروبا لكي يساعدوهم في اقامة وطن قومي لهم على جزء من اراضي فلسطين، وذلك تماشياً مع مقررات المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بال عام ١٨٩٢، والذي تقررت فيه إقامة الكيان اليهودي في فلسطين تحت ذريعة أنها موطنهم الاصلي، وانهم شردوا منه عبر القرون، وفي عدة احداث تاريخية سابقة.

لم يكن العرب في المستوى المادي والوعي المناسب في تلك المرحلة، لاهم ولا الاتراك الحاكمون ليقدروا الموقف على حقيقته، وبدلاً من ان يدركوا الخطر، ويتعاونوا توسع الخلاف بينهم، وبادر الحاكم العام التركي في سوريا احمد جمال باشا بتنفيذ احكام الإعدام العشوائية وهذا دفع العرب الى العمل على اخذ حقوقهم بالقوة، فانحازوا الى جانب الحلفاء الذين قدموا بدورهم وعوداً كلامية، او برسائل خاصة تبادلوها مع زعمائهم، وعلى رأسهم شريف مكة الحسين بن علي، ومع ابنائه الذين قادوا الحركات العربية المسلحة بالتعاون مع الحاكم البريطاني في مصر السير مكماهون ، بينما كانت كل من بريطانيا وفرنسا على اتصال مع المنظمة الصهيونية قبل اتصالهما مع العرب بعامين كاملين،اي منذ بداية الحرب عام ١٩١٤، وكان اتصالهما رسمياً مع العرب في عام ١٩١٦ بعد أن كانوا قد أعطوا وعوداً لليهود واتخذوا قرارات رسمية لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وذلك بواسطة وزيري خارجية البلدين سايكس وبيكو، وكان مظهر هذا الكيان وطناً قومياً ولكنه في الحقيقة كيان سياسي كامل. كما أقرا اقتسام المنطقة العربية بعد فصلها عن دولة الخلافة الى مناطق انتداب واحتلال وحماية ووصاية، في نفس المرحلة كان وزير المستعمرات البريطاني بلفور قد وعد بدوره اليهود بانشاء الوطن القومي المشار اليه واقرّته الحكومة البريطانية. وعندما خلفه ونستون شيرشل وزيراً للمستعمرات بعد نهاية الحرب قال إن الوعد الذي قطعة بلفور واقرته الحكومة البريطانية في حينه قد ورثه هو ولا مجال لتبديله، هذا وان اتفاقية سايكس بيكو قد تضمنت إقامة كيانات

عربية في سوريا والعراق والاردن ولبنان تحت الإشراف البريطاني والفرنسي على أن يعطى لهذه المناطق الاستقلال تدريجياً بحسب تطور اوضاع كل منها مستقبلاً،وقد أقرت عصبة الأمم التي كانت تمثل دول الحلفاء المنتصرين هذا القرار بعد نهاية الحرب وبوشر بتطبيقه.

كان الحلفاء قداتصلوا مع شريف مكة وأبنائه، ومع قادة الحركات التحررية في سوريا يؤكدون لهم استقلال جميع بلدان المشرق العربي بعد التغلب على تركيا وحلفائها إذا ساهم العرب في هذه المنطقة في الحرب ضد تركيا.وكانوا يشيرون الى إقامة كيان قومي لليهود في فلسطين، وكيان ديني اداري للموارنة في لبنان، ولم يكن مفهوم ذلك واضحاً عند العرب، وكانوا يعتقدون أنه كيان اداري لحرية الأديان لاخطر منه بالنسبة الى اليهود في فلسطين لان عددهم بضعة الآف، ولا فرق بينهم وبين العرب والجنسيات الاخرى، وبالنسبة الى لبنان فإنه لم يكن هناك فارق بين مختلف المذاهب والاديان التي جرى الاتفاق بينها بعد الحرب، وقبل الاستقلال على اقتسام مراكز الدولة من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة الوزراء، والمراكز الأخرى كما هو معروف وسارٍ حتى اليوم.

ولم يكن يخطر ببال الكثيرين ان تحصل الهجرات اليهودية، ويتم تحشيدها في فلسطين في الظروف التي عشناها ورأيناها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وفي أثناء الحرب الثانية وما بعدها .

كانت مطالب الصهيونية التي اتفقوا عليها هم والحلفاء، وعلى الأخص بريطانيا في المراحل الاولى من بداية الحرب هي إقامة كيان سياسي يهودي، أي دولة مستقلة تشمل فلسطين وقسماً من شرقي الاردن حتى خط سكة حديد الحجاز على أن لا يؤثر وجودها على الحقوق القانونية والمدنية لجميع السكان بحسب ما جاء بوعد بلفور، وأقرته الحكومة البريطانية في حينها.

وقام العرب بثورتهم على الترك، ولم يكن الطرفان بمستوى يدركون فيه التآمر عليهما معاً. وساعد الحلفاء العرب في المال والسلاح، وجرى طرد القوات التركية من المشرق العربي حتى حدود بلادهم الاصلية الاناضول بعد تكبيدهم خسائر عظيمة في الأرواح لم يخسروا عشرها في حربهم مع الحلفاء.

وبعد انتهاء الحرب قررت عصبة الامم انتداب بريطانيا لإدارة فلسطين وشرق الاردن والعراق. وفرنسا لادارة سوريا الشمالية من نهر اليرموك الى حدود تركيا، وعصبة الأمم تألفت أصلاً من هاتين الدولتين واعوانهما «كما هي الحالة الآن مع مجلس الامن والأمم المتحدة».

وفي هذه المرحلة كان أبناء سوريا قد قرروا تتويج الملك فيصل بن الحسين ملكاً على جميع الاراضي السورية، وإعلان النظام الملكي المستقل دون الرجوع الى الحلفاء وتم ذلك . وقد جرت مؤامرات في الداخل والخارج أوجدت اعذاراً لقدوم القوات الفرنسية التي كانت ترابط على شواطىء لبنان بقيادة الجنرال غورو الى دمشق، وجرت معركة ارتجالية وغير متكافئة بين قواته وبعض القطعات العربية الحديثة التشكيل ومعها قطعات شعبية متطوعة ينقصها كلها السلاح، والعتاد في موقع ميسلون غربي دمشق، ولم تتمكن هذه القطعات الرمزية من الصمود فانسحبت، ثم تفرقت، وخرج الملك فيصل من البلاد وذهب الى بريطانيا وفرنسا الحليفتين، وقابل مسؤولي الدولتين، وتوصل معهم الى تنصيبه ملكاً على أقليم العراق.

في هذه المرحلة عينت بريطانيا اليهودي الصهيوني هربرت صمويل عضو مجلس الاعيان البريطاني مندوباً سامياً على فلسطين، وحضر وزير المستعمرات ونستون شيرشل الى القدس، وعقد اجتماعاً مع سمو الامير عبد الله بن الحسين والمندوب السامي، وتم الاتفاق على إعلان تشكيل حكومة شرق الاردن باسم امارة شرق الاردن على ان تكون مرحلياً تحت إشراف المندوب السامي الى أن تتوصل الى تنظيم دولة، وتتدرج نحو الكيان المستقل الذي توصلت اليه فيما بعد ، على ان تواصل بريطانيا السعي لإنهاء انتداب فرنسا على شمال سوريا وتوحيدها مع الأردن.

وتشكلت في الأردن قوة من الشرطة والدرك قوامها بحدود عدد كتيبة أطلق عليه اسم الجيش العربي استمراراً لاسم الجيش العربي الذي ساهم في حرب الاتراك ،على أن تموله بريطانيا لمرحلة مناسبة .

كما جرى تشكيل كتيبتين في فلسطين من فرسان ومشاة منقولة بالسيارات سميت قوة حدود شرق الأردن أغلبها من سكان فلسطين عرباً ويهوداً واعداداً محدودة من الأردنيين قادتهما من الانجليز ومربوطتان بالمندوب السامي مباشرة، وانيطت بهما حماية حدود فلسطين كجزء من المخطط الذي سبقت الإشارة اليه، وللحيلولة دون تهريب الأسلحة الى فلسطين. وقد انيط بنا في الجيش العربي القيام بهذا الواجب في مرحلة لاحقة.

وفي هذه المرحلة نشط الصهيونيون مع سلطة الانتداب ورئيسها المندوب السامي بالتعاون على إدخال المهاجرين اليهود من مختلف بلدان العالم أما بموافقة الدولة أو بطرق التهريب ، وفيما بين عامي ١٩٢٢و١٩٣٦ ازداد عدد اليهود في فلسطين من ستة وثمانين ألفاً الى اربعمائة ألف ومعظم هذه الزيادة حصلت بعد عام ١٩٣٣ بسبب تحرك النازيين بزعامة هتلر في المانيا ضد اليهود في المانيا كما زعموا في حينها ومن يدري؟ ولعل اليهود انفسهم وراء تلك الحركة، وفي عام ١٩٣٦ قام الاضراب العام في فلسطين احتجاجاً على تسهيل سلطة الانتداب لهجرة اليهود، وتسهيل شرائهم الاراضي، ومنحهم اقساماً من اراضي الدولة لاقامة المستوطنات الجماعية عليها، وبسبب هذا الإضراب ارسلت الحكومة لجنة للتحقيق، وتنسيب تسوية للوضع سميت لجنة بيل نسبة الى اسم رئيسها، وبعد فترة من الدراسة وضعت هذه اللجنة مشروعاً يتضمن تقسيم فلسطين الى ثلاثة اقسام بقصد وضع حد لهذه الخلافات، وإنهاء الإضراب ، قسم يخصص لليهود تعادل مساحته ١٧ بالمائة من اراضي فلسطين لليهود ويكون عدد سكانه ثلاثمائة الف من العرب وثلاثمائة وثلاثة عشر الفاً من اليهود ، وقسم آخر خصص للعرب خالصاً لهم، والقسم الثالث يكون تحت اشراف الامم المتحدة وهو يشمل الأراضي المقدسة ويحوي السكان الموجودين فيه من عرب ويهود، وقد رفض الجانبان العرب واليهود هذا المشروع، وعاد اليهود يطالبون باقامة كيانهم الموعود على اراضي فلسطين وشرق الأردن، وقد قال بن غوريون لأعضاء اللجنة إن الأردن هي الأرض التاريخية التي نشأ عليها العبرانيون قبل دخولهم الى فلسطين، ومن هنا جاء الاسم بعد عبورهم نهر الأردن، وان اسرائيل سيجدها مستقبلاً البحر المتوسط غرباً، ومن

الشرق الصحراء السورية، وشمالاً مدينة صور ونهر الليطاني، ومن الجنوب العريش وصحراء سيناء، وانه سيجري التوسع في سيناء مستقبلاً لانها خالية من السكان، ولا تخلو من معادن يمكن استغلالها. واستطرد بن غوريون قائلاً إنه لا بأس من اجراء التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل لأنه سيكون مرحلياً، كما أنه يقبل حجة الذين اعترضوا عليه وان معهم الحق لان أرض فلسطين وحدة واحدة لا يمكن تجزئتها. وعلى اساس الحلول المرحلية كان رأي بن غوريون أنه في حالة اي نوع من التقسيم ينضم القسم العربي منها إلى الأردن، ولا ينفرد كيان خاص لان هذا يفتح المجال مستقبلاً لمداد استيطان سلمياً الى الأردن بطريقة شراء الاراضي مهما بلغت اثمانها ثم اعمارها واستغلالها وبالتالي السيطرة على الاردن اقتصادياً ومواصلة السير في بناء اسرائيل الكبرى.

وبدأت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وتوقفت محاولات طرح الحلول وانصرف الجميع للتفكير بسير الحرب ونتائجها ولم تكن بريطانيا في وضع واضح لمسيرة هذه الحرب ونتائجها، وصار اليهود يتقربون منها ويقدمون المساعدات ويسهمون في صناعة بعض الاسلحة والمتفجرات في مشروع البوتاس على البحر الميت، وتشكلت منهم مجموعة لواء مسلح تطوع اغلب افرادها من يهود فلسطين بقيادة عميد يهودي، وجرى تنظيمهم وتدريبهم في بريطانيا ثم ارسلوا في مرحلة لاحقه للاشترك في الحرب مع الجيش الثامن البريطاني في ايطاليا، وصار هذا اللواء نواة جيش اسرائيل بعد ان اعيد الى فلسطين وسيأتي ذكره.

في عام ١٩٤٢ اثناء اتساع ميادين الحرب اعتقدت جهات عربية ان دول محور المانيا ستكسب الحرب ضد بريطانيا وحلفائها، ولم يكن في حسابهم دخول امريكا الى جانبهم. انحازت هذه الجهات العربية الى جانب المانيا، ومن هؤلاء الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا الفلسطينية، ومن مصر اللواء عزيز علي المصري، وعلي ما هر باشا وجماعتهم، ومن العراق رشيد عالي الكيلاني ومجموعته بينما وقف الاردن الى جانب الحلفاء، واعلن الحرب على المانيا والكل يراهن على الحصان الرابح لكسب تأييده بعد نهاية الحرب لإقرار الحق في قضية فلسطين.

سمعت بحدوث هذه المواضيع وتفصيلاتها شخصياً لثلاثة من رؤساء هذه المجموعات: الحاج امين الحسيني في بيته، وفي مكتبه بمصر الجديدة، وفي بيت الاخ

عبد الله التل، ومن السيد رشيد عالي الكيلاني عدة مرات في بيت زوج ابنته الدكتور نجم الدين السهروردي اللاجيء السياسي العراقي في القاهرة ، ومن اللواء السيد عزيز علي المصري قائد جيش الثورة العربية الكبرى سابقاً في نادي الجزيرة، وفي بيته المقابل للنادي اثناء اقامتي الطويلة في القاهرة.

وقد انقلب ميزان الحرب ضد المانيا بعد دخول امريكا بكل ثقلها الى الحرب إلى جانب الحلفاء في مرحلة امتداد الحرب الى شمال افريقيا، والى اعماق روسيا شرقاً بعد ان اجتاحت المانيا معظم اجزائها الحيوية من لينين غراد وموسكو وستالينغراد غرباً. في هذه المرحلة بدأت امدادات الاسلحة تأتي من امريكا واوروبا بحراً الى ميناء حيفا، وكنت من الشهود العيان على وصول هذه الاسلحة محمولة على عشرات السفن التي كانت تفرغ حمولتها في الميناء الذي كنت مسؤولاً عن حراسته حيث كنت اقود احدى فئات السرية الاولى الأردنية التي كان يقودها الرئيس نديم لطفي السمان وكانت قيادتها في موقع النبي شعنان على جبل الكرمل ، وكانت قيادتي بداخل الميناء خلف عمارة بنك باركلس على شارع الملوك ، وكانت مئات السيارات تذهب في قوافل يومية من حيفا عبر الاردن والعراق وايران الى روسيا، وكانت القطعات الاردنية من الحامية الاولى في فلسطين تحرس هذه القوافل حتى حدود العراق ومن هناك تتولى حراستها الحامية الثانية الاردنية التي كانت تقيم في العراق لهذه الغاية، هذه الامدادات الهائلة كانت من اسباب صمود روسيا امام المانيا ثم اندفاعها فيما بعد غرباً حتى برلين، وحينما ذهبت ملحقاً عسكرياً الى المانيا الغربية عام ١٩٥٩ تعرفت على المارشال هو زنجار قائد الجيش الالماني بواسطة السفير الالماني السابق في العراق فون جروبا وبعض الاخوة العراقيين قال لي يوماً انه كان يقود الفيالق الالمانية اثناء الحرب مع روسيا، وإنه خسر ساقه بأواخر المعارك هناك، ووضع بدلها ساقاً خشبية كان يمشي عليها، وقال لي من جملة ما قاله إن العواصف الثلجية حالت دون وصول الامدادات لجيشهم الذي توقف عن التقدم واخذ مواقع دفاعية ثابته انتظاراً لانتهاء موسم الثلج، وإن امدادات امريكا عن طريق فلسطين والاردن والعراق وايران هي التي ساعدت روسيا في تلك المرحلة، وعندما قلت له إنني كنت مسؤولاً عن حراسة ميناء حيفا والذخائر التي كانت تصله في تلك المرحلة ضحك كثيراً وقال ،إنك

خصم قديم ، واستطرد قائلاً ان امريكا اخطأت بذلك الموقف وها هي تعاني من تهديد الاسلحة الذرية والاقمار الصناعية وحرب النجوم وغيرها مع روسيا.

وقال إن المانيا لن تشكل خطراً على امريكا، ولو إنها وقفت موقفاً معاكساً لاستراحت من الخطر الروسي القائم ووفرت انفاق بلايين الدولارات لتطوير اسلحة الفضاء وغيرها، ولامكن رفع مستوى شعبها ومساعدة الشعوب الفقيرة الاخرى، وقد سارت الامور لغير مصلحة العرب في فلسطين بعد هزيمة المانيا كما هو معروف.

١٩٤٧/٢/١٤

اي بعد عامين من نهاية الحرب عقد في لندن مؤتمر لدراسة موضوع تقسيم فلسطين ذهب اليه مندوبون عن العرب واليهود بقصد البحث لايجاد طريقه للتقسيم يرتضيها الطرفان، كان الوفد اليهودي اعضاءً من الوكالة اليهودية المنظمين كحكومة ظل، بينما كان العرب يمثلون قطاعات متباينة ليست لها خطة عمل معينة او مطالب مدروسة واضحة، وقد رفضوا المقترحات التي عرضت عليهم جملة وتفصيلاً وبدون مناقشة او عرض طلبات بديلة ، وعندها قررت بريطانيا رفع يدها عن الانتداب على فلسطين وأحالت القضية الى الامم المتحدة .

وفي الحقيقة إن بريطانيا حتى هذه المرحلة كانت قد قطعت شوطاً بعيداً بتطبيق ما جاء بوعد بلفور، واوفت بالتزاماتها لليهود ولم يبق امامها طريق آخر، ولكن مع هذا فإن قرار انسحابها وتنفيذه السريع هو جزء مكمل لتآمرها ، وكان عليها ان تبلغ هيئة الامم برغبتها هذه ليجري انتداب دولة اخرى، أو اكثر تقوم مقامها في المنطقة إلى حين تنفيذ قرارات الامم المتحدة، ولكن بريطانيا انسحبت بانذار قصير وتركت البلاد نهباً للفوضى كما سيأتي بيانه.

ومن جهة ثانية فإنها لمست تقلص نفوذها في المنطقة كلها في الشرق الاوسط، وإن امريكا اصبحت البديل عنها لمساندة اليهود وتقرير مصيرهم ، وربما ادركت بريطانيا في هذه المرحلة خطأها الفادح نحو العرب ونحو الحفاظ على مصالحها الخاصة في المنطقة ولكن بعد فوات الاوان.

وعندها انسحبت من فلسطين انسحاباً يشبه الهزيمة ودون ان تسلّم مسؤولية الامن والادارة بصورة رسمية الى جهة مسؤولة من الامم المتحدة التي سبق ان اقرت انتدابها على فلسطين، وتركت البلاد في حالة فوضى بعد أن سلمت المواقع العسكرية والإدارية الى اليهود.

وعندها قال بن غوريون إن بريطانيا قد أوفت بالتزاماتها حيال اقامة الوطن القومي اليهودي حتى الآن، وما علينا الا ان نكمل واجبنا بانفسنا وسوف لا نعدم الاصدقاء.

١٩٤٧/١٠/٢

ابرق الياهوساسون الى شاريت في واشنطن قائلاً: إن جميع الاعتداءات التي تعرض لها المستوطنون يقوم بها اشخاص مستأجرون من قبل مجموعة الحاج امين الحسيني، وان الشعب الفلسطيني لا يرغب الاشتباك معنا بالسلاح كما إنه غير مسلح ولا منظم، ومنذ أن تحركت العمليات المسلحة كان هم السكان العرب الدفاع عن قراهم بما يتيسر لهم من اسلحة وعتاد محدود جداً يحصلون عليها بطرق التهريب، ولذلك لا توجد لديهم الإمكانيات لمهاجمة المستوطنات اليهودية المسلحة.

كان وضع العرب في اعوام ١٩٤٧و١٩٤٨ مختلفاً عن وضعهم في إضرابات واشتباكات اعوام ١٩٣٦و١٩٣٩، وذلك لان اسلحة ومسلحين دخلوا الى فلسطين في المرحلة الاولى ٣٦-٣٩ من سوريا والاردن وكنا شهود عيان على دخولها كما سبق ذكره في عدة حالات، وكانت هنالك قيادة سياسية فلسطينية تقيم في دمشق ويتجول مندوبوها بين سوريا والاردن وفلسطين للإشراف على سير تلك العمليات، وقد جرت عمليات جريئة في فلسطين اشتركت فيها الهيئات الشعبية افراداً وجماعات، وكانت نتائج عملياتها خلال مدة الإضراب التي دامت ثلاث سنوات اجراء عشرة الاف عملية مسلحة منها ١٣٥٠ هجوماً على وحدات الجيش البريطاني ومراكزه الامنية ودورياته، واربعمائة حادث تخريب في انابيب بترول خط حيفا - بغداد ومنشآته، و٩٣٠ عملية هجوم على المستوطنات اليهودية وسكانها، وكان من نتائج هذه العمليات مقتل ٢٨٥٠ عربياً من قبل السلطات العسكرية والامنية

البريطانية معظمهم عزل من السلاح، وبسبب مسلحين دخلوا الى قراهم وبيوتهم مع نحو ٩٠٠٠ جريح ، وأوقع العرب خسائر جسيمة بين اليهود والبريطانين لم أجد أرقامها الحقيقية في هذه المراجع.

هذه الصورة اختلفت في الحركات الاخيرة عامي ١٩٤٧و١٩٤٨ وذلك لغياب القيادة السياسية عن البلاد ومالحقها من إبعاد وسجن وتشريد ، وكذلك بسبب تزايد القوات اليهودية وزيادة تسليحها، ومساندة قوات الاحتلال لها، وكذلك إدخال اعداد من القطعات اليهودية النظامية التي جرى تدريبها وتسليحها مع قوات الحلفاء اثناء الحرب مع كميات كبيرة من الاسلحة ، ولذلك حلت الهجرة في هذه المرحلة محل الصمود والمقاومة بين سكان المدن والقرى عندما صاروا يتعرضون للعدوان كما سيأتي ذكره.

١٩٤٨/٢/٣

عقد اجتماع في مكتب الشؤون الخارجية الصهيونية في باريس برئاسة مدير المكتب المدعو اميل نجار الذي كان يقوم بالتمثيل السياسي هناك بصورة غير رسمية اسوة بما كان قائماً في البلدان الحيوية بالنسبة لليهود، وقد قال للمجتمعين ، انه حتى الان لم تهاجم اية مستوطنة في فلسطين، أو يدخلها اي فرد من العصابات العربية وان الشعب الفلسطيني يتطلع الى حل سلمي معنا ولا يريد الحرب، وإثباتاً لذلك ابرز عشرات الاتفاقيات الموقعة بين سكان المدن والقرى العربية وتجمعات الغمل وبين جيرانهم في المستوطنات اليهودية تنص على عدم الاعتداء على بعضهم بعضاً والمحافظة على الصداقة وحسن الجوار وذلك لان المواطنين العرب شعروا بقوة العصابات، والتنظيمات المسلحة اليهودية بينما كان العرب عزلاً من السلاح وامكانية المقاومة ، وقال إن مثل هذه الاتفاقيات جرى توقيعها بين عمال الطرفين في الموانئ ومعسكرات الجيش البريطاني، ومحطات السكة الحديد والخدمات الحكومية، وكذلك بين طبقات التجار وملاك الاراضي. وأضاف قائلاً ان الكثير من صور هذه الاتفاقيات محفوظ في مختلف مكاتب الوكالة اليهودية، وأضاف قائلاً إن الأسباب الرئيسية لتوقيع العرب على مثل هذه الإتفاقيات هي معرفتهم إن جميع سكان المستوطنات والمنظمات اليهودية مسلحون تسليحاً كاملاً مثل اي جيش نظامي. بينما

لا يملك العرب السلاح الا في حالات نادرة وبطرق التهريب، وذلك لان قوانين سلطة الانتداب كانت قاسية جداً تصل الى الإعدام بحق من يحمل منهم السلاح او يقتنيه.

وفي الحقيقة فإن اليهود هم الذين اخلوا بهذه الاتفاقيات ونقضوها، وهاجموا المدن والقرى التي وقع سكانها الاتفاقيات معهم وكان اشدها إجراماً تطويقهم قرية دير ياسين التي وقع سكانها احدى هذه الاتفاقيات عام ١٩٤٢، وكانوا عزلاً من السلاح، وقد غدروا بهم وافنوهم جميعاً صغاراً، وكباراً، نساءً، ورجالاً كما سيأتي ذكره.

بدء العمليات المسلحة في القدس

في ١٤/٣/١٩٤٨ تمكنت مجموعات العصابات العربية شبه النظامية من تطويق الاحياء اليهودية في القدس وعزلها عن الخارج ومنع وصول الطعام والماء اليها، ووقف جميع الخدمات الادارية فيها، وفي هذا الوقت الحرج حاول كل من الياهوساسون المسؤول عن العلاقات العربية في الوكالة اليهودية وحاييم بيرمن السكرتير السياسي في الوكالة وضع اقتراح لحل الموقف، ووافق عليه كل من وولتر إتيان من الفرع السياسي وحاييم هوتزوك مسؤول الاستخبارات العسكرية لعرضه على الهيئة العربية العليا الفلسطينية يتضمن هذا العرض الخطوط العامة لإقامة، الدولتين العربية، واليهودية على اساس حدود التقسيم التي اقرتها الامم المتحدة ، على ان يجري توقيع اتفاقية بين الطرفين لمدة عشرين سنة تتضمن التعاون في النواحي الفنية والسياسية والعسكرية ، وان تنضم كلتا الدولتين الى هيئة الامم المتحدة ، وأن تدفع اسرائيل بموجب هذه الاتفاقية مبالغ مالية يجري الاتفاق عليها لتساعد على بناء الكيان الفلسطيني ، وأن تتفقا على السياسة الخارجية بحيث لا توقع اي منهما اتفاقاً مع دولة اخرى دون موافقة الطرفين عليها، وأن تتعاونا في جميع المجالات التي تضمن الامن والاستقرار في البلدين وتشتركان كلاهما في الجامعة العربية اما اعضاء دائمين او حلفاء بحسب ما تسمح به الظروف. وتتعاونان في المجال الصناعي ولا تسمحان لصناعة اجنبية ان تضارب على صناعاتهما، وتشكل لجنة من الطرفين لاعادة دراسة الحدود التي اقرها مشروع تقسيم الامم المتحدة بينهما ، ويجري تعديلها بشكل يرضي الطرفين .

لم يبرز هذا المشروع الى حيز الوجود، وبقي محفوظاً في سجلات الوكالة اليهودية لان بن غوريون لم يوافق على تطبيقه، وفضل العمل على ان ينضم القسم العربي من فلسطين الى الاردن، ولا يكون له كيان مستقل وإن هذا يفتح المجال مستقبلاً لمد الهجرة والاستيطان الى الاردن ومع مرور الزمن يصبح من السهل التوسع في شراء الاراضي، وبالتالي السيطرة على الاقتصاد هناك ومواصلة العمل على بناء اسرائيل الكبرى.

وبعد هذا بوشر بحشد قوات يهودية من جميع المستوطنات ومن تل ابيب والمدن الاخرى، وتمكنت من فك الحصار المفروض على الاحياء اليهودية في القدس، ولكن المناوشات استمرت حول المدينة وضواحيها في باب الواد والقسطل وعين كارم وغيرها حتى موعد انتهاء الانتداب في ١٤/٥/١٩٤٨ وعندها تمكنت قواتهم من السيطرة على الاحياء اليهودية بعد أن اخرجوا المناضلين منها ثم توغلت في حي الشيخ جراح العربي وسيطرت عليه الى ان دخلت قطعات الجيش الأردني يوم ١٩/٥/١٩٤٨ وطردتهم منه.

١٩٤٨/٥/٢١

وصل لواؤنا من منطقة نابلس الى منطقة القدس ووضعنا قيادتنا في خربة أداسا شرقي شعفاط ثم دخلت الكتيبة الثالثة الى منطقة الشيخ جراح واستلمت مواقع الكتيبة الثانية التي تحركت الى موقع اللطرون وباب الواد لتحول دون وصول قوات يهودية من تل ابيب الى القدس ، واتصلت قطعاتنا مع القدس القديمة التي كانت في داخل اسوارها سريتان وقطعات مناضلين بقيادة الرائد عبد الله التل ، واستمرت الاشتباكات والمناوشات في القدس واطرافها وعلى الطريق العام بين تل ابيب والقدس وفي اللطرون وباب الواد وغيرها كما سبق ذكره.

١٩٤٨/٥/٢٧

تجولت في مواقع ست فئات كانت موزعة في حي الشيخ جراح وعلى اطراف وادي الجوز، وشاهدت الخراب في الاحياء العربية، واتضح لي ان خسائر العرب المادية تقدر بالملايين وكان منظر جميع البيوت مؤلماً جداً وهي خالية من السكان ومتروكة بجميع اثاثها ومحتوياتها تعبث بها ايدي العابثين من العرب، وليس من

اليهود!! الذين تسربوا اليها بقصد الكسب والنهب، دخلت بيت اسعاف النشاشيبي الذي كان يحوي مكتبة خاصة ومشهورة ووجدت مسلحين مدنيين يفكّون الثريات والخزائن وشاهدت مئات الكتب مبعثرة في فناء المنزل فطردتهم بالطريقة التي يستحقونها بواسطة جنود السرية، وأوعزت لقائد السرية الملازم فارس العبد بوضع حراسة خاصة على هذا البيت، ومنع دخول المدنيين الى هذا الحي منعاً باتاً إلا لمن يثبتون أنهم من اصحاب البيوت، وجرى جمع الكتب ووضعها في غرفة خاصة وابقاء مفتاحها مع فارس نفسه ، وبقيت كذلك حتى اقامة الهدنة حيث حضر اقارب اسعاف ونقلوا المكتبة ومحتويات المنزل الى عمان كما اخبرني فارس الذي استشهد في نفس الموقع على يد صيادي العدو اثناء الهدنة فيما بعد.

كان الرصاص لا ينقطع من قبل صيادي الطرفين والقطعات الامامية والكمائن، والاصابات متوقفة على الحظ، وصادف ان كان اثنان من المناضلين يسيران بإتجاه وادي الجوز جنوبي بيت اسعاف فأصيب احدهما في اعلى فخده فسقط على الارض، وهرب زميله عبر الوادي وارسلنا ضابط صف ومعه بعض الجنود فأحضروه على نقالة وبوشر بإسعافه وقال إن اسمه علي من مدينة حلب، وكانت اصابته بليغة وبعدة طلقات ودمه ينزف بغزارة، ولم يلبث ان توفي رحمه الله اثناء اسعافه. وجدنا معه هوية تفيد بأنه اشترك في معركة ميسلون ضد الفرنسيين وهو شاب صغير، وكذلك في ثورة جبل الدروز ضد الفرنسيين مع سلطان الاطرش وأنه حضر من سوريا مع المناضلين من جماعة عبد القادر الحسيني: هذه صورة عن مناضلي تلك الايام الذين كانوا يضحون بأنفسهم لأهداف قومية، وبدافع النخوة العربية لاطمعاً في مال او مركز، وقد أرسلت هويته مع رسالة خاصة لأهله في حلب مع التعزية والإشادة ببطولته وتضحيته.

١٩٤٨/٦/٩

صدر امر من رئاسة الأركان بمنع إطلاق النار على الأحياء اليهودية الا إذا اعتدى اليهود على قواتنا أو على الأحياء العربية ، ذهبت يومها إلى باب العامود في القدس القديمة، وفي طريقي اليها عبرت جسر الشيخ جراح، ووصلت الى فندق فريال حيث كانت قيادة الكتيبة الثالثة، ووقفت إلى الرصيف ومعي بعض ضباط

قيادة الكتيبة، وكان اليهود يوجهون نيران اسلحتهم إلى الشارع الرئيسي المار بين متحف القدس وأسوار المدينة القديمة من عمارة نوتردام المقابلة لهذا الشارع من الغرب. كانوا يتناولون كل سيارة قادمة من الشرق بنيران رشاشاتهم رغم التعليمات الصادرة الينا بعدم اطلاق النار على احيائهم، وكان هذا بتنسيق مع قناصل الدول الذين كانوا يقومون بواجبات الامم المتحدة.

كانت احدى سيارات الكتيبة قادمة من الشرق تحمل المؤن، ولابد من مرورها بهذا الشارع، وكانت احدى المدرعات تسير امامها لتلقي النيران عنها وهي ملاصقة للمدرعة تقريبا من الخلف وعندما مرتا من امام عمارة المتحف تلقتهما نيران اليهود، ومع وصولهما إلى أمام الفندق تقريباً استدارتا الى اليمين لتدخلا شارعاً فرعياً، هناك كنا نقف على رصيفه وعندما انكشفت سيارة الشحن لبضعة امتار اصيبت بعدة طلقات نارية في مقدمتها وتحطم زجاجها الامامي، وكان السائق يتمايل يميناً وشمالاً وكأنه يريد تفادي الرصاص ودخل الشارع الى اليمين دون أن يصاب بأذى، وعندما توارى عن الرصاص، وصار امامنا ظهر في مؤخرة السيارة جندي يأكل الخبز والبندورة، وكان ضاحكاً وهو يسألنا قائلاً، هل اخوانا يضربون اليهود؟ هو لا يعرف مصدر النار أو أن مقدمة السيارة التي هو بداخلها قد اصيبت وتحطم زجاجها الأمامي، ونزل السائق يترنح بسبب الطلقات العديدة التي مرت من جانبه واخطأته ,لا شك في أن القضاء والقدر يلعبان دورهما في مثل هذه الحالات التي كان الجميع يواجهونها طوال تلك المرحلة، وبعد دقائق كانت بطارية مدفعيتنا المتمركزة في منطقة بيت حنينا شمال القدس ترد على هذا الاعتداء رداً إيجابياً.

١٩٤٨/٦/١١

جرى إعلان الهدنة بموافقة جميع الاطراف العربية واليهودية، ولكن إطلاق النار المتقطع بقي مستمراً في القدس، وبعد انتهاء الهدنة الاولى هذه بتاريخ ٧/١١ والتي وصلت خلالها امدادات لليهود من مختلف انواع الاسلحة والرجال المتطوعين وأعادوا تنظيمهم قاموا باحتلال مدينتي اللد والرملة والجبل الشرقي، ثم جرى إعلان الهدنة الثانية التي لم يتقيد بها اليهود، وقاموا بعدة عمليات ومنها احتلال منطقة النقب حتى الحدود الدولية مع مصر.

اسباب اخلاء المدن والقرى الفلسطينية من السكان في الايام التي سبقت انهاء الانتداب البريطاني:

بدأت هذه العمليات في مدينة حيفا عندما طلب رئيس البلدية اليهودي شاباتيا ليفي من الجمعية الوطنية التي تمثل السكان العرب ان يوقفوا التحرشات المسلحة، ويسلموا اسلحتهم الى قيادة عصابات الهاجانا ليعود الأمن والاستقرار للجميع، وقدرفضت الجمعية هذا الطلب، وعندها قامت عصابتا الهاجانا والارغون بمهاجمة الأحياء العربية وطرد السكان من بيوتهم وإيقاع الخسائر من القتلى والجرحى بينهم، وعندها لجأ هؤلاء إلى قيادة القوات البريطانية، وطلبوا مساعدتهم بنقلهم الى خارج المدينة، قدمت لهم هذه القيادة وسائل النقل البرية والبحرية التي نقلتهم الى عكا والجبل الغربي وإلى الاراضي اللبنانية، ولم يبق منهم في حيفا الا القلة الذين استسلموا للعصابات اليهودية وطلبوا البقاء.

في هذه المرحلة جرى اجتماع للهيئة السياسية للجامعة العربية في صوفر في لبنان وطلبت من البلدان العربية فتح حدودها لاستقبال الاطفال والنساء والشيوخ من الذين تضطرهم ظروفهم لمغادرة فلسطين، وبنفس الوقت عارضت الهيئة العربية العليا الفلسطينية هذا الطلب وخروج اي فلسطيني من بلده كما عارضت إعطاء اية تأشيرة دخول لأي من البلدان العربية المجاورة، وقام جلالة الملك عبد الله بإصدار نداء الى الشعب الفلسطيني يحض فيه على الثبات وعدم مغادرة اي فلسطيني لبيته او لبلده، وتبعه السيد عبد الرحمن عزام سكرتير الجامعة العربية باصدار نداء مماثل باسم الجامعة العربية، كما اصدر السيد فوزي القاوقجي قائد جيش التحرير الفلسطيني امراً الى قواته لمنع المواطنين الفلسطينيين من مغادرة بلادهم بالقوة ومنع وسائل النقل من حملهم الى خارج البلاد، اما الدول العربية المجاورة فقد قررت السماح للاطفال والنساء بدخول بلادهم واعادة كل من هو فوق سن الخامسة عشر السيد محمد اديب العامري مدير اذاعة فلسطين في رام الله اذاع بنفسه بياناً يحض فيه على عدم مغادرة البلاد وعدم نزوح الذين اضطرتهم ظروف العدوان اليهودي المسلح في بعض المناطق الساحلية لأبعد من مناطق جنين وطولكرم والمدن المأهولة بالسكان العرب، واصدرت الهيئة العربية العليا نداءً يوم ١٠/٥/١٩٤٨ من محطة إذاعة القدس لعدم الخروج منها تحت اي ظرف.

ولكن بالرغم من كل هذه النداءات والتحذيرات والإرشادات والأوامر فإن عشرات الألوف من المواطنين الذين ارادوا ابعاد عائلاتهم عن الخطر فعلوا ذلك، وأخرين من موظفي الدولة والطبقات العاملة في الموانئ والمدن الساحلية فضلوا الذهاب الى البلدان العربية على البقاء في المناطق التي كانوا يعرفون انها مخصصة لليهود في مشاريع التقسيم ، وانه لا يمكنهم الحصول على اية وظيفة او عمل يعتاشون منه مستقبلاً ،كما ان اخرين من اصحاب رؤوس الاموال، وذوي العلاقات التجارية مع الخارج قدغادروا البلاد مع أموالهم مبكرين خلال عام ١٩٤٧: مئات الألوف غادروا مدنهم، وقراهم إما خوفاً، اوقهراً الى المناطق البعيدة عن الخطر في فلسطين، او الى خارجها: ولقد قرر بن غوريون ومجموعته طرد العرب من المناطق المخصصة لليهود بكل الطرق الممكنة ،. بالارهاب وتخريب المزارع، والمعامل، والمتاجر، ووسائل النقل، وهدم البيوت، والقرى ووضع المدن تحت حصار بمنع دخول اي نوع من الطعام اليها وحتى منع مياه الشرب من الوصول اليها.

حادثة مذبحة دير ياسين:

كتب المحرر الصحفي الذي كان يعمل مع الصليب الاحمر كشاهد عيان لمذبحة دير ياسين التي وصلها فور انتهاء العملية قائلاً: تقع دير ياسين في منطقة مرتفعات غربي القدس، وكان سكانها قد وقعوا اتفاقية عدم اعتداء بينهم، وبين جيرانهم اليهود منذ عام ١٩٤٢ كما اعلمني اولئك الذين نجوا من الموت لوجودهم خارج القرية عند وقوع الاعتداء، ولهذا السبب لم يطلبوا من التنظيمات العربية المسلحة وضع قواعد لحمايتهم في القرية، وعندما بدأت حوادث الاعتداء تقع بين العرب، واليهود قام مسلحو المنظمتين الارغون وليهي يوم ٩/٤/١٩٤٨ بدخول القرية، وجمعوا سكان القرية كباراً، وصغاراً، ذكوراً ،واناثاً وجعلوهم يصطفون ووجوههم للجدران، وقتلوهم جميعاً، ثم قاموا بنهب محتويات بيوتهم، وانصرفوا : ومن حينها صارت عملية دير ياسين هذه وصمة عار في جبين الشعب اليهودي وسجل عار في تاريخه. كان رد فعل هذه العملية هروب المواطنين العرب الذين يتواجدون قرب المناطق

اليهودية خوفاً من تكرار مثل هذه العملية : وقد كتب بعدها رئيس عصابة الهاجانا التي قامت بالعملية المدعو ديفدشالتيل : إن جماعته لم يقوموا بعمل عسكري ضد مسلحين ليشيعوا الخوف من الإرهاب بين العرب، ولذلك اختاروا قرية مسالمة عزلاء، وخالية من السلاح، وقاموا بعمليتهم متقصدين إشاعة الإرهاب بين العرب، وحملهم على الفرار، وقد تحقق هذا الهدف بعد العملية مباشرة، وهرب عشرات الآلاف تلقائياً فراراً من تكرار مثل هذه العملية .

١٩٤٨/١٠/٢٩

اثناء سريان الهدنة الثانية قامت عصابة ليهي التي اشتركت بعملية دير ياسين بعملية مماثلة في قرية الدوايمة بقضاء الخليل.

وحينما دخلت قوات فوزي القاوقجي الى فلسطين لم تتمكن من إيقاف عمليات اليهود العدوانية هذه في مناطق الناصرة، وغرب الجليل، وجنين ونابلس التي تمركزت فيها واعتداءاتهم على قرى هذه المناطق ،تلك العمليات التي سجلها مراقبون اجانب ولم يسجل هؤلاء المراقبون شيئاً عن مقاومة قوات القاوقجي للقوات اليهودية ،هل لانه لم تكن هناك مقاومة أم انهم تقصدوا عدم ذكرها : وفوق هذا فإن قوات القاوقجي كانت تكلف المواطنين نفقات فوق طاقتهم لأن افرادها كانوا بحاجة إلى الطعام والمأوى، والخدمات الادارية، والنقليات، وهذه كلها كانت تقدم لهم طوعاً وفي بعض الحالات يحصلون عليها قسراً: انا شخصياً شاهدت تصرفات كهذه بعد دخولنا منطقة نابلس ولا إجيز لنفسي كتابتها في مذكراتي هذه تجنباً للشماتة.

وحينما دخل بن غوريون الى القسم الغربي من مدينة القدس بعد قيام الهدنة لم يشاهد فيها عربياً واحداً فقال ان هذا لم يحصل منذ أن خرّب الرومان هذه المدينة، وها هي الآن اصبحت خالصة لنا، وكذلك عندما شاهد مدينة حيفا وعبر الاحياء العربية الخالية من السكان، والخاوية على عروشها هي وبيوتها ومتاجرها واسواقها العربية التي كانت عامرة وزاهرة كما سبق ان عرفناها، وتعايشنا مع اهلها وقال سنعيد بناءها وإعمارها لتتسع لآلاف المهاجرين.

وعندما جرى اخراج نحو خمسين الفاً من سكان مدينتي اللد والرملة يومي ١٢،١٣/٦/١٩٤٨ بعد نهاية الهدنة الاولى مباشرة قال: لقد احبطنا إمكانية التقاء

الجيش الاردني الذي كانت طلائعه هناك مع الجيش المصري الذي كان يطوق مستعمرة نعتبا جنوبي المدينتين مما كان يشكل خطراً على تل ابيب، ولهذا السبب وافق على اخلاء المدينتين من السكان ، وقد تم نهب محتويات جميع مساكن المدينتين من قبل افراد القوات اليهودية الذين ادعوا انه جرى نقل معظمها الى المعسكرات لاستعمالها من قبل المهاجرين الجدد على تل ابيب وهي معلومات غيرصحيحة سأورد تفصيلاتها فيما بعد.

في عام ١٩٦٥ أصدرت اسرائيل قانوناً يعد كل من غادر المناطق التي تحتلها اسرائيل الى خارج فلسطين، أو إلى المناطق التي تحتلها قوات عربية في فلسطين مهاجراً، وغائباً عن ارضه ولذلك فإن ملكيتها تعود للدولة ، وبموجب هذا القانون استملكت اسرائيل ميلوني دونم من الاراضي العربية التي اصبحت بحوزتهم علاوة على مليونين وتسعمائة وتسعين دونماً من الاراضي العربية مع ٧٣ الف غرفة من بيوت السكن التي اخلاها اصحابها طوعاً، أوكرهاً و٧٨٠٠ محل تجاري في المدن والقرى تركها اصحابها بجميع محتوياتها من الاثاث والبضائع وغيرها، وهذا ساعد على اسكان مئات الآف المهاجرين اليهود وعلى اقامة ٤٧ مستوطنة جديدة سكنها ٢٥ الف مستوطن اضافي.

مراحل الإستيطان اليهودي في فلسطين

بدأ موضوع قيام الوطن القومي اليهودي بتأييد بريطانيا منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، وكانت وجهة نظر ملك بريطانيا، وحكومته التي وعدوا بها الممثلين الصهيونيين هي ان اقامة هذا الكيان يجب ان لا تؤثر على حقوق المواطنين من غير اليهود من النواحي الدينية ،والحقوق المدنية ، الا انه بعد عامين من هذا الوعد اي عام ١٩١٩ قدم ممثلو الصهيونية مخططاً يوضح حدود الوطن القومي المطلوب والذي يشمل فلسطين كلها، ويتعداها شرقاً ليشمل اراضي شرق الاردن حيث تمتد الحدود من جنوب شرقي العقبة، وتلتقي مع خط سكة حديد الحجاز وتسير بمحاذاته من الغرب الى ما قبل مدينة دمشق ثم ينحرف خط الحدود الى الشمال الغربي ثم الى الغرب قرب مدينة صور في لبنان مشتملاً على مجرى نهر الليطاني.

كان مطلب العرب في تلك المرحلة هو استقلال البلاد العربية الواقعة بين المحيط الاطلسي والخليج العربي وهذا هو الطلب القومي العربي الذي لم يزل امنية كل عربي منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا ، وهو مطلب أمة عربية واحدة ذات حضارة عريقة ولغة واحدة ومعتقدات واحدة على ارض عربية واحدة تجمعها القومية والاصل العربي الواحد، في حين ان الصهيونية كانت ولم تزل تعمل على جمع شتات اليهود من بلاد العالم يجمعهم الدين اليهودي فقط، ويتزعمهم التنظيم الصهيوني، ولكنهم واجدادهم لا تجمعهم قومية ولا اصل ولا وطن واحد ولا لغة واحدة وحتى ان معظمهم يجهلون اللغة العبرية التي ترتبط بالديانة اليهودية.

وفي عام ١٩٢٢ استثنت بريطانيا شرقي الاردن من وعد بلفور بهدف اقامة الدولة الهاشمية التي سبق الاتفاق على إقامتها في اتفاقيات الحسين -لكماهون المعروفة وعلى اساس اقامة دولة شرق الاردن فيها برئاسة سمو الامير عبد الله بن الحسين، واقامة دولة عربية في العراق برئاسة جلالة الملك فيصل بن الحسين وعلى اساس توحيد سوريا ولبنان والقسم الاعظم من فلسطين مع الاردن وفاء لوعود بريطانيا السابقة مع الثورة العربية كما سيأتي ذكره، ويبدو ان التنظيم الصهيوني كان قوياً وله سيطره عملية ومالية وتأثيره قوي في البلدان الاوروبية والامريكية ومعظم البلدان التي توجد فيها جاليات يهودية ،وكان الفرق شاسعاً بينهم، وبين الشعوب العربية ، وان التجهيل العربي الذي دام اربعمائة سنة اثناء الحكم العثماني، وربما قبله بمئات سنين اخرى اثناء حكم العائلات والإمارات والمشيخات العربية في المشرق، والمغرب العربي والذي لم تزل آثاره قائمة، وواضحة لكل من يتمكن من المقارنة بينها، وبين البلدان المتقدمة حضاريا وديمقراطياً، وهذا كان السبب الرئيس للفوارق بين الطرفين ولذلك كان اليهود نشطين وعمليين وخصوصاً بعد ان استغلوا كوارث الحرب العالمية الثانية، ونتائج الحرب العالمية الاولى قبلها حيث بدأوا يهجرون اليهود من مختلف بلدان العالم الى فلسطين، وكانت بريطانيا المساعد الاكبر لهم اثناء انتدابها لإدارة فلسطين من قبل عصبة الامم بناء على مساعي الصهيونية وتعاونها مع السلطات البريطانية والعمل على انتدابها على فلسطين لتنفيذ وعودها في إقامة الكيان اليهودي فيها، وكان اول عمل قامت به بريطانيا في هذا المجال هو تعيين

اليهودي الصهيوني المعروف هربرت صموئيل حاكماً عاماً على فلسطين، وشرق الاردن بهدف تأسيس الوطن القومي اليهودي كما كانوا يسمونه مجازاً في حين ان قصدهم الحقيقي هو إقامة دولة لها كيان سياسي، والذين تعايشوا مع الإدارة البريطانية من الفلسطينيين ايام الانتداب مارسوا هذا الواقع عملياً ، ونحن ضباط الجيش الاردني الذين عملنا مع وحدات جيشنا في فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية، وحتى نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ كنا شهود عيان على المساعدات التي قدمتها بريطانيا لليهود في نواحي التنظيم والتسليح والتدريب إلى أن سلموهم القواعد العسكرية، ومراكز الدولة حتى يوم ١٤/ ٥/ ١٩٤٨ وقد اوجزت بعض تلك الوقائع التي عرفتها او شاهدتها في تلك المرحلة حيث عملت في الوحدات العسكرية الاردنية وفي معسكرات الجيش البريطاني وفي مختلف المواقع كضابط مسؤول ومنها حيفا وصرفند وبيت نبال وصفد والعفولة واللطرون والقدس وغيرها كما سبق ذكره.

وبين الأعوام ١٩٢٢ و١٩٣٦ ارتفع عدد اليهود في فلسطين من نحو ٨٦ الفاً اي ١١ بالمائة من عدد السكان الى ٤٠٠ الف اي ٣٠ بالمائة وكانت معظم هذه الزيادة من يهود المانيا والذريعة لهجرتهم التسلط الالماني النازي على اليهود ، وكانت خطة الصهيونية هي تسهيل هجرة الاغنياء والعلماء الالمان لإقامة كيانهم على اسس فنية وعلمانية ، وربما كان نشوب الحرب اصلاً ضد المانيا النازية من صنعهم ، وانهم ساعدوا ، او ساهموا باقامتها للوصول الى تهجير اليهود الاوروبيين الى فلسطين كلاجئين باثناء الحرب وحتى بعد انتهائها،ثم لماذا لم يعادوا الى بيوتهم في المانيا والبلدان الأوروبية التي خرجوا منها وتكدسوا في معسكرات لاجئين تحت ادارة الحلفاء، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الامريكية التي حشدت معظمهم في غرب المانيا في منطقة احتلال الجيش الامريكي، ومنها جرى تسفيرهم الى فلسطين بمختلف الوسائل، والطرق وهم يحملون اسم لاجئين تقوم على كامل ادارتهم القوات الامريكية، ولماذا لم يعادوا الى بيوتهم وبلدانهم التي عاشوا فيها هم وآباؤهم واجدادهم وهم ينتسبون اليها اصلاً وعرقاً، ويحملون جنسيتها بعد أن لم يبق هتلر ولا نازية يتذرعون بها، ثم لماذا يهجرون الى فلسطين بالذات دون بلاد العالم. يجب على كل عربي أن يقدر هذا الوضع ويعرف النيات الموجهة لإمته وقوميته العربية.

واثناء عام ١٩٣٦ ارسلت بريطانيا هيئة تحقيق باسم لجنة «بيل» التي كان يرأسها اللورد بيل للتحقيق باسباب اضطرابات واخلال بالامن قام بها العرب احتجاجاً على تهجير اليهود واستيطانهم ومنحهم اراضي الدولة ومباشرة إقامة المستوطنات عليها، وكأن بريطانيا تجهل اسباب هذه الاضطرابات وتريد معرفتها ، كما بدأ قادة الصهيونية يطالبون بحرية الاستيطان في انحاء فلسطين دون تحديد، وامتداده الى شرق الاردن على اساس إنها تابعة للانتداب البريطاني، وان كل مواطن له حرية شراء الارض، والاستيطان فيها طالما ان مالكها يوافق على بيعها، وقد اثار المتطرفون اليهود موضوع اراضي شرق الاردن على انها مرتبطة تاريخيا بالوطن اليهودي القديم وقبل عبورهم الى فلسطين حينما حملوا اسم العبرانيين ، ولماذا لا يبتاعون اراضي هناك ويستوطنون . ترأس بن غوريون حزب العمل اليهودي، وكان مطلبه الاول هو اقامة كيان مستقل على قسم محدود من اراضي فلسطين على شاطئ البحر والشروع بتشكيل جيش قوي ثم المباشرة باعمار اراضي فلسطين وشرق الاردن حتى بادية الشام زراعياً وصناعياً والاستيلاء التدريجي عليها بطرق الشراء والاستيطان العادي سلمياً وان يكون الهدف البعيد هو السيطرة عليها بقوة الاقتصاد ثم السلاح اخيراً عند اللزوم ، وقد وافق بن غوريون على مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود مهما كان نوع هذا التقسيم عملياً او غير عملي جغرافياً، متناقضاً او منسجماً مع جغرافية البلد او كيفية توزيع السكان لانه كان مصمماً على إن هذا التقسيم مرحلي، وانهم سيصلون اخيراً الى الاستيلاء على كل المنطقة التي اشار اليها بقوة الاقتصاد والسلاح. وكان يقول انه لايشك قطعاً بأن جيش اسرائيل سيكون من الجيوش القوية في العالم، وان يسيطر على المنطقة بالقوة. قامت اضرابات وتظاهرات في فلسطين عام ١٩٣٦ على مشاريع التقسيم والاستيطان، وأيدتها تظاهرات، واحتجاجات، ومؤتمرات، وخطابات، وبرقيات من البلدان العربية تماماً مثلما يجري في هذه الايام وما قد يستمر مستقبلاً ، واستمر هذا الوضع حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ حيث اصدرت بريطانيا وعداً أسموه الكتاب الابيض حددت بموجبه الهجرة اليهودية بخمسة وسبعين الفاً خلال خمس سنوات، وشروطاً اخرى مهدئة، ومطمئنة على مستقبل البلاد ولزوم التعايش السلمي بين

العرب واليهود وتجاوبت البلدان العربية دولاً، وشعوباً مع هذه الوعود مستبشرة بتهدئة الوضع العام، واستعدادها لمساعدة الحليفة بريطانيا لمواجهة اخطار الحرب، وأعلن بعضها الحرب على محور المانيا وحلفائها ، وفي شهر ايار عام ١٩٤٢ دعا بن غوريون الى اجتماع يهودي موسع في فندق بلتيمور في نيويورك حضره ستمائة مندوب من جميع التنظيمات اليهودية في انحاء العالم واتفقوا على إقامة الدولة اليهودية على جميع اراضي فلسطين ، احتج العرب على هذا المؤتمر وعلى مقرراته التي اشارت اليها الصحف الامريكية وارسلوا البرقيات والوفود الى بريطانيا، الدولة المنتدبة على فلسطين اعتراضاً على مقررات مؤتمر بلتيمور، وبطبيعة الحال فإن مصير البرقيات ونتائجها معروفة ، واما الوفود فإن بعضها قوبل من قبل صغار موظفي الخارجية بعد ان استثني عدد منهم من المقابلة على اساس حسيني ونشاشيبي، وهذا مؤيد وهذا معارض ومثل هذا لم يزل يجري حتى اليوم ما دام العرب في موقف المشتكي، وها هي معظم الدول الكبرى ترفض مقابلة ممثلي الشعب الفلسطيني اوالتعاون معهم حتى اعادة كتابة هذه السطور في مطلع عام ١٩٩٣ وحتى لو تلطف هؤلاء وقابلوهم ثم رفض اليهود التباحث معهم او التعاون الحقيقي لايجاد حل للقضية على اساس الحق والعدل وحتى تطبيق قرارات الامم المتحدة التي هي بدورها بعيدة عن الحق الطبيعي فما هو الاجراء الذي ستتخذه هذه الدول العظمى وهل ستفرض حلاً بالقوة وتطبق قرارات الامم المتحدة ؟ وهذا بمقدورها لو تتفق عليه ولكنها لن تتفق : صار مؤتمر بلتيمور ومقرراته هو برنامج ومنهاج الصهيونية ولكن دون تحديد مواعيد تطبيقه، او الاشارة الى حدود واضحة، ومعروفة لهذه الدولة المقترحة وبقيت سياسة التوسع قائمة وهم ليسوا على عجل في تنفيذها.

وبعد مؤتمر بلتيمور وجد اليهود أن امريكا هي الحليف الاقوى وأن لها طموحات في المنطقة العربية واهمها عدم وصول الروس الى مناطق البترول الذي هو عصب الحياة بالنسبة الى اوروبا اولاً، ثم الى امريكا التي تعتبر اوروبا واقي الصدمة كما نسميها عسكرياً بينها وبين روسيا حيث لو إن اوروبا انهارت او انحازت الى روسيا والمعسكر الاشتراكي فان امريكا تصبح معزولة عن العالم وهي

بطبيعة الحال فيها تقبل للنظام الاشتراكي مهما تشددت بتطبيق الديموقراطية الصورية وهي بالواقع خليط من اجناس والوان وامم متناقضة في عاداتها ولغاتها وعقائدها وتقاليدها والوان سكانها من الاسود والاصفر والاحمر والابيض يجمعها جواز السفر او بطاقة الإقامة الدائمة ،وهذا الخليط هو من اسباب وقوعها العوبة في يد الصهيونية التي تشتريهم وتشتري ذممهم بالمال والمساعدة على الوصول لمراكز السلطة وغيرها، وبطبيعة الحال فإن من يطلع على الأوضاع في امريكا عن قرب او من بطون الكتب، والصحافة، ووسائل الإعلام يجد ان الكثير من القوى الاقتصادية والسياسة الفعلية بيد اليهود واعوانهم ومؤيديهم علاوة على الاف اليهود الذين يعملون في المراكز القيادية في الدولة وان مراكز اقتصادية مهمة من بنوك، ومصانع وشركات تجارية بانواعها اما بايديهم كاملة اوانهم مساهمون بها: لكل هذه الاسباب قرر الصهيونيون ان ينبذوا بريطانيا، ويتعاونوا مع امريكا وان يعملوا على إنهاء انتداب بريطانيا على فلسطين. وخصوصاً عندما بدأت بريطانيا، في اواخر الحرب العالمية الثانية تحس بعقدة الذنب مع حلفائها العرب وتحاول الحد من اطماع اليهود التوسعية وتشعر بتعاون الصهيونية مع امريكا في مجال انهاء نفوذ بريطانيا في الشرقين الادنى والاقصى ولكن مع الحفاظ على ارتباط بريطانيا ودول غرب اوروبا مع امريكا وبقائها حاجزاً بوجه التوسع الروسي الشيوعي كما سبق ذكره:

كانت سياسة كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا في الشرق الأوسط خاطئة منذ البداية، وقد اثبتت الايام هذا بعد التجارب الطويلة ، وذلك لان بلدان اوروبا هذه وغيرها تعتمد اعتماداً كلياً على جلب معظم الخامات من بلدان الشرق الاوسط وتصنعها في معاملها التي تتحرك بقوة بترول المنطقة، ثم تعود، وتصدر مصنوعاتها لهذه المناطق وتؤمن رفاهية شعوبها وقوتها الاقتصادية :

ولولا بترول هذه المنطقة لما تحرك مصنع او قوة كهربائية او ميكانيكية او الية في انحاء اوروبا وذلك لانعدام وجودا البترول في بلدانهم ، وهنا كان خطؤهم العظيم وخاصة بريطانيا وفرنسا عندما اصدروا وعد بلفور واتفاقية سايكس – بيكو لمصلحة اليهود وقامتا بتنفيذه ضد الحق العربي الواضح الصريح والذي اثبتت الايام

انه ضد مصلحتهما، وانهما خسرتا صداقة وتعاون البلدان العربية في شتى المجالات. هم اعتقدوا وربما لا يزالون يعتقدون أن وجود اليهود بكيانهم الصهيوني السياسي كدولة في فلسطين سيكون اداة تفرقة بين البلدان العربية تحول دون تعاونهم لاستغلال خامات بلادهم وتصنيعها والاستغناء عن منتجات بلدانهم، واخيراً المضاربة على منتجات اوروبا الغربية في الاسواق العالمية وذلك لوجود الخامات، والبترول، ووفرة الايدي العاملة قياساً لمثلها في اوروبا ، واعتقادهم من جهة ثانية ان الوجود الصهيوني في فلسطين واطماعهم التوسعية سيكون اداة ارهاب للبلدان العربية لتعمل دائماً وابداً على شراء الاسلحة منهم للدفاع ضد طموحات اليهود: وبطبيعة الحال فقد اخطأ هؤلاء التقدير، واظهرت الايام مع مرور الزمن ان وقوفهم ضد العرب ليس في مصلحتهم وبدأوا يشعرون بعقدة الذنب ولكن الوقت قد فاتهم، واصبحوا تابعين لأمريكا من جميع الوجوه.

كان بن غوريون يوافق في كل مناسبة على إقامة دولة يهودية على جزء محدود من فلسطين ولكنه يقول ان هذا حل مرحلي وانه لا بد من توسيع حدود هذه الدولة مستقبلاً لتشمل شرق الاردن والجولان وجنوب لبنان.

المنطقة التي جرى تخصيصها لليهود بقرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ كانت تحوي ٥٢٠ الفاً من اليهود و٣٥٠ الفا من العرب والاقليات الاخرى على ان يكون الجميع مواطنين بهذه الدولة.

بدأ اليهود قبيل انسحاب بريطانيا يتوغلون في المواقع التي لم تخصص لهم في مشروع تقسيم عام ١٩٤٧ والتي خصصت للعرب مثل اراضي الجليل الغربي وطريق يافا– القدس ، وفي يوم ١٢/ ٥ / ١٩٤٨ اعلن بن غوريون انهم سيقيمون دولتهم، ولكنهم لم يشيروا الى حدودها التي قررها تقسيم ١٩٤٧، وفي يوم الجمعة الموافق ١٤/ ٥ / ١٩٤٨ جرى اعلان قيام دولة اسرائيل، وفي اليوم التالي ابرق ابستن ممثلهم في نيويورك الى شاريت بانه قد اعلم الرئيس ترومن ان قيام هذه الدولة سيتم دون القيام بعمليات عسكرية ، وقد سبق لوايزمن ان ابلغ ترومن رئيس الولايات المتحدة ان دولتهم ستقام ضمن الحدود التي اقرتها الامم المتحدة وان

دولتهم ستقوم بحفظ الامن والنظام ضمن حدودها ، ولكنهم لم يشيروا في جميع اتصالاتهم الى اقامة دولة فلسطينية بجوارهم في الاراضي التي خصصت للعرب بنفس قرار التقسيم ، وكانت مباحثاتهم تدور حول مؤتمر الصلح الذي جرى عام ١٩١٩ الذي قرر إقامة كيانهم، ولكنهم لم يشيروا الى ان ذلك القرار تضمن اقامة الدولة العربية برئاسة جلالة الملك فيصل بن الحسين في الاراضي السورية كاملة باستثناء المنطقة التي خصصت وطناً قومياً لهم ، وقد اشار وايزمن إلى أن مؤتمر الصلح الذي اقامته الامم المتحدة في لوزان واقر إقامة الوطن القومي اليهودي قد ذيّله الملك فيصل بحاشية فوق توقيعه جاء فيها عدم اعترافه بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين اذا لم يف الحلفاء بوعدهم باقامة الدولة العربية الواحدة على جميع الاراضي السورية التي كانت تشمل سوريا الطبيعية اي بلاد الشام التي اصبحت فيما بعد تشكل اربعة كيانات هي سوريا ولبنان والاردن وفلسطين.

لم يكن مفهوم الوطن القومي اليهودي آنذاك يتجاوز كياناً دينياً وإداريًا، وكانت وجهة نظر الهاشميين ومفهومهم في تلك الايام ان هذه حلول مرحلية ستجري تسويتها بالطرق المناسبة بعد إقامة الدولة العربية الواحدة واستقلالها الكامل الناجز في المنطقة .

وقد أكد لي شخصياً المرحوم عوني عبد الهادي توقيع جلالة الملك فيصل على قرار هيئة الامم بحضوره لانه كان سكرتيره الخاص، وانه كان على اطلاع على مخططات جلالته المستقبلية عندما يصل الى موقع القوة والاكتفاء الذاتي وان الموقف القائم يتطلب ذلك ، وان المملكة العربية المنوي إقامتها ستكون في طور البناء وبأمس الحاجة لمساعدة الحلفاء المادية والإدارية والفنية والعملية التي لا يمكن بناء الدولة بدونها وقال إنه يعرف كيف سيتعامل مع هذا الكيان اليهودي الديني الموعود عندما يصل الى موقع الاكتفاء والقوة.

الذي جرى عملياً بين الحربين العالميتين هو إخلال الحليفتين بريطانيا وفرنسا بوعودهما وتعهداتهما التي وقعتاهما في الامم المتحدة، واسهم الملك فيصل بالتوقيع معهم كشريك في الحرب وما جرى بعدها من تقسيم المنطقة الى عدة دول تحت انتدابهما ونفوذهما ، ولم تكن لاي منهما امكانية تحمل المسؤوليات

المادية ، والادارية، والامنية وغيرها دون معاونة او ممارسة تلكما الدولتين والمساهمة بالحكم المباشر او تحت الإشراف بحسب امكانيات كل منهما، وبقيت هذه البلدان تحت الانتداب او الحكم المباشر الى ان اجتازت هذه المراحل، وحصلت على الاستقلال.

كل هذا كان نتيجة لمساعي الحركة الصهيونية وكفاءتها المادية والسياسية، وقد اعلن وايزمن بعد ترؤسه لدولة إسرائيل فيما بعد نشاطات الصهيونية ونشاطه الشخصي الذي اوصل اليهود الى مرحلة إقامة الدولة المستقلة في فلسطين وإنهاء طموحات الدولة الهاشمية قائلاً: إنه لم يكن واثقاً اطلاقاً بإمكان تطوير مطلب الوطن القومي اليهودي الى مرحلة إقامة دولة اسرائيل في اطار الحكم الهاشمي لدولة عربية واحدة في المنطقة رغماً عن قبولهم بتسمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين مجازاً، وإنهم بالحقيقة يقصدون إقامة دولة اسرائيل فيما بعد وإن قبولهم بتسمية الوطن القومي كانت للتضليل والتضحية ولم يكونوا مطمئنين للمستقبل ولذلك عملوا بمساعدة حلفائهم وتنظيماتهم على كبح جماح الدولة العربية الواحدة في المشرق العربي والتي كانت طموحاتهم كما قال وايزمن تتجاوز المشرق العربي وتتطلع الى إقامة دولة عربية كبرى من المحيط الى الخليج وهذا يشكل خطراً ليس على اليهود في المنطقة فحسب بل على جميع حلفائهم وذلك لأن موقع المنطقة العربية الجغرافي ومساحاتها الشاسعة، وعدد سكانها الضخم، وجنسيتهم الواحدة، ومعتقداتهم، ولغتهم الواحدة وامكانياتها المادية ستجعلها دولة عظمى وخصوصاً ان هذه المقومات لم تتوفر لأية دولة في العالم، ولذلك ارسلوا الوفود تلو الوفود لإقناع الحلفاء بهذا الواقع ولأتخاذ الأحتياطات لعدم جمع شمل هذه الأمة في كيان موّحد وكانت النتائج المعروفة والتي جعلت امكانية اتحادها او توحيدها او حتى تعاونها الحقيقي بعيد المنال كما نرى ونعرف، وقد انشأوا فيما بعد وبتوجيهات خاصة قيادة اسمية كما عرفناها عن قرب باسم الجامعة العربية التي نتسلى باجتماعاتها، ومؤتمراتها ، ومقرراتها التي تنشرها وسائل الأعلام ولم تتقدم الى الآن وانا انسق توحيد هذه المذكرات في مطلع هذا العام الجديد ١٩٩٣ يدعو الى الألم والأسف. وإن من يهتم بأوضاعنا وتسلسل وقائعها والأسباب التي اوصلت الى هذا الوضع القائم يعرف الحقائق دون الحاجة الى مراجع.

جرت محاولات كثيرة مع بريطانيا، وفرنسا، وحلفائهما ومع اليهود انفسهم خلال عام ١٩٤٧ وحتى نهاية الانتداب على فلسطين استمراراً لمحاولات سابقة اثناء الحرب العالمية الثانية، وما بعدها لإصلاح بعض أخطاء الدول الحليفة، واعادة النظر بمواقفهم مع اليهود والتي سيعود ضررها على المدى البعيد ليس على العرب وحدهم وانما على اولئك الحلفاء انفسهم، وذلك للعمل على إصلاح اخطائهم، والعودة الى الصداقة القديمة ،واعادة لم شمل العرب على اسس الاتفاقات السابقة وحتى مع تطبيق مقررات الامم المتحدة التي تقضي بتقسيم فلسطين وإعطاء العرب حقهم الكامل الذي تقرر لهم، ولكن طموحات اليهود من جهة وتهاون وتآمر سلطات الاستعمار معهم لتسهيل إقامة دولتهم والعمل على التوسع في المنطقة تدريجياً لأستيعاب ملايين اليهود من جهة ثانية، وتمسّك البلدان العربية بالأوضاع التي فرضتها التجزئة، والحرص على الحكم الفردي البعيد عن الديموقراطية اوجدت صعوبات لا حصر لها، وربما لا يوجد مثلها في انحاء العالم ومع هذا فقد جرت محاولات على نطاق محدود للم الشمل وإقامة نوع من التعاون والاتحاد بين بعض الأقطار ولكنه كان يجري إحباطها في المراحل الحرجة، ولعل تلك التجارب ابرزت دروساً يمكن بواسطتها تلافي الأخطاء التي ابعدت بعض البلدان عن إمكانية الاتحاد او الوحدة والحذر من تدخل القوى الخارجية غير المباشرة بواسطة عملائها المباشرين او المخدوعين لاحباط مثل هذه الاتفاقيات.

وبعد التدخلات العسكرية والمهارشات التي جرت في فلسطين عام ١٩٤٨ بخمسة أيام حاولت الأمم المتحدة التوصل الى حل سلمي في فلسطين بواسطة بعثة يرأسها الكونت برنادوت السويدي على اساس قرار التقسيم ،وتمشياً مع الأمر الواقع والأوضاع القائمة في ذلك التاريخ بقصد المحافظة على أمن وحماية الأماكن المقدسة والتقدم نحو ايجاد الحل السلمي بين الطرفين، وبعد ان قام المذكور وبعثته بدراسة شاملة للمنطقة العربية بموجب الأمر الواقع وجد أن القسم الغربي من منطقة الجليل التابع للمنطقة العربية بموجب مشروع التقسيم محتل من قبل اسرائيل وكذلك مدن حيفا ويافا وطبريا والناصرة وغيرها من القرى التي اصبحت بأيدي اليهود وهرب سكانها العرب أو طُردوا منها ويقدر عددهم بمئات الآلاف، ووجد أن

القطعات العسكرية المصرية تحتل القسم الساحلي من قطاع غزة، والجيش الأردني في منطقة نابلس، والقسم الشرقي من القدس وقوات عراقية بدأت تصل إلى منطقة نابلس، وان القسم المخصص لليهود في اراضي النقب على الحدود المصرية محتل من قبل المصريين.

اقترح برنادوت التعامل مع الطرفين على اساس الأمر الواقع بأن تبقى اراضي النقب مع العرب مقابل بقاء اليهود في منطقة الجليل، وكذلك إعادة جميع اللاجئين العرب الى بيوتهم، واماكنهم التي غادروها، وضم القسم العربي من فلسطين الى الأردن، وان تكون مدينة القدس كاملة خاضعة لإرادة الأمم المتحدة، وان تتمثل جميع الأديان في ادارة الأماكن المقدسة تحت اشراف هيئة الامم.

وقد أيدت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا هذه المقترحات، وبعد اربعة أيام من الموافقة على هذه المقترحات وبينما كان السير برنادوت قادماً من مطار قلنديا الى القدس قابلناه في قيادة الوحدة العسكرية التابعة الى لوائنا في مدرسة بيت حنينا شمال القدس، وتناول ومن معه الشاي هناك، وعدنا الى القدس وعندما دخل من المنطقة اليهودية من بوابة « مندل بوم» الواقعة على الحد الفاصل بين المنطقتين العربية واليهودية جرى اغتياله من قبل عناصر يهودية مسلّحة يرتدي افرادها الزي العسكري حيث أوقفوا سيارته بقصد التفتيش واطلقوا النار عليه وعلى ضابط برتبة مقدم من الجيش الفرنسي كان من ضمن الهيئة، وقيل أن القتلة كان يرأسهم اسحق شامير الذي صار رئيساً للوزراء في اسرائيل في مرحلة لاحقة.

وبعد اغتيال برنادوت جرت اتصالات يهودية بواسطة عملائهم من يهود روسيا، وابلغوا السلطات الروسية أنه في حال بقاء اراضي النقب مع العرب وضم القسم العربي من فلسطين الى الأردن فأن هنالك اتفاقاً بين الأردن وبريطانيا بأن يجري سحب القوات البريطانية المرابطة على قنال السويس لترابط في اراضي النقب بين غزة والعقبة و لتسيطر على شاطئ البحرين الأبيض والأحمر وهذا يقوّي نفوذ بريطانيا في المنطقة، كما ابلغوا الولايات المتحدة الأمريكية وبالطريقة نفسها أن سيطرة بريطانيا على هذه المنطقة يجعلها تسيطر على المشرق العربي ومناطق البترول.

بهذا كسب اليهود تأييد كل من روسيا وامريكا لتبقى اراضي النقب تحت سيطرتهم، وليس تحت سيطرة بريطانيا والأردن اللتين قد تتعاونا معاً على اساس الاتفاقيات السابقة بينهما بموضوع سوريا الكبرى مما يضيق الخناق على اسرائيل مستقبلاً:

وبدأ اليهود يستعدون ويهيئون الفرص لاحتلال النقب من المصريين.

كانوا في تلك المرحلة يحصلون على كميات كبيرة من الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا بايعاز من روسيا، وعلى اسلحة امريكية على اساس ارتباطاتهم الأساسية معها، وسيأتي ذكر انواع وكميات هذه الأسلحة في حديث لاحق.

جاءت هذه الاتفاقيات مع الروس والأمريكان خدمة الى بريطانيا كجواب عكسي على اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور اللتين وطّدتا دعائم الكيان اليهودي في فلسطين وجرى تنفيذ ما ورد بهما من قبل بريطانيا اثناء انتدابها على فلسطين. وعندما تم قبول الهدنة وعقد اتفاقياتها بين الدول العربية، واسرائيل ووضع خطوط الهدنة بين الأطراف، اعتبرت اسرائيل جميع الأراضي الواقعة الى جانبهم داخل خطوط الهدنة هي الحدود المؤقتة لدولتهم.

كانت الأراضي التي خصصها مشروع التقسيم عام ١٩٤٧ لليهود ١٤ مليوناً وتسعمائة وعشرين الف دونم، ولكن خطوط الهدنة هذه اضافت مساحات اخرى للجانب اليهودي وصارت الأراضي التي بأيديهم عشرين مليونا، وستمائة، واثنين، وستين الف دونم، كما إن خطوط الهدنة هذه ومقررات الأمم المتحدة كليهما لم يؤكدا او يحددا حدود اسرائيل مع جيرانها في لبنان، وسوريا، والأردن، ومصر ولكن التعامل مع الجميع صار يجري وكأنها حدود دولية وبقي العمل سارياً بهذه الحدود حتى عام ١٩٦٧.

ولاشك في أن الحدود القائمة حالياً والمعمول بها بين هذه البلدان إنما تستند الى حدود دولية معترف بها كما هو الوضع مع الأردن ومصر، او خطوط هدنة كما هو الحال مع سوريا ولبنان عدا موضوع الحزام الأمني الذي تحتله اسرائيل من الأراضي اللبنانية والذي لم يسبق له مثيل.

في عام ١٩٥٦ حينما كان شاريت رئيساً للوزراء وبن غوريون وزيراً للدفاع تم الاتفاق بينهما وبين اعضاء الدولة الفرنسية كل من موليت وكريستان موليه اللذين اتفقا بدورهما مع رئيس وزراء بريطانيا انطوني ايدن على غزو مصر وإعادة احتلال قناة السويس بعد تأميمها واقترح بن غوريون على الفرنسيين الذين خسروا معظم اسهم القناة أن تتعاون اسرائيل معهم بكل إمكانياتها بهذه العملية وعلى اساس ان يجري ضم الضفة الغربية من الأردن الى اسرائيل والضفة الشرقية الى العراق على ان يستوعب العراق جميع اللاجئين الفلسطينيين بعد ان تعقد معاهدة صلح مع اسرائيل، ولم يوافق شاريت على هذا الإجراء، واستقال من الحكومة. هذه الحكاية ذكرها المشير عبد الحكيم عامر حينما عينت ممثلاً للأردن في القيادة العسكرية المشتركة، ودعاني للعشاء في بيته، وقد سألته عن اسباب إلغاء الأمر بشطر اسرائيل من منطقة قلقيليا الى البحر غرباِ وأنا أقود مجموعة اللواء الهاشمي المكون من سبع كتائب، وبعد ان التحقت بي مجموعة لواء سورية بقيادة العقيد سهيل عشّي ومساعده المقدم احمد عبد الكريم، وقد صادف ان كان المقدم احمد حاضراً الدعوة كعضو في البعثة السورية في القيادة المشتركة.

اجاب المشير أنه عندما اصدر الأمر بإجراء العملية كانت القيادة المصرية تعتقد أن الحرب ستكون مع اسرائيل وحدها لأنها هي التي بدأت الحرب وأن عملية شطر المنطقة وراء قواتها التي تقدمت عبر سيناء تعزل شمال اسرائيل عن الجنوب ولا شك في أنها ضربة قاصمة لهم، ولكن سرعان ما عرفنا عن اشتراك بريطانيا وفرنسا بالعملية وإن من جملة اهدافهم احتلال الضفة الغربية وتسليمها الى اسرائيل، ولكن حكاية دور العراق التي ذكرها بن غوريون في مذكراته لم ترد في كلامه وليس لديه علم بها« خطة بن غوريون هذه عن دور العراق واحتلال الضفة الغربية صدرت مؤخراً في كتاب مذكرات شاريت الخاصة في الولايات المتحدة ولم تعد سراً».

وإن موسى ديان كان قد قال لي في اجتماع غربي كلية خضوري في طولكرم بحضور مراقبي الأمم المتحدة عندما طالبت بابعاد خط الهدنة عن المدن والقرى المتاخمة لذلك الخط الذي يدخل في عدة مواقع بين الأحياء السكنية ويجعل قسماً منها في الجانب اليهودي، قال نحن في الأساس لم نقبل بخط الهدنة الحالي وكانت قلقيلة وطولكرم والقرى المحاذية لهما على طول خط الهدنة من ضمن مطالبنا، إذ كيف

تكون كل الجبال والمرتفعات معكم ونحن في السهل الساحلي ولكن السلطة الأردنية تشددت جداً بعدم التنازل عن هذه الأماكن ورفضت قبولها، سبق ذكر التعديلات التي جرت فيما بعد بالجزء الأول.

وحينما سُئل بن غوريون عن سبب عدم استيلائهم على كل اجزاء فلسطين بعد أن اخفقت الجيوش العربية في الدفاع عنها قال إن هذا كان مخالفاً لمقررات الأمم المتحدة التي التزمنا بها واقمنا دولتنا على اساسها، ومن جهة ثانية فقد حسبنا ان يكون هذا الإجراء حافزاً لثورة عربية عارمة لا نتمكن من الصمود امامها، ثم ربما يكون هذا حافزاً لبريطانيا لمواجهتنا على اساس سريان معاهدتها مع الأردن واعادة بسط نفوذها في المنطقة بعد أن ادركت انتهاء وجودها فيها ولكن هذا ستحققه الأجيال القادمة، هو لم يذكر ان الجيوش العربية التي دخلت الى فلسطين لم تدخل بقصد مواجهة حربية مع اليهود وإنها دخلت ايضاً لتساعد على تطبيق مقررات الأمم المتحدة ولحفظ الأمن والاستقرار في المنطقة العربية بما يقرر مصيرها بعد ان رحلت عنها قوات الأحتلال البريطاني المدنية والعسكرية وتركتها خلواً من اية سلطة :

الواقع إن تخطيط اليهود لإقامة الوطن القومي اليهودي بفلسطين بدأ عملياً منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني في بال عام ١٨٩٢ أي قبل محاولات العرب إقامة كيان عربي بمعزل عن دولة الخلافة العثمانية الذي بدأ يتبلور في مطلع الحرب العالمية الأولى وعلى نطاق محدود لم يتجاوز طرح الآراء ومحاولة المطالبة بالحقوق العربية،ولم يظهر الى حيز العمل الا بعد إعلان الثورة العربية الكبرى التي اعتمدت مالياً واداريأ على بريطانيا، وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء الذين اخلوا بوعودهم ونقضوا عهودهم مع حلفائهم العرب وقسموا البلاد العربية الى مناطق نفوذ، واستعمار، وحماية، ووصاية، ومناطق احتلال دون واعز من شرف أو ضمير، وبعدها برزت الكيانات الأقليمية التي لا حول لها ولا قوة ولا مجال للتنسيق بينها او الوصول الى نوع من التعاون او الوحدة لأن وجود الحلفاء وبالذات بريطانيا وفرنسا السياسي، والأقتصادي، والعسكري بقي مسيطراً على الجميع لحماية مصالحهم الحيوية في المنطقة وحماية الوجود اليهودي في المنطقة تمشياً مع المخططات التي اشترك الجميع في تنفيذها والتي نجم عنها قيام اسرائيل بوضعها القائم حالياً.

وبهذه الأثناء بدأت الكيانات الأقليمية والتي لا حول لها ولا قوة ولا مجال حتى للتنسيق بينها او الوصول الى نوع من التعاون او الاتحاد او الوحدة وصارت كل منها تطالب بالأستقلال الناجز لكل اقليم على حدة، وبهذه المرحلة بدأ التحرك باقليم فلسطين الذي وضعته بريطانيا تحت حكمها المباشر مطالباً بالتحرر والأستقلال، وكان اليهود سباقين للتفاهم والتعاون مع الدول المتحالفة ضد النازية والتي انتصرت بالنهاية، وبدأوا بمساعدة اليهود في كل مكان يسيطرون عليه ويهجرونهم الى فلسطين بالصورة التي سبق بيانها في اوروبا بعد انتهاء الحرب مباشرة.

ثم طرحت سلطة الانتداب على فلسطين المشروع الذي سمي مشروع بل لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وعندها ثار الحاج امين الحسيني ومجموعته على هذا الإجراء وطلب من جميع الهيئات الشعبية باسم الهيئة العربية العليا العودة إلى مواصلة الإضراب العام مهما كلف الأمر.

وكان الإضراب قد دام ثلاث سنوات من ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ وتوقف على امل ايجاد حلٍ عادل وهنا بدأ الخلاف ضمن الهيئة العربية العليا وانحاز النشاشيبي ومجموعته للسلطة الحاكمة التي قامت باعتقال مجموعة من الهيئة وأبعدتهم الى جزيرة سيشل، وآخرون الى روديسيا وقسم آخر احتجزوا في السجون، وآخرون بمن فيهم المفتي نفسه تمكنوا من الهرب الى سوريا والعراق. وصل المفتي ومجموعته الى العراق، وتعاونوا مع ثورة السيد رشيد عالي الكيلاني والتي قامت ضد الوجود البريطاني في العراق، وليس ضد الحكم الملكي، بدليل انهم نصبوا سيادة الشريف شرف وصياً على العرش، وعندما اخفقت هذه الثورة ذهب المفتي ومجموعته الى ايران ومنها الى تركيا، ثم الى المانيا وتعاونوا مع النظام النازي ضد الحلفاء وقد تمكن المفتي من حشد قوات اسلامية من مواطني البوسنة« البشناق» في يوغوسلافيا حاربت الى جانب الألمان وعندما انتهت الحرب لغير مصلحة المانيا تمكن المفتي من الوصول الى مصر يوم ١٩٤٦/٦/٩، واقام فيها ضيفاً على الحكومة .

عرفت الحاج امين الحسيني وقابلته مراراً في بيته أو في بيت الأخ عبد الله التل او بيت السيد احسان هاشم وفي مناسبات أخرى، أثناء وجودي في مصر ممثلاً للأردن، في القيادة العربية المشتركة عم ١٩٥٧، كانت أول مقابلة معه في نادي

الطلبة الفلسطينيين حيث كانت هناك مناسبة دعيت اليها وتكلم فيها المفتي عن مراحل القضية الفلسطينية. وقد اجلسوني الى جانبه، وجاء مصوّر والتقط لنا بعض الصور وكان الى جانبي الآخر الأخ عبد الله التل فقلت له : يا أخ ما قولك بظهور صوري غداً في الصحف بينك وبين المفتي، وانا ملحق عسكري وعضو القيادة العربية المشتركة، ضحكنا كثيراً هو والمفتي ثم استدعيا ضابط شرطة كان يشرف على الاجتماع ووضعاه بالصورة فاستدعى المصور واخذ الفيلم منه .

اجتمعنا في اليوم التالي في بيت عبد الله، وقد سألت المفتي صراحة عن اسباب وملابسات اغتيال الملك عبد الله الذي كان مخلصاً لقضية فلسطين، ورويت لهم بعض ما رأيته، وسمعته، وعرفته شخصياً من جلالته، منذ كنت مسؤولاً عن الحرس الملكي في الشونة عام ١٩٤٢ الى ان سمعته يتحدث بنفس الموضوع عام ١٩٤٨، وذلك بعد معركة باب الواد في طريق يافا – القدس في منطقة اللطرون حيث حضر جلالته لقيادة لوائنا في القدس ورافقته ومعي مدرعتان للحراسة، وكان قصده الاطلاع شخصياً على آثار المعركة ووصلنا بعدها الى رام الله ، وفي مكتب الحاكم العسكري السيد عارف العارف قال جلالته للحضور وبكل حماسة: لقد غدر بنا الأنجليز بمواعيدهم وقراراتهم الكاذبة ووالله العظيم لنأخذ حقنا مهما كلف الثمن، وعاد ليتصل مع العراق كما هو معروف بقصد توحيدها مع الأردن على ان يكون ملك العراق ولياً للعهد، وكان جاداً بهذا الموضوع، ربما ان البعض في الأردن يعرفون هذا الموضوع وما تبعه من تآمرات لاحباطه وقد تم ذلك أخيراً: وكان قصده حشد الشعبين الأردني والعراقي مع الشعب الفلسطيني والوصول الى الحق العربي.

وفي هذه المرحلة جرت محاولة لاغتياله في وادي شعيب بأيد عربية حيث جرى وضع لغم بقصد تفجيره بسيارته وشاهد الحرس الأمامي اسلاكاً على الطريق اشتبهوا بها، واوقفوا القافلة ليقبضوا على ثلاثة اشخاص يختفون على جانب الطريق ومعهم بطارية مربوطة بالأسلاك الموصلة الى اللغم في الطريق وقبضوا عليهم وجيئ بهم للمحاكمة التي حضرها جلالته بناءً على رغبته، وقد خاطب المتهمين أمام الحضور قائلاً :

ما تستحون على حالكم، تحاولون قتلي وأنا على استعداد للتضحية من اجل القضية رغماً عن كل هذه المحاولات، واستطرد قائلاً هيا اتركوهم لحال سبيلهم، وجرى الإفراج عنهم، وفهم انهم غادروا الأردن نهائياً الى سوريا خجلاً من موقفهم المشين.

ذكرت هذه الحادثة الى الحاج امين الذي اقسم بشرفه، ودينه، وايمانه إنه لا علم له بالقضية ولا علاقة له بها، ثم اردف قائلا إن الناس يحملونني الإخفاق بقضية فلسطين فهل أنا صاحب دولة أو سلطة أو اموال اجهز بها قوات مسلحة تنفذ الأوامر والخطط، وهل عندي محاكم وسجون أعاقب المذنبين، أنا فرد واحد من أمة امضيت السنين الطوال مطارداً ومشرداً، ثم أن كل ما امكن تجهيزه وعمله للمقاومة الشعبية غير النظامية كان مبنياً على الحماسة، والتطوع الفردي لجماعات شعبية تجمعها النخوة التي تثور احياناً، وتخبو احياناً أخرى لا يربطهم نظام او قانون وليست لديهم المؤن او أماكن الراحة. تكلم كثيراً عن أوضاع المناضلين كتلاً وجماعات احياناً متعاونة واحيانا متنافرة على الصورة نفسها التي عاشها جيلنا ورافقها من البداية وحتى المراحل الحاضرة.

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية اعيد تشكيل الهيئة العربية العليا بزعامة جماعات الحسينية واستبعاد النشاشيبية بسبب اختلاف وجهات نظر الجانبين.

وبدأت سوريا تتبنى تنظيم هذه الهيئة في دمشق، وأوفدت رئيس وزرائها السيد جميل مردم ومعه وفد سوري الى فلسطين وتقابل مع مختلف التنظيمات السياسية لإعادة التفاهم والتعاون ودعاهم الى مؤتمر عقد في الأسكندرية لهذه الغاية ولم يتوصلوا الى نتيجة لأن جماعات منهم كانت تدعو للتفاهم مع اليهود، واقامة دولة موحّدة معهم، واخرون يدعون لتقسيم فلسطين باتفاق الطرفين وإقامة دولتين، واما مجموعة الحسينية فكان مطلبها اقامة دولة موحدة عربية فلسطينية، ومجموعة اخرى تطلب التقسيم وضم القسم العربي للأردن. وفي اواخر الحرب عام ٩٤٥ اعاد جميل مردم المحاولة نفسها على المجموعات نفسها ولم يتوصلوا الى اتفاق، وقامت جماعة الحسينية بإعادة تشكيل الهيئة العربية العليا من مؤيديهم، وانسحبت التنظيمات الأخرى ولكنها بقيت تعمل بصورة جانبية لأهدافها السابقة ودون التعاون مع الهيئة الجديدة.

وفي منتصف عام ١٩٤٦ ساءت الأحوال الأمنية في فلسطين وسمحت السلطات البريطانية بعودة جمال الحسيني من المنفى، واعادة تنظيم الهيئة العربية العليا وإدخال عناصر جديدة اليها بقصد الوصول الى حل مع اليهود، ولكنه لم يصل الى نتيجة.

بهذه المناسبة اذكر ما يلي:

يوم وصول جمال الحسيني الى القدس جرى استقبال شعبي منظم في القدس، وكنت قادماً من معسكر صرفند الى عمان، ومررت بين الحشود الشعبية التي كانت تملأ شوارع القدس وتمتد شرقاً حتى نهاية بلدة العيزرية وكانت فرق ما يسمونهم النجارة بقيادة زعيمهم محمد نمر الهواري تقف على جانبي الشارع بلباسها الموحّد والناس في هياج عظيم، ومنتهى الحماسة، وعندما مررت بين الصفوف بسيارتي الجيب صار الجميع يصفقون وينادون بحياة الجيش العربي وكنت احمل رشاشاً خفيفاً ومعي بعض الجنود يحملون اسلحتهم فبادرت بإطلاق نار الرشاش في الهواء وعمل الجنود كذلك، وكان جنود الشرطة انجليزاً وعرباً يتجولون بين الجميع وبطبيعة الحال لم يكن سلاح مع هذه الحشود التي تستقبل جمال الحسيني وقد أشار لي ضباط الشرطة الأنجليز عدة مرات بالوقوف فلم أرد عليهم، وبقيت اتجاوب مع الهتافات بإطلاق النار الى ان اجتزت الصفوف. وبوصولي الى جسر النبي وجدت الرئيس كامل عبد القادر رئيس الشرطة العسكرية ينتظرني على الجسر، وقال لي متسائلاً، ماذا عملت في القدس؟ إن كلوب باشا رئيس الأركان غاضب، وقد امرني ان اصطحبك الى مكتبه حيث وصلته اخبار اطلاق النار من قبلك وجنودك في استقبال جمال الحسيني. وصلت الى قيادة الجيش في عمان التي صار موقعها الآن موقفاً للسيارات العامة في جبل عمان الذي اوقف سيارتي به احياناً واعود بذاكرتي الى تلك الأيام حيث لم يبق منها إلا الذكريات، لا كلوب باشا ولا جمال الحسيني ولا كامل عبد القادر حتى ولا فلسطين؟ وقيادة الجيش المهيبة صارت كراج سيارات؟ عندما دخلت مكتب كلوب باشا سألني ضاحكاً عن الفوضى التي اجريتها في القدس، فوصفت له حماسة الشعب البالغة ونداءاتهم بحياة الجيش العربي فتحمست معهم وأطلقت النار في الهواء، ضحك مرة ثانية مازحاً وقال: لا تعيدها مرة ثانية وانصرفت.

لم يتمكن جمال الحسيني من تشكيل هيئة موحدة تتفق على برنامج محدد. وفي هذه المرحلة اعلنت بريطانيا انها ستتخلى عن انتدابها على فلسطين الى هيئة الأمم المتحدة.

وفي هذه المرحلة ايضاً اعاد المفتي نشاطه بالتعاون مع الجامعة العربية وبدأ بتشكيل نواة قوة مسلحة فلسطينية عربية في سوريا بدأت باربعمائة مسلح بقيادة السيد فوزي القاوقجي اللبناني الأصل، وقد أيدت معظم الهيئات الفلسطينية هذا الإجراء، وعندما دخلت قوات القاوقجي الى فلسطين عام ٩٤٨ وكان قد تضاعف عددها عدة مرات. قال بن غوريون في مذكراته إن القاوقجي حاول التفاوض مع اليهود على اساس تطبيق مشروع التقسيم الذي اقرته الأمم المتحدة قبل أن يقوم بعملياته الحربية.

وقد كتب بن غوريون في مذكراته انه قدم تقريراً مفصلاً الى شاريت رئيس الوزراء بتاريخ ١٤/٣/١٩٤٨ ضمنّه عشرات الاتفاقيات المحلية المتضمنة عدم الاعتداء بين العرب واليهود، وكان قد تم التوقيع عليها بين سكان القرى العربية وجيرانها في المستوطنات اليهودية وكذلك مع تجمعات الطرفين في اماكن العمل المشتركة ومنها عمال الموانئ، ومحطات السكك الحديد، ومعسكرات الجيش، ومصافي البترول، وكذلك بين اصحاب العمل كالتجار والمزارعين، وقد وقّع نمر الهواري اتفاقية عدم اعتداء بين سكان يافا وتل ابيب، في نهاية عام ١٩٤٧، وفي نهاية شهر ديسمبر من العام نفسه اقترح صدقي الطبري على يهود طبريا توقيع اتفاقية عدم اعتداء بين الطرفين.صور هذه الاتفاقيات جرى توزيعها على عدة مواقع يهودية في الداخل والخارج وورد ذكرها في عدة مناسبات في هذه المذكرات.

ومنذ أول مواجهة عسكرية مع القوات العربية واليهودية لم يكن هنالك اي استعداد للقتال في المدن والقرى العربية لامن ناحية تنظيم التدريب ولا من ناحية تسليح او استعداد نفسي لمواجهة حربية بمفهوم حرب نظامية او شبه نظامية والجميع في متاهة لا يعرفون النتائج، والذين لديهم بعض الأسلحة الخفيفة لم يكونوا يفكرون إلا بالدفاع عن قراهم وبيوتهم إذا هوجموا، وحتى أن مثل هذا الوضع كان يفتقر الى تنظيم وتخطيط وقيادة ووجدوا العتاد اللازم،وكلها اعمال فردية، على

مستوى المخاتير او البلديات، كثيرون من منتسبي الشرطة العرب فروا بأسلحتهم، ولم ينتظموا مع قوات القاوقجي او غيرها وبعضهم باعوا أسلحتهم بأسعار عالية، وكذلك فأن منتسبي التنظيمات الشعبية لم يتعاونوا بشكل تنظيمات لها صفة الأنضباط والإطاعة، كانت نشاطات الجماهير الشعبية تقتصر على التظاهرات والإضرابات والإجتماعات وإلقاء الخطب الحماسية وعقد المؤتمرات وإرسال البرقيات ، شأنهم شأن البلدان العربية هذه الأيام وعلى جميع المستويات.

وكان تأييدهم للمفتي او للقاوقجي وغيرهما لا يتجاوز هذا المستوى.

لم يقدم العرب في فلسطين تضحيات تذكر عام١٩٤٨، قياساً لما قاموا به عام ١٩٣٦ في اضرابهم العام الذي سبق ذكره، والذي قاوموا به سلطات الاحتلال واليهود معاً على مستوى عصابات مسلحة تعمل ليلاً، وتختفي نهاراً وتباغت قوافل الطرفين على الطرق العامة وغيرها من الأماكن المختلفة، بحيث وقعت عشرة الاف حادثة هجوم على مختلف المستويات على القوات البريطانية، وتسعمائة وثلاثون ضد اليهود اغلبها عمليات فردية على الطرق، ووسائل النقل، وفي المزارع وغيرها وكانت القوات البريطانية تتصدى لهذه العمليات وقد قتلت من الشعب الفلسطيني ٢٨٥٠ فرداً، وجرحت اكثر من تسعة آلاف واعتقلت الافاً آخرين.

مثل هذا لم يحصل عام ١٩٤٨ على المستوى الشعبي وذلك بسبب الفوضى السياسية والعسكرية، من قبل البلدان العربية التي ملأت العالم بالضجيج والادعاء بأنها ستحارب وتحتل وتقضي على مطامع الصهيونية.

كان الوضع اليهودي مدروساً ومهيئاً ومخططاً له على جميع المستويات، وقد اقاموا دولتهم بناءً على قرار الأمم المتحدة، بينما اخفق العرب بأخذ حصتهم بناءً على القرار نفسه، وتشكيل دولة عربية مماثلة على الأراضي التي قررها المشروع نفسه أو حتى اقرار ضمّها الى الأردن كما جرى مؤخراً واصبح معظمهم لاجئين في المخيمات داخل فلسطين وخارجها:

كان بن غوريون قد حصل على تسجيل مكالمة هاتفية جرت في ذلك الجيش بين حسين فخري الخالدي سكرتير الهيئة العربية العليا في القدس وبين فريد السعيد مدير البنك في حيفا تفيد أن الوضعية سيئة للغاية والسكان يتعرضون للموت جوعاً

وعطشاً وهم يغادرون المدينة بإعداد هائلة: وبعد يومين تكلم الخالدي مع المفتي واخبره أن الحالة في القدس سيئة وكذلك في حيفا ويافا والناس يعانون المجاعة والفوضى والخوف والرعب ولا يوجد عتاد للأسلحة الفردية الموجوده لدى بعضهم والقدس يجري تفريغها بشكل عجيب:

لقد نجحت خطة اليهود هذه وافرغوا عدة مدن وقرى دون مقاومة تذكر بالإضافة الى تخريب وسائل النقل والأماكن الحيوية. ثم قاموا بالقاء المناشير من الطائرات ذكروا فيها انهم لا يريدون محاربة المدنيين الذين يريدون السلام ولكن سيحاربون الجيوش النظامية القادمة من خارج فلسطين لقتالهم، ولكن المواطنين الذين لا يريدون هذه الحرب عليهم ان يغادروا المنطقة للنجاة باطفالهم وعائلاتهم، هذه الحرب ستكون شرسة وبلا رحمة؛ ولماذا تعرضون أنفسكم لهذه الأخطار.

كان هذا اجراءً مدروساً والهدف منه إرهاب السكان في انحاء فلسطين حيث شرعوا بالهرب نجاة بارواحهم كما جاء بالمناشير، لم يكن الشعب الفلسطيني مستعداً للقتال، وكان معتمداً على الحكومات العربية التي تهدد وتتوعد بالويل، والثبور لليهود عندما يأتي اليوم الموعود يوم ١٤/٥/١٩٤٨ موعد انتهاء الإنتداب البريطاني. وآخرون منهم يعتقدون بتطبيق قرارات الأمم المتحدة وأن اليهود لن يتجاوزوا المناطق التي خصصت لهم، ولذلك بقي الشعب الفلسطيني يراقب ما سيحدث.

لم تكن في البلاد سلطة فلسطينية منظمة ومستعدة لإقامة كيان فلسطيني له مقومات ادارية ومادية وامنية كما هو الحال مع اليهود، ولذلك حينما وقعت جريمة دير ياسين، شرع المواطنون بالهرب نجاة بأرواحهم، خاصة في المناطق المزدحمة باليهود.

وهناك حوادث اخرى غير حادثة دير ياسين اثبتت جميعها أن الأتفاقيات الموقعة بين عشرات القرى والمواقع التي سبق ذكرها بعدم الاعتداء على بعضهم لا قيمة لها.

ومن الحوادث المنفرة التي وقعت في تلك المرحلة من قبل اليهود غير حادثة دير ياسين ما وقع في حيفا يوم ٢١/٤/١٩٤٨ وفي يافا يوم ٤/٥/١٩٤٨ وكذلك

حادث القاء القنابل على مجموعة من السكان والعمال العرب في مصفاة البترول في حيفا، وقتل من جرائها ١٧ فرداً، وقنبلة اخرى في الميناء نفسه قتلت ستة اشخاص وجرحت آخرين، وحوادث فردية مشابهة تكررت عشرات المرات.

وخلال عامي ١٩٤٧ر١٩٤٨ وحتى إعلان الهدنة كان اليهود قد دمّروا ٢٥٠ قرية عربية معظمها في منطقة الحولة والجليل اثناء الانتداب البريطاني وبعده، وشردوا سكانها على اساس إنه حتى لو جرى تطبيق مشروع التقسيم فأن بقاء هذه القرى الواقعه في القسم اليهودي يعد تهديداً لدولتهم في المستقبل:

وحينما وصل القاوقجي وقطعاته الى منطقة الجليل صار وجودهم حافزاً لبعض السكان للنزوح عن اماكن سكنهم بسبب الضيق المادي وعدم تمكنهم من القيام بالمتطلبات الإدارية لهذه القطعات وذلك لأنها لم تكن في مستوى الجيوش النظامية من الانضباط وكان ينقصها الطعام والمأوى، والوقود لسياراتهم والشؤون الأدارية الأخرى داخل القرى وكان هذا غالباً على حساب المواطنين، ولا مناص لهم من تأمينه. وفي هذه المرحلة كانت موارد المواطنين لا تفي بحاجاتهم الشخصية وخصوصاً الطبقات العاملة التي توقفت عن العمل ، وجاءت هذه الطلبات الإضافية فإسهمت في ابتعاد بعض هؤلاء عن قراهم بحثاً عن اعمال بديلة تؤمن معيشتهم في اي مكان داخل فلسطين، او خارجها.

وبعد انتهاء الأنتداب البريطاني وسيطرة اليهود على غرب القدس كاملة بما فيها الأحياء العربية، والقرى المتاخمة لها تفقد بن غوريون احياءها، وقال ان القدس لم يسكنها مثل هذا العدد من اليهود منذ تخريب مملكة سليمان، وها هي القدس الغربية لا يوجد فيها عربي واحد.

وحينما شاهد مدينة حيفا خاوية على عروشها، وخالية من السكان العرب إلا ما ندر فوجيء بهذا المنظر العجيب، وقال سنملأها بالسكان اليهود الذين سيعيدون إعمارها، وروعتها، اكثر مما كانت عليه. وبعد أن أعجب لأوضاع القدس وحيفا هذه التي لم يتوقعها أمر بأخلاء جميع العرب من المناطق المخصصه لليهود بقرار التقسيم بكل طريقة ممكنة.

أما عن إخلاء مدينتي اللد والرملة ، فقد قال بن غوريون إن المصريين قد اوصلوا قواتهم الى اطراف المدينتين واذا تعاون الجيشان فأن الخطر على تل ابيب سيكون مؤكداً ولذلك عمل على احتلال المدينتين، وأمر باخلائهما من السكان قبل ان تتعاون هذه القوات بحسب زعمه الذي لا صحة له اطلاقاً.

كانت القوات المتواجدة في المنطقة من المصريين عبارة عن لواء متوقفة في موقع الفالوجة المعروف واعتدتها محدودة ولا خطر منها، على تل ابيب ولا غيرها ولم يكن مثل هذا التحرك من ضمن برنامجها، وقد جرى تطويقها بعد إقامة الهدنة وانتهائها اثناء عملية احتلال المدينتين اللد والرملة. اما القوات الأردنية التي اشار الى خطورتها على تل ابيب فقد كانت عبارة عن سرية مشاة بحدود مائتي جندي بأسلحتهم الخفيفة تحركت لتلك المنطقة بعد اعلان الهدنة الأولى بقصد تواجدها في المنطقة المخصصة للعرب في قرار التقسيم. وفي صباح يوم ١٩٤٨/٧/١١ أي يوم نهاية الهدنة هاجم اليهود تلكما المدينتين بقوة لواء نظامي، ولواء من القوات الأحتياطية واحتلوهما بالطريقة التي سبق ذكرها.

اما الوضع في مدينة الناصرة، ومنطقتها فقد اختلف عن اللد والرملة بسبب التصرف الذي قام به القائد المحلي اليهودي العميد دانكلمان وهو من يهود كندا ، إذ إنه بعد ثلاثة ايام من احتلال مدينتي اللد والرملة اي يوم ١٩٤٨/٧/١٦ وقّع وثيقة تسليم مع ممثلي اهالي منطقة الناصرة مندوباً عن القوات اليهودية بموافقة قائده العميد حاييم لاسكوف، ولكن لاسكوف عاد وسلّم امراً اخر في اليوم التالي الى دانكلمان يقضي بترحيل جميع المواطنين المذكورين بناء على رغبة الدولة، ولكن دانكلمان رفض تنفيذ هذا الأمر، واصرّ على تمسكه بالأتفاقية التي وقع عليها، وبعد ثلاثة أيام جرى نقله من منطقة الناصرة الى مكان آخر. ويبدو أن القيادة العامة. اعادت التفكير بهذا الموضوع في ضوء توقيع الأتفاقية. وعدلوا عن قرار الترحيل لعدم وجود قوات عربية في المنطقة يتذرعون بها وبقي أهالي منطقة الناصرة في اماكنهم:

كانت سياسة بن غوريون ومجموعته هي توطين اللاجئين الفلسطينيين في بلد واحد، وأن تكون غير الأردن وقد قاس هذا على وضع سابق جرى في تركيا حيث كان عدد كبير من اليونانيين يعيشون في تركيا، مواطنين عاديين اتراكاً منذ اربعمائة

سنة ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى جرى ترحيلهم جميعاً الى اليونان بأوامر من مصطفى كمال ، بالرغم من ان جنسيتهم تركية هم وآباؤهم واجدادهم وقد قامت مناوشات ثم معارك حربية بين تركيا واليونان بسبب ذلك، ولكن بعد مرحلة من الزمن سادت العلاقات الحسنة بين البلدين ثم تبادلا السفراء، واخيراً نسيا الموضوع نهائياً ولم يبق مجال للعداء واعتقد بن غوريون أن هذا يسهل توسيع اسرائيل فيها سلمياً مع مرور الزمن؟

وبحلول شهر مايو ١٩٤٩ كان اليهود قد اقاموا (٣٤٨) مستعمرة على انقاض القرى والمواقع التي غادرها اهلها هرباِ او طرداً، وحتى شهر اكتوبر من العام نفسه كان قد وصل الى اسرائيل ٢٥٢٥٥ مهاجراً يهودياً من مختلف البلدان.

في المراحل الأخيرة من مناوشات عام ١٩٤٨ اقترح ايجال آلون على بن غوريون خطّة لاحتلال الضفة الغربية بأكملها على أساس إن نهر الأردن والمرتفعات المسيطرة عليه موقع استراتيجي فريد، كما إنه في اثناء مرحلة الاحتلال هذه فأن معظم السكان سيهربون الى شرق الأردن ابتعاداً عن الخطر وتصبح فلسطين خالصة لهم.

وقد عارض بن غوريون هذا الاقتراح، وقال له: إننا حتى الآن قد وقعنا اتفاقية هدنة مع مصر، وإن الأردن بطريق توقيع اتفاقية مماثلة بموافقة الأمم المتحدة ووساطتها، وعلاوة على هذا فأن الأردن مرتبط مع بريطانيا بمعاهدة دفاعية واذ قمنا بهذه العملية ربما نتعرض الى مواجهة عسكرية مع بريطانيا، والى مواجهة سياسية مع امريكا، كما إن هذا الأجراء يتعارض مع مقررات الأمم المتحدة في تقسيم المنطقة التي اقيمت اسرائيل على اساسها. وقد بقي جميع سكان المستوطنات الأسرائيلية في اماكنهم طيلة ايام الحرب، ولم يغادر منهم احد مكان اقامته في حين أن السكان العرب غادروا مدناً كبرى برمتها ومنها حيفا ويافا وطبريا وعشرات القرى والمزارع والمواقع دون أن يتعرضوا الى خطر حقيقي، وخصوصاً اولئك الذين شعروا أن مدنهم، وقراهم واقعة ضمن المنطقة المخصصة لأسرائيل بموجب مشروع التقسيم، ومعظم هؤلاء لم يغادروا ارض فلسطين بل ابتعدوا عن مناطق الخطر وذهبوا الى المناطق المخصصة للعرب بموجب المشروع نفسه.

دخول الجيوش العربية الى فلسطين

كان الظاهر أمام العالم العربي واغلب بلدان العالم ان خمسة جيوش عربية ستدخل الى فلسطين عند انتهاء انتداب بريطانيا وخروج آخرجندي من جنودها المحدد له يوم ١٤/٥/١٩٤٨ بكامل اسلحتها البرية، والبحرية، والجوية وتقضي على الوجود الصهيوني وتطرد اليهود الدخلاء الى البلدان التي قدموا منها وتقيم دولة عربية فلسطينية يكون اليهود العرب اقلية فيها « وهذا ما قد يصنعه التاريخ مستقبلاً» ولهم حقوق المواطنين على قدم المساواة مثل وضعهم في اي بلد عربي آخر تجتمع فيه الأديان الثلاثة، الأسلام والمسيحةواليهوية، وعلى اساس إن الدين لله والوطن للجميع. كانت هذه الصورة الظاهرة عربياً ، وعالمياً، ولكن الحقيقة الواقعية والإمكانيات المتاحة، كانت تختلف عن ما يقال ويشاع.

اجتمع رؤساء وزارات دول الجامعة العربية في القاهرة بين ١٢و١٧/٢/١٩٤٧ للتداول بموضوع فلسطين ومصيرها، واقترح وفد العراق فتح باب التطوع في البلاد العربية فوراً، وحشد جميع القوات الممكنة لتقف على حدود فلسطين استعداداً للعمل، وقال اللواء اسماعيل صفوت من العراق رئيس اللجنة العسكرية التي اشتركت في الأجتماع إنه يقدر ان لدى اليهود جيشاً لا يقل تعداده عن خمسين الفاً، وإن لديهم اسلحة، دروع ، ومدفعية وسلاحاً جوياً سرياً، الوفد اللبناني اشترك في المحادثات ولكن على اساس إن لبنان ليست لديه قوات مسلّحة آنذاك، عدا قوات الأمن كما قال رئيس وزرائه السيد رياض الصلح.

الملك عبد العزيز آل سعود قال ان ولده فيصل سيقود الجيش السعودي للأشتراك في الحرب والذين كانوا يحملون الاسلحة الفردية الخفيفة ويقومون بواجبات الأمن الداخلي في تلك المرحلة .

لم يوافق الأردن على الإكتفاء بإرسال المتطوعين ممن هم تحت ادارة المفتي والتعاون على تسليحهم لأن ليس لديهم القدرة على مواجهة اليهود لافتقارهم للنظام والتدريب، وطلب المفتي عدم دخول جيوش نظامية إلى فلسطين وعلي الخصوص الجيش الأردني.

لم يتطرق أحد الرؤساء العرب في هذا الاجتماع لموضوع مساعدة الفلسطينيين باقامة دولتهم ضمن المناطق التي خصصها لهم مشروع التقسيم، بل كان مجمل البحث يدور حول الموافقة على السماح بدخول مائة ألف لاجئ يهودي الى فلسطين بناء على اقتراح الرئيس ترومن الذي طرحه عام ١٩٤٥ والذي ناقشته هيئة التحقيق الأمريكية التي حضرت إلى فلسطين عام ١٩٤٦، ثم اثاروا موضوع الغاء اتفاقيات البترول المعقودة مع أمريكا في حال استمرارها بمساعدة الصهيونية وكذلك موضوع مقاطعة البضائع الصهيونية وموضوع تقديم مساعدة مادية للفلسطينيين من أجل توسيع الدعاية في الخارج، واشترطوا عدم شراء الأسلحة بهذه المساعدات، وتطرقوا إلى موضوع وقف بيع الأراضي لليهود، ولم تتجاوز نتائج هذا الاجتماع طرح الآراء ومناقشتها.

وإلى أن عاد المفتي من التشرد في أنحاء أوروبا واستقر في مصر عام ١٩٤٦، وحتى صدور قرار الأمم المتحدة بالتقسيم عام ١٩٤٧، كانت دول الجامعة العربية تعتقد أنها ستتغلب على مخططات الصهيونية بوسائل الدعاية والإعلام واقناع الدول بالحق الفلسطيني الصريح لدى الجامعة العربية ومتحدثاً باسمه.

وفي مؤتمر عقد في لندن في مطلع عام ١٩٤٧، رفض هذا المؤتمر اقتراحات بريطانيا لتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية، ويهودية أو إقامة دولة مشتركة بينهما، وفي هذه المرحلة كان موقف أمريكا، وبريطانيا موحداً، وكلاهما تريدان، احتكار البترول العربي وتحسبان حساب التغلغل الروسي في المنطقة، وتعتقدان ان اقامة دولة يهودية قوية ستكون الى جانبهم لتأمين هذه الغاية:

وفي إجتماع لرؤساء أركان الجيوش العربية في شهر مارس عام ١٩٤٨ اوضحوا لحكوماتهم صعوبات دخول جيوش نظامية الى فلسطين بالمستوى اللازم، وذلك بسبب الأوضاع الداخلية القائمة، في البلدان المعنية مباشرة بالقضية وهي كما يلي:

القوات السعودية لا تتمكن من الاستغناء عن قطعاتها التي سبق ذكرها بسبب الأضطرابات القائمة على حدودها آنذاك مع اليمن والمشاكل القائمة بينهما، والعراق تعالج مشاكل داخلية بسبب محاولة تعديل المعاهدة القائمة بينها وبين بريطانيا

من قبل رئيس الوزراء صالح جبر الذي سميت المعاهدة الجديدة بأسمه ، وكانت الاضطربات قائمة في العراق، ونتجت عنها إقالة صالح جبر من رئاسة الوزراء لتهدئة الأوضاع، وكان المتظاهرون ينادون بسقوط صالح جبر ونوري السعيد وكان من الصعب ارسال قوات عسكرية الى فلسطين لأن هذا يضعف المحافظة على الأمن الداخلي، سوريا ولبنان شكلتا قواتهما حديثا بعد جلاء فرنسا وهما في طور البناء ولم تكونا مستعدتين لقتال خارج حدودهما بقوات كافية.

وأما مصر فأن هنالك حساسية بينها وبين بريطانيا التي ترابط قواتها على قنال السويس وقد يكون موقعها الداخلي خطيراً إذا دفعت بقواتها خارج بلادها وراء القوات البريطانية التي قد تغلق طريق امدادها أو ان تشوش عليها داخلياً.

الأردن مرتبط بمعاهدة دفاعية مع بريطانيا بحيث أن مقوماته العسكرية المحددة تعتمد على المساعدة المادية البريطانية وكميات اسلحتها تحددها هذه المعاهدة التي بدورها تحدد مستوى عملياتها العسكرية وهذا يحدد أيضاً تحركاتها السياسية، واهدافها، ومع هذا فقد كتبت الصحف الأردنية: انه اذا كان اليهود لا يوافقون على اقامة دولة فلسطينية في القسم العربي الذي حدده قرار التقسيم فإن البرلمان الأردني قد اتخذ قراراً مسبقاً بأن الأردن سيدفع بقواته العسكرية الى تلك المنطقة لحمايتها.

الواقع إن الموقف السياسي العام كان مضطربا وكان مستقبل الشعب الفلسطيني غير واضح، والكثيرون اصبحوا لاجئين في البلدان العربية المجاورة أو في المناطق الشرقية من فلسطين والكل يقاسون من مستوى معيشتهم اليومية، وصارت الأحاديث الجارية في المنطقة هي أن بريطانيا ومن يدور في فلكها صاروا يفكرون جدياً بطريقة حل القضية على اسس اتفاقياتهم السابقة مع الهاشميين، وجماعات الثورة العربية الكبرى بأن يعودوا للعمل على اقامة الدولة العربية الموعودة، او على معظم اراضيها لتشمل العراق وسوريا ولبنان والأردن والقسم العربي من فلسطين الذي أقره مشروع التقسيم.

وهكذا كان وضع الدول المعنية بمقررات الجامعة العربية بحالة تشويش والحساب للمستقبل وبدأت بريطانيا تلوح، وتدعو لتطبيقها، على اساس أنها الحل

الأمثل للسيطرة على مناطق البترول وابعاد النفوذ الروسي عنها، ووقف الطموحات اليهودية في التوسع مستقبلا والإبقاء على الصداقات والاتفاقيات معهم في المنطقة.

جاءت هذه السياسة متأخرة جداً وبعد فوات الأوان وارتكاب بريطانيا أخطاءً بل جرائم في فلسطين لا يمحوها التاريخ.

يبدو أن اليهود ادركوا هذه الأفكار مسبقاً منذ اواخر ايام الانتداب البريطاني اوهي لا يمكن أن تخفي عليهم، ولذلك بدأوا يعملون على إنهاء الانتداب البريطاني ومحاولة إحلال النفوذ الأمريكي في المنطقة العربية، ويتعاونون مع امريكا للوصول الى هذا الهدف.

ولنعد الى دور الحليفتين بريطانيا، وفرنسا على أساس اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور وما قامتا به بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى من تقسيم مناطق النفوذ، والاحتلال والانتداب الذي قامتا به في المنطقة .

كانت فرنسا قد احتلت الأراضي اللبنانية، ثم اخرجت الملك فيصل من سوريا، واحتلتها حيث ذهب جلالته الى بريطانيا، ومنها الى فرنسا وتوصل معهما الى تنصيبه ملكا على العراق.

وبعدها جاء تشرشل وزير المستعمرات البريطاني الى القدس واتفق مع سمو الأمير عبد الله على تشكيل امارة شرق الأردن على اساس أن يكون هذا حلاً مرحلياً، وأن بريطانيا ستتوصل الى حل مع فرنسا، للجلاء عن سوريا ولبنان واعادة توحيدهما مع الأردن.

ولكن وجود فرنسا استمر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث عمل الأنجليز على اخراج فرنسا منهما كما سيأتي ذكره.

ويبدو أن الأنجليز قد اعادوا التفكير بالموضوع وأعادوا المحاولة لتطبيقه، ولكن الوقت كان متأخراً لأن كلاً من سوريا ولبنان كانتا قد قطعتا مراحل متقدمة في الهيئات الدولية للحصول على الاستقلال لكل منهما صارفتين النظر عن الوحدة العربية التي كانت هدف الجميع في مراحل سابقة.

اما من ناحية جلالة الملك عبد الله فإنه في اواخر وجود الفرنسيين في سوريا ولبنان وبعيد خروجهم عمل كل ما يمكن عمله الى جانب بريطانيا لإعادة العلاقات القديمة، واقامة الكيان العربي الموحّد في المشرق العربي وبدأ نشاطه لإعادة تنظيم علاقات جديدة بتسهيل ضخ البترول العراقي عبر الأردن الى ميناء حيفا، ونشط الصهيونيون في اتصالات مماثلة وعلى اساس تسهيل مروره لتأمين مصالحهم وتطبيق مخططاتهم مع الأمريكان والأنجليز والبلدان ذات العلاقة في المنطقة بواسطة اجهزتهم في تلك البلدان، وعينوا لجنة خاصة لمتابعة العمل في هذا المجال مؤلفة من شاريت وساسون وجولدامايير ودانين وموسى ديان معتمدين ايضاً على تنظيماتهم السياسية، وقوة نفوذها في امريكا وبريطانيا لتنسيق عمل هذه اللجنة معهم. اما ما جرى في الأردن حول محاولة التنسيق مع بريطانيا في مجال تطبيق بعض خطوات التعاون معها ففي الشهر الخامس من عام ١٩٤٥ بينما كان اللواء الوحيد في الأردن معسكراً في منطقة البويضا شرقي اربد، وكانت القوات البريطانية قد اخرجت القوات الفرنسية من سوريا ولبنان وقد اشتركت معها قوات اردنية بهذا العمل والتي كانوا يسمونها قوات فيشي المتعاونة مع المانيا وقد جاءنا الأمر بالاستعداد للحركة الى سوريا وجاء سمو الأمير عبد الله لوداعنا، وكنت قائداً لمدرسة تدريب الجيش هناك، وجرى تحميل الأسلحة والذخيرة وكل مهمات اللواء بالسيارات، ولكن قبل الشروع بالحركة جاء الأمر بتأجيلها وأنزلنا كل شيء من السيارات، وبعد يومين جاءنا الأمر بنقل اللواء الى موقع شرقي الزرقاء وتم ذلك؛ واتضح فيما بعد أن حكومتي سوريا ولبنان تدخلتا مع بريطانيا لوقف هذه العملية وعدم التدخل في شؤونهما الداخلية.

أما خروج فرنسا من سوريا ولبنان فلم يعد بفائدة على فلسطين والأردن من ناحية اقامة نواة الوحدة وتقويتها وحماية الحقوق القومية في المنطقة.

الصهيونيون لم يرتاحوا لإيجاد وحدة او اتحاد في المشرق العربي بهذه المناسبة احتساباً لإحباط اهدافهم وخططهم في فلسطين ولا شك أنهم لعبوا دورهم في هذا المجال.

السعوديون ارتبطوا باتفاقيات مع أمريكا وشركاتها للتنقيب عن البترول في اراضيها والإنفراد بالتصرف بكل منتجاته وإبعاد بريطانيا عن المنطقة، وامتد هذا

الإجراء الى جميع بلدان الخليج على الأسس نفسها، والارتباطات مع تقليص علاقات بريطانيا تدريجياً في بلدان الخليج التي كانت تحكم بعضها مباشرة وتشرف على بعضها وتستغلها الى ان انتهت علاقاتها في المنطقة. وحل النفوذ ثم الوجود الأمريكي محلها.

لكل هذه الأسباب مجتمعة، وخوف جميع الأطراف في الكيانات العربية من خطوات الوحدة في المنطقة، وانهاء الحكم والنفوذ الفردي التي اوحت للأطراف العربية المعنية لوضع خطط مرتجلة للدخول الى فلسطين بصورة حرب شاملة وبقوات رمزية وبلا استعداد، وقد اتخذ هذا الإجراء قبل موعد انتهاء الانتداب ببضعة أيام من قبل البلدان المعنية بخطوات الوحدة او التي تتأثر بها، ويمكن ان تؤثر على كياناتها، ورغماً عن ان القرار صدر عن الجامعة العبرية، فأن هذا الإجراء العملي لم يشمل إلا البلدان التي تخشى من وحدة المشرق العربي مستقبلاً.

كانت الظواهر أمام الشعب الفلسطيني تشير الى أن خمسة جيوش عربية بأسلحتها القوية ستفرض الحل الذي تريده خلال أيام. ثم لماذا لم تشترك جميع الدول العربية طالما أن القضية تهم الجميع وتركوا دول المنطقة المتاخمة لفلسطين تقوم بعملية ارتجالية ودون استعداد.

يبدو أن مساعي بذلت من قبل امريكا لإنهاء الوجود البريطاني في المنطقة بعد أن ظهر لها أن الأردن وبريطانيا تعملان معاً على ترسيخ الوجود البريطاني وسحب قواته المتواجدة غربي قناة السويس وتركيزها في اراضي النقب بين غزة والعقبة لتسيطر على شواطئ البحرين الأبيض والأحمر وتكون سنداً للأردن مادياً وعسكرياً وتتعاون معها على تنفيذ وعودها للثورة العربية الكبرى في المشرق العربي.

وقد نشط اليهود بالعمل للوصول الى الحل السلمي الذي يساعدهم مستقبلا على التوسع بالعلاقات التجارية والصناعية والزراعية وشراء الأراضي دون الحاجة لبناء قوات مسلّحة لإثبات وجودهم بالقوة وانتدبوا عدداً من رجالهم للاتصال مع الدول المجاورة لهذه الغاية.

انتدبوا ساسون للاتصال مع الدول المجاورة وقابل عبد الرحمن عزام والنقراشي رئيس وزراء مصر وابلغهم ان اليهود يريدون حلاً سلمياً مع العرب بشكل يرضي الجميع، كما اتصل مع مجموعة من التجار، واصحاب الشركات والرأسماليين من اليهود المصريين وزملائهم وشركائهم العرب للعمل على الاتصال مع اصحاب البنوك والرأسماليين اليهود في امريكا للتعاون الأقتصادي وفصل رأس المال المصري من منطقة الأسترليني، وربطه بالدولار، وهذا ينعش الإقتصاد المصري، ويوسع اتصالاتهم وتعاونهم التجاري ويحد من العلاقات المالية مع بريطانيا ،كما بذل بن غوريون جهوداً ، ومحاولات مع الأردن في هذا المجال بقصد العمل على رفع مستوى منتجاتها الصناعية، والزراعية بتعاونها مع اليهود، واكتساب خبراتهم بشكل يضمن اعاشة اضعاف سكانها الحاليين، ورفع مستوى معيشتهم، وكان هدفه الحقيقي هو تهيئتها لاستيعاب اكبر عدد من الفلسطينيين مستقبلاً ولاحلال اليهود القادمين من الخارج محلهم.

كما حاول كل من ساسون ودانين وغيرهم فتح هذا المجال مع الأردن مراراً وحتى عام ١٩٤٧، واستمروا بمحاولاتهم هذه الى ما بعد قيام الهدنة عام ١٩٤٨ ولم يصلوا الى نتيجة، وكانت آراؤهم هي اقامة دولة يهودية في القسم المخصص لهم في قرار التقسيم وضم الأقسام العربية للأردن وان اية تظاهرات عسكرية او اعلامية لا علاقة لها بتنفيذ هذا عملياً. وكان دخول الجيش الأردني الى فلسطين يوم ١٥/٥/١٩٤٨، هدفه الاساسي حفظ النظام والأمن الذي اختل بسبب تدخل العصابات الصهيونية ولحماية السكان العرب من تعدياتهم التي قاموا بها في المراحل الأخيرة لوجود سلطة الانتداب التي لم تتدخل للمحافظة على الأمن اما عمداً، او اهمالاً وتواطؤاً، وكانت بضع سرايا اردنية قد بقيت في فلسطين من سرايا الحاميات لم تنسحب اثناء وجود سلطة الانتداب مع القوات المسلحة، وعلى سبيل المثال من تعديات العصابات الصهيونية التي ادعى اليهود أنها ليست من مخططهم، فقد حصلت عدة تعديات بهذه المرحلة اذكر منها ان دورية من هذه السرايا بقيادة الملازم محمد عقلة الربابعة من قرية الشجرة كانت يوم ١٤/١٢/١٩٤٧ تمر من امام مستعمرة نيفي يعقوب شمال القدس، فأطلق حرس المستعمرة النار عليها

فقتلت الملازم محمد وعندها اطلقت الدورية النار على حرس المستعمرة، وقتلت اربعة عشر فرداً منهم وجرحت عدداً آخر وجرى إعلام الامم المتحدة من قبل الأردن بأن هذه العملية عملية أمن داخلي وليست عملية عسكرية مقصودة.

هذه العملية وامثالها تبين ان دولة الانتداب لم تحل دون وجود مسلحين يهود يشغلون مراكز ثابتة كأية قوة عسكرية رسمية يهودية بينما توقع العقاب الذي يصل احياناً الى الإعدام على اي عربي يحمل سلاحاً.

هذا وإن دول الجامعة العربية التي قررت ادخال جيوشها الى فلسطين اتفقت على إعطاء القيادة العامة لجلالة الملك عبد الله، والواقع ان إعطاء هذه القيادة للأردن لم يكن ينطوي على حسن نية ، كما سيأتي ولم تكن هناك خطة عسكرية موحدة لهذه الجيوش ولم تكن القوات التي دخلت بمستوى يتناسب مع الموقف العسكري القائم وقد سبق ذكر اعداد القوات العربية التي جاءت الى فلسطين، حجمها وتسليحها وامكانياتها، وما قامت به والنتائج التي وصلت اليها.

القيادة العامة التي اسندت اليها المسؤولية لم تكن على إطلاع ومعرفة بما يجري في كل قاطع تعمل به تلك الجيوش، وكنا نحن ضباط الجيش الأردني على صلة وإطلاع على هذا الواقع ، وعلى سبيل المثال فقد اسندت اليّ مهمة تسلم مواقع الجيش العراقي التي وردت مجرياتها في الجزء الأول في منطقة الشعراوية، عندما قرر العراق سحب قواته من فلسطين وإعادتها الى العراق وقد امضيت نحو شهر في الجبهة العراقية وعرفت عن تفصيلات جميع العمليات والصدامات التي جرت في تلك الجبهة وعرفت أن القيادة العامة الأردنية لم تكن بالصورة عن مجريات تلك الحوادث ولا عن نتائجها.

كما انني كنت احد ضباط أركان قيادة اللواء الأول في القدس حينما وصلت قوات مصرية الى منطقة الخليل التي ترابط بها قوات اردنية، ورفعت العلم المصري بجانب العلم الاردني على مكتب دوائر الدولة، وكاد أن يقع صدام مسلّح بين الطرفين، اعني بهذا أن القيادة الأردنية ، لم تمارس صلاحيات القيادة العامة على القوات العربية ، وان القصد من قرار الجامعة العربية هو قطع الطريق على الأردن لعدم امكان اجراءحلول سلمية واقتسام فلسطين بينها وبين اليهود كما سبقت

الإشارة الية، ولذلك كان المصريون بدورهم، يعملون على التمركز في منطقة الخليل بقصد إلحاقها بهذه الحكومة التي اقيمت في قطاع غزة .

في اجتماع ديسمبر ١٩٤٨ في اريحا الذي عقده ممثلون عن سكان الضفة الغربية، وقرروا فيه الأتحاد مع الأردن كان الأردن يحاول اجراء حل منفرد مع اسرائيل على اساس قبول اسرائيل بالشروط التالية وهي:

اعادة منطقتي اللد، والرملة، ويافا، وحيفا، وان تكون منطقة شرق القدس مع القسم العربي، ان تبقى الأحياء العربية، في القدس الجديدة عربية ، تبقى المنطقة التي تتمركز بها القوات العراقية، تابعة للاردن، وبطبيعة الحال كانت خطوط العراقيين الأمامية تبعد عن البحر شرقاً اربعة كيلومترات وتبعد عن مستعمرة كفار يونا نحواً من كيلومتر ونصف وهي واقعة بجوار دوار بيت دجن وان تعطى للاردن طريق حرة بعرض اربعة كيلو مترات الى قطاع غزة.

جرى إبلاغ هذه الطلبات الى ساسون، وديان وغولدا مايير يوم ٣/ ١/ ١٩٤٩ على ان تجري مباحثات السلام هذه في القدس وليس في رودس وبصورة علنية ، وقد وافق العراق على سحب قواته من مواقعها على هذا الأساس وسلمها الى الاردن واعاد قواته للعراق كما سبق بيانه.

لقد تسلمت مواقع الجيش العراقي الأمامية من باقة الغربية الى كفر قاسم ووردت التفصيلات بالجزء الأول.

لم تكن اسرائيل على عجل في هذه المرحلة لإجراء الحل السلمي وكانت اهدافها تشتمل على ما يلي:

عدم تقوية او استمرار النفوذ البريطاني في المنطقة والعمل على احلال الوجود الأمريكي بديلاً عنه . العمل على عقد هدنة ووقف اطلاق النار بينها وبين مصر اولاً، ثم مع سوريا ولبنان بعدها، وهذا يسهل التفاوض مع الأردن من موقع القوة.

السيطرة على الطريق المؤدية من الساحل الى القدس واحتلال منطقة النقب حتى خليج العقبة باعتبارها اراضي فلسطينية وان احتلالها لا يوجب اي التزام على بريطانيا بموجب معاهدتها القائمة مع الأردن لأنها اراضٍ فلسطينية.

القوة الأردنية التي جرى ارسالها الى منطقة بئر السبع وحتى العقبة بحدود سرية من نحو مائتي جندي محمولة على سيارات خفيفة بقيادة الميجر لوكت من الضباط الأنجليز وكان ارسالها بقصد اثبات وجودها في المنطقة بعد قيام الهدنة، ولم تكن بمستوى مواجهة اللواء اليهودي الذي احتل المنطقة بعد انسحاب السرية للعقبة.

لهذه الأسباب مجتمعة اجل اليهود مفاوضات السلام المطروحة مع الأردن الى مرحلة انسب.

حينما قررت العراق سحب قواتها من فلسطين وإعادتها الى العراق، قرر اليهود التقدم واحتلال مواقعهم، وجرت مباحثات بينهم وبين الأردن على مستوى الأمم المتحدة ،وتم الأتفاق على أن يأخذ اليهود قسماً من المنطقة المذكورة على أن يكون هذا القسم تحت إشراف الأمم المتحدة الى حين الوصول الى الحل النهائي بين الطرفين. لم يتقيد اليهود بهذا الإتفاق وقد ادخلوا قواتهم الى المنطقة، واعتبروها ضمن حدودهم كما سبق بيانه.

صار الموقف الأردني في فلسطين ضعيفاً، في هذه المرحلة لعدة اسباب، منها انسحاب القوات العراقية من فلسطين، ثم اعلان مصر اقامة حكومة عموم فلسطين في قطاع غزة، واحتلال مدينتي اللد والرملة فور انتهاء الهدنة الأولى وهجرة اكثر من خمسين الفاً من سكانهما الى منطقة رام اله وغيرها، مما زاد المسؤولية الإدارية على الأردن لإسكانهم وإعاشتهم:

في ضوء اتفاقية رودس التي تم توقيعها بين الأردن واسرائيل والاتفاق على اقتسام مواقع العراقيين بين الطرفين ، بدأت عمليات ترسيم خطوط الهدنة، ومحاولات تعديلها لتتلاءم مع الواقع والمنطق لأن تخطيطها في الأساس لم يكن مدروساً على الأرض بحسب مواقع القرى واحيائها.

خط الهدنة هذا يمر بأحياء مأهولة بالسكان، ويقتطع بعض اجزائها كما سبق بيانه في الجزء الأول، حيث تم التعديل في منطقتنا من حدود منطقة القدس الى نهر الأردن.

ملاحظات بعض الخبراء حول الوضع العسكري لدى العرب واليهود قبل بدء احداث فلسطين عام ١٩٤٨

في عام ١٩٤٦ قال عضو العمال البريطاني أتلي زعيم المعارضة ورئيس وزراء فيما بعد، أن الهاجانا هي أقوى قوة مقاتلة في المنطقة لأنها ليست جيشاً خاصاً بتنظيماته وكوادره وموازنته لكنها تمثل جميع السكان اليهود في كل طبقاتهم وجميعهم مستعدون للأشتراك بالأعمال الدفاعية ومدربون، ومنظمون في قيادات محليّة واعية.

فيفاشرونج احد كبار موظفي الحكومة البريطانية في فلسطين صرّح لمجموعة من الصحفيين يوم ٣/٣/١٩٤٨ قائلاً، لا أدري كيف يمكن للأنسان أن يصدق ما يشيعه العرب عن استعداداتهم العالية، وحيازتهم مختلف الأسلحة من دبابات، ومدفعية، وعتاد، ومستوى عالٍ من التدريب والأنضباط وارادة القتال، ثم قال أن الحيش الأردني يعد من اقدم هذه الجيوش التي يمكن أن تشترك بعمليات عسكرية وهو اعلاها مستوى في التدريب، لكن عدده لا يتجاوز ٤٥٠٠ فرد من جميع الرتب والمهن وسلاحه وعتاده محدود جداً ويوجد لدى اليهود اكثر من عشرة أضعاف هذا العدد.

قبل اسبوعين من موعد نهاية الانتداب قال هارولد بيلي مستشار وزارة الخارجية البريطانية في فلسطين لبعض الصحفيين، أن لدى اليهود أعداداً كبيرة من العسكريين ضباطاً وجنوداً ممن أسهموا مع الجيوش الحليفة اثناء الحرب في مختلف الجبهات ووصلوا الى فلسطين وهم قادرون على الثبات امام الجيوش العربية، الضعيفة التدريب والتسليح وربما التغلب عليها.

اما جورج مارشال وزير خارجية امريكا فقد اخبر القيادة السياسية الأمريكية عن أوضاع الجيوش العربية في تلك المرحلة قائلاً؛ إن ضعف العرب في مختلف المجالات يجعل قيامهم بعمل عسكري ناجح من الصعوبة بمكان، وقال أن العراق لا تتمكن من ارسال عدد مناسب بسبب اوضاع أمنها الداخلي.

سبق أن ذكرت انني قابلت القوة العراقية التي وصلت الى الأردن قبل بضعة ايام من موعد نهاية الانتداب في موقع الغدير الأبيض غربي المفرق مرحّباً بهم بأمر

من قائد اللواء وكانوا عبارة عن كتيبة محمولة ومعها ٢١ مدرعة من نوع ديملر، وبطارية مدفعية ميدان جرى اكمالها الى لواء بعد ان عسكرت في موقع جسر المجامع في الأغوار قبل دخولها الى فلسطين ثم دخلت الى منطقة نابلس وبقيت على هذا المستوى حتى اقامة الهدنة الأولى، وبعدها بوشر بزيادتها تدريجياً الى أن وصل مجموعها الى فرقتين، ولواء مدرعات ولواء الحرس الملكي.

القوات المصرية كانت ضعيفة التسليح ولا يزيد مستوى تسليحها عن متطلبات حفظ الأمن الداخلي في مصر، وقد سبق ذكر قطعاتها التي وصلت الى موقع الفالوجة وجرى تطويقها بعد نهاية الهدنة الأولى وبقية قطعاتها كانت في اطراف سيناء على الحدود مع فلسطين وبعضها في منطقة النقب في الأراضي الفلسطينية.

سوريا ولبنان لم تكن لهما اهمية عسكرية لأنهما حديثتا عهد بالاستقلال وهما في بداية بناء قواتهما العسكرية.

ويزيد هذا الوضع تعقيداً وتفككاً إن هذه البلدان المتاخمة لفلسطين تشكل جبهتين متناقضتين احداهما من مصر وسوريا والسعودية والثانية من العراق والأردن وهنالك حساسية بين الطرفين بسبب العمل على اقتسام فلسطين بين الأردن واليهود وما قد يتبعها من طموحات توسعية للأردن في المشرق العربي تؤثر على مستقبل الكتلة الثانية.

١٩٤٨/٥/٤

صرّح بن غوريون لصحفيين قائلاً: بالرغم من قلة عددنا بالنسبة إلى العرب وضعف استعدادنا تحت ظروف الانتداب فإننا لم نخسر مستعمرة واحدة حتى الآن ولم تتمكن القوات المعادية حتى من الوصول لاية مستوطنة، وبالمقابل فأن العرب قد أخلوا اكثر من مائة قرية من سكانها، وهاجر منهم اكثر من مائة وخمسين الفاً الى مختلف الأماكن في فلسطين او الى البلدان العربية المجاورة، بطبيعة الحال هو لم يذكر الفارق بين الطرفين من ناحية التسلّح وسياسة دولة الانتداب التي فرضت الوضع المعاكس بينهما. وفي ١٩٤٨/٥/١٢ صرّح مدير العمليات اليهودي باجل يارين قائلاً أن الجيوش العربية تمتلك من الاسلحة وخاصة الدروع والطائرات اكثر

مما تمتلكه اسرائيل. ولكنا سنتغلب عليهم لعدة اسباب منها ارتفاع معنويات الجنود الأسرائيليين والتخطيط والتدريب، ومن جهة ثانية فإن الجيوش العربية ليست لديها ارادة القتال او قيادة فعلية موحدة «هو لا يريد أن يقول ان القطعات العربية لن تدخل فلسطين أصلاً بقصد حرب مواجهة وانما لحماية المنطقة للعرب. وحفظ الأمن فيها وأن تعدياتهم هم على المناطق العربية أوجبت بعض الصدامات في مختلف المواقع.

وقد صرح بن غوريون قائلاً أن لدينا اسلحة وفيرة على كل المستويات خارج فلسطين لم نتمكن من احضارها بعد ولو انها بايدينا الآن لدخلنا المعركة باطمئنان وستصلنا تباعاً بعد يوم ١٩٤٨/٨/١٥ وهي تشتمل على مختلف الأسلحة ومنها ٣٠ الف بندقية وخمسة آلاف رشاش عادي ومائتي رشاش ثقيل وثلاثين طائرة مقاتلة، وعدة طائرات استكشاف ومائة وعشرين مدفع مورتر وكميات كبيرة من الذخيرة« بن غوريون يعرف جيداً الخطة العامة للعرب واسباب مجيئهم لفلسطين وموقف الأمم المتحدة ».

وإن المعلقين السياسيين والعسكريين سواءً من الدول الأجنبية أو من اليهود انفسهم لم يتطرقوا بتصريحاتهم الى قرارات التقسيم او الى ان الهدف الأساسي لدخول القوات العربية إلى فلسطين هو المحافظة على أمن المواطنين العرب في الأقسام المخصصة لهم بموجب قرار التقسيم وانهم لم يكونوا قاصدين او جاهزين لاحتلال كل اراضي فلسطين والقاء اليهود في البحر كما كان اليهود انفسهم يشيعون، وهذا الهدف ورد ذكره مراراً وتكراراً في مباحثات الدول العربية وهو واضح للجميع. وإنني اقول ان التعليقات على ماهية الجيوش العربية وافتقارها للتخطيط، وتو حيد الأهداف وتجميع القوات وكل هذه التفصيلات واقعة في غير محلها لأن الهدف الرئيسي لم يكن الحرب الشاملة بل حفظ الأمن في المناطق العربية والتعاون مع الأمم المتحدة لتنفيذ مقرراتها.

لكل ما ذكر فأن تبجّح اليهود واظهار قوتهم العسكرية وكل الأنتقادات الموجهة للجيوش العربية واردة في غير محلها، وباعتقادي الجازم أن ضياع الحقوق العربية منذ الحرب العالمية الأولى وعلى مر السنين والأحداث وحتى ما هو قائم في العراق هو اعتماد العرب رسمياً لاشعبياً على عصبة الأمم ثم مجلس الأمن وهيئة الأمم

المتحدة الذين لم يقفوا موقفاً واحداً مع الأمة العربية ولن يقفوا ابداً معها لا حاضراً ولا مستقبلاً.

وأن اليهود هم الذين بدأوا بالتوسع، واحتلال مناطق خارج حدود التقسيم مختلقين الحجج والأعذار لطرد السكان من المدن والقرى الواقعة ضمن حصتهم في مشروع التقسيم ثم توسعوا في المناطق العائدة للعرب، وغير المحمية أو مدافع عنها أو أن مع مواطنيها قطعة سلاح واحدة عدا ما امكن تهريبه.

١٩٤٨/٥/٢٠

اعتبارا من هذا اليوم بدأ سيل الأسلحة يتدفق على اسرائيل مع اعداد كبيرة من المتطوعين والمهاجرين اليهود من انحاء اوروبا وغيرها، ووصلت من ذلك اليوم نفسه شحنة منقولة جواً من تشيكوسلوفاكيا تحوي عشرة آلاف بندقية، واكثر من ثلاثة آلاف رشاش، وكميات كبيرة من الذخيرة وكانت تشيكوسلوفاكيا قد دربّت لواءً كاملاً من مواطنيها اليهود وجرى ارساله الى اسرائيل في مرحلة لاحقة، كما وصلت من اوروبا كميات من الدبابات ومدافع الميدان اكثرها من فرنسا، وبدأت اعداد من اليهود الذين تدربوا اثناء الحرب الثانية أو اسهموا بها تصل تباعاً الى اسرائيل، وبين ٣و١٩٤٨/٧ وصل من هؤلاء الى اسرائيل ١٢٩٣٩ رجلاً من مختلف البلدان الأوروبية وفي نهاية شهر ١٩٤٩/٨ كان عدد قوات جيش الدفاع الأسرائيلي قد بلغ ٩٠ الفاً وفي نهاية ديسمبر ١٩٤٩ وصل العدد الى ٩٦٤٤٠ ألفاً، وبعد ثلاثة اسابيع من دخول طلائع القوات العربية الى فلسطين بدأ الجيش الأسرائيلي بعمليات التعرّض لمواجهتها في كل مكان دخلت فيه وبقي الوضع كذلك حتى احلال الهدنة الأولى.

كانت خسائر اليهود عند إحلال الهدنة ٥٧٠٨ من القتلى منهم ٤٥٥٨ من العسكريين والباقون من المدنيين، واكثرهم في مدينة القدس على ايدي الجيش الأردني.

الجنرال رايلي كبير مراقبي الامم المتحدة كتب في مذكراته في شهر نوفمبر ١٩٤٩، إن اليهود احرزوا النصر على القوات العربية لعدم تنسيق العرب لخططهم

العسكرية واختلاف آرائهم واهدافهم العسكرية والسياسية ودخلوا بقوات رمزية، وكان بامكان اليهود احتلال كل الأراضي الفلسطينية لو كان قصدهم ذلك.

«وربما أن رايلي لم يكن يعرف ان قصد البلدان العربية كان حفظ الأمن والنظام في المنطقة المخصصة للعرب، وأن المفاوضات التي حصلت كان اليهود هم البادئين بها دائماً ومن يتابع سير الحوادث في كل المراحل يتأكد من ذلك».

في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٤٩ ذهب وفد مصري الى رودس وبحث مع وفد يهودي الاتفاق على الهدنة وجرى توقيع الطرفين عليها في نهاية حزيران وذلك حينما كانت قطعاتهم مطوقة في موقع الفالوجة وهي عبارة عن لواء كانت تنقصه المؤن والذخيرة بشكل خطر.

العراقيون سلموا مواقعهم للجيش الأردني، وعادو الى العراق. الأردن وقع اتفاقية الهدنة يوم ٣ ابريل، وسوريا يوم ٢٠ تموز، وانتهت هذه الحرب الصورية .

هذا ما ذكره الجنرال في مذكراته التي قرأتها في لوس انجلوس في كاليفورنيا فيما بعد.

وبعد هذه الأنتصارات السياسية والعسكرية التي اتيحت لليهود والنتائج التي احرزها قارن بن غوريون ومؤيدوه بين ما تحقق لهم في فلسطين نتيجة العمليات العسكرية التي قاموا بها واعمال العنف التي قامت بها منظماتهم، وبين مخططهم الأساسي الذي كانوا يعملون على تطبيقه سلمياً، وقال إنه ليس من المستبعد أن تظهر قيادة عربية مستقبلاً ترفع مستويات الأمة العربية ثقافياً، وصناعياً، وزراعياً، وعسكرياً ليتمشى مع مستوى البلدان المتقدمة وان تتعاون او تتوحّد بعدد سكانها الهائل ومساحات اراضيها الشاسعة، وامكانياتها النفطية والمادية وعندها يصبح وجود اسرائيل في هذا الخضم الهائل من البشر مستحيلاً، والبلدان العربية قد غلبت عملياً من قبلنا فهل يمكن أن ينسوا هذا الواقع؟ وهل ستنسى الأجيال الصاعدة هذا الموقف المهين الذي تغلبت فيه اسرائيل بسكانها الأقل من مليون على اكثر من سبعين مليوناً من العرب الذين اشتركت بلدانهم في الحرب معنا، وهل يقبل هؤلاء اهانة شرفهم وعزّتهم وكرامتهم والقبول بهذا الوضع القائم، وهل اذا اجرينا صلحاً معهم

على اساس الغالب والمغلوب كما هو الواقع الآن يستمر هذا الوضع الى الأبد، وهل من المستحيل أن تظهر بينهم شخصية مثل شخصية مصطفى كمال في تركيا ينسق بينهم ويعيد بناءهم ويعمل على اتحادهم ثم وحدتهم.

« وانا اقول ان ظاهرة عبد الناصر توحي انه لا بد من التعاون، والوصول الى مثل هذه الأهداف في حشد الأمكانيات المتاحة والجهود الموحدة للقضاء على اسرائيل مهما طال الزمن».

ولهذا قرر بن غوريون لزوم الاستعداد الدائم تمشياً مع الأوضاع الدولية واقتناء الأسلحة الدفاعية الفعّالة حتى الأسلحة الذرية او اي سلاح يتطور مع الأيام، والتحالف الدائم مع الدول العظمى القائمة حالياً او التي تنشأ مستقبلاً.

التعاون بين بريطانيا والصهيونية منذ مطلع الحرب العالمية الثانية

في يوم ١٨/٤/١٩٤٣ اتصل تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بحاييم وايزمن احد مؤسسي الصهيونية واخبره أن الكتاب الابيض الذي اصدرته بريطانيا في مطلع الحرب عام ١٩٣٩ لم يعد عملياً على اساس تطور الحرب، وبعد عشرة ايام اصدر تعميماً وزعه على اعضاء البرلمان شكّل بموجبه لجنة تبدأ اعتباراً من ١٢/٧/١٩٤٣ برئاسة هربرت موريسون مع كل من اوليفر ستانلي واللورد كرانبورغ لإعادة النظر في مضمون الكتاب الأبيض واتخاذ قرار يتلاءم مع تعداد السكان اليهود الحالي واوضاع المنطقة. وفي ٢٠/١٢/١٩٤٣ اصدرت هذه اللجنة خطة تقسيم جديدة بين العرب واليهود في فلسطين ليتعاونوا ويتعايشوا بموجبها بسلام، هذه الخطة تشتمل على اقامة دولة يهودية في القسم المخصص لليهود في مشروع تقسيم ١٩٣٩ وتبقى منطقة القدس تحت اشراف المندوب السامي البريطاني. شرق الأردن ولبنان وسوريا والمناطق العربية في فلسطين تشكل دولة عربية واحدة هي سوريا الكبرى.

وافق اليهود على هذه الخطّة وباركها تشرشل على أساس أن يجري تنفيذها بعد نهاية الحرب وقد تم إبلاغ ذلك الى وايزمن بحضور كليمنت اتلي زعيم حزب

العمال حيث قال تشرشل، عندما نسحق هتلر والنازية نثبت اليهود في المنطقة المخصصة لهم في فلسطين وهذا ما تركه لي بلفور بوعده الذي قطعه لهم وأنا لن أُبدله، واتجه الى وايزمن قائلاً، ان هنالك اصدقاء جيدين لك وهم حزب العمال برئاسة السيد أتلي الذين سيؤيدون هذا الأجراء، وردّ عليه أتلي قائلاً نحن بالتأكيد نوافق، وبطبيعة الحال فأن أتلي صار رئيسا للوزراء في حكومة العمال فيما بعد وسار على هذا النهج، ثم قابل تشرشل وايزمن يوم ١٤/ ١١/ ١٩٤٤ واكد أنه سيجد حلاً مناسباً ومقبولاً لقضية فلسطين بعد نهاية الحرب واوضح أن هجرة مليون ونصف يهودي الى فلسطين خلال عشر سنوات وهجرة مائة وخمسين الفاً الآن يسهل اقامة الوطن القومي.

وقد اقترح تشرشل تشكيل نواة قوة عسكرية يهودية تبدأ بلواء ليشترك في الحرب الدائرة في ايطاليا ضد القوات الألمانية هناك، ثم عاد واصدر أمراً يوم ١٢/٧/١٩٤٥ إلى وزارة الحربية يقضي بتشكيل مجموعة جيش من اليهود الذين اشتركوا في حروب جميع البلدان الأوروبية وقال أن أمريكا ستؤيد اقامة هذا الجيش واصدر بلاغاً وزعه على أعضاء البرلمان يتضمن ما يلي.

انا اعرف ان اعداداً من اليهود يعملون في صفوف القوات المسلّحة البريطانية والأمريكية والدول الحليفة واعتقد أن من الأنسب جمع هؤلاء في مجموعة خاصة.

هؤلاء عانوا الكثير من النازيين ومن الأنسب ان يحاربوا معنا ضدهم ثم يسهموا بالأحتلال بعد نهاية الحرب.

وفي نهاية اكتوبر من العام نفسه عينت وزارة الحربية البريطانية العميد اليهودي ارنست بنيامين قائداً الى اللواء المذكور ورحّب الصهيونيون بهذا الاجراء وخصصوا نجمة داوود شعاراً لأفراده وبوشر بتنظيمه وتدريبه، وفي اوائل عام ١٩٤٥ جرى ارساله الى ايطاليا في واجبات حربية وكان ضمن افراده ٣٤٠٠ من يهود فلسطين والتحق بقيادة الجيش الثامن الذي كان يحارب هناك، وهكذا حصل عدد كبير من ضباط الصف اليهود على اول فرصة للتنظيم والتدريب على مستوى لواء.

هذه القوة بالأضافة الى تنظيمات الهاجانا كانت نواة القوات النظامية اليهودية التي وقفت بوجه الأنظمة والتنظيمات العربية بعد نهاية الحرب الثانية في فلسطين وفي وجه الأنجليز انفسهم في اواخر ايام الأنتداب.

١٩٤٣/٦/١٧

اطلع الوزير المفوض البريطاني في القاهره اللورد موين عن طريق البيت الأبيض الأمريكي على معلومات مفادها ان هنالك تنظيماً سرياً أقامه الصهيونيون في فلسطين ما بين عامي ١٩٣٦و١٩٣٩ برئاسة المدعو ابراهيم شتيرن وسمي هذا التنظيم فيما بعد بعصابة شتيرن ، وابراهيم هذا هو يهودي بولوني المولد وكان عمره في الثلاثينات أنذاك، درس الموسيقى في فلورنس، ثم عرف من بعض ساسة نظام موسوليني أن الوجود البريطاني في فلسطين لم يعد يساعد على اقامة الكيان اليهودي الصهيوني ولذلك اقام تنظيمه على اساس مقاومة الوجود البريطاني في فلسطين. وكان اغتيال اللورد موين في مصر من قبل اليهود الذين القي القبض عليهم وثبت ارتكابهم تلك الجريمة بداية لمقاومة الأنجليز.

كنت في تلك المرحلة مشتركاً في دورة قادة سرايا في قيادة الفرقة الثانية البريطانية في معسكر ناتانيا في فلسطين على شاطئ البحر وقد اختطف اليهود اثنين من المدربين واعدموهما شنقاً في فروع احدى الأشجار وعثر عليهما معلقين في الحبال وتم احضارهما وارسال جثتيهما الى بريطانيا، وبعد بضعة أيام وضعوا عبوة ناسفة في سينما المعسكر انفجرت اثناء عرض بعض الأفلام بين جمهور من ضباط وافراد الجيش البريطاني قتل منهم سبعة افراد وجُرح آخرون، وهكذا بدأ الاعتداء على القطعات العسكرية البريطانية في عدة مناسبات حتى نهاية الانتداب.

في هذه المرحلة قرر وايزمن وبن غوريون وجماعتهما الإسراع في تهجير اليهود من كل مكان وبكل الطرق الى فلسطين لزيادة عدد السكان اليهود وحصولهم على اكثرية تتصاعد تدريجياً ليصبح العرب هم الأقلية، وهذا ما حصل فعلاً حتى الآن.

وفيما بين الحربين العالميتين كان قد ازداد عدد اليهود من ٨٦ الفاً اي ١٠ بالمائة من مجموع السكان الى ٥٦٠ الفاً عام ١٩٤٦ اي ٣٢ بالمائة.

وحتى نهاية الإضراب العام ١٩٣٩ كان اليهود قد اقاموا ٩٤ مستعمرة جديدة وبهذا صار مجموع المستعمرات في فلسطين ٣٤٨ مستعمرة يسكنها ١١٦ الف مواطن كما ازداد عدد اليهود الذين يعملون في مختلف المصانع والمعامل خلال هذه المدة من ٣٢ الى ٤٦ الفاً، وزادت مواردهم المادية من قرابة ٨ ملايين جنيه فلسطيني عام ١٩٣٧ الى ٣٧ مليونا عام ١٩٤٣. وعلى هذا الأساس تحدث السير هارولد ماكميلان المندوب السامي البريطاني من الإذاعة قائلاً: إن ارتفاع الأنتاج اليهودي الى هذا المستوى يسهم في رفع موازنة الدولة، وان العرب لم يعملوا في هذا المجال واذاعته هذه سمعها القاصي والداني في حينها وعلى رأسهم موظفو الاذاعة العرب الذين سجلوها في حينها.

بداية العمليات المسلحة ضد الإنتداب البريطاني والحركة الصهيونية في فلسطين

قامت اولى العمليات المسلحة في فلسطين في شهر نيسان عام ١٩٣٦ من قبل عصابات مسلّحة يرأسها كل من الشيخ عز الدين القسّام والشيخ فرحان السعدي عندما اوقفت جماعة مسلحة سيارة نقل للركاب وقتلت فيها اثنين من اليهود، وفي اليوم التالي قتل اليهود اثنين من العرب جواباً على هذه العملية، كانت دائرة الأوقاف لأسلامية برئاسة المفتي الحاج امين الحسني لها ارصدة قيمتها ١١٥ الف جنيه وقد شرع المفتي يستعمل هذا المبلغ في تمويل المسلمين ضد اليهود بتخريب منشآتهم، والتعرض لهم افراداً وجماعات.

وتشكلت الهيئة العربية العليا برئاسة المفتي يوم ٢٥/ ٤/ ١٩٣٦ وبدأ الإضراب العام، ثم قرر المندوب السامي آرثر عدم التدخل ضد الهيئة العربية العليا او ضد الإضراب، وكان هذا الإضراب ضد سياسة الدولة لسماحها بدخول اليهود الأجانب وإقامتهم في فلسطين. واستمر هذا الإضراب ستة اشهر، وفي الحقيقة فأن نتائجه كانت خسائر مادية كبرى للعرب، أما اليهود فقد استفادوا مادياً من تشغيل ايديهم العاملة، وتصريف منتجاتهم الصناعية والزراعية.

لقد اعتصمت مجموعات مسلحّة في جبال الجليل ومنطقة نابلس، وجبال القدس وغيرها كانت غالبيتهم من التابعين لمنظمة الحاج امين، ولم تلبث ان تشكلت منظمات اخرى من الأردن وسوريا ولبنان وبدأ رجال يصلون تباعاً منهم، ومن العراق بعضهم بصورة فردية وأخرون على اساس تنظيمي وبموافقة دولهم، وقد جرى اجتماع عربي في بلودان بسوريا وجرى فيه انتداب السيد فوزي القاوقجي لقيادة مجموعات المسلحين وبدأ عملياته التعرضية في تخريب المنشآت والمزارع اليهودية، وبدأت الحكومة البريطانية تتصل مع حكام البلدان العربية المجاورة للتوسط بفك الإضراب وحضر السيد فوزي السعدي وزير خارجية العراق آنذاك الى فلسطين وبحث مع الهيئة العربية العليا عرضاً بريطانياً بتشكيل هيئة تحقيق تحضر الى فلسطين للتباحث باسباب الإضرابات والأحداث القائمة والعمل على وضع الأمور والحقوق العربية في موضعها الطبيعي بعد وقف الأضراب وعودة الأمن والنظام الى طبيعته.

وبعد تدخلات اخرى مماثلة من بعض الحكام العرب طالبين من المفتي قبول عرض قدمه المندوب السامي البريطاني في ١١/ ١٠/ ١٩٣٦ اكد فيه تنفيذ مطالب الهيئة العربية العليا، ووافقت الهيئة عليه،ولكن المندوب السامي عاد، ونقض وعده بعد ان جرى الأتفاق على خروج القاوقجي من فلسطين الذي خرج بقواته علناً، مثلما تخرج اية قوة مسلحة وحضر الى الاردن، وعسكرت قواته بمنطقة كفر أسد في شمال الأردن، ثم انتقلت الى سوريا.

كان عدد قتلى الحوادث خلال الأضراب ٢٨٥ قتيلاً منهم ١٩٧ يهودياً و٨٠ بريطانياً و٤٨ عربياً عدا الجرحى.

كنت في هذه المرحلة مشتركاً بدورة عسكرية في معسكر المحطة بعمان حينما ذهب وفد من ضباط المعسكر، مع سمو الأمير طلال ولي العهد آنذاك الى كفر اسد مرحباً بالقاوقجي ومجموعاته، وشكرهم على اعمالهم في فلسطين، كان ذهاب سموه بصورة غير رسمية وبناءً على رغبته الخاصة، لم ترق هذه الزيارة، للسلطات البريطانية في عمان آنذاك والتي كانت على خلاف دائم مع سموه.

لجنة التحقيق البريطانية

تشكلت هذه اللجنة وسميت لجنة بيل بأسم رئيسها اللورد روبرت بيل يوم ١١/ ١١/ ١٩٣٦ ومساعده السير هوراك رامبولد ومعهما اربعة اعضاء آخرين وحضروا الى فلسطين لدراسة كيفية إقامة الوطن القومي اليهودي الموعود في فلسطين، وعندما اتضح هدفهم هذا قاطعتهم الهيئة العربية العليا ورفضت الاتصال معهم نهائياً، اما اليهود فقد وافقوا على هذه اللجنة التي بدأت بجمع معلوماتها من سلطة الانتداب ومن اليهود.

كان الممثل الرسمي لليهود حاييم وايزمن البالغ من العمر ٦٢ عاماً وهو رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وأحد مؤسسيها وقد شرح الى اللجنة وبحضور المندوب السامي ما قاساه اليهود من الويلات في اوروبا قبل واثناء الحرب العالمية واوضاعهم في فلسطين تحت الانتداب البريطاني، والمشاكل الأمنية التي يواجهونها في فلسطين مذكراً اياهم بوعد بلفور واتفاقية سايكس -بيكو ومطالباً بتلك الوعود والاتفاقيات وتنفيذها، كما تحدث بن غوريون في الموضوع نفسه مضيفاً الى أن فلسطين بلد فقير، ولا بد من تحسين مستواها الاقتصادي وهجرة اعداد من اليهود الفنيين من اوروبا وبعض اصحاب رؤوس الأموال ولزيادة عدد الأقلية اليهودية في فلسطين ولا بد من تأمين الأموال اللازمة.لرفع مستوى البلاد الأقتصادي والصناعي والزراعي.

اتصل كل من الملك غازي والملك عبد العزيز السعود مع المفتي يحضّانه على مقابلة هيئة التحقيق وشرح وجهة نظر الهيئة العربية العليا لهم كي لا تكون المعلومات التي يجمعونها مستقاة من الجانب اليهودي فقط. وفي يوم ١٣/ ١/ ١٩٣٧ قابل المفتي هيئة التحقيق، وشرح لهم عن حركة التحرير العربية الشاملة اثناء الحرب العالمية الأولى والوعود التي قطعتها بريطانيا لهم في الأستقلال الشامل وكيف وقف العرب الى جانب الحلفاء في تلك الحرب ضد الخلافة الأسلامية التي كانوا جزءاً منها على امل الحصول على الاستقلال في بلادهم وعلى ارضهم، وقال ان تواجد ٤٠٠ الف يهودي في فلسطين هاجر معظمهم اليها من مختلف البلدان هو فوق طاقة استيعاب بلد صغير وفقير كفلسطين، وعندما سأله بيل قائلاً هل تعني

أنه في حال استقلال فلسطين كدولة واحدة تشمل جميع مواطنيها أن هؤلاء اليهود الغرباء سيرحلون عنها اجاب المفتي هذا الموضوع نتركه للمستقبل، وكان المفتي يطالب باستقلال فلسطين كدولة واحدة للجميع، العرب الآخرون الذين طرحوا اراءهم امام اللجنة تكلموا على المستوى نفسه ولكن بصيغة اقل تشدداً مما طرحه المفتي.

وبعد مقابلة منفردة بين وايزمن وكوبلاند احد اعضاء اللجنة عاد وايزمن ليبلغ سكرتيره الخاص قائلاً لقد حصلنا على كل ما امضيت حياتي للوصول اليه وهو اقامة كيان يهودي مستقل على جزء من اراضي فلسطين وستكون لها حدودها الواضحة لأزالة مخاوف العرب من نوايانا الاستيلاء على كل فلسطين، واننا سنتعاون بعد الآن مع جميع جيراننا في فلسطين ومصر والأردن والعراق.

وفي نهاية اجتماعات هيئة التحقيق التي وصلت الى واحد وخمسين اجتماعاً كان آخرها يوم ٨/ ١/ ١٩٣٧ كان القرار الذي توصلت اليه هو التوجيه بتقسيم فلسطين مناصفه بين العرب واليهود.

وبهذه المناسبة اذكر ان لجنة بيل هذه قد زارت الأردن وجاءت الى منطقة الكرك عن طريق مادبا وادي الموجب وكنت آنذاك في مخفر القصر وقد أمر قائد المنطقة الرائد احمد رمزي أن ارافقها اثناء تجولها في منطقة الكرك الى حدود منطقة معان لزيارة آثار البتراء. كان الشيخ حمد الجازي ومجموعة من عشيرته يقيمون في خيامهم شرقي قرية الربّة وقد سمع بمقدم هذه اللجنة او أنه اوعز لهم بمقابلتهم ودعوتهم وحضر الى المخفر ودعاهم للغداء وذهبت معهم وكان تعييني معهم بقصد الترجمه لهم، وباثناء تناولهم الطعام في بيت الشعر سمعنا صوت عيار ناري في جناح الحريم وصاحت بعض النساء بصوتٍ عالٍ فركض الشيخ حمد الى جهتهن صائحاً يقول: «بطّلن يا حريم»، وخيم الصمتَ والسكون على الجميع، وعاد الشيخ مسرعاً ليقول ان غلاماً كان يعبث في بندقية، وخرجت منها طلقة، ولم تصب احداً فترجمت هذا للضيوف واستمروا بتناول الطعام، ثم غادرنا المكان بطريقتنا الى الطفيلة ثم الى منطقة معان حيث قابلنا العريف علي سالم عبيدات وجنوده والذي كان زميلي في مدرسة اربد الثانوية ليرافق الوفد في منطقة معان وفي الواجب نفسه.

وبعد عودتي الى مخفر القصر عرفت حكاية إطلاق النار في بيت الشيخ احمد وهي أن احد ابنائه اطلق النار على شقيقه خطأ كما أدعوا وكسر عظم ساقه وان الشيخ لم يرغب بإزعاج الضيوف، وقال انها طلقة في الفضاء.

المهم في هذا الموضوع هوا ان الوفد وقف عدة مرات في سهول الكرك والطفيلة وجبالها لدراسة طبيعة الأراضي، وصلاحها لزراعة انواع الأشجار المثمرة، ومدى استيعابها للسكان وموارد المياه التي يسقي السكان منها وتدارسوا هذه الملاحظات وسجلوها، ومع مرور الزمن ووضوح الرؤية اتضح ان تلك الدراسات والتقديرات كانت لأهداف بعيدة المدى اما إنها لمصلحة التوسع اليهودي مستقبلاً او لاستيعاب الشعب الفلسطيني وخصوصاً ان الوفد الرسمي الذي اقرته الحكومة البريطانية بمن فيهم رئيسهم السيد بيل كان مؤلفاً من خمسة اشخاص كما سبق ذكرهم ولكن اعضاء الوفد الزائر كانوا تسعة أشخاص وباعتقادي ان الأربعة الآخرين اما ان يكونوا من يهود بريطانيا او يهود فلسطين وإلا لماذا تمت دراسة الأراضي واستيعابها وموارد المياه وتسجيل هذه المعلومات والمناقشات الطويلة في مختلف المواقع من قبل وفدٍ قادم من مهمته في فلسطين لزيارة البتراء.

صدور قرار لجنة بيل واستقبال مقرراته من قبل العرب واليهود وما ترتب عليه من مضاعفات من قبل طرفي النزاع

صدر قرار لجنة بيل في الشهر السابع عام ١٩٣٧ وكان معبراً عن وجهة نظر بريطانيا في سياستها الخارجية في فلسطين وقد رفضه الجانبان العربي واليهودي.

تقرير هذه اللجنة حدد الهجرة اليهودية الى فلسطين بمائة وعشرين الفاً خلال السنوات الخمس وشمل المشروع اراضي فلسطين وشرق الأردن فأعطى المنطقة الساحلية وغرب الجليل لليهود وابقى منطقة القدس وضواحيها تحت الانتداب البريطاني، كما اعطى حق بقاء قاعدة بريطانية في النقب لتقيم على شاطئ البحرين الأبيض والأحمر ومن غزة الى العقبة،بديلاً لقاعدة قناة السويس وان تكون شرق الأردن والقسم الغربي من فلسطين دولة واحدة يعطي لها ممراً الى غزة، وتبقى

المنطقة العربية، هذه تحت الانتداب البريطاني الى مرحلة مناسبة مع استبدال الأقلية العرب الموجودين في المنطقة اليهودية وإسكانهم في القسم العربي واخذ اليهود المتواجدين في القسم العربي الى القسم اليهودي.

جرت مناقشة تقرير اللجنة في البرلمان البريطاني وكان هربرت صمويل عضو مجلس اللوردات وهو من مؤسسي الصهيونية واول مندوب سامي كما سبق ذكره، وقد اعترض على هذا القرار لأنه يعطي المنطقة الضيقة لليهود بمحاذاة البحر وأغلبها مسكونة من قبل العرب الذين يصعب عليهم مغادرة مساكنهم فيها ومن جهة ثانية فأنه يصعب الدفاع عن هذا الحجاب الضيق مستقبلاً.

أما الجانب العربي فقد انقسم على نفسه إذ بينما رفضت جماعة المفتي هذا المشروع فقد ايده راغب النشاشيبي ومجموعته على اساس ضم القسم العربي الى شرق الاردن وهذا الموقف قرّبهم من السلطة ومن العاملين على تطبيق هذا الإجراء وسبب العداء بينهم وبين مجموعة الحسينية منذ تلك المرحلة.

وعندما صدر قرار لجنة بيل كان وايزمن في باريس وقد حضر الى بيروت وقابل رئيس الجمهورية اللبنانية أميل اده وشرح له تفصيلات المشروع فنهض اميل من مقعده وتناول يد وايزمن وضغط عليها بشدة قائلاً احيي اول رئيس جمهورية لإسرائيل.

ومن المعروف ان اتفاقية سايكس -بيكو كانت تتضمن إنشاء كيان ديني للموارنة في لبنان له صفه سياسية، ووطن قومي لليهود ولذلك فرح السيد اميل اده بإقامة كيان لزملائه في اللعبة الدولية.

وقبل صدور قرار لجنة بيل رسمياً كان بن غوريون قد عرف مضمونه من بعض اصدقائه اعضاء اللجنة ، فكتب الى رئيس اللجنة السياسية اليهودية موشي شرتوك قائلاً، سنمسح هذه الحدود التي رسمها قرار اللجنة لمعاونة القيادة الصهيونية، ونمسح القرار نفسه الذي فُرض علينا ليس بالحرب، واستعمال القوة ولكن بالاتفاق بيننا وبين الدولة العربية هذه في المستقبل القريب بعد إدخال مئات الاف المهاجرين الى دولتنا ورفع المستوى الصناعي والعسكري فيها، وعندها يمكن توسيع الحدود بيننا وبين الدول العربية المجاورة، وقد صرّح بن غوريون مراراً ان

حدود هذه الدولة المقررة ليست الهدف النهائي للصهيونية لأن هذه المنطقة المحدودة لا يمكن أن تعنى بمطالبنا واهدافنا ونحن نقبل بها الآن ونعتبرها قاعدة لانطلاقنا نحو أهدافنا التاريخية.

لم يتوقف بن غوريون عن الاتصال بالجانب العربي خلال اعوام ١٩٣٤-١٩٣٦، قبل وبعد حدود قرار التقسيم لاقناعهم بقبوله وإقامة دولة يهودية في قسم صغير من البلاد وأن اليهود سيعملون بعد إقامة دولتهم على رفع مستوى الشعب الفلسطيني والعمل على اجراء اتحاد او تعاون مع البلدان العربية المجاورة ورفع مستواها ايضا. وقد اجتمع شرتوك مع موسى العلمي المعتمد السياسي للهيئة العربية العليا في هذه المرحلة مراراً في بيت موسى اوب يت شرتوك وبحثنا هذا الموضوع تفصيلاً وعلى اساس ان العرب سيستفيدون من إقامة هذه الدولة اكثر من بقاء الطرفين تحت الانتداب، وحينما حدد قرار التقسيم أكدّ بن غوريون على موسى العلمي هذا الموضوع طالباً عرضه على الهيئة العربية العليا واقناعها بالموافقة عليه، وبعد اسبوع من هذه المقابلة عاد موسى ليؤكد لبن غوريون رفض هذا العرض رفضاً باتاً.

اما في سوريا فقد عُقد مؤتمر عربي عام سمي مؤتمر بلودان دعا إليه السيد ناجي السويدي رئيس وزراء العراق السابق واشترك فيه اكثر من خمسمائة عضو من البلدان العربية المهتمة بموضوع فلسطين. افتتح السويدي هذا المؤتمر قائلاً إن الصهيونية هي سرطان في جسم الأمة العربية، ولا بد من استئصاله، وان بريطانيا هي التي غرست هذا السرطان ولذلك يجب اخلاؤها اولاً من المنطقة العربية ثم استئصال هذا السرطان:

هذا المؤتمر عُقد في الشهر التاسع من عام ١٩٣٧ والذين اشتركوا فيه كانوا يمثلون تنظيمات او تكتلات معينة، أو إن حماسة فردية دفعتهم إلى حضوره أو إن حكوماتهم اوحت إليهم بالذهاب اليه بصورة غير رسمية.

اشتركت في هذا المؤتمر مجموعة من الأردن دون استشارة الدولة ، وعلى مسؤوليتهم الخاصة، وبعد عودتهم جرى إبعادهم الى اماكن مختلفة ولمدة ستة اشهر ومنهم اربعة الى قرية القصر في منطقة الكرك وهم كل من السادة مفلح الحسن الغرايبة وعبد المجيد سلطان العدوان ومحمد السالم ابو الغنم وقاسم السليم

الصمادي، وكنت في حينها قائداً لمخفر القصر وكانت قرية القصر صغيرة ومعظم سكانها يقيمون في بيوت الشعر، ولم يكن هناك مكان لإسكانهم او حتى شراء المواد الغذائية لهم حيث إنه كان في القرية دكان في احدى فرق المخفر ينامون، ويتناولون الطعام معنا كعائلة واحدة، وبعد اربعة اشهر صدر العفو عنهم وعادوا لى بلدانهم وبقيت الصداقة. والأخوة المذكورون يتحدثون عن مجرياته ومقرراته التي كانت تستهدف مقاومة مشاريع تقسيم فلسطين بالقوة ونادوا للعمل المسلح من قبل كل من له الرغبة والحماسة في جميع البلدان العربية وبدأت العصابات تتجمع افراداً ومجموعات من الأردن والعراق وسوريا ولبنان والشعب الفلسطيني المتواجد بهذه البلدان وغيرها وتلتحق بمعسكرات تدريب في الأراضي السورية بقيادة السيد فوزي القاوقجي الذي سبق ذكره وقد تطوع معه عدد من الضباط العرب العاملين والمتقاعدين.

كان سفير المانيا في بغداد السيد فون جروباً الذي يجهزهم بالإسلحة الخفيفة وعتادها بموافقة حكومته ايام حكم هتلر علاوة على الأسلحة التي كانت تتبرع بها الهيئات العربية. وقد ورد ذكر فون جروبا في الجزء الأول حيث إنه حينما ذهبت الى بون عاصمة المانيا الغربية عام ١٩٥٩ حضر الى بيتي ومعه ولده الشاب للترحيب بي، وتزاورنا بعدها مراراً على اساس إنه صديق للشعب العربي منذ أيام وجوده في بغداد وإنه يريد تعريف ولده عليّ وعلى الأخوة العرب في السفارات العربية، وقال إن احد الأخوة العراقيين وهو السيد عبد السلام عارف حضر الى بون لعدة أيام في طريقه الى اسبانيا واخبره انني عينت ملحقاً عسكرياً للأردن في المانيا، وانني سأصل الى بون بعد بضعة ايام واوصاه بالتعرف عليّ ولأعرفه على من اراه مناسباً من الأخوة العرب في تلك السفارات، وقد حدثني عن موضوع الأسلحة التي قدمها للقاوقجي، والى العراق في المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية على اساس علاقته وتعاونه مع السيد رشيد عالي الكيلاني.

وحينما اقمت في مصر عام ١٩٦١ كان السيد رشيد عالي الكيلاني يقيم مع صهره زوج ابنته الدكتور نجم الدين سهروردي اللاجئ السياسي من العراق، وكنت أتبادل الزيارات مع نجم ونتحدث مع السيد الكيلاني عن احداث المنطقة عموماً، وقد اكد لنا ان السيد جروباً كان صديقاً شخصياً له علاوة على موقفه الرسمي تطبيقاً

لسياسة حكومته التي كان هدفها إنهاء الوجود البريطاني في المنطقة . وكان هذا الهدف منسجماً مع سياسة السيد رشيد عالي والذي لم يكن يستهدف نوع الحكم القائم في العراق بل يستهدف الوجود البريطاني وبعض من يؤيدونه، وقال لنا إنه لم يعلن نفسه رئيساً للدولة بل كان هدفه الإصلاح في الحكم وإنه نسب سيادة الشريف شرف عميد العائلة الهاشمية في العراق وصياً على العرش، وقال إن السيد جروبا كان يعمل جاهداً ضد الأطماع الصهيونية في المنطقة، وإنه بعد افشال حركة السيد رشيد وجماعته وخروجهم من العراق عمل على ذهابهم هم وجماعة الهيئة العربية العليا الفلسطينية برئاسة المفتي الى المانيا ثم ترتيب مقابلاتهم مع هتلر وتنسيق التعاون معهم.

١٩٣٨/١٠/١١

قبل نشوب الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر في القاهرة على غرار مؤتمر بلودان وللاهداف نفسها واشتركت فيه جميع البلدان العربية في المشرق والمغرب ومعظم البلدان الأسلامية وخرجوا بقرار وقعه الجميع يتضمن مقاومة تقسيم فلسطين ومقاومة الدولة المنتدبة بريطانيا سياسياً وعسكرياً الى أن تتخلى عن قرار تقسيم فلسطين ومقاومة الصهيونية ووقف اطماعها.

تعليقي على هذه القرارات سواء في بلودان او القاهرة وعلى الاجتماعات المستمرة على جميع المستويات انها اذا لم تتجاوز الشكاوى والأحتجاجات الى الأمم المتحدة والهيئات والمنظمات الدولية فأنها مضيعة للوقت والجهد وخسارة مادية بسبب لتكاليف الأسعار وإقامة الحفلات والمراسيم وغيرها، وان على هذه الدول أن تتبنى قرارات توحيد جيوش وقيادات عسكرية او جمع جيوشها في المواقع الأستراتيجية المناسبة بقيادة موحدة ورصد موازنتها المادية وتأمين تسليحها وتجهيزها اسوة بالأحلاف التي جرت في الحربين العالميتين او ما هو قائم الآن كحلف الأطلسي وحلف وارشو وحلف جنوب شرقي آسيا وحلف بغداد سابقاً. ولماذا لا يقوم حلف عربي بقيادة عسكرية واحدة وتخطيط مشترك.

الكتاب الأبيض البريطاني

في اول شهر مايو ١٩٣٩ دعا المندوب السامي ماكدونالد حاييم وايزمن لمقابلته فذهب ومعه سكرتيره السياسي حزقيال سخاروف وكانت قد وصلت

تعليمات من الحكومة البريطانية الى ماكدونالد بعد اقرار البرلمان البريطاني لمشروع الكتاب الأبيض الذي تضمن وجوب المحافظة على حقوق الأديان في فلسطين وورد فيه إن وعد بلفور لم يذكر شيئاً عن إقامة دولة يهودية في فلسطين، ولم يردبهذا الوعد اي صك انتداب بريطاني يتضمن اقامة حكومة يهودية لا يرضى عنها الشعب العربي هناك وكان هدف الانتداب العمل على إقامة حكومة فلسطينية خلال عشر سنوات وأن تبدأ سلطة الأنتداب بتأسيس هذه الدولة بعد نهاية السنوات الخمس الأولى بتوجيه وإشراف خبراء بريطانيين بهدف المحافظة على خطة استراتيجية بريطانيا العامة في المنطقة وعلى حرية ممارسة الحقوق الطبيعية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة، وتضمن قرار الحكومة هذا السماح بحضور مائة ألف يهودي الى فلسطين خلال السنوات الخمس الأولى ، وخمسة وعشرين ألفاً خلال الخمس الثانية، وأن لا يسمح بعدها بحضور احد من الخارج إلا بموافقة العرب، وأن يمنع بيع الأراضي العربية لليهود نهائياً.

وافقت الهيئة العربية العليا هي والأردن مبدئياً على مضمون هذا الكتاب عدا عن استمرار الهجرة خلال السنوات الخمس الثانية.

أما اليهود فقد رفضوه، وقاموا في اليوم التالي لإعلانه بتظاهرات عارمة في انحاء فلسطين قتل اثناءها احد افراد الشرطة البريطانية، واصدر بن غوريون البيان التالي:

سياسة الكتاب الأبيض هذه لن يوافق عليها اليهود، والدولة اليهودية ستتم إقامتها بالقوة، وسيحارب الشعب اليهودي اية حكومة عربية قد تشكل، ولا يخضع لها ، وستقوم بالإضرابات المنظمة مثلما قام العرب بإضراباتهم، وعملياتهم التعرضية بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٩، وقد شرع اليهود بإجراء عمليات تعرضية ضد السلطة وقاموا بنسف عدة مبانٍ حكومية في القدس وتل ابيب.

أما في بريطانيا نفسها فقد عملوا على تحريك الصحافة، ووسائل الأعلام ضد مشروع الكتاب الأبيض، وتحريك احزاب المعارضة وآخرين من الحزب الحاكم نفسه وبين اعضاء البرلمان بوسائلهم الخاصة ضد سياسة الكتاب الابيض، وبدأت العصابات اليهودية السرية المسلحة تعمل ضد حكومة الأنتداب في فلسطين مما اضطر السلطة الى أتخاذ اجراءات صارمة ضد اليهود من اعتقالات، وتفتيش على

الأسلحة ومصادرتها وبدأت حرب سرية بين الطرفين. اتصل وايزمن مع أعلى المستويات البريطانية مستعيناً باصدقائه شارحاً لهم تعاطف بريطانيا مع اليهود في المانيا اثناء الحرب وإن الأسباب الرئيسية للحرب ضد نظام هتلر كانت لوقف الظلم والإبادة التي تعرض لها اليهود هناك في المانيا نفسها وفي البلدان التي تسيطر عليها النازية، واننا معكم قلبا وقالباً، وأن الحرب القائمة ضد المانيا هي حربنا وحربكم الخ.

وبدأ يشرح لهم تعاطف العرب مع النازية، وعلى رأسهم الهيئة العربية العليا رغماً عن ان العرب يستفيدون من التقدم الصناعي والزراعي اليهودي. إن تطبيق مضمون الكتاب الأبيض ونتائجه هي الموت لليهود الموجودين في اوروبا وموت لآمالهم في الذهاب الى فلسطين نجاة بارواحهم.

ونتيجة لمساعي اليهود هنا وهناك وبسبب اشتداد الحرب بين المانيا وبريطانيا وحلفائها صار الوضع معلقاً وتجمد مشروع الكتاب الأبيض من جانب بريطانيا ولم يعد مجال لأستمرار مقاومة اليهود للسلطة في فلسطين على أساس ان هنالك اموراً اعظم تتعلق بمصير الطرفين وصار لا بد من العودة الى كسب صداقة بريطانيا والظهور بمظهر التعاون معها لتأييدها لهم بعد نهاية الحرب، وكذلك فقد بدأ نشاط الصهيونية في هذه المرحلة بالعمل الجاد لكسب صداقة امريكا واعطائها الأفضلية على بريطانيا. ومن جهة ثانية بدأوا يقنعون الدول المتحالفة ضد المانيا ويجمعون لها الأدلة على ان العرب يتعاونون مع النازية ضدهم وصاروا يلفقون المعلومات ويفسرون المواقف العربية على هذا الأساس، ففي عام ١٩٤١ ذهب اللواء عزيز علي المصري بطائرة من سلاح الجو المصري بمهمة الى ليبيا وتعطلت طائرته وهبطت هبوطاً اضطرارياً فاقنع اليهود السلطات البريطانية بانه كان ذاهباً لامرار معلومات الى اعوان النازيين هناك عن المواقع العسكرية البرياطنية في مصر- حجمها وكميات وانواع اسلحتها ومواقع مستودعاتها وخططها الدفاعية «وربما كان الأمر كذلك» ثم اوصلوا معلومات أن الملك فاروق رفض اعلان الحرب على ايطاليا بالرغم من انه اتصل مع هتلر بواسطة سفيره في ايران وابلغه تأييده وتقديره للشعب الألماني وأن الشعب المصري يتطلع الى القوات الألمانية التي وصلت الى حدود مصر مع ليبيا وهي تطارد القوات البريطانية المهزومة على انها قوات حليفة وأن الشعب المصري سيهب لمساعدتها في اللحظة المناسبة: استغلوا هذه المواقف ليثبتوا للحلفاء ان العرب يتعاطفون ويتعاونون مع قوات المحور ضدهم. وبطبيعة الحال فقد كانت هناك

مواقف عربية تؤكد ذلك ومنها الشعور العربي العام وآراء الجماعات والأفراد أن عدو عدوك هو صديقك

وكانت مخابرات الحلفاء السرية المختلفة من اليهود ومن غير اليهود ايضا والعملاء تمرر الكثير من المعلومات اليهم، ويؤيد هذا بعض الحوادث التي جرت في هذه المرحلة ومنها ذهاب مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا الى المانيا وتعاونه مع المحور وتنظيم اذاعة عربية في برلين التي كان يرأسها يونس البحري التي كانت ضد الحلفاء. وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق التي قامت ضد الوجود البريطاني في المنطقة وليس ضد نظام الحكم القائم هناك كما سبق ذكره. مقابلة المفتي لهتلر وموسوليني واصدارهما بياناً مشتركاً بأن قوات المحور ستعمل على تحرير استقلال البلدان العربية وتقضي على فكرة ايجاد الوطن القومي لليهود في فلسطين.

كان وصول الحاج امين الى برلين يوم ١٩٤٣/٣/١١ وقد استُقبل استقبالاً حافلاً، وحينما قابل هتلر للمرة الثانية عرض عليه التعاون العربي مع قوات المحور عند وصولها الى الأراضي العربية، وعند ذهاب المفتي الى يوغوسلافيا تمكن من حشد ستة آلاف متطوع من المناطق الأسلامية في البوسنة قاتلوا مع قوات المحور في الجبهة الشرقية وحتى نهاية الحرب.

استغل اليهود كل هذه المواقف وبدأوا بالتعاون العملي مع الحلفاء واقاموا عدة معامل في فلسطين وغيرها لإنتاج المواد الحربية ومنها الألغام والأسلحة الخفيفة والمتوسطة والمواد التموينية ثم أعلنوا التطوع للحرب الى جانب القوات البريطانية وخلال خمسة ايام بعد هذا الأعلان كان قد تطوع ١٣٦ ألفاً من الرجال والنساء وبطبيعة الحال اكثرهم من النساء، استعداداً للحرب ضد النازية، وهذا الموقف حرّك الرأي العام البريطاني لإعادة النظر بموقفهم تجاه الوضع اليهودي في فلسطين ومقررات الكتاب الابيض، وعندها طلب اليهود تشكيل جيش من قوات المتطوعين في فلسطين يكون له علمه وشعاره الخاص ليحارب الى جانب الحلفاء في حال اقتراب قوات المحور من المنطقة فأعترض الحاكم العسكري العام في فلسطين الجنرال افلين باركر على هذا الطلب لأنه يشكل هياجاً واضطراباً من قبل العرب هم في غنى عنه في الظرف الحاضر، كما وان وزير الحربية ليزلي هور بليشا وهو يهودي اعترض على

إقامة هذا الجيش في هذه المرحلة وطلب تأجيل الموضوع ستة اشهر لعلّه يطرأ وضع أنسب.

٣٠/ ١٠ / ١٩٤١

اعلن اللورد موين الوزير المفوض في مصر والشرق الأوسط تأجيل الموضوع ستة اشهر اخرى على اساس إن بريطانيا التزمت بإمداد روسيا بالأسلحة، والمهمات الأخرى لتمكينها من الوقوف بوجه قوات المحور، وإنه من الصعب تشكيل جيش يهودي في الوقت الحاضر، وبالوقت نفسه كانت سلطة الأنتداب تسيّر الأمور على اساس الكتاب الابيض في فلسطين وبقي الوضع معلّقاً الى أن ابتعدت خطورة الحرب عن منطقة الشرق الأوسط بانسحاب قوات المحور من شمال افريقيا، وكان موقف اللورد موين هذا سبباً لاغتياله في مصر من قبل مجموعة من اليهود واعترافهم بارتكاب هذه الجريمة.

تعاون تشرشل مع الصهيونية اثناء الحرب

في اوائل الحرب الثانية ،شرع اليهود يعملون على تهيئة الرأي العام البريطاني لأستبدال مقررات الكتاب الأبيض، ويعملون في الوقت نفسه في الولايات المتحدة لتقوية نفوذها في منطقة الشرق الأوسط بقصد مساعدتهم على إقامة الوطن القومي، كان عميل المخابرات البريطاني جون فلبي في دائرة المعتمد البريطاني في عمان، ثم غادرها الى السعودية وتقرب مع الملك عبد العزيز السعود وكسب صداقته ثم اعلن إسلامه وأدّى فريضة الحج وصار يدعى الحاج عبد الله فلبي، وكانت السعودية في حالة مادية صعبة فعرض فلبي على ابن سعود أن يحصل له على مبلغ عشرين مليون جنيه انجليزي ليساعد على توطين اللاجئين اليهود الذين يتعرضون للإبادة من قبل النازيين الألمان في فلسطين وكذلك قبول الفلسطينيين الذين يرغبون بالهجرة الى السعودية وأن فلبي سيعمل على تطبيق هذا البرنامج مع بريطانيا ومع اليهود.

وقال ابن سعود إن مثل هذا الأجراء يتطلب التشاور مع القيادات السياسية العربية ومع الفلسطينيين انفسهم « ربما ان عبد الله فلبي هذا يهودي صهيوني مكلف بهذه الوساطة».



من اليمين اللواء صادق الشرع مع المؤلف

اجراءات الحلفاء في اوروبا بعد هزيمة المانيا

قامت السلطات العسكرية الأمريكية بقيادة الجنرال ايزنهاور في اوروبا باحصاء خسائر اليهود البشرية التي اوقعها بهم النازيون وتوصلوا الى الأرقام التالية بحسب المعلومات التي اعطيت لهم وأغلبها من مصادر يهودية وهي كما يلي.

مليون وثمانمائة الف في بولندا، ثمانمائة الف في روسيا، ٤٥٠ الفاً في هنغاريا ٢٥٠ ألفاً في رومانيا، ١٨٠ الفاً في المانيا، ٦٠ ألفاً في النمسا، ٢٤٣ ألفاً في تشيكوسلوفاكيا، ١١٠ آلاف في هولندا، ٢٥ ألفاً في بلجيكا، ٥٠ ألفاً في يوغسلافيا ٨٠ ألفاً في اليونان، ٢٥ ألفاً في فرنسا، و١٠ آلاف في ايطاليا، هذه الأرقام تبلغ ثلاثة ملايين وتسعمائة واربعين الفاً : ربما إن هذه الأرقام مبالغ فيها كثيراً لأن اكثر مصادر المعلومات يهودية، وحتى الاشاعات التي روجها اليهود في حينها كانت تقول إن هذه الأرقام بلغت ستة ملايين.

وأثناء وجودي ملحقاً عسكرياً في المانيا عام ١٩٥٩ سمعت في عدة مناسبات من كبار الشخصيات المدنية والعسكرية الذين عاصروا الأحداث اثناء الحرب وفي مراكز عليا تتيح لهم الاطلاع على مجرى الحوادث ان هذه الأعداد لا تتجاوز نصف مليون وان اليهود بالغوا في تقديراتها.

وعلى اية حال فقد جرى حشد اليهود الذين كانوا في المعتقلات في انحاء اوروبا بعد نهاية الحرب واخرين ممن كانوا يقيمون في مساكنهم في المناطق التي صارت تحت الأحتلال الأمريكي، وانضم اليهم اخرون ممن كانوا مشردين في مختلف المناطق وكانوا جميعهم بحاجة الى الطعام والمأوى، وبعد بضعة اشهر من نهاية الحرب وبينما كانت أمريكا تشرف على إدارة المذكورين، وتتحمل كل متطلبات معيشتهم أمر الجنرال أيزنهاور قائد قوات الحلفاء آنذاك بإعادتهم الى بلدانهم الأصلية واعادة توطينهم في مدنهم وقراهم وبيوتهم، وهنا جرت وساطات من قبل وايزمن والتجمعات الصهيونية في امريكا مع الرئيس ترومن الذي اصدر اوامره ببقائهم في منطقة الأحتلال الأمريكية في غرب المانيا واستمرار تأمين متطلباتهم الإدارية على اساس العمل على تهجيرهم الى فلسطين تدريجياً وهذا ما تم تنفيذه بمختلف الطرق بالأتفاق مع الجهات البريطانية المنتدبة على فلسطين بطرق رسمية او شبه رسمية او بطرق تهريب مختلفة، كان الرئيس ترومن منحازاً لليهود بشكل

ظاهر وصريح لإقامة كيانهم في فلسطين وكان كل من بيفن رئيس وزراء بريطانيا واتلي زعيم حزب العمال يعارضان بشدّة حفاظاً على مصالح بريطانيا في المنطقة من جهة وتحسباً لحلول نفوذ امريكا مكان بريطانيا في الشرقين الأدنى والأوسط وهذا ما تم فعلاً، وفيما بعد استغل اليهود هذه التناقضات بين امريكا وبريطانيا وانحازوا الى الجانب الأقوى واتفقت جميع تنظيماتهم في فلسطين تحت قيادة الهاجانا وشرعوا خلال اعوام ١٩٤٥ و ١٩٤٧ يجمعون الاسلحة بكل الطرق الممكنة، شراؤها من الجنود الأنجليز او مسؤولي المستودعات البريطانية او التي بأيدي الجنود اليهود الذين يعملون في الجيش البريطاني، او تهريبها بمختلف الطرق من جبهات شمال افريقيا، ومستودعات منطقة القتال، ومواقع الصحراء الغربية ثم شرعوا بمقاومة الوجود البريطاني في فلسطين، وفي الوقت نفسه يلحون على امريكا للعمل على إحلال الأمم المتحدة في فلسطين بدلاً عن الانتداب البريطاني.

كان الجيش الأردني يقوم بحراسة مستودعات الذخيرة البريطانية في فلسطين ومنها مستودعات وادي الصرار وبيت نبالا ودُمْره وكردانه وعاقر وصرفند. ولقد عملت في اغلب هذه المعسكرات كقائد سرية، وبدأت مسؤولاً عن ميناء حيفا ثم قائداً لمعسكر صرفند بين اعوام ١٩٤٤ و١٩٤٧ وكانت السيارات العسكرية البريطانية تنقل الذخائر الى خارج المعسكرات التي كنا نحرسها وبطبيعة الحال هم لم يعيدوها الى بريطانيا. او يخرجوها من فلسطين ولا شك انها كانت تذهب لأيدي اليهود بطرق ملتوية، قليل منها كانت تسلّم للجيش الأردني رسمياً ولكنه كان يجري التصرف بها وتذهب الى أيد غير أمينة، اكداس كبيرة جداً من الذخيرة يجري تحميلها ونقلها دون احصاء اوسجلات وقيود وهكذا.

الأخوة الذين تواجدوا في تلك المعسكرات يعرفون ما اعنيه بهذه الملاحظة.

وقد شرعت العصابات اليهودية تعتدي على مراكز القوات البريطانيةاو المقيمين في فلسطين قديما وحديثا في مختلف الأعمال والمستويات، وكان هؤلاء عوناً لهذه العصابات التي هم غالباً ينتمون اليها او يتحمسون لمساعدتها لضرب مختلف الأهداف، كان الجنرال باركر قائداً للقوات البريطانية في فلسطين، قد قال يوماً أنه لا يخفى على اليهود اي شيء من عملياتنا وخططنا السرّية فهم يعرفونها بعد يوم او بعد بضع ساعات من اتخاذ القرار بأي عمل.

انتهاء الإنتداب البريطاني والشروع بإخلاء فلسطين والأوضاع العامة آنذاك

قررت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين يوم ١٥/٥/١٩٤٨ وبدأت قواتها تقلص وجودها وتتراجع تدريجياً من مختلف المناطق تاركة مواقعها دون بديل بقصد التجمع في ميناء حيفا وخروج آخر جندي لها من فلسطين بذلك اليوم تاركة أمن البلاد للقضاء والقدر، والصراع قائم بين العرب واليهود، والفوضى عارمة وليست هناك سلطة بديلة لحفظ النظام، وفي هذه المرحلة كانت الاستعدادات قائمة بين الجانبين العربي واليهودي لاستغلال هذا الوضع والأهداف متباينة. كان اليهود يجمعون الأسلحة التي تصلهم بمختلف الطرق وعلى الأخص من امريكا بواسطة تنظيماتهم هناك ومن تشيكوسلوفاكيا بمساعي يهود الكتلة الشرقية، ويستعدون للاستيلاء على المواقع التي تحكمها القوات البريطانية والأماكن التي تتواجد فيها ولكنها لا تمنع اليهود من الدخول اليها والاقامة فيها والاستيلاء عليها على أساس أنها مخصصة لهم وكانوا يسلمون مواقعهم لليهود قبل إخلائها على هذا الأساس وقبل ان تدخل القوات العربية الى فلسطين، وذلك بقصد وقوف اليهود على حدودهم المقررة في مشروع التقسيم والتي كانت بريطانيا قد أقامت جميع قواعدها، ومعسكراتها في هذا القسم بحسب تخطيط سابق ولم تكن لهم قاعدة واحدة في الأقسام المخصصة للعرب عدا مراكز حفظ الأمن ، ومخافر الشرطة.

كان البرنامج الذي يسير عليه اليهود هو الأستيلاء على المناطق المخصصة لهم او التي يمكن الحصول عليها خارج حدود التقسيم حتى يوم ١٤/٥ وبعدها يعلنون عن اقامة دولتهم وتعترف بها الدول التي قررت التقسيم ضمن حدودها المقررة، وتتدخل القوى العربية النظامية لتقف على الحدود المخصصة للعرب.

هكذا كان الاتفاق الضمني غير المعلن بين جميع الأطراف.

أما الدول العربية فكانت اهدافها متناقضة ولها طموحات ومقاصد مختلفة، الأردن لها طموحات قديمة تسعى اليها على مراحل وهي توحيد سوريا الطبيعية بدولة واحدة اولا، ثم السير نحو اهداف الثورة العربية الكبرى.

سوريا تتمسك بالحفاظ على وضعها القائم مع ضم اراضي الجليل وشمال فلسطين المخصصه للعرب اليهم.

مصر والسعودية ولبنان يؤيدون موقف سوريا ويحسبون حساب توسع سوريا الكبرى والعراق في المشرق العربي مستقبلاً.

وشتان بين الموقفين ، العربي على أساس ما ذكر، واليهودي على اساس اقامة دولة اسرائيل التي تستند الى قرار التقسيم وتلقى التأييد المطلق من امريكا وروسيا وجميع الدول الأوروبية ومعظم دول هيئة الأمم المتحدة.

والعرب لا يؤيدهم إلا القليل النادر من بلدان آسيا، وافريقيا التي لا وزن لها قياسياً للآخرين. أما ما قام به الطرفان العربي واليهودي في هذه المرحلة فهو كما يلي:

اليهود ألفوا جيشاً من ثلاثين الف مقاتل اغلبهم من القطعات اليهوية النظامية التي اشترك افرادها مع القوات الأوروبية، والأمريكية في الحرب العالمية الثانية وهم على قدم المساواة مع افراد تلك الجيوش ضباطاً وافراداً وكانت نواتهم هي مجموعة اللواء الذي شكلّ في بريطانيا، ثم اُلحق بقيادة الجيش الثامن البريطاني في ايطاليا كما سبق ذكره، ثم قوات الهاجانا التي وحّدت جميع العصابات اليهودية الأخرى معها، ثم انضم الجميع للجيش النظامي.

وبدأت الأسلحة تصل تباعاً الى اليهود قبل الجلاء البريطاني عن فلسطين وتزامن وقت وصولها مع إخلاء القوات البريطانية التدريجي عن قواعدها، حيث انه بعد اخلاء المطارات الجنوبية ،والموانئ بدأت الأسلحة تصل من اوروبا على الطائرات والسفن ويجري اخفاؤها في المستعمرات القريبة من هذه المواقع، في حين ان متطوعين عسكريين من يهود تلك البلدان بدأوا ينفصلون عن جيوش بلدانهم ويصلون الى فلسطين تباعاً، كما ان كميات كبيرة من الأسلحة البرية والجوية كانت مشتراة ومكدسة في تلك البلدان بانتظار موعد انتهاء الأنتداب البريطاني وكان توقيت بدء وصولها الى فلسطين هو بعد اسبوع من انتهاء الجلاء ، وفي الواقع فأن الفرصة الحيوية الرئيسية لوصول هذه الأسلحة هو بداية الهدنة الأولى للحرب اذا

كان من الممكن ان نسميها حرباً: وفي الحقيقة فأن القوات العربية الرمزية لم تدخل الى فلسطين بقصد الحرب وانما لحفظ الأمن والاستقرار وتنفيذ قرار التقسيم الذي لم يتم الاتفاق عليه بين الدول العربية كما سبق ذكره.

ومما يذكر أنه عند اجتماع الجامعة العربية في عمان قبل اسبوع من دخول القوات العربية الى فلسطين انني عُينت مرافقاً للأمين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا، وكانت الأحاديث تدور بشكل عادي داخل الأجتماعات وخارجها والأحاديث تدور بين الأعضاء ،ولا تبقي شيئاً مكتوماً. وحينما تجمعت الوحدات الأردنية في غوار الشونة الجنوبية يوم ١٤/٥/٤٨ جاء جلالة الملك عبد الله لوداعنا ومعه عبد الرحمن عزام وبعض اعضاء الوزارة فتذكرت احاديث اعضاء الجامعة المشار اليها وقلت للزميلين كل من الرئيس محمود الروسان والرئيس معن ابو نوار اننا ذاهبون للتقسيم وليس للحرب كما هو الظاهر وانني استخلصت من احاديث بعض اعضاء الجامعة أن الدول العربية المعنية بإدخال جيوشها الى فلسطين قد عرفت طموحات الأردن ونواياها للمستقبل، وان هنالك مباحثات واتفاقات لوفاء بريطانيا بعهودها للهاشميين حول توحيد سوريا الكبرى، وضم الأقسام العربية من فلسطين اليها، ولهذاكان إسناد القيادة العامة للجيوش العربية لجلالة الملك عبد الله ينطوي على الإحراج له وللحيلولة دون تمكينه من تطبيق هذا البرنامج، وكانت هناك صعوبة امام جلالته حيث يصعب عليه رفض هذه القيادة التي مظهرها الحرب وعلى أساس إن الحلول المطروحة، والمتفق على تنفيذها حلول سلمية لا تتعدى حفظ الأمن والحماية لسكان المناطق العربية التي حددها مشروع التقسيم، كما يصعب قبول هذه القيادة لأنها ليست عملية ،وليس هناك استعداد لخوض حرب ناجحة، كما ان اليهود كانوا متشككين بالحل السلمي ويعتقدون ان توحيد البلاد السورية مستقبلاً، والقسم العربي من فلسطين في دولة واحدة هو ضد مصلحتهم، واهدافهم على المدى البعيد عندما يتقوقعون في هذا الجزء الصغير من ساحل فلسطين في وسط هذا المحيط العظيم من الأمة العربية.

ودخلت الجيوش العربية الى فلسطين دون أن تكون جاهزة لحرب فعلية، ولم تكن القيادة العامة التي تشكلت ارتجالاً قبل بضعة ايام قيادة فعلية، لها ضباط أركان

وكامل المراتب ولها خطة عمل موحدة او تعرف حتى اعداد القوات التابعة لها اسمياً وانواع وكميات اسلحتها بل كانت قيادة اسمية بدون جهاز يشمل ضباط عمليات وإدارة وفروع القيادات المعروفة.

وقد بالغت وسائل الأعلام العربية بإعداد قواتها وأسلحتها ، وحتى اهدافها وخططها التي من المفروض ان تكون كلها اسراراً لا تذاع او تكتب في الصحف او تعلن في الخطب الحماسية التي كانت تهدد وتتوعد، وقد استغلّ اليهود هذه التصرفات ووجهوها، بوسائلهم الخاصة في المحافل الدولية ووسائل إعلامها لإظهار الأخطار التي تحيط بهم وليحصلوا على المساعدات للوقاية والحماية من الأخطار التي تحيط بهم وتهددهم بالفناء، وكان الوضع العام في البلاد العربية ، المعنية بالقضية كما يلي.

استعمار بريطاني في فلسطين وانتداب لا فرق بينه وبين الأستعمار إلا التسمية في مصر والعراق والأردن والسعودية وعُمان والأمارات المتحدة وقطر والبحرين والكويت والسودان.

واستعمار او احتلال فرنسي في الجزائر وتونس وسوريا ولبنان واحتلال واستيطان في عدن واستعمار ايطالي في ليبيا وفرنسي اسباني منّسق في المغرب.

اما في فلسطين فقد لعبت دولة الانتداب بريطانيا دوراً متميزاً فيها حيث غذّت مفهوم الأنقسامات العشائرية والعائلية والحزبية فيها وتشعبت الخلافات على رئاسة البلديات والمجالس القروية بين الأحزاب وفروعها، وبقيت هذه الخلافات قائمة طيلة مدة الأنتداب ولم تزل آثارها تنعكس على المجتمعات الفلسطينية في كثير من الحالات.

ولما كان قرار التقسيم العتيد يعطي اليهود مناطق اغلبها على ساحل البحر ومناطق اخرى، فقد قامت سلطة الأنتداب بإعمار هذه المناطق بشكل متميز وإقامة المواصلات وبناء المدارس وجميع المرافق الحيوية والموانئ والمطارات، بينما اهملت المناطق المخصصة للعرب كل الأهمال، وسكان مناطق نابلس ورام الله والخليل، وكل الأقسام الشرقية التي في الجانب العربي يعرفون هذه التفصيلات.

واخيراً أنهى الأنجليز انتدابهم، وغادروا البلاد، وتركوها نهباً للفوضى ولم يعملوا على تسليمها لسلطات اخرى من الأمم المتحدة التي فوضتهم إدارتها.

وجاءت الجيوش العربية بهدف ملء الفراغ والمحافظة على الأمن والنظام الى حين تدخل الأمم المتحدة وتطبيق مقرراتها حول التقسيم، ودخلت قطعات من هذه الجيوش بوضع ارتجالي، ومحدود كما سيأتي بيانه وليست لها قيادة فعلية موحدة او ان لها اهدافاً معينة وابين تالياً موجزاً عن اوضاعها.

الجيش العربي الأردني

كان هذا الجيش يتألف من كتائب اسلحتها من بريطانيا وذخيرتها محددة وضباطها حتى مستوى قادة الكتائب والوحدات الفنية من الأنجليز، الواجبات التي اسندت لهذه القوة عند دخولها الى فلسطين يوم١٥ / ٥ بحسب خطة الجامعة العربية هي حفظ الأمن والنظام في المنطقة العربية الى حين تدخل الأمم المتحدة وتطبيق التسوية كما يقولون عنها الآن العادلة والشاملة، وقد اعطي للجيوش الأخرى كل في القاطع الذي خصص له ، ولم يكن الهدف العام احتلال فلسطين بكاملها وفرض الحل الذي يريده العرب كما كان يقال، بل كان القصد من دخولها هو ملء الفراغ الذي تركته بريطانيا وعدم وجود سلطة منظمة في فلسطين الا التنظيمات اليهودية التي كانت مهيأة لملء الفراغ في منطقتها. ودخلت القوة الأردنية بأسم الفرقة الأولى ولا يتجاوز عددها اربعة الاف وخمسمائة فرد من جميع الرتب والمهن الادارية، وحينما جرى تطبيق الهدنة الثانية كان عدد غير قليل من هذه القوة بين قتيل وجريح وبطبيعة الحال كان تعويض الخسائر مستمراً.

وبالرغم من صغر حجم هذه القوة فانها كانت موضع تقدير واعتزاز لما اظهرته من ارادة القتال وارتفاع الروح المعنوية والنخوة العربية والشجاعة الفائقة. وورد في متن المذكرات توزيع هذه القوة المحدودة ولم اهتم بذكر العمليات الفردية او شرح تفصيلات المناوشات والصدامات واسماء من قاموا بها إلا نادراً. واعتقد انه بامكان هذه القوة احتلال مدينة القدس بمدة قصيرة جداً لو انها أُعطيت هذا الواجب

مستقبلاً، ولكن الواجب الذي اسند اليها هو حماية القرى الواقعة شرقي خط السكة الحديد بين باقة الغربية شمالاً ومدينتي اللد والرملة جنوباً، وحفظ الأمن فيها، وكان شمالي باقة من مسؤولية الجيش العراقي، ومناطق الجليل والناصرة وصفد من مسؤولية الجيش السوري عدا منطقة الخليل المحاذية لقاطع القدس كانت ضمن مسؤولية الأردن. لم تقم القوات السورية بواجبها كما سيأتي، ذكره،ولم تصل القوات العراقية في يوم ١٥/٥ ولم تتمكن من دخول فلسطين الا يوم ١٩/٥ كما سيأتي ولم يكن عددها مناسباً لتغطية الواجب المسند اليها، او الوصول الى المواقع المخصصة لها، ولذلك جرى تسليمها جزءاً من القاطع الأردني الواقع بين قريتي باقة الغربية وكفر قاسم لتتفرغ القوة الأردنية لإشغال قاطعي القدس والخليل.

لم يكن اليهود في موقف يمكنهم من الأقتراب من منطقة الخليل، او اجتياز خط السكة الحديد التي سبق ذكرها شرقاً او ايصال قواتهم الى منطقة القدس عبر باب الواد، المر الوحيد، نظراً لوجود قوة اردنية تحول دون تمكنهم من ذلك، واما في مدينة القدس فقد كان موقعهم دفاعياً ولم يكن بإمكانهم حمايتها لو كانت القوة الأردنية متفرغه لها ولكنه لم يمكن ادخال قوة الى القدس اكثر من قوة كتيبة واحدة في آن واحد لأن كلاً من الكتائب الثلاث الأخرى كانت تقوم بواجبات متفرقة سبق ذكرها.

وعندما عجزت مجموعة من الكتيبة العراقية وهي القوة الوحيدة التي قدمت من العراق عن اجتياز جسر المجامع والتوجه الى منطقة العفولة على مشارف حيفا كما كان مقرراً استدارت جنوباً الى جسر راميا ووصلت الى نابلس، وتسلمت المنطقة من لوائنا وكانت قيادتنا في مستنبت عسكر شرقي نابلس يوم ١٩/٥ وتحركنا الى منطقة القدس ووضعنا قيادتنا شرقي قرية شعفاط ودخلت الكتيبة الثالثة من لوائنا الى القدس لتبدل الكتيبة الثانية من اللواء الثاني في منطقة الشيخ جراح التي تحركت الى منطقة اللطرون في باب الواد لتعزز الكتيبة الأخرى من نفس اللواء التي سبقتها لتلك المنطقة بهدف منع وصول الامدادات اليهودية الى القدس.

القوات الأردنية قليلة العدد وموزعه على عدة مواقع متباعدة وعلى مستوى فئات وحضائر بقصد المراقبة والمحافظة على الأمن ومحدودة الذخيرة وهي لم تتمكن

من التنسيق مع القوات العربية المتباعدة عن بعضها، والتي لم تكن بوضع قتالي ايضاً، والكل ينتظر إجراءات الأمم المتحدة لتطبيق الحل السلمي، وكان موقف الأمم المتحدة غامضاً وليس لها اي وجود وليست هناك اية اشارة او معلومات عن تدخلها عملياً:

كانت جميع الظروف، والأوضاع العربية في البلدان المحيطة بفلسطين وبداخلها مهيأة لصالح اليهود ولم يجدوا امامهم إلا الفوضى وإخلاء المدن والقرى من سكانها دون اي نوع من مقاومة او حتى ثبات السكان في قراهم ومساكنهم وخصوصا ان القطعات الرمزية العربية لم تتجاوز حدود التقسيم المقترح، ولم يكن واجبها او بإمكانها حماية القرى والمدن في القسم الآخر المعترف ضمناً أنه في القسم اليهودي ولذلك توسع اليهود ببساطة وبلا ادنى مقاومة في كل المناطق المخصصة لهم والتي خارج حدودهم ايضا الخالية من اية مقاومة وحتى من معظم سكانها الذين هربوا منها ولم يكن امامهم الا تهويشات عربية اذاعية وصحفية، وتهديدات فارغة واستولوا على اماكن خارج حدود التقسيم بلا مقاومة غير مصدقين كل ما حصل وتشرّد سكان هذه القرى والمواقع الى الأجزاء الشرقية من فلسطين او الى البلدان العربية باسم لاجئين، وهذا ما هيأته دولة الانتداب من تسليح وتنظيم اليهود، وتحريم اي نوع من التسليح والاستعداد عند العرب كما هو معروف للجميع.

الجيش المصري

دخل الجيش المصري الى فلسطين بقوة لواء يقوده العميد سيد طه الذي لقّبوه بالضبع الأسود، هكذا كانوا يسمونه ليرهبوا اليهود بهذا اللقب وبقيت قوة مماثلة على حدود مصر- فلسطين كقوة احتياطية تسرّب قسم منها الى داخل فلسطين وتمركزوا في منطقة الخليل وضواحي القدس، ومعهم بعض المتطوعين من الأخوان المسلمين بقيادة المقدم احمد عبد العزيز« تقابلنا في القدس مراراً وقد قتله خطأ احد الخفراء المصريين في معسكرهم قرب الخليل ليلاً» وكان معه الرئيسان حسن التهامي وكمال الدين حسين وضباط وجنود آخرون تطوعوا للعمل الفدائي من الجيش المصري.

كان من ضباط لواء العميد سيد طه كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وبعض زملائهم الذين سموا فيما بعد بجماعة الضباط الأحرار وهم نواة الثورة المصرية التي استولت على الحكم في مصر يوم ١٩٥٢/٧/٢٣.

كان سلاح الجيش المصري وعتاده محدوداً وقديماً، والعتاد مخزون في مستودعاته منذ ايام الحرب العالمية الثانية، لم يستبدل او يصان ففسد معظمه، وكانت هنالك نقاط ضعف خطيرة في الجيش المصري اطلعت عليها عندما عملت ممثلاً للأردن في القيادة العربية المشتركة، ومنها إن نظام خدمة العلم في مصر كان قائماً، وان كل من يدفع مبلغ خمسين جنيهاً يعفى من التجنيد الإلزامي وعلى هذا لم يكن في القطعات المصرية إلا اولئك الجنود العاجزون عن دفع الخمسين جنيها، وهذا يفرز طبقات فقيرة مغلوبة على امرها، وهي غالباً لا تدري كيف، ولماذا تقاتل وهي تعمل على نظام السخرة الذي كان يستعمله الأتراك ، وقد بدلّ عبدالناصر هذا النظام بعد الثورة، والغى نظام بدل المثل وصار التجنيد يشمل جميع المواطنين.

جاءت القطعات المصرية عبر سيناء مارة بالعريس ورفح وغزة والمجدل ودير اسنيد وحتى الفالوجة وكلها واقعة على ساحل البحر تاركة المستعمرات اليهودية على يمينها وفي العمق شرقاً والى الجنوب، وفي موقع الفالوجة جرى تطويقها، وبقيت محاصرة مدة اربعة اشهر بعد الهدنة الثانية الى ان اشتركت مصر مع اسرائيل بمفاوضات جزيرة رودس تحت اشراف الأمم المتحدة، وسمح لهذه القوة بالخروج عن الطوق والعودة الى مصر واعتبرت هذه العودة نصرا احتفلت به مصر رسمياً وجرى توزيع مكافآت وقطع اراضٍ زراعية على القادة المنتصرين؟

بقيت هذه المأساة عالقة في نفس عبد الناصر وصحبه الى أن قاموا بحركتهم الثورية عام ١٩٥٢. هذه المعلومات أكدها لنا السيد عبد الحكيم عامر اثناء جلسات القيادة العسكرية المشتركة وليست بناءً على الإشاعات والأحاديث العابرة .

الجيش العراقي

وصلت مجموعة كتيبة عراقية الى منطقة المفرق في شمال الأردن مؤلفة من الف ومائتي جندي ومعها عناصر مدفعية وهندسة وتموين وخدمات اخرى لا يصل عددها الكلي الى الفي فرد، ومعها ٢١ مدرعة من نوع ديملر، وعسكرت في موقع الغدير الأبيض غربي معسكرنا في المفرق، وقد زرتها هناك ومعي وفد من ضباط قياده لوائنا للترحيب بهم، وذلك قبل حركتنا الى فلسطين. ثم تحركت هذه القوة الى منطقة جسر المجامع في غور الأردن لتعبر الى فلسطين يوم ١٥/٥/١٩٤٨ بطريقها الى منطقة بيسان فالعفولة ثم الى منطقة الناصرة، وفي صباح يوم ١٥/٥/١٩٤٨ حاولت عبور الجسر ولكن اليهود كانوا قد سبقوها اليه وفجروا فيه عبوات ناسفة فتحت فيه فجوة كبيرة حالت دون مرور الآليات فوقه، ثم قاموا بتغطيته بنيران أسلحة خفيفة، من مستعمرة جيشر الواقعة غربي الجسر مباشرة ومسيطرة عليه، وبعد محاولات ومناوشات لمدة اربعة أيام تحولت هذه الكتيبة من جسر المجامع الى جسر داميا جنوباً، ووصلت الى نابلس وتسلمت موقع لوائنا في مستنبت عسكر شرقي نابلس وكان يقودها مقدم اسمه الأول عبد الرزاق، وتحركنا بلوائنا الى منطقة القدس يوم ١٩/٥/١٩٤٨.

ذكرت بعض التفصيلات عن دور الجيش العراقي في منطقة نابلس وحتى عودته الى العراق حيث إنني جئت بعد الهدنة الثانية من منطقة القدس، واقمت في القيادة الأمامية العراقية في موقع نور شمس شرقي طولكرم، وتسلمت قيادة الجبهة منهم وكانت التعزيزات العراقية قد ازدادت بعد الهدنتين الأولى والثانية حيث إن مجموع القوات العراقية في المنطقة وصل الى ٢٨ الفاً يشكلون فرقتين ومجموعتي الوية كما سبق ذكره.

الجيش السوري

كانت سوريا حديثة عهد بالاستقلال بعد جلاء الفرنسيين عنها عام ١٩٤٥ وقد انشأت جيشاً قوامه نحو ثلاثة الاف فرد. دخلت قواتهم الى ارض فلسطين من

مرتفعات الجولان وموقع الحمّة وقاموا بمناوشات مع اليهود جنوب وشرقي بحيرة طبريا واحتلوا مستعمرتين يهوديتين في المنطقة بعد أن هرب سكانهما الى منطقة طبريا عندما شعروا بالخطر، وقام السوريون بإطلاق نيران مدافعهم من منطقة كفر حارب في الجولان على بعض المستعمرات قبل وبعد الهدنة ولكن قطعاتهم لم تتجاوز هذه المنطقة غرباً، ولم يدخل اي جندي منها المناطق الفلسطينية غربي بحيرة طبريا وبقي وضعهم كذلك الى أن احتل اليهود مرتفعات الجولان بأكملها واجتازوا القنيطرة شرقاً حتى بلدة سعسع في حرب عام ١٩٦٧.

ملاحظات عامة

هذه لمحة عن احجام الجيوش العربية التي دخلت الى فلسطين يوم ١٥/٥/١٩٤٨ وموجز عن اوضاعها والمواقع التي تواجدت فيها، ومن يرى هذه الصورة يتضح له انه لم يكن بينها ارتباط ولا تنسيق أو لقاء وأن العملية ليست عملية قتال او مواجهة ولكنها عملية إثبات وجود بقصد حفظ الأمن انتظاراً لحلول دولية سياسية ولم يكن هنالك تآمر وسوء نية كما اشيع وأن التآمر كان جارياً، ومنسقاً بين اليهود وبريطانيا، وكانت هناك مخططات وترتيبات سابقة منذ بداية الانتداب ولكن المخطط كان ابتداءً اصغر حجما مما حصل من جهة حجم الوطن القومي اليهودي ولكن العرب لم يغتنموا الفرص ويتفقوا على حل يتناسب مع الأوضاع العامة للطرفين، بالأضافة الى التخلف في جميع المجالات الذي لم نزل نعاني منه ليس في فلسطين وحدها ولكن في كثير من المواقع والبلدان العربية بالرغم من التقدم العلمي الذي لا يقارن مع مستوياتنا في تلك المرحلة. وكانت جميع البلدان العربية تعاني من الأستعمار الغربي والارتباطات والمعاهدات التي جاءت بعد اربعمائة سنة من الحكم التركي الذي لم يكن بأحسن حالٍ منا.

وقد انتهت هذه الأوضاع الى غير رجعة واصبحت البلدان العربية مستقلة سياسياً واقتصادياً وثقافياً وصار علاج اوضاعها الحقيقي الواقعي هو تعاونها في هذه المجالات التي لا تتوفر في بلدان العالم إلا نادراً من حيث عدد السكان وتوفر

الأيدي العاملة والموارد الطبيعية وفي مقدمتها البترول والأراضي الشاسعة والمعتقدات واللغة الواحدة، والتعاون بشرياً وصناعياً واقتصادياً لا يضر ايا منها، ولا داعي لتخزين بلايين العملات في البلاد الأجنبية والسعي للتوسع في الحكم على حساب الأخوة الجيران، والقياس على بلدان اوروبا على سبيل المثال التي تتعاون في جميع المجالات والتي لم تكن حروبها المتعاقبة إلا طمعاً في موارد بلادنا وبلاد امثالنا في اسيا وافريقيا لاستغلال مواردهم الطبيعية.

أما عن مرحلة الأستعمار السياسي والعسكري التي من المفروض انها انتهت، فقد سبق ان استغلت البلدان المستعمرة في ذلك الحين التخلف والخلاف على السلطة وامتلاكها والعمل على الأحتفاظ بها جيلاً بعد جيل، واستعمرت جميع البلدان التي وجدت فيها مصالح اقتصادية لمرحلة من الزمن اوجبت الظروف العالمية انتهاءها وبدأوا يحاولون ايجاد صيغ جديدة واعتقدوا أن وجود اسرائيل، وتقويتها يخدم مصالحها بطريقة واخرى. ولا يخفى على أحد أن بلدان اوروبا كانت ولا تزال مصدراً لمختلف انواع الصناعات العسكرية والفنية والأدارية وغيرها، وان معظم مواطني العرب يفضلون صناعاتهم على غيرها ويستوردون معظم احتياجاتهم منها ويتفاخرون بحيازتها، وقد وجدت هذه البلدان فرصاً ومناسبات للحفاظ على هذا الوضع، وتعاملوا مع اسرائيل فأوجدوها من العدم، وصاربرنامجها توسعياً ليست له حدود، وبمساعدة الجهات الأوروبية المعروفة واعوانها وهذا يضع العرب في موقع الأستعداد الدائم للحرب وشراء مختلف انواع الأسلحة مهما تطورت من نفس هذه البلدان الأوروبية لمنع الخطر الأسرائيلي وتوسعه، وكلما تجمعت الأسلحة بأيدي العرب يختلقون حرباً مع اسرائيل ويساعدون بمختلف الطرق على أن يخسرها العرب ويعودون لشراء الأسلحة التي تتطور مع الزمن وهذا يؤمن لتلك البلدان الأوروبية موارد هائلة ودائمة وهذه حروب ٤٨ و٥٦ و٦٧ و١٩٧٣ اكبر شاهد على ذلك ومن جهة اخرى فأن وجود اسرائيل أقام خلافات بين الشعوب العربية ومن يستعرض الخلافات بين شعوب هذه الأمة في المشرق، والمغرب العربي التي لا يراد لها ان تنتهي، وكلما انتهت مشكلة، بدأت الأخرى سياسيا واقتصاديا وحزبياً وبدون تفصيلات والذي يفكر بهذه الخلافات يعرف ان مصادرها الأساسية ليست عربية ولا هي من مصلحة العرب.

خطر ببالي موضوع محاضرة القاها المارشال مونتغومري من جملة محاضراته لنا طلاب كلية الأركان في بريطانيا حيث قال، ان هنالك فجوة بين الصين وروسيا وعلى الغرب ان يعمل على توسيعها حتى اذا اشتبكنا بحرب نساعد احداهما على الأخرى الى ان تضعفا معاً ثم نتخلص منهما فيمابعد، وأما اذا لم نتمكن من القيام بهذا الدور فأنه لا مانع لدينا من توسيع روسيا في اعماق آسيا وحتى افريقيا وعندها تنتشر قواتهم وتتوسع مسؤولياتهم لإدامة وإعاشة بلدان شاسعة وفقيرة وسوف يكون نظامهم العقائدي مكروهاً، وعندها لا بد أن نموّل ونسلّح عدة بلدان لتثور عليهم وتقاتلهم، ويمكن ان نقوم بهذا الدور مدة طويلة دون ان نشتبك معهم بحرب مواجهة وبهذه الحالة نحن لا نخسر شيئاً بل نكون قد سوّقنا مصنوعاتنا الحربية.

ربما أن ما يجري في افغانستان حالياً عند كتابة هذه المذكرات عام ١٩٨٨ يعطي صورة حقيقية عن سياسة بريطانيا الخارجية بمثل هذا الموقف وانه ينطبق على ما يجري بين العراق وايران ويخدم مصلحة الغرب ومصلحة إسرائيل التي تتلاقى مع الغرب في هذه المنطقة، وربما ان ما يجري في لبنان وسكوت الغرب عليه متمثلين بالأمم المتحدة التي هي اداتهم العملية يخدم الطرفين ايضاً.

وان ما جرى مع العراق وايران بترتيب الولايات المتحدة والتسرع وعدم تقدير المواقف هو خدمة لأمريكا لتضع قواعدها في الخليج وجاء خدمة لاسرائيل وعدم تفوق العراق عليها مستقبلاً.

ان هذه الأوضاع تنطبق ايضا على المشاكل القائمة بين البلدان العربية والعلاقات السيئة وعدم الثقة التي تنعكس نتائجها على المواطن العربي.

ومن هذا المنطلق قامت الانقلابات العربية التي نتج عن معظمها عدم الاستقرار وبث التفرقة وزرع الضغائن التي جعلت السلطات العربية منصرفة الى أوضاعها الداخلية وحفظ الأمن وغير متفرغة للتعاون او تبادل الثقة والأطمئنان والتعاون.

وتظهر الأمور الواقعية أن الأتصالات العربية الروتينية والمناداة بالصداقة والتعاون بطرقها واساليبها الحالية لا يمكن أن تصل الى نتيجة ما لم تتم استعادة الثقة الحقيقية التي يمكن ان تتم اذا طرأت اوضاع تجعل لزوم التعاون موضوع بقاء او فناء.

والظروف العالمية لا تبقى على حالها، واذا استعرضنا التاريخ نجد أن ممالك وامبراطوريات زالت وقوات عظمى نشأت ولا شك انها ايضا بطريقها للزوال، والأمة العربية بحر زاخر بالسكان واراضيها بحجم قارة ولا يمكن ان تبقى على حالتها الحاضرة من الأنقسام.

ان شعوب الأمة العربية اذا قورنت بالكثير من شعوب البلدان الأخرى وبالأخص الشعوب الأمريكية ثم الأسيوية والأفريقية ومعظم الشعوب الأوروبية فأنها لا تقل عنهم بل تتفوق على معظمهم بمراحل من حيث السلوك، والعادات والتقاليد والثقافة، ولا يجوز ان نضع اللوم في الوصول الى اوضاعنا العامة الحالية على انفسنا فقط وعلى انواع انظمتنا وانعدام الديموقراطية او سوء تطبيقها إذا وُجدت ولكن هنالك أسباب اخرى نعرفها جيداً ونذكرها في مجتمعاتنا، واحاديثنا اليومية وحلولها في ايدي سلطاتنا المحلية وليست في أيد اجنبية. اما الحملات السياسية والعسكرية والأقتصادية التي تشنها علينا بلدان معينة فهي حفاظاً على مصالحها وليست بسبب كراهيتها للشعب العربي.

ولو فكرنا في اسباب الخلافات القائمة بين الشرق والغرب لوجدنا انها صراع على بترول المنطقة وعلى اسواقها الاستهلاكية لمصنوعاتهم وعلى الممرات البرية والبحرية الى مناطق الشرق الأقصى، ولهذه الأسباب مجتمعة صار تقسيم المشرق والمغرب العربي الى اثنتين وعشرين دولة وتكريس التفرقة بينها وإقامة حدود غير طبيعية وغير منطقية بينها والعمل على تكريسها سياسياً وشعبياً حتى اصبحت إمكانية التعاون السياسي والعسكري والأقتصادي بينها بعيدة المنال وحتى أن الكراهية الشعبية والفردية قائمة بين معظم البلدان. أذكر أنني حينما كنت ملحقاً عسكرياً في بريطانيا عام ١٩٥٣ قام الدكتور محمد مصدق بعملية انقلاب في ايران وخرج الملك محمد رضا بهلوي وأقام في ايطاليا أنه جاء تعميم من وزارة الخارجية يحدد جالونا واحداً يومياً من البنزين لكل سيارة في السفارات الأجنبية وجرى قطع البترول عن جميع السيارات الخاصة، واقتصرت وسائل النقل على الباصات والقطارات وجرى إغلاق جميع المعامل التي تصنع الكماليات وقد استمر هذا الوضع شهراً كاملاً الى أن عملت المخابرات الأمريكية على قيام الجنرال الايراني محمد

زاهدي بانقلاب معاكس ضد مصدق وفي اليوم التالي عاد صرف البترول الى وضعه السابق وعاد الشاه الى ايران. هذه الاجراءات كانت بسبب بترول ايران الذي بدل مصدق خطوط تصديره، دون المساس في بترول العراق والسعودية والخليج: هذا الوضع ينطبق على جميع بلدان اوروبا التي تفتقر للبترول، مما جعل هذه البلدان تنسق بينها التعاون باقامة حلف الأطلسي الذي اشتركت امريكا معهم فيه عسكرياً واقتصادياً بواسطة مجلس الوحدة الاقتصادية الأوروبية، وكان القصد من التحالف العسكري هو عدم تمكين الكتلة الشرقية من السيطرة على مناطق البترول او عزل اوروبا عن امريكا ، واما التعاون الأقتصادي فكان هدفه استغلال القارتين آسيا وافريقيا باستيراد خاماتهما وتسويق صناعتهم لأسواقهما.

تهجير يهود اوروبا الى فلسطين بعد الحرب

لهذه الأسباب مجتمعة تعاونت البلدان الأوروبية على تهجير مواطنيها اليهود الى فلسطين وكان من الطبيعي أن لا يكونوا مهاجرين بعد انتصار بلدانهم على المانيا وأن يعودوا الى مساكنهم في البلدان التي ولدوا فيها هم وآباؤهم واجدادهم وينتمون اليها أصلاً وعرقاً، ولماذا يهاجرون الى فلسطين؟ وقد شرعت بلدان اوروبا بتقديم المساعدات العسكرية الى اليهود قبل وبعد إعلان دولتهم اسرائيل.

وكانت تشيكوسلوفاكيا الممول الرئيسي بالأسلحة قبل منازعات عام ١٩٤٨ وفي اثنائها ومابعدها وذكرت سابقاً مفردات الأسلحة التي ارسلتها مع بيان اعداد المتطوعين، وقد لعبت فرنسا دوراً لا بأس به حيث فتحت مطاراتها لأستقبال الطائرات التي تنقل الأسلحة الى اسرائيل وقدمت اليها كميات كبيرة من الأسلحة وبلا ثمن على احدى السفن الأمريكية يوم ١٩٤٨/٥/٢٩ مع خمسمائة متطوع من يهود فرنسا وخمسة آلاف بندقية واربعمائة وخمسين مدفع رشاش وعدة ملايين من طلقات العتاد وقد وصلت هذه الأسلحة قبل اعلان الهدنة الأولى، اما في أثناء الهدنة فقد وصلت كميات كبيرة من الأسلحة من امريكا تكفي لتجهيز ٦٠ ستين الف جندي تجهيزاً كاملاً لكل متطلبات القتال واصبح لدى اسرائيل جيش يضاهي جيوش

المنطقة مجتمعة، اما من ناحية اقامة الدولة اليهودية وتوليها السلطة فقد جرى انتخاب هيئة من ٣٧ عضواً يوم ١/٣/١٩٤٨ تمثل جميع الكتل والتنظيمات ممن مارسوا العمل السياسي والإداري لتدارس مجريات الأمور وتتفق على إقامة وزارة فعلية من بينهم تدبر شؤون البلاد وتعلن قيام دولة اسرائيل عند انتهاء الأنتداب.

١٤/ ٥/ ١٩٤٨

تشكلت هذه الدولة من ١٣ عضواً هم الوزارة الرسمية التي اعلنت نفسها واعلنت قيام دولة اسرائيل اعتباراً من نفس اليوم وشرعت بوضع الأنظمة والقوانين وميزانية الدولة وتشكيل المحاكم وطباعة الأوراق المالية والبريدية وتنظيم دوائر الدولة على اساس مقررات الأمم المتحدة التي نصّت على تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وان لكل منهما الحق بتشكيل دولة مستقلة تتمتع بالسيادة الكاملة على اراضيها وسن قوانينها وممارسة حقوقها.

مارست هذه الحكومة حقوقها وسلطاتها من ١٤/٥ الى ١٠/٣/١٩٤٩ حيث جرت انتخابات شعبية كاملة وانتخاب حكومة جديدة على أساس ديموقراطي وبحسب اكثرية اصوات الناخبين وحلت محل تلك الحكومة المؤقتة، واقيم البرلمان بصورة ديموقراطية وانبثقت الحكومة من هذا البرلمان بطريقة التصويت وسمي هذا البرلمان الكنيست.

قام الكنيست بوضع مسودة دستور البلاد الذي دام تحضيره ودراسته عدة أشهر قبل إقراره وقد اعترض بن غوريون بصفته رئيساً للحزب الصهيوني الذي هو أساس اقامةد ولة اسرائيل واعترض على إقرار هذا الدستور قائلاً، إن إميركا درست دستورها بعد تهيئته وتمحيصه مدة احدى عشرة سنة، وبريطانيا امضت عدة اجيال قبل ان تضع دستوراً دائماً وما دامت اسرائيل في حالة حرب فأن تطورات المستقبل غير واضحة، ولا بد من دراسة اطول، وبعد دراسة البرلمان لهذا الأقتراح اقرّ تأجيل التصويت على الدستور ووضع قوانين مؤقتة تقوم مقامه إلى إشعار آخر وصدر هذا القرار عام ١٩٥٠.

ماذا تم بعد الهدنة ؟

عندما اقيمت الهدنة مع الدول العربية المجاورة، وتحددت خطوطها مع اسرائيل كان قد تبقى من المواطنين العرب ضمن المنطقة التابعة لاسرائيل ١٥٦ الف مواطن عربي بين مائة مدينة وقرية ومنتجع في مناطق عكا وحيفا ويافا والجليل والقدس والرملة وغيرها منهم ٦٠ بالمائة في منطقة الجليل و ٢٠ بالمائة في القرى المتاخمة لخطوط الهدنة مع الأردن و٢٠ بالمائة في منطقتي حيفا والنقب.

هؤلاء المواطنون صاروا مشمولين بالقوانين والأنظمة ولهم حق الأنتخاب والترشيح للبرلمان وممارسة الحقوق القانونية والأنضمام الى الأحزاب السياسية وإصدار الصحف اليومية وتدريس أبنائهم باللغة العربية وبما أن غالبيتهم من المسلمين فقد تقرر حقهم في ممارسة امورهم الشرعية والإشراف على اعمال الوقف وانما بقي ارتباطهم مع وزارة الأديان، ومنعوا من ممارسة الحقوق القومية ومن الأتصال بطبيعة الحال مع ذويهم الذين يقيمون على الجانب الآخر من خطوط الهدنة وعلى هذا الأساس فهم عملياً يحملون ولاءين احدهما لقوميتهم العربية والثاني لأسرائيل بصورة رسمية وبالرغم من كل القوانين والأنظمة التي توحّد بين جميع المواطنين فأن النظرة الحقيقية للعرب بقيت تعدهم مواطنين من الدرجة الثانية .

ومن اجل الحفاظ على الغالبية العظمى لليهود في ظروف المستقبل قرر بن غوريون وحكومته ان جميع يهود العالم اسرائيليون ويحق لهم التوطن في اسرائيل في اي وقت يشاؤون .

ومع هذا فقد تقرر حق الانتخاب في البرلمان للمقيمين فعلاً في اسرائيل، وفي عام ١٩٥٢ صدر قانون يحدد الحصول على الجنسية الاسرائيلية باحدى الطرق الاربع التالية :

١- الهجرة الى اسرائيل.

٢- الميلاد في اسرائيل.

٣- الإقامة الدائمة.

٤- المواطن الفلسطيني الذي يسمح له بالعودة والإقامة.

وقد قدم الى اسرائيل من يهود الخارج ٣٤٠ الفاً خلال الثمانية عشر شهراً التي اعقبت إعلان هذه الدولة، وقد كانت الهجرة الأعتيادية أيام الأنتداب بحدود ١٨ الف يهودي كل عام، وفي اثناء السنوات الثلاث الأولى التي اعقبت الأستقلال صار يصل الى اسرائيل مثل هذا العدد شهرياً على اساس سياسة الباب المفتوح لقبول اي يهودي يدخل بقصد الإقامة الدائمة في اسرائيل ويعتبر مواطناً عائداً الى وطنه.

وعلى هذا الأساس شُرع باقامة المستوطنات على طول الحدود وعلى أساس دفاعي وشُرع بتنظيم الدفاع المشترك على طول الحدود بواسطة من سبقت لهم الخدمة العسكرية في مواطنهم السابقة وتدريب جميع القادرين على حمل السلاح رجالاً ونساءً وتسليحهم للقيام بواجبات الدفاع أولاً ثم تنظيم استغلال الأراضي الزراعية وإقامة المعامل الصناعية وتشغيلها.

وفي اثناء السنوات الأربع الأولى هاجر الى اسرائيل مائة الف يهودي من بولندا ومائة وعشرون الفاً من رومانيا، وخلال السنوات الأربع التي تلتها هاجر ٤٨ الفاً آخرون من بلدان اوروبا الغربية والشرقية، وبطبيعة الحال فأن جميع هؤلاء حافظوا على النظام ومستوي المعيشه الذي اتيح لهم وتعودوا عليه وشعروا بالاستقرار وازداد تعلقهم بوطنهم الجديد وبالإمكانيات التي اتيحت لهم دون جهد وعناء.

كان مجموع اليهود الذين يعيشون مواطنين في البلاد العربية والأسلامية حتى عام ٩٣٩ مليوناً وسبعمائة الف وكان هؤلاء يشكلون ١١ بالمائة من يهود العالم آنذاك البالغ ١٥ مليوناً.

وقد بدأ هؤلاء يهاجرون الى فلسطين تدريجياً اثناء الأنتداب البريطاني وزادت هذه الهجرات بعدحوادث عام ١٩٤٨ حيث اضطروا بعدها للهجرة على نطاق اوسع بعد احداث عام ١٩٤٨ بسبب اوضاع سهلت ذلك. يهود اليمن جرى نهب بيوتهم في بعض الحالات ثم لجأوا الى قبيلة حاشد لحمايتهم وتم ذلك حيث جرى تأمين وصولهم الى عدن وجرى تسفيرهم الى فلسطين بواسطة السلطات البريطانية التي كانت تحكم عدن. وآخرون سافروا بحراً من ميناء الحديدة.

اما يهود العراق الذين كان عددهم ١٢١ الفاً عام ١٩٤٨ فلم يتمكنوا من الوصول الى فلسطين في تلك المرحلة لأن كل الطرق بينهم وبينها كانت مغلقة عبر سوريا والأردن وقد سافر بعضهم من البصرة بحراً عبر الخليج الى البحر الأحمر وفي عام ١٩٥٠ جرى اتفاق مع الحكومة العراقية لنقلهم جواً من بغداد الى قبرص في عملية سميت عملية علي بابا ولا أدري لماذا الى قبرص وليس الى فلسطين مباشرة ولا اعتقد ان اية طائرة نزلت في قبرص ولكن هكذا كان الأتفاق كما قال احد الطيارين لنا كما سيأتي.

وقد جرى نقل ١١٣ الفاً بهذه العملية ، وبهذه المناسبة أذكر ما يلي:

ربما ان العراق لم يوافق نظرياً على خط بغداد- فلسطين وكانت الطائرات القائمة بالعملية بريطانية فكتبوا قبرص مجازاً.

في عام ١٩٥٠ كان لواؤنا يقوم بمناورة في منطقة اتس فور قرب الحدود العراقية وكان قائد اللواء الزعيم البريطاني سام كوك وكانت قيادتنا في موقع شرقي المطار وقد هبطت طائرة انجليزية هناك هبوطاً اضطرارياً وذهب كوك يستطلع سبب هبوطها وقد ذهبت معه ووجدناها ملأى بالركاب اليهود العراقيين وعرفنا من طاقمها البريطانيين ان عطلاً طرأ على محركاتها وهبطت اضطرارياً وانها ذاهبة الى قبرص، عدنا الى قيادتنا واتصل كوك مع كلوب باشا بعمان واخبره بالحادث فقال له اتركوها بمكانها ولا يقترب منها احد وبلغوا الطيارين بلزوم بقاء الركاب بداخلها، وبعد نحو ساعتين وصلت طائرة اخرى نقلت الركاب وكان على متنها فنيون قاموا باصلاح الطائرة الأولى واقلعت عائدة الى بغداد.

وبعد نقل يهود العراق الى فلسطين بهذه الطريقة بقي منهم بضعة آلاف غادروا العراق بمختلف الطرق.

وقد هاجر معظم اليهود الى فلسطين من البلدان الأسلامية والعربية تباعاً وقد هاجر من مصر ٥٥ الفاً ايام عبد الناصر ومن يهود تركيا البالغ عددهم ٨٢ الفاً هاجر ٣٣ الفاً الى فلسطين ومن ٨٠ الفاً في ايران واذربيجان هاجر ٣٩ الفاً وبقيت الهجرات مستمرة لما تبقى من اليهود بحسب ظروف كل بلد وطرق معيشة اليهود

فيها ومفاضلتهم بين البقاء في بلدانهم والهجرة الى فلسطين، واصبح هذا ينطبق على جميع اليهود في العالم .عندما كنت سفيراً في اليمن ذهب بعضهم بزيارة الى فلسطين وقالوا انهم قابلوا بمحض المصادفة يهوداً يمنيين يعرفونهم شخصيا وقالوا ان احدهم صار يبكي متألماً ونادماً على مغادرته اليمن ويتمنى لو أنه يتمكن من العودة اليها.

اما المواطنون الفلسطينيون فقد نزح قسم كبير منهم من اماكن إقامتهم اما ابتعاداً عن اخطار الحرب عام ١٩٤٨ او انهم أرغموا على مغادرتها، وآخرون خرجوا الى البلدان العربية المجاورة.

كان عدد الذين ذهبوا الى لبنان يقدر بمائة الف والى سوريا ٨٠ الفاً ونحو ١٠ آلاف الى العراق و١٥٠ الفاً من اواسطها الى غزة ونحو ٣٠٠ الف من السواحل والأقسام الغربية الى المناطق الشرقية التي ضُمت فيما بعد الى الأردن بأسم الضفة الغربية كمرحلة اولى ثم تسربوا الى شرق الأردن واندمجوا في سكانها وتبعتهم اعداد اخرى في مراحل لاحقة.

وفيما بين عامي ٤٩و١٩٥٣ جرى توطين ٣٥٠ الفاً من المهاجرين اليهود في اماكن هؤلاء العرب وكان اكثرهم قد جرى إسكانهم في بيوت اولئك الذين خرجوا او اخرجوا من مدن حيفا ويافا واللد والرملة والقرى التابعة لها.

جرى توقيع اتفاقيات الهدنة بين البلدان العربية المجاورة لفلسطين وبين اليهود في مطلع عام ١٩٤٩ وتم الأتفاق على تأشير خطوط الهدنة ولم يراع اثناء وضع هذه الخطوط على الخرائط في رودس واقع المواطنين الحيوي بالنسبة لأراضيهم التي يعتاشون منها والمواقع الحيوية كالمدارس والمباني وموارد المياه وغيرها حيث أن خطوط الهدنة تفصل هذه الأماكن الحيوية عن القرى وذلك بناءً على تشدد اليهود ولأنهم كانوا في موقف المنتصر.

ومع أن العرب لم يدخلوا فلسطين بقصد الحرب والأحتلال كما سبق ذكره ولكن المظهر العام الخارجي والدعايات والخطب كانت توحي بانها حرب تحرير ثم تبعتها هدنة مثل الحروب العادية.

وعلى أساس هذا الواقع جرى فرض الهدنة على العرب وهم في موقف المهزومين ظاهرياً امام العالم الخارجي وجرى وضع خطوط الهدنة التي وقعها العرب على خرائط كل بحسب وضعه القائم واماكن تواجد قواته المسلّحة، وعلى أساس مواقع تواجد اليهود والأماكن التي يجدونها حيوية ولزوم تواجدها فيها: ولم تراع في هذه الأتفاقيات مصالح المواطنين الحيوية ولا المواقع العسكرية الغربية، وكان من المفروض مثلما هو جارٍ في كل هدنة بتاريخ الحروب عندما يتوقف القتال وتتم الهدنة ان يتوقف القتال وتبقى قوات الطرفين في اماكنها التي وصلت اليها.

الذي جرى عملياً هو بعكس ذلك، ولا اقول هذا بناء على سماع معلومات او قراءة مراجع بل انني كنت ممثل الأردن والجيش الأردني في تطبيق خطوط الهدنة على الأرض من حدود منطقة القدس الى نهر الأردن ومعي لجنة عسكرية بالأشتراك مع لجنة من الأمم المتحدة واخرى من اليهود على أساس المخططات والخرائط والأتفاقيات الموقعة من حكومات الطرفين. وخطوط الهدنة هذه اعتبرت مؤقتة من قبل الأمم المتحدة خاضعة للتفاوض بين الطرفين وادخال بعض التعديلات عليها مؤقتاً الى حين إقامة حدود نهائية يجري الأتفاق عليها بين كل دولة عربية على حدة وبين اليهود وفي هذه المرحلة طالب الأردن بإقامة الحدود الدائمة على اساس ما يلي:

اعطاء ممر من منطقة بئر السبع الى غزة بعرض ميلين ويكون القطاع جزءاً من الاردن وإعادة الأحياء العربية في القدس الجديدة الى الاردن مع الطريق المؤدية من باب الخليل الى بيت لحم والأحياء العربية على جانبها، وطريق آخر من جنين الى حيفا وميناء حر على البحر هناك، وإعادة قسم من اراضي النقب لبقاء الأتصال البري مع مصر. مقابل عرض الأردن على اليهود اعطاءهم ممراً الى موقع البوتاس على البحر الأحمر وممراً الى خليج العقبة.

وافق اليهود على إلحاق منطقة غزة للأردن مع الممر المؤدي اليها وترددوا بأن يقبلوا اتساعه بهذا الحجم كما وافقوا على الطلبات الأخرى عدا ان بن غوريون رفض بشده إعطاء قسم من النقب وبقاء الأتصال البري مع مصر لما فيه من الخطورة مستقبلاً على اسرائيل، وقد اتفق على بقاء خطوط توقيع مسودة اتفاقية بين الطرفين في مطلع عام ١٩٥٠ تنص على حرية المرور للأماكن المقدسة لجميع الأديان وإعطاء ممر الى غزة وآخر الى حيفا كما ورد اعلاه.

وصلت اخبار هذه الأتفاقية بطريقة ما الى البلدان العربية وقامت عاصفة من الإعتراض عليها حتى بين اعضاء الحكومة انفسهم وفي مخيمات اللاجئين ، واغلقت سوريا حدودها مع الأردن وجرى اجتماع خاص للجامعة العربية في القاهرة لبحث طلبات من مصر والسعودية لفصل الأردن من عضوية الجامعة، وعندها أعلن الأردن انه لن يتم اجراء اتفاقية مع اسرائيل إلا بموافقة الجامعة العربية وتوقف الموضوع عند هذا الحد.

ان الدول العربية التي اسهمت بدخول فلسطين عام ١٩٤٨ لم تخسر شيئاً من اراضيها كما أنها لم تكسب شيئاً، وكانت النتيجة ضم الضفة الغربية للأردن وكان مثل هذا الأجراء ممكناً وبدون كل الذي حصل وبحجم اكثر بكثير مما حصل وبدون الحرب الصورية التي حصلت والمشاكل التي وقعت لو انه كانت هنالك دراسة وافية للموضوع واتفاق عربي يتلاءم مع الواقع الدولي والعربي واليهودي مع التخطيط للمستقبل ووضع حد للتوسع الصهيوني الذي حصل والذي يخطط له.

التعاون العربي والقوى العددية والمادية والأراضي الشاسعة يمكن تنسيقها اسوة بمجموعات البلدان والدول التي تجمع قواتها العسكرية والأقتصادية وتتعاون بشكل نافع ومفيد لكل الأطراف دون ان يؤثر هذا التعاون على الأوضاع السياسية والداخلية لكل بلد ودون إقامة وحدات او اتحادات سياسية تؤثر على مصالح وسلطات القيادات السياسية، وها هو حلف الأطلسي وحلف وارشو وحلف جنوب شرقي آسيا والوحدة الاقتصادية الاوروبية وامثالها والتي يمكن القياس على اي منها.

بيان بعض علاقات اسرائيل للحصول على المساعدات الخارجية

من اجل أن تقف اسرائيل بوجه العرب بحسب واقعها البشري والجغرافي كان ولا يزال اهتمامها الدائم كسب الأصدقاء والتعاون معهم، ففي عام ١٩٤٨ صرّح بن غوريون قائلا إن لنا اصدقاء في الشرق والغرب لم نتمكن من الوقوف بوجه العرب بدون مساعدتهم في الأموال والأسلحة وتسهيل وصول الأعداد الكثيرة من اليهود

في الأوقات المناسبة الينا لبناء قوة اسرائيل بوقت قصير والذي اعطانا قوة تفوقت على القوات العربية التي دخلت الى فلسطين ، وقال في عام ١٩٤٩ إننا لا يمكن أن ننسى مساعدة روسيا لنا بإرسال كميات الأسلحة التي واجهنا بها العرب عن طريق تشيكوسلوفاكيا. كما قال بن غوريون إننا لن ننسى مساعدة بريطانيا أثناء الانتداب ومواقفها معنا ومع العرب في الأمور الداخلية وإشراكها العديد من رجالنا في الحرب العالمية الثانية وتسليحهم وتدريبهم ثم تسهيل وصولهم الى فلسطين وكذلك زيارة الجنرال السير بريان روبرتسون قائدهم العام في الشرق الأوسط عام ١٩٥١ حينما صرح في تل ابيب أنه بدوره لا ينسى المساعدات التي قدمها اليهود في فلسطين لبريطانيا اثناء الحرب الثانية وقيادته القوات البريطانية من صيانة القواعد الجوية والموانئ واصلاح الآليات في المشاغل اليهودية.

وقد عمل يهود الولايات المتحدة على الحصول على قرض لأسرائيل مقداره مائة مليون دولار وكان هذا من الأسباب التي جعلت اسرائيل تولي اهتمامها للارتباط مع الولايات المتحدة وتعطيها الأفضلية على بريطانيا.

وقامت حرب كوريا بذلك الحين واستغلت اسرائيل هذه الفرصة، واعلنت وقوفها الى جانب الولايات المتحدة ضد كوريا الشمالية التي تساندها روسيا، وكان هذا الموقف هو بداية تبديل موقف روسيا مع اسرائيل والتوقف عن مساندتها.

وفي عام ١٩٥٣ نشط يهود امريكا مع الحكومة الأمريكية لتشجيع بريطانيا لأستغلال موقفها في الشرق الأوسط وإقامة حلف اسلامي يشمل تركيا وايران وباكستان والعراق والأردن الذي سمي حلف بغداد، كما نشطت امريكا للحصول على قواعد جوية في المملكة السعودية وليبيا خلال عام ١٩٥٤ وتنسيق استغلال البترول في المنطقتين لتمويل هذا الحلف العسكري.

هذه الاجراءات اتخذت للوقوف بوجه الأتحاد السوفيتي، وهذا ما جعل جمال عبد الناصر يقف ضد هذه الأحلاف بالشكل الذي خبرناه وعشنا معه في تلك المرحلة وقد بدأ يتقرب من روسيا ويجري معها الاتفاقيات السياسية والعسكرية والاقتصادية مما جعلها تعزف عن تأييد اسرائيل وتتوقف عن مساعدتها، والرئيس

الليبي معمرّ القذافي بدأ السير على هذا المنهاج ولكن بنوع من التسرّع وعدم التروي، وعندها بدأ الصهيونيون يعملون بداخل روسيا ضد رجال الحكم واكتشف الروس عدة محاولات للقضاء على اعضاء الحزب الشيوعي وجرى إعدام احد عشر فرداً ممن قاموا بهذه المحاولات ثم عمل اطباؤهم على دس السم لبعض القادة مع العلاجات وتم القضاء عليهم وقيل ان ستالين نفسه كان واحداً منهم.

وقد وضعت احدى المنظمات الصهيونية في فلسطين حشوة متفجرة في القنصلية الروسية في رامات غان بقصد القضاء على مجموعة من الروس كانوا يعقدون اجتماعاً هناك، واكتشفت السلطات هذا اللغم قبل انفجاره ، وبعد اربعة أيام من هذا الحادث قطعت روسيا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، وفيما بين شهري مارس وديسمبر عام ١٩٥٤ طُرح موضوع فلسطين على الأمم المتحدة ٨ مرات وكان الروس يؤيدون حق العرب في فلسطين في كل مرة.

وفي خلال عامي ١٩٥٤و١٩٥٥ بدأت تحركات امريكا وبريطانيا في الشرق الأوسط تشجع على إقامة الأحلاف ضد روسيا وإشراك العرب فيها كما سبق ذكره، ونشطوا نشاطاً ملحوظاً لإقناع الروس بأن البلدان العربية تعمل ضدهم وأنها تقاوم الشيوعية من منطلقات عقائدية وقومية، ولم يدرك بعض العرب هذا التناقض. ثم أنهم من جهة ثانية اثاروا بعض الحكومات العربية المقاومة للشيوعية لمقاومة الأحزاب والأتجاهات والتنظيمات المؤيدة لروسيا وصارت هذه الحكومات تلاحق مواطنيها وخصوصاً الطلاب الذين اتيحت لهم فرص الدراسة في روسيا او البلدان المرتبطة معها وصار حتى التحدث عن روسيا يعد جريمة يعاقب عليها .

التحرك الناصري في المنطقة وحرب ١٩٥٦ واسبابها ونتائجها

عندما اتضح لعبد الناصر أن امريكا وبريطانيا وفرنسا يعملون على تسليح اسرائيل وتقويتها لتكون قاعدة امامية لهم في الشرق الأوسط بوجه روسيا ويعملون على إقامة الأحلاف في المنطقة.

وأن الهدف الرئيس لهم هو اقامة حاجز من الدول الأسلامية في المنطقة على اساس ان الأسلام يقاوم الشيوعية اللادينية وهذا يؤمن به سواد الشعب يقودهم اليه الوازع الديني دون النظر الى الأوضاع السياسية والعسكرية ودون ان يقدروا ان فلسطين هي قلب الأمة العربية وأن الاقصى المبارك والأماكن الدينية حوله التي يقدسها العالمان الأسلامي والمسيحي هي الهدف للصهيونية.

انطلق عبد الناصر لمقاومة هذه الاحلاف عندما اتضح له أن اهدافها ليست لمصلحة الأمة العربية، وكان الجانبان، دول الغرب الثلاثة المذكورة، واسرائيل يعمل كل منهما على تطبيق ما يعود على مصلحته الذاتية من هذه المخططات من خلال تسخير واستخدام الجهات الأخرى في المنطقة والتي هي الأخرى تعمل لتأمين مصالحها الذاتية دون الأهتمام بمصالح الآخرين، وعندما اوقفت امريكا القرض البالغ مائتي مليون دولار الذي كان البنك المركزي الدولي سيقرضه الى مصر للمساعدة في بناء السد العالي اوقفت ايضاً قرضاً كان مقرراً دفعه من الحكومة الأمريكية بمبلغ ٥٦ مليوناً للغاية نفسها وأوقفت بريطانيا بدورها قرضاً قيمته ١٤ مليون جنيه.

كان جواب عبد الناصر على هذه التصرفات تأميم قناة السويس ثم التحرك في منطقة الشرق العربي ومقاومة حلف بغداد ومؤيديه على اساس أن الجانب العسكري من اهداف الدول المشار اليها ومن ضمنها ضمان اهداف اسرائيل في المنطقة وفي مقدمتها تثبيت كيانهم في فلسطين.

وكذلك عمل على إقامة حلف عربي بديل في المنطقة بين مصر وسوريا والأردن والسعودية واليمن وإقامة القيادة العسكرية العربية المشتركة ومركزها القاهرة ويسعدني انني كنت ممثل الأردن في هذه القيادة وكنت بطبيعة الحال في موقع الأطلاع على اهدافها السياسية والعسكرية لمستقبل المنطقة وفي نهاية فبراير ١٩٥٦ وصل سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا الى القاهرة وتقابل مع عبد الناصر صباح يوم ١/٣/١٩٥٦ للبحث معه لبقاء منطقة الشرق الأوسط الى جانب الغرب وأنه لا غناء لهما عن بعضهما، وان بينهم مصالح مشتركة وهنالك اتفاقات ومعاهدات لم تزل قائمة بين بريطانيا وعدة دول في المنطقة وقد ذكر مثالاً على الارتباطات بصورة

عرضية قائلاً إن هنالك معاهدة دفاعية بين بريطانيا والأردن وأن الجنرال كلوب البريطاني لم يزل القائد العام للقوات الأردنية، وكانت المصادفة الغريبة المفاجئة أن قال له عبد الناصر ضاحكاً ، لقد تلقيت مكالمة هاتفية من جلالة الملك حسين قبل ساعة فقط من اجتماعنا هذا الصباح وقال لي فيها انه في صباح هذا اليوم استغنى عن خدمات كلوب وأمره بمغادرة البلاد وانه غادر على متن طائرة اردنية خاصة الى قبرص في طريقه الى بلاده .

فوجيء سلوين لويد بهذا الخبر وأسقط في يده نتيجة المقابلة بوجه عام وعاد الى بلاده حانقاً.

١٩٥٦/٣/١٤

وصل إلى القاهرة وزير خارجية فرنسا جورج بينو للبحث في التعاون بين البلدين وابلغه عبد الناصر ان مصر ستتوقف عن مساعدة ثورة الجزائر ضد فرنسا، وقد اتضح أنه بعد بضعة ايام من هذه المقابلة وصلت سفينة مصرية الى شواطئ تونس القريبة من الجزائر، وافرغت حمولها من الأسلحة المصرية من الصنع الروسي، وفي هذه المرحلة وقع عبد الناصر اتفاقاً مع روسيا لتصدير ما قيمته مائتي مليون جنيه من القطن المصري الى الاتحاد السوفيني لإمداد مصر باسلحة بهذه القيمة ، وتم ذلك، وفي شهر نيسان ١٩٥٦ وصل ديمتري شبيلوف وزير خارجية روسيا إلى القاهرة وقدم لمصر قرضاً بمبلغ ١٢٠ مليون جنيه بدون فوائد مع الموافقة على ارسال الخبراء الروس في بناء السدود للمساعدة في بناء السد العالي في أسوان.

وعندما أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس أمام الجموع الغفيرة في الاسكندرية يوم ٧/٢٠ أعلن ايضاً بناء السد العالي مع بيان الفوائد التي ستعود على الشعب المصري من زيادة مخزون هذا السد من المياه من جهة ومن تأميم القنال وتحويل ارباحه من ايدي المسهمين في فرنسا وبريطانيا وغيرهما الى مصر وكذلك زيادة مساحة الأراضي المروية بعد اتمامه السد.

ثارت ثائرة فرنسا وبريطانيا من هذا الاجراء وأعلنتا سحب رعاياهما من مصر وسحب الخبراء العاملين في شركة القنال والمرشدين فوراً والاستعداد لإسترداد القنال بالقوة، وبدأ كل من ايدن وجيموليه رئيسا وزراء البلدين يستعدان لهذا الإجراء،وعندما عرف أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة بهذه الاستعدادات ذهب الى لندن ووصلها يوم ٥٦/٨/١ ليمنع القيام بأي عمل عسكري منعاً باتاً مهما كانت الأسباب ، وبعد محادثات دامت إسبوعاً بينه وبين الحكومتين توصلوا الى قرار بأنه يحق لمصر تأميم القنال وادارة شركة تحت اشراف الأمم المتحدة وعاد أيزنهاور الى امريكا، وعندما جرى ابلاغ هذا القرار الى عبدالناصر رفضه.

الحقيقة ان قرار التأميم هذا كان في فكر عبد الناصر منذ تسلمه السلطة من محمد نجيب عام ٩٥٤ وقد بحثه في حينها مع مجلس قيادة الثورة، ولكنه جرى إرجاء الموضوع الى ما بعد الوصول الى اتفاق مع بريطانيا على اجلاء قواتها عن القنال لأن وجود هذه القوات يحول دون تنفيذ هذا الإجراء، وقد بقي يعمل ويستعد لتنفيذه ويهيئ الظروف للوصول إليه .

وبعد عودة آيزنهاور الى امريكا ورفض عبد الناصر لقرار لندن بدأت كل من بريطانيا وفرنسا تستعدان لغزو مصر، وفي ٨/٥ جرى اجتماع لضباط القيادتين للتنسيق واعداد خطة غزو مصر، وجرى تعيين قيادة مشتركة مركزها لندن ولها فروع في باريس ولندن ومالطا وقبرص ، وعينوا قائداً عاماً لهذه العملية هو الجنرال البريطاني شار لزكيشي ومساعده الجنرال الفرنسي الأدميرال بارجوت، وكان على بريطانيا إعداد قوة جوية من القاذفات والمقاتلات والمظليين وقوة مقاتلة من خمسين الف جندي، وعلى فرنسا إعداد قوة جوية مماثلة مع ثلاثين ألف جندي، وقد أُعدّت لنقل هذه القوات مائة سفينة بريطانية وثلاثون ناقلة فرنسية وسبع سفن من حاملات الطائرات والتي ستنقل ايضاً مع الطائرات عشرين الف سياره من مختلف الأنواع ولنقل الجنود والمعدات الى الشواطئ المصرية، وقد تقرر تحريك هذه القوة لتصل الى الاسكندرية يوم ٥٦/٩/٢٠ وتحتلها ثم تتقدم جنوباً لتحتل القاهرة.

وقد وجد الفرنسيون ان هذه العملية فوق طاقتهم وعادوا واعلموا بريطانيا انهم يمكن ان يشتركوا بها في منطقة الاسكندرية فقط في المرحلة الأولى، وفي المرحلة

الثانية تتقدم القوة البريطانية وحدها الى القاهرة وذلك لأن فرنسا متورطة في حرب الهند الصينية ولا تتمكن من الاشترك بعملية أخرى في آن واحد وعلى هذا المستوى ، وقد وصلت هذه المعلومات بطبيعة الحال الى جون فوستر دالاس فأرسل كتاباً الى ايدن بتاريخ ٢/ ٩ يحذره فيه من القيام بتلك العملية، واجابه ايدن على كتابه قائلاً، ان ناصر هو نسخة عن هتلر ولا بد من تحطيمه قبل ان يستفحل امره وأن سكوتنا عنه هو نهاية عظمة بريطانيا، فاجابه دالاس أنه يمكن إجراء عملية على نطاق محدود في المنطقة وان يكون هدفها محدوداً جداً ويكون القصد منها ارهاب مصر والتلويح لها باستعمال قوة اكبر وجعلها توافق على إدارة القنال من قبلها وتحت اشراف الامم المتحدة.

وجرت مناقشة موضوع القنال في الامم المتحدة ووقفت روسيا ضد علاقة الأمم المتحدة بها في موضوع ادارة القنال واكدت ان هذا من حق مصر الطبيعي، وعادت بريطانيا وفرنسا بعد مناقشات الامم المتحدة وعدم الوصول الى نتيجة وقررتا العدول عن عملية الاسكندرية والقاهرة واتفقتا على اجراء عملية مختصرة بناءً على اقتراح دالاس وان تقتصر على قذف بورسعيد بالقنابل من قبل القوات الجوية والبحرية وتتبع ذلك عملية انزال بحري وقوات المظليين لاحتلال المدينة التي هي مدخل قناة السويس.

كان عبد الناصر قد سبق وأعلن يوم ١٩/ ٦/ ٥٦ في اجتماع شعبي قائلا إن علينا ان نجهز قواتنا المسلحة لاستعادة حق الشعب الفلسطيني بقوة السلاح والحق لا يسترد الا بالقوة، وهذه كلمة عبد الناصر المأثورة التي يكررها العارفون والمتتبعون لمجرى الأمور وستبقى نبراساً للحل النهائي على مدى الأيام.

١٩٥٦/٧/٥

أعلن اللواء عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة المصرية ان الساعة قد اقتربت لمواجهتنا مع الصهيونية وحلفائها ، وفي المرحلة نفسها اعلن شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا قائلاً، يجب حشد كل الجهود العربية للقضاء على هذا الكيان الصهيوني الغريب الذي اقيم بيننا.

وفي يوم ١٩٥٦/٧/٢٦

قال الملك حسين لعبد الناصر، نحن ننظر الى المستقبل لنرى العلم العربي يرفرف عالياً فوق روابي فلسطين في ارضنا المسلوبة.

وبدأ الاستعداد واليقظة تتحركان في منطقة الشرق العربي وانظار الشعوب تتعلق بعبد الناصر وتدعو للسير على منهاجه وصارت تنظيمات الفدائيين تتحرك بين الأردن وسوريا ومصر ولبنان مخترقين فلسطين من كل أطرافها متخذة قواعد سرية تتحرك منها للداخل وتقوم باعمال القتل والتخريب في الأراضي المحتلة.

في هذه المرحلة اتجهت انظار زعماء الصهيونية الى حلفائهم في الغرب احتساباً لهذا التعاون العربي الجديد، وفي شهر اغسطس ٥٦ وبينما كان شمعون بيرس في فرنسا يبحث مواضيع استيراد امدادات من الدولة الفرنسية طلبه بارجوس مونري مساعد قائد عملية الغزو المشار اليها ووجه سؤالاً قال فيه: هل لو نشبت حرب بيننا وبين مصر تشترك اسرائيل معنا فأجابه قائلاً: نعم تشترك، ولم يبحثا اية تفصيلات، وبعد عشرة ايام قابله مرة ثانية وقال له ان هنالك عملية حربية مشتركة بين فرنسا وبريطانيا لغزو عبد الناصر فاذا كانت اسرائيل ستشترك وترسل قواتها الى سيناء والى قناة السويس فأن الطيران المشترك سيقذف بورسعيد بالقنابل وبعدها تهبط قوات المظليين على جانبي القنال وتحتله، وستبدأ هذه العملية يوم ٢٠ اكتوبر وبهذه الحالة فإن مصر سوف لا تكون لها امكانية لمواجهتكم.

وبعد هذه المقابلة ابرق بيرنز الى بن غوريون برقيتين تضمنتا هذا الموقف والعرض المطروح على اسرائيل لكنه لم يتلق جواباً، وعاد الى فلسطين وبحث الموضوع هو وموسى ديان مع بن غوريون ولم يتلقيا جواباً شافيا منه، وأعاد بورجيس مونري بحث الموضوع مع الملحق العسكري الاسرائيلي في باريس المقدم نيشيري في منتصف شهر سبتمبر وكان قد عاد الى فرنسا مرة ثانية، وبهذه الاثناء وصلته برقية من بن غوريون يقول فيها بلغهم ان موعد العملية يناسبنا، وعندها قابل بيريز بيرجس وبلغه ذلك وفي حينها وصل الى باريس كل من موسى ديان وجولدا مايير واشتركا مع بيريز بعرض طلبات اسرائيل من الاسلحة للاشتراك بهذه

العملية علاوة على الاسلحة التي كانت فرنسا قد خصصتها سلفاً من طائرات وغيرها، حيث طلبوا مائة دبابة وثلاثمائة سيارة شاحنة و٥٠ ناقلة للدبابات و٣٠٠ سيارة نصف ترك والف مدفع رشاش ثقيل وسرباً من طائرات النقل وكمية من الأسلحة الخفيفة ، وقد تمت الموافقه عليها كلها وبوشر بشحنها الى اسرائيل فوراً وبطبيعة الحال كلها بلا ثمن .

وفي ٢ اكتوبر بلغ ديان قادة وحداته عن موعد بدء العملية المشتركة قائلاً ، ان هدفنا هو سحق الجيش المصري المتواجد في سيناء وتدمير الفدائيين في قواعدهم في منطقة غزة وفتح مضايق نيران.

وبدأ الاستعداد للغزو في سرية تامة وهدوء وكان قد بقي على موعد بدء العملية ١٨ يوماً، وحينما اعلمت فرنسا رئيس وزراء بريطانيا ايدن بالاتفاق الذي تم بينها وبين اسرائيل في ٢٠/٩ امتعض من هذا الاجراء وقال لهم ان هذا يؤثر تأثيراً خطيراً على علاقات بريطانيا في جميع المناطق العربية بسبب اشتراك اسرائيل بهذه العملية وخصوصاً ان هنالك معاهدة للدفاع المشترك بين بريطانيا والاردن وان اسرائيل قامت قبل بضعة أيام بهجمات عسكرية محلية على مخافر الشرطة الاردنية المتاخمة لخط الهدنة وهي مخافر غرندل والرهوة وخسان واخيراً مخفر قلقيلية ، وهذا الاخير هاجموه بقوات كبيرة تساندها الدبابات والطائرات وقالوا إن قصدهم تمشيط المنطقة من الفدائيين ، ولكن الاهداف التي هوجمت كانت عبارة عن مخافر للشرطة يحوي كل منها ثلة من افراد الأمن وليست مواقع فدائيين .

ومع هذا فقد ايدت بريطانيا اجراء العملية في بورسعيد وسيناء على المستوى الذي ورد ذكره، وتعقد موقف بريطانيا حيث بدا لها انها ستتورط لأن الاردن سيكون شريكاً فيها، وكيف سيكون الموقف اذا طلب الاردن التدخل للدفاع عنه، ولكن ورغماً عن كل هذه التعقيدات اشتركت بريطانيا بالعملية وسارت الامور كما يلي:

كانت فرقة من الجيش العراقي تستعد لدخول الاردن على اساس اتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين.

وكانت المعاهدة الاردنية البريطانية ملزمة بريطانيا بالتدخل باية حرب ضد الاردن بعد ان جرى تعديل هذه المعاهدة وصارت تشمل الضفة الغربية التي جرى الحاقها دستورياً بالاردن .

كنت اقود مجموعة اللواء الهاشمي في منطقة نابلس وحينما بدأت حرب ١٩٥٦ بنزول القوات البريطانية والفرنسية في بورسعيد وزحف اليهود في الاراضي المصرية عبر سيناء وعلى اساس الدفاع المشترك الذي تم الاتفاق عليه بين مجموعة الدول العربية وجرى توقيعه يوم ٢٠/ ١٠/ ١٩٥٦ تلقيت امراً من قيادة الفرقة بقطع اسرائيل بين قلقيليا والبحر والمسافة بينهما احد عشر كيلو متراً ووصلت الى المنطقة مجموعة لواء سوري في اليوم نفسه بقيادة العقيد سهيل عشّي يساعده المقدم احمد عبد الكريم للاشتراك معنا بهذه العملية وعلى أن يلتحق بنا اللواء الثالث من منطقة رام الله ليسهم في مرحلة ثانية من الهجوم وعلى اساس ان تبدأ العملية ليلة ٢٣و٢٤/ ١٠/ ١٩٥٦.

ويلاحظ القارئ ان توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية مصر والاردن وسوريا والسعودية واليمن جرى يوم ٢٠/ ١٠ وان الهجوم الثلاثي بدأ يوم ٢١ منه على بورسعيد ومجموعة اللواء السوري وصلت يوم ٢٢، اعني ان الوقت قصير جداً للتنسيق والتخطيط والتعاون .

كانت اهداف المعتدين الثلاثة النزول في بورسعيد والاسماعيلية والسيطرة على القنال واحباط عملية التأميم وايقاف مشروع السد العالي بالتعاون مع روسيا والذي سيمول من واردات القنال، ووقف التنسيق مع الدول العربية الذي يهدف الى تعاونها سياسيا واقتصادياً واقامة قيادة عسكرية واحدة والوصول الى نوع من الاتحاد .

كان الاعتقاد عند تقدم اسرائيل عبر سيناء انها تقوم بالعملية وحدها مستهدفة القوات المصرية في سيناء وان عملية شطر المنطقة بين قلقيليا والبحر سيعزل قواتهم عزلاً تاماً عن جسم اسرائيل ويشل حركتها، ولكننا تلقينا امراً آخر بوقف العملية قبل بدئها باربع ساعات، وكان هنالك جدل بيننا وبين قيادة الفرقة التي بدورها كانت قد

تلقت هذا الامر من رئاسة الاركان فهم انه معطوف على برقية وردت من الفريق عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية قائد القوات العربية المشتركة.

وحينما عينت ممثلاً للاردن في القيادة العربية المشتركة سألت الفريق عامر عن اسباب اعطاء الامر بوقف عملية الاختراق في مراحلها الاخيرة قال: عند بدء العدوان جرى اجتماع عاجل لقياداتنا السياسية والعسكرية واستعرضنا المعلومات التي لدينا مع اعادة البحث وتقدير الموقف وتوصلنا الى نتائج اتخذنا القرار النهائي على اساسها وهي كما يلي:

فرنسا كانت ناقمة على مصر بسبب تعاونها مع ثورة الجزائر ضدها ثم بسبب خسارتها المادية وهي نصيب الاسد في اسهم القنال وكان هدفها إلغاء التأميم بالقوة طالما انهم لم يتوصلوا الى هذا الهدف سياسياً، وبريطانيا حاقدة بسبب إجلاء قواتها كاملة عن القنال بعد اتفاقنا معهم على ابقاء قوات رمزية وحتى بملابس مدنية وتوقيع اتفاقية معهم بذلك والتي يقصدون منها صيانة قواعدهم والاحتفاظ بها، وذلك لأن اوضاعاً داخلية اوجبت علينا اخراجهم جميعاً خلافاً للاتفاقية وانهينا كل وجود ونفوذ بريطاني في بلدنا.

اسرائيل كانت مخلب القط في هذه العملية وسنحت لها فرصة الحصول على كميات كبيرة من الأسلحة والمساعدات المادية وتقدمت عبر سيناء بتظاهرة عسكرية تمثيلية وهي تعرف انها سوف لا تجد في سيناء مقاومة تذكر عدا قطعات امنية منتشرة هنا وهناك وهي تعرف ذلك ، ولذلك قررنا التعامل بهذا الموقف سياسياً ودولياً على اساس ان الكتلتين الشرقية والغربية ليستا على استعداد للمواجهة العسكرية في المنطقة في الوقت الحاضر وان العملية الجارية في المنطقة ليست لمصلحة اي منهما اعني بهما روسيا وامريكا.

كما ان الجبهة الشرقية في طور البناء ولم يمض على اقامتها إلا يومان ونحن في طور البناء والاستعداد ولسنا جاهزين لخوض معركة على هذا المستوى لأنها لاتتلاءم مع أهدافنا التي بدأنا في الاستعداد والعمل للوصول اليها، ولذلك اوقفنا العملية في جبهتكم في هذه المرحلة ، وها نحن احبطنا وصول المعتدين لأي من

اهدافهم وعادت الامور الى وضعها السابق واستأنفنا السير على طريق التعاون وتوحيد الجهود، وان قيام القيادة العسكرية المشتركة هذه التي انتم اعضاؤها دليل حي على ذلك، ولو انكم اجريتم عملية الاختراق لصارت لها مضاعفات وتدخلات عسكرية في منطقتكم على مستوى الدول المتآمرة، لم يكن بامكاننا التعامل معها.

وقد تسابقت الدول الكبرى على وقف العدوان وانهائه ووصلت الى التهديد بالقوة عملياً الذي ليس لمصلحتها وعملا كلاهما على ايقافه فوراً وتم ذلك وانسحبت الدول المعتدية بقواتها تجر اذيال الخيبة.

وبطبيعة الحال فانه لا يسمح بالتعاون العربي بسهولة واننا كلما حاولنا فتح هذا الباب نتعرض لمشاكل مدروسة ومهيأة لأغلاقه في الوقت المناسب والتجارب كثيرة في هذا المضمار ولا بد ان نصل الى مستوى الوعي والمصارحة والتعاون بصدق وأمانة واخلاص ، هذا ما قاله الفريق عبد الحكيم عامر في هذه المناسبة .

واعود الى مواصلة الحديث عن دور اسرائيل في العدوان الثلاثي هذا كما سيأتي:

وصل بن غوريون وموسى ديان وشمعون بيرنز الى باريس على طائرة فرنسية خاصة يوم ٢٢/٩/٥٦ واجتمعوا مع رئيس وزراء فرنسا ومجموعته وعرض بن غوريون الاخطار التي يمكن ان تتعرض لها اسرائيل ومنها المدن والقرى الاسرائيلية التي ستتعرض لقصف الطيران المصري وانه ليست لديهم القوة لصدها، وعندها استعد الفرنسيون للقيام بهذا الواجب وارسلوا سربين من الطائرات المقاتلة للقيام بهذا الواجب بحيث سحبوها من قيادة حلف الاطلسي، كما ارسلوا قافلة بحرية تحمل كميات هائلة من الاسلحة والذخيرة اضافة الى كميات تم شحنها الى اسرائيل من قبرص.

وفي الساعة ٣٠ر٣ صباح ٢١ اكتوبر عبرت قوات اسرائيل ولم تكن قوات مصرية الا قطعات رمزية في غزة واطرافها .

وتدخلت قوات بريطانيا وفرنسا في منطقة القنال بغارات جوية وقذف مدفعي من القوات البحرية على بورسعيد وامتدت جنوباً الى الاسماعيلية بدعوى حماية

القنال كممر بحري دولي من تأثير الحرب القائمة على جانبيه بين مصر واسرائيل وطلبنا من الطرفين المتحاربين ان تبتعد قوات كل منهما مسافة عشرة اميال عن القنال، اسرائيل من الشرق ومصر من الغرب ، اذا اريد تسمية هذا الموقف لبريطانيا وفرنسا فلا بدّ انْ يسمى منتهى الوقاحة والسخف لمحاولتهما الظهور بمظهر حماية القنال في حرب لا علاقة لهم بها.

وعندما اتضح الموقف لأيزنهاور وخطورته على الوضع الدولي ابلغ اسرائيل اولا ان وجودها وبقاءها يتوقف على مساعدة امريكا وتأييدها وليس على بريطانيا او فرنسا، وانه في حالة تدخل روسيا في هذه الحرب فإن الولايات المتحدة الامريكية لن تقف الى جانبها ولن تخوض حرباً عالمية من اجلها.

وطلب من الاطراف الثلاثة المعتدية فرنسا وبريطانيا واسرائيل وقف القتال فوراً وعودة جميع قواتهم الى قواعدها، ثم طرح الموضوع على الامم المتحدة يوم ٢/ ١١/ ٥٦ فأقرت الأنسحاب الكامل لجميع القوات المشتركة بالمعركة وعودتها الى مواقعها التي جاءت منها واخلاء الأراضي المصرية من جميع هذه القوات فوراً وكانت اصوات الأعضاء الذين اقروا هذا القرار ٦٤ صوتاً مقابل ٤ اصوات ضده.

وجرى الانسحاب الكامل لجميع القوى المعتدية وعادت من حيث اتت تجر اذيال الخيبة.

قامت تعقيدات في وجه الملاحة البحرية في القنال بعد الانسحاب بسبب اغلاق مجرى القنال من الغارات الجوية المعادية ، ثم اغراق مصر عمداً بعض الناقلات والشاحنات القديمة وغيرها لأشعار البلدان المتحاربة وذات المصالح الحيوية بالخسائر المادية التي اوجبتها الحرب، واستغرق تطهير القنال وتعميقه واصلاحه للمرور قتالاً لا بأس به . وفي هذه المرحلة اصر عبدالناصر على حل قضية فلسطين حلاً عادلاً وبدأ بخطوات عملية على طريق الوصول لهذا الحل باحياء القيادة العربية المشتركة عملياً مبتدئاً باشراك الاردن وسوريا والسعودية واليمن مع مصر ، ومتطلعاً الى شمول منطقة الشرق العربي ذات الصلة والعلاقة بقضية فلسطين بقيادة عسكرية واحدة تشكلت في القاهرة ووضعت قيادتها في متحف الصحراء

بمصر الجديدة بقيادة المشير عبد الحكيم عامر وكنت اول ممثل للا واستمرت طيلة أيام عبد الناصر وانتهت بنهاية عهده .

مرحلة ما قبل حرب عام ١٩٧٣ والتآمرات التي ادت الى نتائجها

بعد إزالة اثار حرب عدوان ١٩٥٦ بدأ جمال عبد الناصر يستعد تدريجياً للوصول الى الحل الذي يزيل العار الذي لحق بالأمة العربية نتيجة لذلك العدوان والتآمر من قبل الدولتين الاستعماريتين وتعاون اسرائيل معهما والتي اقيمت اصلاً بتخطيطهما ومساعدتهما ابتداء من اتفاقية سايكس بيكو الى تقسيم البلدان العربية الى مناطق نفوذ وانتداب واستعمار بقصد عدم امكان تعاونها تمهيداً لإقامة دولة اسرائيل على ارض عربية اصيلة وعريقة عبر الزمان للقضاء على بوادر نهضة عربية حديثة تفتحت بأواخر العهد العثماني لإعادة البناء والتقدم مع ركب الحضارة الحديثة كحق من حقوقها الطبيعية .

وعلى هذا الاساس قال عبد الناصر في اجتماع لهيئة الامم عُقد في سبتمبر عام ١٩٦٠ ان حل قضية فلسطين يتوقف على إعادة الوضع الطبيعي الذي كان قائماً قبل العدوان الاسرائيلي عليها، وانهاء هذا الكيان الذي قام زوراً وبهتاناً من قبل الصهيونية على ارض شعب اصيل وعريق ومسالم هو الشعب العربي الفلسطيني، وقد اعاد مثل هذا الحديث في عام ١٩٦٤ قائلاً : اننا نعاهد الله القدير اننا لن نهدأ ولن نستريح قبل أن نعيد فلسطين عربية ، بلداً عربياً خالصاً لأهلها ولا مكان للأمبريالية وعملائها بيننا في الوطن العربي ولا مكان لاسرائيل في قلب الامة العربية وليست الطريقة التي اقيمت بها اسرائيل بيننا تتلاءم مع المنطق والحق.

وفي عام ١٩٦٥ قال سوف لا ندخل فلسطين وهي مغطاة بالاوحال، وسندخلها بعد ان نغسل ارضها بالدماء.

وبعد كفاح وعناء تخلص عبد الناصر من العدوان الثلاثي وخرجت كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل من الاراضي المصرية تجر أثار الخيبة امام العالم وامام شعوبها.

وفي عام ١٩٥٨ كانت كل من مصر وسوريا قد توصلتا الى اقامة الوحدة بينهما باسم الجمهورية العربية المتحدة خطوة على طريق اقامة وحدة عربية ديموقراطية في المشرق العربي التي هي هدف ومطلب كل انسان عربي عبر الاجيال.

كما قام الاردن والعراق في هذه المرحلة بإجراء وحدة مبدئية بينهما على طريق الوحدات والاتحادات الفرعية التي لا شك انها ستقود الى الوحدة الشاملة التي هي هدف الجميع . ولا شك ان تحالف العدوان الثلاثي وتعاونهم بقي مستمراً بهدف ابعاد مجموعات الامة العربية عن التعاون والسير نحو الاتحاد والوحدة حفاظاً على مصالحهم ، وقد بذلوا جهودهم بداخل سوريا وخارجها اثناء وحدتها مع مصر وانفقوا ملايين العملات في هذا المجال وتوصلوا لفك تلك الوحدة: وبينما كنت اقيم في دمشق اثناء الوحدة مع مصر عام ١٩٦٠ جاء السيد عبد اللطيف العزة الذي كان يقيم في القاهرة لاجئا سياسياً وابلغني ان السيد حسن التهامي المستشار السياسي للرئيس عبد الناصر يطلب مقابلتي في القاهرة وذهبنا معاً الى هناك وقابلنا التهامي في بيته بمصر الجديدة وبقينا معه نحو اربع ساعات نتباحث معه في الاوضاع العامة في فلسطين وتسلسل الاحداث فيها ايام الانتداب البريطاني وما بعدها اثناء وجودي في مختلف المواقع والمسؤوليات التي مرّ ذكرها، ثم تطرق الى موضوع اجراء وساطة مع الاردن بحسب توجيه عبد الناصر لاصدار عفو خاص وعودتي للاردن وكان هذا على اساس معرفتهم معي حينما كنت امثل الاردن في القيادة العربية العسكرية المشتركة ومعرفتهم عن مواقفي القومية العربية تجاه بلدي الاردن آنذاك واعتقادهم التام ان الحكم الصادر بحقي كان خاطئاً، وكان الهدف من دعوتي من دمشق هو التفكير بانشاء منظمة متطوعين بقيادتي تسمى منظمة تحرير فلسطين ، ويكون مركزها العراق وقواعد تنظيمها وتدريبها هناك لتعمل من قواعد في الاردن بالاتفاق مع سلطات البلدين وتعاون مصر معهما في جميع المجالات الإدارية والسياسية والعسكرية وطلب ان افكر بهذا الموضوع حتى مساء اليوم التالي واعود اليه لاتمام البحث، وعدت انا والاخ عبد اللطيف وبقينا نتدارس الموضوع حتى منتصف الليل ، وصار الاتفاق على تشكيل منظمة بحدود الفي متطوع من البلدان العربية والاسلامية الذين يتطوعون للجهاد وانقاذ الاماكن المقدسة في فلسطين ، ثم

قال انه يعرف علاقاتي الحسنة مع الكثيرين من القادة العراقيين منذ كان هو نفسه متطوعاً في منطقة الخليل عام ١٩٤٨. وان الفكرة اتجهت لاقامة هذا التنظيم في العراق بعيداً عن نقاط التماس والرقابة الجوية والاخبارية وغيرها وليجري التدريب والاستعداد بحرية اكثر وعدم تعرض الاردن لازعاجات مستمرة، وسيكون هذا في الاماكن التي تخصصها العراق، وبعد مرحلة الاستعداد والتدريب اللازم يرسل نصف هذه القوة الى الاردن وتوزع في اماكن متفرقة وغير واضحة ومعروفة للجمهور وتعمل مع الفروع المختصة بالاردن، بحسب ترتيبات ومعلومات الجوانب المسؤولة لضرب الاهداف الحيوية اليهودية بداخل فلسطين بواسطة دوريات تتوغل في كل مكان بطرقها الخاصة وتتحرك الى قواعد واماكن في قطاع غزة او لبنان او اي مكان في فلسطين والاردن بحسب الظروف ومواقع العمليات وبطرق سرية ويجري تبديل هذه القطعات من حين الى آخر من القاعدة في العراق لاعادة التنظيم والتدريب وتعويض الخسائر بقطعات جديدة جاهزة للعمل ، ويمكن زيادة هذه الاعداد بحسب اقبال المتطوعين، واتفق على أن يجري العمل على عودتي للاردن ومواصلة هذا العمل وعدت الى دمشق انتظاراً لاعلامي عن النتيجة. وبعد بضعة ايام حضر عبد الناصر الى دمشق وزار محافظة درعا وجرى له استقبال شعبي وألقيت خطب حماسية وأجاب عليها ويبدو ان خطابه احدث ردة فعل بالمنطقة وحرك حساسيات اقليمية بين سوريا والاردن اوجبت وقف مشروع المنظمة وامكانية الاتصال مع الاردن في هذا المجال.

لم يعجب هذا الموقف السيد حسن التهامي واخبرني ان الموضوع قد انتهى وقدم استقالته وأصرّ عليها، وحينما زاره عبد الناصر في بيته وطلب منه سحبها اصر عليها إلا اذا نقل لعمل خارج مصر وجرى تعيينه مندوباً لمصر في لجنة الطاقة الذرية وسفيرًا في النمسا، وتوقف العمل في فكرة اقامة منظمة التحرير في تلك المرحلة ، وبعد فترة قصيرة جرت عملية فصل سوريا عن الجمهورية العربية وذهبت الى القاهرة واقمت فيها، وبعد مضي نحو اربع سنوات تبنت الهيئات الفلسطينية الفكرة وشكلت منظمة التحرير هذه برئاسة احمد الشقيري بتوجيه من مصر ومقرها القاهرة.

اعدت التفكير بمشروع السيد حسن التهامي وعرضه على بعض الاخوة السوريين والعراقيين وتدارسناه عدة مرات في بيت السيد احسان الجابري واتفقنا على إعادة البحث به والعمل على تنفيذه وان ننسق العمل مع منظمة التحرير الجديدة اذا توصلنا لنتائج مناسبة مع العراق، وذهبت الى بغداد واقمت في بيت الاخ رفعت عودة الذي كان قد حضر من الاردن وعمل طبيباً في المستشفيات العراقية الحكومية حيث كان خرج هو واخي صادق للعمل خارج الاردن بعد صدور الحكم عليَّ وعليهما بالإعدام في الاردن من قبل محكمة خاصة وصدر عفو خاص عنا في هذه المرحلة.

عمل اخي صادق في الكويت مع احدى الشركات وبقيت انا في القاهرة الى مرحلة لاحقه سيأتي ذكرها.

قابلت السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء في مكتبه واستقبلني استقبالاً حاراً، وقد كنت اعرفه ضابطاً في الجيش العراقي في فلسطين ايام تواجدنا هناك بعد عام ٤٨ كما سبق ذكره، عرضت عليه الفكرة التي سبق بحثها مع السيد حسن التهامي وقد تجدد العمل بها بيننا نحن الاخوة العراقيين والسوريين والأردنيين المتواجدين في القاهرة، رحب بكل حماسة وقال فوراً وحتى قبل دراسة الموضوع وبحثه مع وزارته، نعطيكم معسكر الحبانية وهو معسكر بريطاني سابقاً ونقدم لكم السلاح والمؤن والمدربين العسكريين ووسائل النقل بين الاردن والعراق ونشجع على تطوع العراقيين لهذا العمل.

شكرته وعدت الى القاهرة انا والاخ وفعت عودة وابلغت الموضوع للزملاء المذكورين واتفقنا على عرضه على السيد احمد الشقيري رئيس المنظمة القائمة في القاهرة بقصد التعاون في هذا المجال وأن تتبناه المنظمة بالاشتراك معنا والسيد الشقيري جار وصديق نتقابل معه يومياً قبل انشغاله بالمنظمة وبعدها.

كتبت تقريراً مفصلاً عن الموضوع واخذته للشقيري في مكتبه في ميدان التحرير وشرحت له ما جرى مع السيد طاهر يحيى في بغداد فاستمهلني ليعرضه على اعضاء المنظمة ويدرسه معهم، وفي اليوم التالي ارسل لي الاخ حامد بوسيتة ليبلغني عدم الموافقة على هذا المشروع لانه برأيهم يعد تأميماً للقضية الفلسطينية،

وهم يريدون تحديد رجال المنظمة بالشعب الفلسطيني صاحب القضية ، عدت الى البيت واخبرت الاخ رفعت عودة الذي كان عندنا في البيت بجواب الشقيري ثم ذهبنا معاً الى مكتب الشقيري لمناقشة الموضوع بحضور السيد حامد بوستة فأكد عدم الموافقة عليه وقال ان الاسس التي قامت عليها المنظمة هي ان يكون منتسبوها فلسطينيين.

قلت له ان جدّي كان فلسطينيا حينما كانت فلسطين والاردن جزءاً من سوريا او بلاد الشام ، وهذا الدكتور رفعت الفلسطيني الآن قربيي وجواز سفره اردني «وقد صار الشقيري اردنياً فيما بعد وحمل الجنسية وجواز السفر الاردني»ونحن لا نفرق بين من يسكن شرقي نهر الاردن اوغربه وبين من يسكن شمالي نهر اليرموك اوجنوبه او من يسكن غربي نهر الفرات اوشرقه ، هذه كلها تقسيمات اراضٍ وليست تقسيمات شعب. قال هذا صحيح ولكن هذا هو قرار المنظمة ونحن لا نؤيد اشراك بلاد بعيدة مثل ايران وباكستان وافغانستان وبلاد اسلامية اخرى اذ تطوعوا للجهاد واشتركوا بهذا التنظيم وذلك لأن القضية تهم اولاً وقبل كل شيء اولئك الذين فقدوا بيوتهم واملاكهم وشردوا من بلدهم .

وأننا لمسنا من حديثه ان حب القيادة والزعامة والانفراد بالعمل كان واضحاً في حديثه، وربما انه قدر ان مثل هذا التنظيم الذي سيشترك فيه عدد من كبار الضباط المعروفين في المشرق العربي ربما يغطي على وضع منظمته ويصبح بديلاً عنها وهذا ما كان مخططاً له في مشروع السيد حسن التهامي الذي سبق ذكره قبل تشكيل المنظمة.

قصصت جوابه على الاخوة الضباط فأبدوا استياءهم من هذا الموقف وتوقفنا عن متابعته .وقد ساءت علاقات مصر مع بلدان المشرق العربي بعد انفصال سوريا، وقامت مهاترات اعلامية واذاعية بين عدة اطراف وفي عدة بلدان ، ثم قامت ثورة اليمن على حكم الائمة وتحولت الى جمهورية وقامت مصر بمساندتها وتثبيتها ضد التحركات القبلية اليمينة التي صارت تلقى الدعم المادي والعسكري من خارج اليمن ضد الثورة وبدأوا يخربون بيوتهم بأيديهم نتيجة للجهل والتخلف وانسحبت القوات المصرية عائدة الى بلادهم نتيجة لحرب عام ١٩٦٧ التي نشبت بينها وبين اسرائيل

واعوانها وكان من اهدافها الرئيسة حاجة مصر الى قواتها وسحبها من اليمن ، ومع هذا فقد استقر النظام الجمهوري في اليمن تدريجياً رغماً عن تعرضه لعدة تحركات موضعية قبلية . لقد عملت سفيراً للاردن في اليمن مقيماً في صنعاء وغير مقيم في عدن لمدة اربع سنوات من عام ٧٦الى عام ١٩٨١ وعاصرت خمس محاولات انقلابية وحركات مسلحة راح ضحيتها ثلاثة رؤساء جمهوريات من البلدين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي هم على التوالي السادة ابراهيم الحمدي واحمد الغشمي في صنعاء وسالم ربيع علي في عدن ، سبق ذكر موجز عن تلك المرحلة ولا مجال لذكر تفصيلاتها نظراً لعلاقاتها ببلدان مجاورة قامت بعدة ادوار ليست لمصلحة الامة العربية ، ويبدو ان اليمنين قد تجاوزا كل التدخلات واقاما الوحدة بينهما رغماً عن استمرار التدخلات التي قد تصل الى النهاية.

كانت تدخلات بعض الدول منسقة مع مخططات امريكا واهدافها البعيدة في المنطقة العربية واهمها إضعاف نظام عبد الناصر في مصر مادياً وعسكرياً واجهاض قواتها البرية والجوية ، وانا اعرف ان السيد بن زكريا محيى الدين نائب عبد الناصر وكمال الدين حسين وزير التربية استقالاً من الحكومة المصرية ، احتجاجاً على سياسة التدخل في اليمن تجنباً للتورط فيها الذي كبد مصر نفقات لا قبل لهم بها وخوفاً من مصرف جهود القوات المسلحة وتدخلات اجنبية في المنطقة قد تعرض مصر لخسائر عظيمة وهذا ما حصل فعلاً وكان من الاسباب الرئيسة لحرب عام ١٩٦٧.

كان الهدف الرئيسي لعبد الناصر هو العمل على جعل بترول العرب للعرب ومنع دول الغرب من سيطرتهم عليه واستغلاله بالتعاون مع اشخاص وعائلات محددة في كل بلد منتجة للبترول وحرمان الغالبية العظمى من سكانها من موارده ، هذا ما سمعته انا والأخ عبد الله الريماوي من السيد زكريا محيي الدين في احد لقاءاتنا معه في بيته وما قاله لي الرئيس اليمني السيد ابراهيم الحمدي وسبق ذكره في الجزء الأول.

الواقع ان القوات المصرية عادت من اليمن بعد الخسائر المشار اليها وبعد ان جرى توقيت حرب عام ١٩٦٧ مع توقيت مشاكل اليمن في الداخل والخارج، ومع

هذا فإن عبد الناصر لم يتوقف عن سياسة تعاون بلدان المشرق العربي سواء المتاخمة لفلسطين او التي تتأثر بالوجود الصهيوني فيها وعلى هذا الاساس فقد اعاد النظر في هذا الموقف في ضوء الواقع الجديد وبدأ يعمل على تعاون هذه البلدان على اساس الدفاع المشترك وإعادة تشكيل القيادة العربية المشتركة التي كانت قائمة عام ١٩٥٦:

واعود الى ذكر المرحلة المماثلة التي اوجبت حرب العدوان الثلاثي بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ والتي سبق ذكرها بشكل موجز واذكر هنا تسلسل بحثها تالياً.

كان عبد الناصر قد بدأ يعمل منذ عام ١٩٥٤ بعد أن تسلم القيادة السياسية من اللواء محمد نجيب بالصورة التي سبق ذكر ها وقد وضع في حسابه تأميم شركة قناة السويس وبناء السد العالي وإنهاء النفوذ والوجود البريطاني في مصر والعمل على اقامة قيادة عسكرية موحدة للبلدان العربية التي تحيط باسرائيل والتي تتأثر بوجودها مباشرة او التي لديها الاستعداد للاشتراك بهذه القيادة . وبعد انهاء المعاهدة الدفاعية بين الاردن وبريطانيا عام ١٩٥٧ اعلنت كل من مصر والاردن والسعودية وسوريا واليمن تعيين اللواء عبد الحكيم عامر قائداً عاماً لجيوش هذه الدول في قيادة موحدة سميت القيادة العربية المشتركة وحضر عبد الحكيم عامر الى الاردن وأقيمت له حفلة استقبال في معسكر لاسلكي الجيش في الزرقاء حضرها جلالة الملك الحسين وقد قدمني الى اللواء عامر احسن تقديم وأفاض بمدحي وقال لي : تحدث مع الضيف وأعطه المعلومات الي يطلبها. لم يدر بخلدي انه كان ينوي تعييني ممثلاً للاردن في هذه القيادة .

وقد جلسنا بعد الحفلة في نادي الضباط في الزرقاء وأعطيت اللواء عامر لمحة عن دور بريطانيا في فلسطين ودور ضباطها في الاردن بشكل موجز يتناسب مع الموقف، وقد اتيحت لي الفرصة لشرح هذه التفصيلات له كما ورد بعضها في الجزء الاول في مرحلة لاحقة في القاهرة ،أما بصورة فردية او اثناء اجتماعات القيادة المشتركة .

١٩٥٧/٢/٨

صدر امر نقلي ممثلاً للأردن في القيادة العربية المشتركة وملحقاً عسكرياً في مصر.

١٩٥٧/٢/١٢

طلبت لمقابلة جلالة الملك وقال انه انتدبني ممثلاً للجيش في هذه القيادة وانه يعدني ممثله الخاص فيها، وقال ان هذه اول قيادة عسكرية موحدة لهذه الامة بعد قيادة الثورة العربية الكبرى، وأنه يريدني ان اعمل على أن تؤمن هذه القيادة احتياجاتنا الضرورية من الاسلحة وأولها كتيبتا دبابات ومدفعية، وتنسيق الدفاع في المنطقة في ضوء واقع الاردن وطبيعة حدودها مع اسرائيل ومسؤولياتنا الكبرى قياساً لإمكانياتنا.

وفي اليوم التالي اقام وزير الدفاع السيد محمد علي العجلوني رحمه الله حفلة عشاء وداعية في فندق فيلادلفيا حضرها بعض الوزراء وكبار الضباط وعزفت فيها فرقة القرب من موسيقى الجيش.

وهذه الحفلة لم يسبق اجراؤها في مثل هذه المناسبة او في مناسبات لاحقه فيما بعد وكان العجلوني مبتهجاً جداً وهو يقول: انه لم يكن يتوقع ان تتكرر هذه المناسبة في حياته بأن تجتمع قيادة عسكرية واحدة منذ الثورة العربية الكبرى التي كان يقودها جلالة الملك فيصل الأول ومعه أشقاؤه والتي كانت تضم القادة العسكريين العرب من مختلف الاقطار والتي كان العجلوني من كبار ضباطها.

في مرحلة لاحقة وبعد عودتي الاخيرة من مصر عام ١٩٦٩ تمتنت العلاقة بيني وبين العجلوني وكان يحدثني عن الثورة العربية الكبرى وعن أهدافها وأعمالها بالرغم من ضعف امكانياتها المادية، والمستوى العسكري بين افرادها، وكذلك عن شجاعتهم الفردية واستعدادهم للتضحية حينما كان هو من احد قادتها هو ونوري السعيد وجعفر العسكري من العراق وعزيز علي المصري وكثيرون غيرهم من مختلف الاقطار العربية. وانه كان شديد الاسف للتدخلات الخارجية والداخلية التي انهت القيادة العربية المشتركة الاخيرة هذه في مصر والتي كان يعلق عليها آمالاً

كباراً لوجود جيوش منظمة ومسلحة ومستوى عالٍ من الثقافة والتدريب والتسليح خلافاً للأوضاع التي كانت اثناء الحرب العالمية الاولى والمرتكزات الخارجية التي كانت الثورة تعتمد عليها . احاديث طويلة عن تلك المرحلة وما بعدها لا مجال لذكرها .

اما عن القيادة المشتركة فقد ذكرت موجزاً عن بدايتها وأهدافها ومحاولات عملها والى اين انتهت في الجزء الأول.

وبطبيعة الحال فإن حلقة التفرقة المسلسلة ما زالت تعمل عملها في البلاد العربية من الخارج والداخل وعلى كل المستويات وهدفها عدم تقدم هذه الأمة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً والشواهد فيما يجري في العراق مع ايران وفي داخل لبنان وما سيستجد بعدها واضحة للجميع ومن يتعمق في البحث يعرف الاسباب .

١٩٥٧/٣/١٤

جرى عقد مؤتمر الضمان الجماعي العربي في قصر الطاهرة احد قصور الملك السابق فاروق وحضرة جلالة الملك حسين ورئيس الوزراء سليمان النابلسي وفوزي الملقى وحكمت المصري وكمال ناصر وأنا، وقد عرفني سليمان النابلسي على حسن التهامي احد مستشاري الرئيس عبد الناصر وقال لي اذا تأخرت طلباتك من خلال القيادة المشتركة بسب ارتباطك معها وأردت استعجال الامور اتصل مع السيد حسن ليقابلك مع الرئيس بصورة جانبية وقدصرت اقابله كلما لزم ذلك وصار التعاون معه في تلك المرحلة، وفي مرحلة لاحقة حينما جئت من المانيا لاجئاً سياسياً اثناء الوحدة وأقمت في دمشق أرسل لي السيد عبد اللطيف العزة ، للعمل على انشاء منظمة التحرير التي سبق ذكرها وعلى اساس معرفتنا السابقة هذه. وفي هذا الاجتماع تطرق عبد الناصر الى موضوع صناعة الاسلحة العربية وقال اننا لا يمكن ان نحارب باسلحة واعتدة نشتريها من الخارج ويمتنع علينا شراؤها عند الضرورة القصوى فنحن على أرضنا والزمن معنا وعشر أو خمس عشرة سنة ليست شيئاً في عمر الامة إذا احتجنا لمثل هذا الوقت لتأمين حاجاتنا اللازمة منها، ويومها استكثر حكمت المصري هذه المدة واستغرب صدور هذا الرأي من عبد الناصر بالذات .

وها قد مرّت احدى وثلاثون سنة على هذا الكلام وحتى كتابة هذه السطور ولم نزل نحاول شراء الاسلحة من الشرق والغرب ضمن حدود الامكانيات المادية المتاحة، والذي عنده العدد الهائل من الرجال لا يملك المال لتسليحهم وبالعكس.

واستمرت اجتماعات القيادة المشتركة وكان عبد الناصر يحضرها من حين الى آخر وقد جرى اقرار اقامة جبهة شرقية من سوريا والاردن والسعودية وفيها الشعب الفلسطيني وجبهة غربية من مصر واليمن وربما تشترك فيها السودان وليبيا في مرحلة لاحقة ، وعلى هذا القرار ذهبنا مع اللواء محمد ابراهيم رئيس اركان الجيش المصري في وفد من ١١ ضابطاً يشمل رؤساء وفود البلدان المشتركة في هذه القيادة الى دمشق لتنسيق العمل بين سوريا والاردن في قيادة جبهة واحدة وفوجئنا بمضاعفات في الاردن أوقفت إتمام العملية وبقيت في الاردن كما سبق ذكره في الجزء الاول.

حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ والتحركات التي سبقت هذه الحرب

في أوائل شهر ابريل عام ١٩٦٧ زار سفير روسيا في اسرائيل السيد ليدنير شاكين رئيس الوزراء اشكول متسائلاً عن حقيقة وجود تحشدات عسكرية على حدود سوريا تنذر بوقوع عمليات عسكرية بين البلدين فطلب منه رئيس الوزراء ان يذهب بنفسه للكشف في أي مكان يريده ليتأكد من صحة هذه المعلومات او عدمها، وقام السفير بالكشف على طول الحدود بين البلدين ولم يشاهد اية حشود ، ولكن السوريين استمروا في اذاعة الاخبار التي يؤكدون فيها وجود هذه التحشدات ، كما بدأت اذاعات عربية أخرى تندد بعبد الناصر وتنحو على مصر باللوم والتقريع على اختبائهم وراء قوة الطوارئ الدولية المرابطة على طول الحدود المتاخمة لها وأنها تحشد قواتها لمهاجمة الاراضي السورية.

وبناء على هذا أرسل عبد الناصر وفداً عسكرياً برئاسة اللواء محمد فوزي رئيس الأركان لتفقد الحدود السورية وأخذ المعلومات من مصادرها هناك على الطبيعة، وقام الوفد باجراء الكشف ومعه عدد من ضباط القيادة العامة السورية ولم

يشـاهدوا اثرا لتحشـدات أويصلوا الى معلومـات عن وجـودها ، وبعد عـودة الوفـد استمر السـوريون يؤكدون وجود هذه التحشدات وتوقعاتهم قيامها بهجوم مفاجئ.

وقد حـصلت مصـر في هذه المرحلة على صـواريخ بعيدة المدى وحشدتها في مواقع مناسبة لضرب اهداف حيوية داخل اسـرائيل ، وعرفت اميركا ذلك بوسائلها الخـاصـة وطلبت من مـصـر رفع هذه الصـواريخ والا فـإن اميركا سـتوقف شحن الحبوب الى مصـر، رفض عبد الناصر هذا الطلب وتوقف شحن الحبوب ، كما توقف صرف عدة قروض الى مصر كانت متفقاً عليها مع عدد من بلدان حلف الاطلسي في أوروبا بايعـاز من امريكا ووقعت مصـر في ضـائقة اقتصادية وتوقف العمل بعدة مشاريع حيوية نتيجة لذلك .

واستمرت سـوريا بالشكاوى والخوف من وقوع اعتداء عليها من اسـرائيل . لم يكن بإمكان عبد الناصـر إرسـال قوات عسكرية الى سـوريا للمشاركة بالدفـاع في حالة وقوع العدوان بعد الانفصال عن الوحدة ومـا رافقه وتبعه من مضاعفات ولذلك قرر دفع قوات مصـرية ضخمة الى مواقع امامية على الحدود المصرية مع اسـرائيل محذراً من دخول الحرب على هذا المستوى في حال نشوب حرب مع سوريا ، وعندها طلبت اسـرائيل من كل من امـريكا وروسـيا التدخل مع مـصـر لوقف اسـتعداداتها العسكرية على هذه الحدود وطلب سفراء البلدين من عبد الناصر عدم البدء بالعدوان. في مـرحلة ،تقـابلت انا والسـيد عـارف عبـد الرزاق رئيس وزراء العـراق الاسـبق مع الفريق صـدقي مـحمـود قائد سـلاح الجو المصري في بيت السيد عـارف وقد سـبق ان تقابلنا هناك بضـع مرات على لعبة الشطرنج وبيته مجاور لبيت عارف ولم أزل اتخيل مقابلته الاخيرة هذه يرتدي القميص والبنطلون وحذاء خفيف وقد غلبته يومها في لعبة الشطرنج... قـال لنا السيد صدقي يومها انه قبل ثلاثة ايام جرى اجتمـاع مع عبد الناصـر حـضـره قـادة القوات البـرية والبـحـرية والجـوية وقـال لنا السـيد الرئيس ان سـفيري امـريكا وروسـيا طلبا مني على لسـان حكومـتيهمـا ان لا نكون نحن البادئين بالعدوان وأن لا نظهر امام العـالم بأننا نحن المعتدون وقالا ان دولتيهما تضمنان عدم اعـتـداء اسـرائيل على سـوريا ولا على غـيـرها ، وتضـمـنان الوصـول الى حل عـادل لقضـية فلسطين عن طريق الامم المتحدة ، وقال ان كلاً منهما حضـر على حدة وقدم خطوط هذا العرض .

وقال الفريق صدقي ان عبد الناصر ابلغهم عرض الدولتين هذا الذي قدمه السفيران رسمياً ،وقرر عدم بدء الحرب مع اسرائيل الا اذا بدأت هي أو هاجمت سوريا ،ولكنه اضاف قائلاً إنه فوق كل هذه الوعود لا يطمئن من التآمر والغدر ، ولهذا فإن على القوات المصرية ان تكون جاهزة للعمل والرد السريع الحاسم في اللحظات التي تبدأ فيها اسرائيل بأية عملية عسكرية سواء في الجبهة السورية أو المصرية وأن تبقى قواتنا في حالة الانذار هذه الى ان يتبلور الموقف تماماً وعندها نقدر موقفنا العسكري ونتصرف على أساس الواقع واستطرد السيد صدقي قائلاً ولكن رغماً عن تحذير عبد الناصر هذا والذي لا بد ان يقوم به رسمياً كرئيس دولة يحمل المسؤولية فانني شخصياً لا أعتقد اطلاقاً ان اسرائيل ستقوم بهذه المجازفة وفي هذه المرحلة وذلك لان لدى مصر ٣٤٠ طائرة من مختلف الانواع وسبع فرق مدرعة ومحمولة في سيناء، بالاضافة الى ٢٠٠ طائرة سورية ومثلها عراقية وستين طائرة اردنية ونحو تسع فرق عسكرية في هذه البلدان الثلاثة ، ولدينا فرقتان احتياطيتان ليكون مجموع القوات العربية التي ستشترك في الحرب اذا وقعت ثماني عشرة فرقة،وجيش اسرائيل يتألف الان من اربع فرق ومجموعتي الوية ولديهم ٣٣٠ طائرة من جميع الانواع ولهذا لا يمكن ان يجازفوا بحرب شاملة سيضطرون فيها الى فتح ثلاث جبهات بإن واحد لمواجهة مصر والاردن وسوريا .

واستطرد الفريق صدقي قائلاً انه كان يجعل ٦٠طائرة محلقة في الجو باستمرار يجري تبديلها في فترات مناسبة ولكن بعد اجتماع القيادات هذا مع الرئيس عبد الناصر وقد اخبرهم عن لقائه مع سفيري امريكا وروسيا ورأي دولتيهما في الموقف وتعهدهما بحله سياسياً ، وبالرغم من تحذير عبد الناصر من الغدر ولزوم البقاء في حالة الانذار والاستعدادات القصوى فإنه قد خفض عدد الطائرات التي سبق ذكرها من ٦٠ طائرة الى ٤ فقط تقوم بالكشف صباحاً لمدة ساعتين فقط ثم تهبط في قاعدتها.

اتضح ان موردخاي هود كان يعرف عدد طائرات الكشف هذه ومواعيد اقلاعها وهبوطها ويعرف ان طياريها يتناولون قهوة الصباح معاً بعد الهبوط . وفي مايو ١٩٦٧ اجتمعت الوزارة المصرية وقررت الطلب من السيد يوثانت سكرتير هيئة الامم

المتحدة سحب قوات الامم المتحدة من سيناء لان وجودها اصلاً كان بناء على طلب مصر وأن قرار طلبها اتخذ على اثر حرب ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي وكان قد تقرر على أنها تخرج من الاراضي المصرية عندما تطلب منها مصر ذلك. وانه لا لزوم لوجودها في هذه المرحلة، وحضر يوثانت الى القاهرة وتباحث مع الحكومة لمدة ثلاثة ايام محاولاً ابقاء قواته في يتران و شرم الشيخ للاشراف على الممر البحري الدولي هناك ولكن الحكومة المصرية اصرت على اخلاء هذه القوات لجميع الاراضي المصرية وذلك لان الموقف لم يعد يحتمل التراجع، وجرى ارسال ٣٤٠٠ جندي مصري من القوات المتواجدة في قطاع غزة الى شاطئ تيران وشرم الشيخ. وصلت هذه القوات محل القوات الدولية التي جرى سحبها من جميع الاراضي المصرية، ثم جرى ارسال ٤ فرق مصرية ومعها ٦٠٠ دبابة وأخذت مواقعها في أطراف سيناء، وفي الوقت نفسه كانت الاستعدادات قائمة في جيوش كل من سوريا والعراق والاردن والسعودية للاشتراك في العمليات في حال نشوب الحرب مع اسرائيل.

وقد جرى اغلاق الممر البحري في البحر الاحمر بوجه اسرائيل ومنعت سفنها من عبوره وبوشر بتفتيش السفن الدولية التي تعبر هذه الممرات شمالاً للتأكد من أنها لا تحمل مهمات عسكرية الى اسرائيل.

كما ان هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا قام بابلاغ سفير اسرائيل في لندن ان بريطانيا ستتصرف بموجب قرارات الامم المتحدة في هذا الموقف وفي ٢١/٥/٦٧ ارسل عبد الناصر غواصتين ومدمرة وأربع سفن من حاملات الصواريخ إلى البحر الاحمر ،وأعلن ان هذا الممر يعد مصرياً ولن تدخله اية سفينة يهودية بعد اليوم وكذلك فإننا لن نسمح لاية سفينة مهما كانت هويتها بأن تنقل اية معدات او ادوات حربية اوخامات تتعلق بالمواد الحربية الى اسرائيل.

وبطبيعة الحال فإن اسرائيل تعد البحر الاحمر الصلة بينها وبين بلدان آسيا وأفريقيا والطريق الوحيد الذي يصل منه البترول اليها، وان هنالك خط انابيب بترول يصل بين ايلات على خليج العقبة، وبين عسقلان على شاطئ البحر الابيض لضخ البترول الذي تفرغه الناقلات في خزانات على خليج العقبة الى مصافي البترول في عسقلان ولا يمكن الاستغناء عنه.

كان الروس يعرفون جيداً ان مثل هذه الاجراءات حافز لليهود لخوض المعركة مهما كان الثمن وأنهم لا يمكن ان يستغنوا عن هذا الممر الحيوي لانه ممر دولي . ومن جهة ثانية فانهم لم يرتاحوا لاتخاذ عبد الناصر هذا الاجراء دون علمهم . ودليلاً على هذا فقد نقلوا سفيرهم في القاهرة السيد بوديرينه فوراً لانه لم يعترض على هذا الاجراء بالوقت المناسب، طالما انه في الموقع وان عليه ان يطلع الحكم عمله على هذه الاجراءات ويعترض عليها ويبلغ حكومته وهو لم يفعل ذلك .

كان أبا ايبان وزيراً للخارجية الاسرائيلية ، وايبان هذا هو من مواليد جنوب افريقيا وقد سبق ان هاجر والده اليها من لتوانيا وقد تخرج من جامعة كمبرج في بريطانيا ثم عمل ضابطاً في الجيش البريطاني وانتقل الى فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية وعمل ضابط ارتباط بين السلطات البريطانية وعصابة الهاجانا اثناء الانتداب على فلسطين كضابط بريطاني بينما كان منتسباً للمنظمات اليهودية السرية في فلسطين ، وبعد قيام دولة اسرائيل عين مندوبا لها في الامم المتحدة ثم سفيراً في لندن اثناء وجودي ملحقاً عسكرياً هناك عام ١٩٥٢ وعلى سبيل النكتة اذكر ما يلي :

حضرت حفلة في السفارة الروسية بعيد التحاقي في السفارة الاردنية مع مجموعة من السفارات العربية وكان الملحقون العسكريون العرب في الحفلة ومنهم الزعيم غازي الداغستاني من العراق ومحمد المغربي من مصر والعقيد عبد الرحمن مردم من سوريا واثناء تجولي في القاعة وقف معي شخص لا أعرفه وصار يحدثني عن فلسطين والاردن حديث العارف بكل مجريات الامور وقال انه عمل هناك في الجيش البريطاني وبدا لي انه يعرف عن فلسطين اكثر مما اعرف وكان مجاملاً ومرحاً وبعد فترة شاهدت الزملاء الثلاثة المذكورين ينظرون اليّ ويضحكون فودعت الشخص الواقف معي وذهبت اليهم مستوضحاً عن سبب ضحكهم فقالوا هل انسجمت مع جارك العزيز الا تعرف ان هذا هو ايبان سفير اسرائيل وكانت نكتة ردّدناها في عدة مناسبات . وفي مرحلة اغلاق المضايق هذه وبينما اصبح ايبان وزيراً للخارجية ذهب الى باريس وعمل على تحريك جسر جوي من الطائرات الفرنسية والاسرائيلية لنقل كميات هائلة من الاسلحة والمعدات الى اسرائيل وكانت حماسة السلطات الفرنسية لتقديم هذه المساعدات تفوق كثيراً ما قامت به فرنسا في

حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وقد وافقت جميع دوائر الدولة الفرنسية المعنية على شحن هذه الاسلحة بصورة مستعجلة للغاية وضمن اجراءات غير عادية ووافقت جميعها على اتخاذ جميع الاجراءات هاتفياً ودون استعمال الكتب والرسائل والطلبات وأخذ الموافقات البرلمانية أو القرارات الوزارية وأن يتم التنفيذ فوراً ويقوم الجنود الفرنسيون انفسهم بتحميل التجهيزات والمهمات على الطائرات . كان الرئيس ديغول قد استدعى ايبان لمقابلته حال هبوط طائرته في مطار باريس، وأبلغه ان اغلاق الممرات البحرية في وجه اسرائيل لايعد اجراء قانونياً، وقال ان وزير خارجية فرنسا كوفي ديمورفيل ابلغه فور سماعه عن اغلاق المضايق ان مثل هذا الاجراء يفتح الباب لنشوب الحرب بين اسرائيل ومصر وإنه لا بد من اجتماع الدول الاربع الكبرى لاتخاذ اجراء يمنع وقوع هذه الحرب، ولا بد لاميركا وروسيا من اتخاذ القرار الذي يتناسب مع الوضع القائم ، ثم قال لايبان لا تستعجلوا الامور ولا تبدأوا الحرب بأي حال من الاحوال وأنا سأقوم بدوري بايجاد طريقة ما لجعل هذا الممر مفتوحاً امام سفنكم كممر دولي.

ومع هذا فقد استمر شحن الاسلحة الفرنسية مدة تسعة ايام وعندها اذيعت اخبار الشحن من الاذاعة البريطانية. امر ديغول بوقف هذه العملية ، وفي ٢٤ مايو ١٩٦٧ طار ايبان من باريس الى لندن وقابل رئيس الوزراء هارولد ولسن في الساعة الخامسة مساءً من اليوم نفسه وابلغه ولسن ان بريطانيا ستؤيد حق اسرائيل في استعمال الممرات ، وأرسل مندوبه في اليوم التالي الى اميركا لإقناع السلطات هناك بضرورة عقد الاجتماع المشار اليه واتخاذ الاجراءات اللازمة .

وفي صباح اليوم التالي طار ايبان الى نيويورك يوم ٢٥/٥/١٩٦٧ وبوصوله عرف ان الاردن وافق على وصول قوات عراقية لترابط في الاراضي الاردنية على حدودها مع فلسطين برغم الجفاء الذي كان قائماً بين الاردن ومصر، كما قامت السعودية بتأييد موقف مصر وكذلك اعلنت كل من الجزائر والكويت تأييدهما لموقف عبد الناصر.

قام جلالة الملك حسين برحلة مفاجئة الى القاهرة واتفق مع عبد الناصر على الاشتراك بالحرب ووقعا اتفاقية تقضي بتعاون البلدين .

وفي اليوم التالي اخذ معه اللواء عبد المنعم رياض من كبار القادة المصريين للقيام بتنسيق العمل بين البلدين الى حين وصول القوات العراقية الى الاردن هي والقوات السعودية ليعمل الجميع في جبهة واحدة مع الاردن، ذهب ايبان وقابل جونسون يوم وصوله في ٢٥/٥ وشرح له الموقف العام في المنطقة وكان يوثانت قد طلب من الفريقين المتنازعين فترة اسبوعين ليعمل خلالهما على الوصول الى قرار من الامم المتحدة لحل النزاع ، وطلب ايبان من الرئيس الاميركي تدخله السريع بالموضوع فأجابه انه لا يتمكن من أخذ القرار قبل عرضه على البرلمان وأخذ موافقته .

ووعده بأن يجد حلاً لحرية المرور بالمضايق كما انه طمأنه قائلاً ان اسرائيل سوف لا تكون وحدها في مواجهة هذا الموقف الا اذا اتخذت اجراء وحدها دون مشاورة الآخرين.

وعاد ايبان الى اسرائيل يوم ٢٦/٥ مقتنعاً انه كسب الجولة في فرنسا، وبريطانيا وامريكا على أساس انه حصل على وعودهم بايجاد الحل المناسب للقضية ، وفي اليوم نفسه كان يوثانت قدطار من القاهرة الى نيويورك حاملاً تقريره الشامل عن الوضع في المنطقة يعرضه على هيئة الامم المتحدة لاتخاذ القرار بالاجراء الذي يتناسب مع الموقف.

وفي هذه المرحلة زادت مصر من عدد قواتها في سيناء حيث بلغت سبع فرق وعددها نحو ١٢٠ الفاً ووضعتها على مقربة من حدود اسرائيل ومعها اكثر من الف مدفع والفي دبابة .

اما الجانب الاسرائيلي فقد وصلتهم كميات كبيرة من الاسلحة من المانيا الغربية ومن امريكا بالاضافة الى ما وصلهم من فرنسا كما ذكر اعلاه وما يصنع في معاملهم الخاصة، واضافوا لقواتهم الاساسية ٥٠ الفاً من المتطوعين المدربين رجالاً ونساءً واصبح عدد قواتهم ٢٥٠ الفاً مجهزين بأحدث الاسلحة والعتاد الوفير ومعها ٩٠٠ دبابة من صنع امريكا وبريطانيا و١٦٠ مدفعاً مرتداً من فرنسا وألف ناقلة مدرعة امريكية وبلغ عدد افراد سلاحها الجوي ثمانية الآف ومعهم ٥٥٠ طائرة من مختلف الانواع ، وفي ١/٦/١٩٦٧ اجتمعت الوزارة الاسرائيلية لدراسة عملية

الهجوم على مصر واتخاذ القرار اللازم ، وفي ليلة ٣/ ٤/ ٦/ ١٩٦٧ اجتمعت مرة ثانية وتم اتخاذ القرار النهائي ببدء الحرب من جانبهم. وفي الساعة ٤٥ر٧ صباح يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧ اصدر قائد سلاح الجو موردخاي هود اوامره من غرفة العمليات في تل ابيت ببدء الهجوم الذي كان مدروساً ومخططاً له . وكانت بين يديه دراسات تفصيلية عن مواقع جميع الطائرات المصرية في قواعدها ومدافع مقاومة الطائرات وحتى مواقع الطائرات الخشبية الموضوعة للتضليل وعن عدد طائرات الكشف المصرية ومواعيد اقلاعها وهبوطها ، كما ويعرف أن طياريها يذهبون لتناول قهوة الصباح بعد الهبوط.

وكانت هذه الاوامر لسلاح الجو تحدد الواجبات والاهداف لتدمير الطائرات المصرية وهي جاثمة على الارض في قواعدها وتدمير ممرات مطاراتها قبل إعطائها فرص الاقلاع ، وقد شمل هذا جميع المطارات في سيناء والدلتا والصعيد، وفي خلال ١٧٠ دقيقة تم تدمير ٣٠٠ طائرة مصرية من مجموع ٣٤٠ ثم جرى تدمير ٢٠ طائرة اخرى من تلك التي تمكنت من الاقلاع وبعد هذه النتائج قال هود، إنني لم افكر حتى في المنام بإمكانية الحصول على هذه النتيجة التي لا يصدقها العقل.

وبعد هذه العملية انتقل سلاح الجو الى سيناء ليدمر اكداس الذخيرة والوقود في ٢١ قاعدة عبر سيناء وهي التي كانت تمون الآليات المصرية بالوقود والذخيرة ولهذا لم تتمكن القنوات المصرية في مواقعها في الجبهة من تحريك آلياتها بعد ان نفد الوقود منها ولم تتمكن من الحصول عليه . ولا على الذخيرة بعد أن جرى تدمير هذه الاكداس ، وهذا هو السبب الرئيس لعملية الانسحاب الكبرى اضافة لتدمير سلاح الجو وعدم ظهوره في الجبهة ثم تحويل سلاح الجو اليهودي لضرب هذه الجبهة بكل حرية لانعدام السلاح المماثل في الجبهة المصرية واضطرار جميع قطعات الجبهة للتصرف بحسب واقع كل منها ، وجرى الانسحاب الكامل الذي تحول الى هزيمة ، والوقوع بالاسر وموت نحو ١٨ الف جندي من الغارات والانهاك والعطش وجرى أسر خمسة الآف منهم اثناء تحركهم غرباً عبر الصحراء سيراً على الاقدام ، واستولى اليهود على جميع الآليات والاسلحة التي لم يدمرها سلاحهم الجوي، ومهما تغنى اليهود ببطولاتهم الفردية والجماعية وخوضهم الحرب وكسبهم المعركة

فان السب الحقيقي والوحيد لما وقع هو اهمال السيد صدقي محمود اولاً واخيراً.

أما ما حصل في الجبهتين الاردنية والسورية في الضفة الغربية والجولان وانسحاب قوات البلدين منهما، وعدم تمكن القوات العراقية والسعودية من الوصول الى الاردن فإن اسبابه الرئيسية كانت كما يلي:

١- عدم توقع هذه الجيوش قيام المعركة مع اسرائيل وانتظار دولهم لتدخل الدول الكبرى ، وهيئة الامم المتحدة لإيجاد حلول سلمية لموضوع المضايق والقضية الفلسطينية بشكل عام وتأكيدات رؤساء الدول الكبرى شخصياً بايجاد هذه الحلول ، وكان بدء الحرب وتوقيته مفاجئاً لهم .

٢- عدم وجود تنسيق وخطة عمل موحدة سواء للدفاع او الهجوم وتحديد الاهداف واعطاء الاولويات ، واتباع نظام المعركة كما هو معروف، وقد جرى الهجوم على الواحدة تلو الاخرى بالتتابع وهم في حالة الانتظار والترقب ليتضح ما سيتم على الجبهة المصرية التي كانت المعلومات عنها غامضة او مشوشة.

٣- القضاء على سلاح الجو المصري بما يشبه الخرافة وطائراته جاثمة في قواعدها بحالة الانتظار والترقب وليست في حالة التأهب كما يتطلب الواقع ورغما عن الانذار والتحذير الذي سبق ذكره من عبد الناصر بالذات الذي لم يطمئن من الغدر.

وبهذه المناسبة اذكر ان العميد علي عطية قد كان ملحقاً جوياً في السفارة المصرية في لندن ووجدنا معاً وقد سبق ان اشترك بعدة دورات عسكرية هناك وعين اخيراً قائداً لسلاح الجو المصري، وفي تعديلات داخلية بعد الثورة جرى استبداله باللواء صدقي محمود وعندما جئت الى القاهرة في عام ١٩٦١ بعد انفصال سوريا عن الوحدة مع مصر وجدت ان علي مدير لمطار امبابة لتدريب الطيارين. بعد ان احيل على التقاعد من سلاح الجو وقد تدرب اخي محمد علي عنده على الطيران المدني وأصبح طياراً كما هو الآن.

كنت أزور علي من حين الى آخر وسألته مرة عن اللواء صدقي وعن معلوماته في سلاح الجو فقال ما يلي، وأنا أثق بكلامه وكان من خيرة من عرفتهم من سلاح الجو المصري في تلك المرحلة ، قال عن السيد صدقي إنه حينما تسلم قيادة سلاح الجو المصري منه كان عدد الطائرات المقاتلة المصرية تسع طائرات من نوع هاليفاكس، ولم يذهب صدقي من حينها الى اليوم بأية دورة عسكرية خارج مصر، وهو الآن برتبة فريق ويقود سلاح الجو المؤلف من ٣٤٠ طائرة بمعلومات قيادة الطائرات الهاليفاكس التسع، كان هذا الحديث قبل حرب عام ١٩٦٧ بنحو اربع سنوات.

هذه الملاحظة خطرت ببالي عرضاً في سياق كتابتي عن اسباب وكيفية القضاء على سلاح الجو المصري ونتائجها على الجبهة المصرية التي ذكرت تفصيلات اسلحتها وكذلك انهيار الجبهتين الاردنية والسورية كنتيجة لما حصل في مصر وقلت اذكر هذه الملاحظة بالرغم من أنني لا أحب التعرض لاحد ولكنها الحقيقة المرة التي جعلتني اذكر هذا الوضع وعذري بهذا هو انه كلام السيد علي عطية .

٤ – اعتماد الاردن وسوريا على الجبهة المصرية وانها في حالة نشوب الحرب ستلعب دوراً رئيسياً فيها ويكون دورها دور المساعد وكذلك عدم وجود التنسيق بينهما كجبهة شرقية .

٥ – اختلاف بنية الجيوش العربية ككل قياساً الى اسرائيل وعدم مساهمة شعوبها او استعدادهم للمعركة وكأن الحروب تخص افراد هذه الجيوش وحدهم لقاء الرواتب التي يتقاضونها ، وغالباً هي مصدر العيش لهم ولعائلاتهم وكأن الشعوب العربية لا علاقة لها بالحروب، وخاصة الذين تفرض عليهم فرضاً وهم يعيشون حياة اعتيادية خارج بلدانهم، او داخلها، حياة طبيعية من الراحة والرفاهية والاستجمام وخصوصاً في البلدان التي تتوفر فيها الامكانيات المادية الضخمة التي لا تخضع لحدود او قيود ولو ان الحرب قائمة فعلاً وكأنهم في واد آخر. عدا عن طبقات محددة في بلدان معدودة يتلقون اخبار المعارك القائمة من وسائل الاعلام الداخلية والخارجية ، وهم قابعون في البيوت او النوادي، وآخرون يتطلعون الى عودة ابنائهم بالسلامة وان يحميهم الله من اخطار الحرب.

٦- لم يكن سلاح القوات اليهودية اكثر ولا أحسن مما هو لدى العرب المعنيين مجتمعين وكانت اعداد القوات العربية وامكانيات حشدها أضعاف ما كان لدى اليهود ولكن لم تكن ارادة قتال عند العرب ولا هو في مخططهم ولم تشترك الشعوب العربية لا بالاستعداد ولا بالعمل في حرب مع اسرائيل وهذا ينطبق على كل ما سمي حروباً مع اليهود منذ عمليات اعوام ٤٨ و ٥٦ و٦٧ و٧٣ وحتى يومنا هذا .

اما في الجانب اليهودي فكان الوضع يختلف تماماً حيث ان الشعب اليهودي يشترك في مثل هذه العمليات بكل امكانياته المادية والبشرية رجالاً ونساء،كباراً، وصغاراً كل بحسب امكانياته ، ومقدرته الجسمانية ، في اي مجال عسكري أو اداري ويتطوعون كلهم للعمل ، او هكذا يفرض عليهم ، ويقدمون كل امكانياتهم في القوات المسلحة او الدفاع عن المنشآت الحيوية، وعن بيوتهم وأنفسهم بحسب ما يتطلبه الموقف، وفوق هذا فان الديمقراطية والعدالة والمساواة تشملهم جميعاً، والاهم من هذا هو الاعتقاد السائد بينهم، وهو ان انكسار اسرائيل باية حرب مع العرب معناه الفناء او نهاية اسرائيل ولذلك فإن كل فرد يعمل بكل جهد ممكن دفاعاً عن بقائه حياً وليس من اجل تنفيذ اوامر او الحصول على مكاسب مادية او معنوية .

وبعد ثلاثة اسابيع من نهاية حرب ١٩٦٧ هذه تحدث اسحق رابين الى طلاب الجامعة العبرية في القدس وجاء في حديثه ما يلي:

ان عملية القضاء على سلاح الجو المصري في قواعده خلال ١٧٠ دقيقة تعتبر معجزة التاريخ ولا يصدقها عقل او منطق، كما تغلبت قواتنا المسلحة على جيوش يفوق عددها وعدد مواطنيها عشرات اضعاف عددنا، وقواتهم المسلحة واسلحتهم تفوق اعداد قواتنا بمراحل ، وهذا ليس بسبب شجاعة افرادنا ومقدرتهم وبطولاتهم ومقدرتهم على القتال، ولكن لاسباب اخرى منها عدم إرادة القتال عند اعدائنا ومنها ثقة مواطنينا بأن انهزامهم يعني نهايتهم وهذه الحقيقة نقنع بها أبناءنا منذ طفولتهم ودراستهم الابتدائية ، ان ارادة القتال ضعيفة عند العرب تجاه اسرائيل لضعف الحوافز الحقيقية وطول امد التفرقة بينهم وتعدد القيادات، واختلاف اهدافها وتضارب آرائها وحرصها على الحكم. هذه نبذة من حديث رابين.

« من الاحاديث المسندة عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام قوله: إننا والله لا نولي الامر لمن يسعى للحصول عليه ،أو أن نبقيه مع من يحرص عليه».

وأن الواقع الان والظاهر لكل عين هو خلافاً لهذا الحديث. وقد انتهت حرب عام ١٩٦٧ بانسحاب جميع القوات المصرية من قطاع غزة، ومن جميع اراضي سيناء الى غربي القنال وهو الحاجز المائي الدفاعي الطبيعي الذي كانت القوات البريطانية تتحصن وراءه ضد العمليات العسكرية بين آسيا وافريقيا، كما تم استيلاء اليهود على الضفة الغربية من الاردن وعلى اراضي الجولان السورية وصار اليهود مطمئنين لعدم وجود الخطر الذي كان يهددهم في حجاب الارض الذي كان بأيديهم، والذي كان عرضه بين الحدود مع الاردن والبحر يتراوح بين ١٢و١٣ كيلو مترا ما بين منطقة المثلث شمالاً ومنطقة اللد والرملة جنوباً وهي منطقة سهلية مفتوحة على ساحل البحر تسيطر عليها المرتفعات الجبلية من الشرق التي تعتبر تحصينات طبيعية يسهل الدفاع عنها وحمايتها.

وفي مرتفعات الجولان المسيطرة طبيعياً ومعها منطقة جبل الشيخ المسيطرة طبيعياً على غرب سوريا ومنطقة العاصمة دمشق. وعلى اساس هذا الوضع الجغرافي الجديد صار اليهود مطمئنين لزوال هذا الخطر الطبيعي الذي كان يهددهم من جانب الاردن وسوريا.

ومن جهة ثانية فان الاتفاقيات والقرارات الدولية التي اقرتها الامم المتحدة في قراراتها رقم ٢٤٢، ٣٣٨ والوعود الجانبية بين الاطراف المعنية بواسطة الامم المتحدة ومبعوثيها لانهاء حالة الحرب بين جميع الاطراف توحي بحالة من الاستقرار والأمل بالوصول الى حلول سلمية في هذه المرحلة.

ومع هذا فان اسرائيل تضع في حسابها ان مصر تبقى هي البلد الاكبر والاخطر من البلدان العربية المتاخمة لحدودها وانه لا بد من ضمان عدم اعتدائها عليهم وقد شعروا في حينها ان جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر هو المحرك الرئيسي في جميع البلدان العربية ضدهم، وانه لن يسكت على هذا الوضع وخصوصاً بعد الهزيمة الساحقة التي لحقت بقواته بسبب موقف اللاسلم واللاحرب الذي طال امده.

وبعد ان تبلور الموقف التآمري الصريح من قبل اسرائيل ومؤيديها المعروفين من الدول الغربية الذين كان هدفهم الرئيسي آنذاك هدم نظام عبد الناصر والقضاء على الناصرية قبل كل شيء وعلى شخص عبد الناصر الذي توصلوا اليه فيما بعد، وتمكنوا من تسيير سياسة مصر على هواهم في مختلف المجالات ولم تزل مصر تسير على منهاجهم منذ رحيل عبد الناصر بالطريقة التآمرية المعروفة وحتى يومنا هذا عام ١٩٩١.

«سمعت ان الدكتور المصري هادي سالم حامل الجنسية الاميركية وصديق انور السادات وعائلته والذي يقيم في لوس انجلوس، وقد قابلته في بيته هناك، وفي عيادته انه حضر من امريكا ومارس معالجة عبد الناصر في المرحلة الاخيرة من مرضه وانه اطلع على اسباب المرض ونتائجه.

وعلى هذا الاساس وبعد ان استقرت اسرائيل في هضبة الجولان ومرتفعات وادي الاردن الغربية وزال الخطر الطبيعي هذا قررت اسرائيل اقامة الخطر الدفاعي على الشاطئ الشرقي لقناة السويس تعزيزاً لهذا المانع الطبيعي من جهتهم وسمي خط بارليف نسبة الى رئيس الاركان اللواء حاييم بارليف الذي اقترح اقامته.

كما وبوشر باقامة مستوطنات يهودية في شمال سيناء وفي اطراف قطاع غزة وفي مرتفعات الجولان والضفة الغربية مع تحصينها في الوقت نفسه لتكون مراكز دفاعية ، واقيمت معامل صناعية في وادي الاردن ومناطق القدس ونابلس وقلقيلية وطولكرم وبدأ اليهود يحاولون التعامل مع المواطنين في الضفة الغربية وشراء الحاجيات المتوفرة لديهم من منتوجات زراعية وغيرها، ومحاولة استئجار الاراضي لزراعتها والحصول على المكاسب للطرفين كما جرى التوسع في الضفة والقطاع في الاستيلاء على الاراضي الزراعية العائدة للمواطنين او الاملاك الحكومية واقامة المستوطنات عليها ، والتوسع في انشاء الطرق والاستيلاء على اراضي الغائبين ، بموجب قوانين ابتدعوها تجيز لهم ذلك .

مرحلة ما بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧

بعد حرب عام ١٩٦٧ وقيام اليهود بانشاء خط بارليف بدأت حرب الاستنزاف كما كان يسميها عبد الناصر، وبدأ هذا الخط الدفاعي يتعرض لنيران المدفعية المصرية باستمرار، وصار لا بد من اعادة تصميمه وتقويته، وجيىء بمئات الآليات، والجرافات والآف العمال وجرى سحب قضبان خط السكة الحديد المصرية ، عبر سيناء واستعمالها في تقوية هذا الخط في اعماق الارض بعيداً عن تأثير نيران المدفعية واقيمت فيه مستشفيات طبية، ومواقع حصينة ضد أي سلاح جوي او مدفعي وكلفت تحصيناته نحو بليون ومائتي مليون دولار.

ومع هذا فإن قادة اسرائيل الذين خاضوا حرب ١٩٦٧، وحصلوا على تلك النتائج الخيالية مع الجيوش العربية كان قد رسخ عندهم الاعتقاد ان هذه الجيوش لا يمكن ان تقف بوجه اسرائيل ولم يعودوا يحسبون لها اي حساب وخصوصاً بعد وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ بالنسبة الى مصر وتولي أنور السادات السلطة بعده والذي بدأ يعمل للوصول الى السلم الدائم بين مصر واسرائيل دون ان يحسب اي اعتبار للدول العربية في الشرق العربي، ووجه اهتمامه العمل على انعاش مصر اقتصادياً على اساس استمرار التضخم السكاني فيها وضعف الموارد المحلية، مستهدفاً اقامة الصلح المنفرد مع اسرائيل، واعادة استخدام قناة السويس واعمار مدن القنال التي خربتها الحرب واعادة سكانها اليها. وكان يجهز قواته العسكرية استمراراً للبرنامج الذي ورثه عن عبد الناصر، ولكنه كان يقول انه لايريد الحرب مع اسرائيل. ومع هذا فقد حدد لقادته العسكريين شهر مايو ١٩٧١ موعداً لدخول الحرب مع اسرائيل حتى لو كلفته هذه الحرب مليون رجل. قليلون جداً في اسرائيل الذين اعتقدوا انه جاد بهذا الوعد، وفي عام ١٩٧٢ امر الخبراء الروس وباقي فروع العسكريين منهم والبالغ عددهم ٢٨ الفاً مع عائلاتهم بمغادرة الاراضي المصرية خلال اسبوعين وغادروا فعلاً وبدأ السادات يعمل دبلوماسياً مع امريكا لمغادرة اسرائيل منطقة القنال سلمياً، وفي شهر شباط ١٩٧٣ أرسل مستشاره للأمن القومي اللواء محمد حافظ اسماعيل الى واشنطن وقابل الرئيس نيكسون يوم ١٩٧٣/٢/٢٣ وبحث معه موضوع مساعدة امريكا في ابعاد اسرائيل عن منطقة القنال لإمكان استعماله للملاحة الدولية

ولم يستجب نيكسون لهذا الطلب، وعندها بدأت الصحف المصرية ، ووسائل الاعلام تكتب وتعلن عن صعوبة الوصول الى حل موضوع فتح القنال بواسطة امريكا وانه لا مناص من الوصول لهذا الحل بالقوة، وبدأ السادات يدعو الى اليقظة العربية والتعاون العربي في منطقة الشرق الاوسط وتوحيد العمل الاستراتيجي ،وقد وجد صعوبة في إمكان التعاون مع الرئيس السوري حافظ الاسد وحزب البعث في هذا المجال بسبب تجربتهم القاسية التي مروا بها في حرب ١٩٦٧ وخسارتهم تلك المعركة وضياع منطقة الجولان وقد ترددوا باعادة مثل هذه العملية .

ولكن الرأي العام السوري الذي ينظر الى القضية الفلسطينية كموضوع وطني تتحمل مسؤوليته الامة العربية بأسرها ولا يمكن التخلي عنه، ومع هذا الموقف ونظرا لوجود عدد كبير من الخبراء الروس في سوريا والاسلحة الروسية فقد كان هذا حافزاً للسلطات السورية لإعادة النظر، والتفكير والاستعداد للاشتراك بحرب جديدة ضد اسرائيل، ودراسة الموضوع والوصول الى قرار بطلب المساعدة الروسية لهذه الغاية، وقررت روسيا امداد سوريا بالاسلحة وارسلت لها ٣٠٠ دبابة و٣٠٠ طائرة ميج ٢١ مقاتلة ومئات الصواريخ نوع سام ٦، وكميات من مختلف الاسلحة الخفيفة والمتوسطة واصحبت سوريا اقوى دولة عربية تسليحاً، وفي هذه المرحلة اقترح السادات على سوريا التخطيط للعمل المشترك واجيب طلبه بالترحاب ، وعندها جرت الاجتماعات على مستوى قيادتي الجيشين للتنسيق والتخطيط وتم الاتفاق لعمليتي هجوم من كلتا الجبهتين تحت اشراف قيادة استراتيجية مصرية وقام السادات بزيارتين الى سوريا لهذه الغاية ولتنسيق العمل المشترك خلال شهري ٥و٦ / ٧٣. وقد زار السادات المملكة العربية السعودية للغاية نفسها وتوصل لاتفاق مع الملك فيصل على اساس انه في حالة قيام حرب مع اسرائيل فانه سيوقف شحن البترول الى دول الغرب اذا لم تتوقف عن مساعدة اسرائيل. اما عن الأردن فانها بالرغم من ان القوات السورية هاجمت شمال الاردن عام ١٩٧٠ وان مقتل رئيس وزرائها المرحوم وصفي التل ربما كان بعلم السلطات المصرية وذلك لان انور السادات قد أفرج عن القتلة رغم اعترافهم بارتكاب الجريمة امام المحكمة المصرية اعترافاً صريحاً وحتى انه منحهم بعض الهدايا فقد فضل الاردن موقف الترقب كما

يبدو حتى اذا نجحت العملية اشترك بها والا فانه سيستمر باتصالاته الدولية لاستعادة الضفة الغربية ، وذلك لان التجربة نفسها جرت عام ٦٧ في حرب الايام الستة التي احتلت الضفة الغربية نتيجتها كما سبق ذكره، ومع هذا فانه بعد ان اخفقت هذه العملية كما سيأتي ارسل الاردن لواء مدرعاً للاشتراك مع القوات السورية في الدفاع عندما وصلت قوات اسرائيل الى مسافة ٢٤ كيلومترا عن دمشق بعد ان احتلت جميع اراضي الجولان وجبل الشيخ.

وفي شهر مارس ٧٣ توصل السادات والاسد الى وضع خطة الهجوم وتوقيتها لتبدأ يوم ٦/ ١٠/ ٧٣ تتلاءم مع يوم عيد اليهود الاكبر يوم الغفران، ومع مراحل ضوء القمر، ويوم الانتخابات البرلمانية في اسرائيل وكان الوضع الدولي مناسباً بشكل عام ، وقد قام كل من وزير الحربية المصري اللواء احمد اسماعيل علي ورئيس الاركان المصري سعد الشاذلي بدراسة خطة الهجوم واقرارها بعد مناقشة اخطاء حرب عام ٦٧ ولتجنب الوقوع بمثلها ، وكان قرارها النهائي ان يكون هدف الخطة الأبتدائي محدداً حيث يستولون على منطقة القنال في الفترة الاولى ولا يبتعدون عن منطقة حماية صواريخهم التي تحول دون وصول سلاح الجو الاسرائيلي فوق الجبهة، وأن يمركزوا دباباتهم وقواتهم شرقي القنال بعد اجتيازه، واحتلاله ثم يدرسوا امكانية توسيع الجيش بحسب مجريات الامور.

«كانت القوات المصرية ومعها الخبراء الروس الذين سبق ذكرهم تستعد لمثل هذه العملية في أواخر ايام عبد الناصر،وتتدرّب على عبور القنال باجتياز نهر النيل شرقاً وغرباً تساعدها ١٢٠٠ ناقلة برمائية استوردتها مصر من يوغسلافيا وذلك في منطقة الصعيد كتجارب لعملية اجتياز القنال والاستمرار بعملية مفتوحة عبر سيناء، ولكن السادات استغل هذه القوات لعملية محدودة،القصد منها فتح القنال أمام الملاحة الدولية كما سيأتي شرحه.

كان لدى المصريين والسوريين ٨٦٠ طائرة ٥٥٠ منها لدى مصر و١٣٠ لدى سوريا وعند اسرائيل ٤٨٠ طائرة وبطبيعة الحال كان هناك الطيران العراقي والأردني الذي من المتوقع اشتراكه في الحرب بأية لحظة.

وكان السلاح المدرع المصري يحوي ٢٠٠٠ دبابة روسية والسوري ١٢٠٠ من الأنواع نفسها، ولدى اسرائيل ١٧٠٠ دبابة.

وعند السوريين والمصريين ٣٢٠٠ مدفع ميدان من مختلف العيارات وهو أربعة أضعاف ماعند اسرائيل من المدافع.

وكان القادة المصريون والسوريون يعرفون هذه الأرقام وليس لديهم أي شك في تفوقهم وكسبهم المعركة وخصوصاً أن عنصر المفاجأة هذه المرة بأيديهم خلافاً لما وقع في حربي ٥٦ و٦٧.

كان اللواء الياهو زيرعا مسؤولاً عن الاستخبارات اليهودية في منطقة القنال ويساعده العميد أرك شاليف ولديهما الأجهزة الاستخبارية اللازمة لجمع المعلومات، ويساعدهم عدد من رجال الاستخبارات الأمريكية الذين يعملون بعقود خاصة ولديهم معلومات وافرة عن نشاط المصريين، واستعداداتهم وتمارينهم في منطقة الصعيد وعبر نهر النيل وغيرها، وذلك بواسطة الأقمار الصناعية الأمريكية وطائرات الاستكشاف المتنوعة.

كان رجال الموساد يعتقدون أن السادات والأسد ليست لديهما القوة والكفاءة وسلاح قاذفات القنابل للقيام بهجوم على نطاق واسع.

ومن جهة ثانية لا يعتقدون بخطورة أية عملية عسكرية يمكن أن يقوموا بها، قاموا بتظاهرات واجتماعات واستعدادات، وذلك لأن الحروب السابقة في أعوام ٤٨، ٥٦، ٦٧ جعلت القادة الاسرائيليين لايحسبون لهم حساباً، وكانوا ينظرون إلى التدريبات والمناورات التي لم تكن خافية عليهم على أنها اعمال تظاهرية استعراضية.

ولكن في (٥) اكتوبر وقبل العملية بيوم واحد اتضح لهم أن لدى مصر، وسوريا استعدادات وحشوداً ضخمة للغاية تم حشدها بذلك اليوم بصورة مفاجئة، وأنه لا بد من الاستعداد لها، ولكن الوقت كان متأخراً جداً، وكان اليوم التالي يوم العيد الأكبر وقد ذهب معظم أفراد القوات المسلحة لقضاء عطلة العيد وليس هنالك استعداد لحرب مفاجئة وبهذه السرعة والانذار القصير. ومع هذا قررت القيادة العامة إعلان حالة الطوارئ، وفي الساعة الرابعة من صباح ٦/ ١٠/ ٧٣ يوم بدء العملية جرى ايقاظ

اللواء زرعا من نومه وإبلاغه هاتفياً من قبل جماعة الاستخبارات الأمريكية عن تقدم الحشود الضخمة المصرية التي وصلت طلائعها الى حافة القنال، وبدوره اخبر كلاً من وزير الدفاع موسى ديان ورئيس الأركان اليعازر اللذين بدورهما اخبرا رئيسة الوزراء جولدا مايير والتي دعت الوزارة إلى الاجتماع العاجل في بيتها الساعة ٨ صباحاً وفي الساعة الخامسة جرى اجتماع هيئة أركان حرب القوات المسلحة في وزارة الدفاع بتل أبيب، ودعا اليعازر الى اجراء التعبئة العامة ومباشرة سلاح الجو بالعمليات الحربية فوراً، ولكن وزير الدفاع ديان لم يوافق على القيام بأي اجراء قبل أن تتخذ الوزارة قراراً بذلك باجتماعها المقرر بعد ثلاث ساعات ثم طلب اليعازر حشد السلاح المدرع الفوري استعداداً للحركة، وقال له ديان أن هذا الاجراء أيضاً يخضع لموافقة الوزارة.

حضر وزير الدفاع ورئيس الأركان اجتماع الوزارة في الساعة الثامنة وأعاد اليعازر طلب بدء العمليات من جانبهم ولم توافق رئيسة الوزراء، لأن هذا الاجراء لا يتناسب مع الموقف السياسي وأن عليهم أن ينتظروا بدء الهجوم من الجانب الآخر، وأن يستعدوا للدفاع في العمق.

ومع هذا فقد تم الاتفاق على استدعاء سلاح الدروع فقط وعودة المجازين من جميع وحدات الجيش فوراً وذلك لأن اعلان حالة الطوارئ في البلاد يكلف مبالغ كبيرة قد لاتكون الحاجة ملحة إليها، وقد استدعت مايير سفير الولايات المتحدة كنت كيتنج، واوضحت له الموقف وطلبت منه ابلاغ حكومته عنه والعمل على الاتصال مع الدول العربية المواجهة لاسرائيل للتوقف عن القيام بالعمليات الحربية، وبعدها أرسل كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية برقيات مستعجلة إلى السادات والأسد يطلب منهما عدم البدء بعمليات حربية في المنطقة ثم عاد، واتصل مع مايير وطلب منها عدم البدء بالعمليات فأخبرته أنها قررت ذلك سلفاً.

صدرت التعليمات بعودة جميع المجازين من القوات المسلحة إلى وحداتهم خلال أربع ساعات، وجرى اغلاق الطرق على المواصلات المدنية وبوشر بحشد القوات المدرعة البالغة ١٠٠ ألف جندي.

اجتمعت الوزارة مرة ثانية في الساعة الثانية بعد الظهر ولم يكن في حسابهم أن تقوم مصر وسوريا بعملية على المستوى الذي قامت به بل كان متوقعاً القيام بضرب المدفعية، والغارات الجوية على منطقة القنال في الجبهة المصرية وعمليات جبهوية سورية في الجولان، ولم يكن بحسابهم عبور القنال والقيام بعمليات كبرى، وربما يقوم فدائيون مصريون بعمليات اختراق القنال في القوارب، وإجراء عمليات محدودة، دخل بعض الضباط إلى اجتماع الوزارة. وهمس أحدهم في أذن مايير: أن العدو قد بدأ.

كان القذف المدفعي قد بدأ بإلقاء آلاف القنابل على منطقة شرق القنال ،وقامت الطائرات المصرية بغارات كثيفة عبر سيناء وحتى شرم الشيخ.

وفي سوريا بدأت الطائرات غاراتها على المواقع اليهودية في الجولان . وفي مواقع جبل الشيخ هرع الجنود اليهود إلى الملاجئ، وتبعهم الجنود السوريون، الهابطون من الطائرات المروحية، أو بالمظلات وقتلوا من قتلوا منهم وأسروا الباقين، كان في الجولان لواء مدرع يهودي يحوي ١٥٠ دبابة بعيداً عن خطوط الهدنة ،ومعه وحدات من المشاة وقد فوجئ الجميع بالعملية.

وبعد ساعة من بدء الغارات الجوية السورية في الجولان، وقيام زلزال عنيف من قنابل مدفعيتهم اجتازت خط الهدنة فرقتان مدرعتان قوامهما ٨٠٠ دبابة وتبعتهما ثلاث فرق من المشاة المنقولة بالآليات المصفحة وتقدمت هذه القوات في أراضي الجولان ووصلت إلى الرفية ومنطقة العال، وفي الوقت نفسه فقد هرب سكان المستعمرات اليهودية في منطقة وادي الأردن بأطفالهم وعائلاتهم خوفاً من اجتياح المنطقة.

كانت في الجولان القوة اليهودية التي ورد ذكرها، فجرت اشتباكات بين الطرفين تم خلالها تحطيم دبابات اللواء المدرع اليهودي ولم يبق منها إلا ست دبابات صالحة للقتال،وكانت القوات السورية قد اشرفت على جسر بنات يعقوب في وادي الأردن، الذي كان تحت رماية مدفعيتهم هو والمستعمرات الواقعة غربي بحيرة طبريا، وفي ٧ أكتوبر هبط موسى ديان وزير الدفاع بطائرة مروحية في قيادة اللواء ايتان قائد الجبهة.

اطلع ديان على المواقع، وعرف أن عدداً كبيراً من الطائرات الاسرائيلية التي جاءت للمساعدة جرى اسقاطها بصواريخ سام، وعاد ليقرر مع اليعازر رئيس الأركان لزوم حشد اكبر قوة ممكنة من القوات النظامية، والاحتياطي وإرسالها إلى هذه الجبهة، وجاء اللواء المدرع السابع إلى المنطقة الواقعة بين جبل الشيخ وحسّادة مع قوات كبيرة من الجبهة المواجهة للقوات المصرية التي توقفت على بعد تسعة أميال شرقي القنال بحجة اعادة التنظيم، وبقيت هناك ولم تتقدم إلا بعد إقامة الهدنة كما سيأتي بيانه.

هذه القوات وصلت الى الجولان وتصادمت مع القوات السورية وتمكنت من تحطيم ١٣٠ دبابة سورية يوم ٨ اكتوبر وسيأتي بيان بما وقع في الجبهة السورية حتى إقامة الهدنة.

وأعود لبيان ماوقع في الجبهة المصرية، ففي يوم ٨ أكتوبر كانت حشود القوات الرئيسية المصرية واليهودية تتجمع في منطقة القنال.

كانت القوات المصرية تشمل خمس فرق مشاة، وثلاث فرق مختلطة من المشاة والدروع واثنين وعشرين لواءً مختلطاً من المشاة والمظليين وكان تعداد الجميع ٦٠٠ الف معهم ٢٠٠٠ دبابة و ٢٣٠٠ مدفع و ١٦٠ بطارية من صواريخ سام و ٥٥٠ طائرة، وهذا أكبر حشد عسكري في جبهة واحدة في تاريخ الحروب.

كانت القوات اليهودية المتواجدة في منطقة القنال قبل عملية الغزو قوة رمزية ليست في مستوى القنال وهي عبارة عن ٤٣٦ جندياً من المشاة و ١٧٧ دبابة من السلاح المدرع وسبع بطاريات مدفعية.

وعندما بدأ المصريون عملياتهم فتحوا نيرانهم من المدفعية، واغارت طائراتهم في عمق سيناء ولم يكن هناك مجال للمقاومة، وبدأ العبور بثمانية آلاف جندي في القوارب الى الضفة الشرقية في صباح يوم ٦/ ١٠/٧٣ وحتى المساء كان ثلاثة آلاف منهم يطوقون تحصينات خط بارليف الذي عجزت قواته عن الدفاع او المقاومة، واستسلم الناجون منهم للقوات المهاجمة، ووصلت هذه القوات الى مسافة ٣ أميال

شرقي القنال في مساء ذلك اليوم، وبدأت جرافات من الصنع الروسي تزيل الحواجز الرملية من على الضفة الشرقية للقنال تمهيداً لعبور الدبابات المحمولة على ناقلات .

وفي تلك الليلة عبر القنال احد عشر لواءً مصرياً، وقد حاول اليهود ضرب هذه القوات جواً ولكن دخانا اطلقه المصريون حجب الرؤية بالاضافة الى استعمال صواريخ سام التي اسقطت عدداً من الطائرات المغيرة. وخلال الساعات الاربع والعشرين التالية لبدء الهجوم كانت خمس فرق من المشاة والدروع قد عبرت القنال، واستولت على منطقة خط بارليف.

كانت تقديرات الشاذلي قائد القوات الأولية أن هذا العبور سيكلف المصريين ليس أقل من عشرة آلاف قتيل عدا الجرحى ولكن الخسائر الفعلية كانت ١٨٠ شهيداً.

لقد حاول ماندلر قائد القطعات اليهودية في سيناء التقدم لمساعدة القطعات المدافعة عن خط بارليف وتقدم بدباباته ، وعندما وصل إلى أمام القطعات المصرية وعلى بعد بضع مئات من الياردات اطلق الجنود المصريون صواريخ محمولة على اكتافهم من نوع ساجار الروسية فحطموا ثلاثين دبابة من قوته مع ضياع جميع اعدادها دون أن ينجو منهم أحد ودون أن تشترك الدبابات المصرية بالعملية، ووقع ماندلر أسيراً، تمركز الجيش الثالث شرقي القنال من البحيرات المرة جنوباً بقيادة اللواء عبد المنعم الباسل .

وأخذ الجيش الثاني المنطقة الشمالية اعتباراً من منطقة الجيش الثالث شمالاً وحتى مقابل الإسماعيلية والكونتيلا بقيادة اللواء سعد مأمون .

وكان تقدير القيادة العليا ان هذه القوات بحاجة الى بضعة أيام من الوقت لتمركزهم واعادة تنظيمهم شرقي القنال، وادخال مدافعهم ودباباتهم واحتياجاتهم الأولية بحسب تقديرهم، لكنهم لم يحاولوا التقدم شرقاً كما سيأتي ذكره. وخلال ست وثلاثين ساعة من بدء العمليات كان اهتمام قائد الجبهة اليهودية اللواء جونين هو الحصول على التعزيزات الكافية لتأمين الدفاع عن ممرات المتلا والجدي والكونتيلا وهي الممرات الحيوية والوحيدة عبر سيناء للحيلولة دون اجتيازها شرقاً من قبل القوات المصرية.

ولكن في يوم ٩/ ١٠ اتضح له أن الجبهة المصرية توقفت تلقائياً عن التقدم دون وجود اية مقاومة أمامها، وأنها تعيد تنظيمها في مواقعها بعد أن سيطرت على منطقة القنال، واتضح فيما بعد أن قصدها كان تثبيت مواقعها أولاً، وتحضير مواقع صواريخ متقدمة لتحمي مواصلة تقدمها.

وفي اليوم نفسه كانت فرقة عراقية قد تحركت إلى سوريا، وكان الجيش الأردني يستعد للعمل ولكنه في حالة ترقب عمل الجبهتين المصرية عبر سيناء والسورية عبر وادي الأردن وبناء على موقف مصر، وقيامها باعادة التنظيم «وبناء على معلومات واتفاقيات ذهبت أخبارها مع السادات أو أية أسباب أخرى أظهرت لليهود أن مصر لا تنوي التقدم، وربما أن هدفها الأول هو فتح القنال أمام الملاحة الدولية حرباً، ثم تطوير الحلول السلمية مع اسرائيل التي أعقبتها في مرحلة لاحقة زيارة السادات للقدس ثم اخلاء سيناء من الوجود الاسرائيلي واخيراً الصلح المنفرد الذي تم بين الطرفين. لهذه الأسباب مجتمعة أو بسبب اعادة التنظيم المشار إليه ترك اليهود الجبهة المصرية على حالها، وقرروا توجيه قواتهم الرئيسية إلى الجولان في سوريا مع توجيه قواتهم الجوية الرئيسية إلى أعماق سوريا لضرب الأهداف الحيوية، وقامت بضرب محطة اذاعة دمشق ومحطة القوى الكهربائية في حمص وخزانات البترول الاحتياطية في بانياس وجميع محطات الكهرباء الرئيسيةفي أنحاء سوريا، ودمرت معظم هذه الأهداف أو عطلتها عن العمل رغماً عن اصابة الطائرات اليهودية بخسائر فادحة ولكن هذا اضطر سوريا أن تسحب معظم قواعد صواريخها من الجولان إلى أعماق أراضي سوريا لحماية تلك الأهداف، وهذا الاجراء أضعف الدفاع عن أراضي جبهة الجولان وكانت القوات اليهودية في طريقها إلى الجولان بعد أن تركت الجبهة المصرية تعيد تنظيمها كما سبق ذكره، ووصلت الجولان بعد نقل مجموعات الصواريخ منها إلى الداخل وهذا ما مكن سلاح الجو الاسرائيلي من مساندة القوات المتقدمة ودحر القوات السورية، من الجولان إلى قرب دمشق: وأعود إلى ذكر مواقف الدول الكبرى وأعوانها، من هذه الحرب على أساس مساعي الأمم المتحدة للوصول إلى حلول سلمية في المنطقة.

إذ أن الولايات المتحدة قررت بعد ساعتين من بدء العمليات أخذ دورها الفعال في الموقف ، وبعد عبور القوات المصرية قنال السويس وتوغل القوات السورية في الجولان أصدرت الولايات المتحدة نداءً إلى الطرفين المتحاربين للعودة إلى خطوط الهدنة المتفق عليها بعد حرب ١٩٦٧، وقد عرف كيسنجر وزير الخارجية من سفيرهم في القاهرة أنه قابل رئيس الجمهورية أنور السادات وأبلغه طلب أمريكا وقد اجابه السادات أنه سوف لا يتوقف عن القتال، الا على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذي يقضي بالعودة إلى حدود الهدنة التي كانت قائمة قبل حرب ٦٧.

واجتمعت هيئة الأمم المتحدة لاتخاذ قرارها على أساس الوضع القائم، وقد تشدد مندوب روسيا بلزوم اتخاذ القرار على أساس العودة الى الحدود التي أشار إليها السادات، ووجوب النظر بإيجاد حلٍ شامل لقضية فلسطين على أساس القرارات المتكررة بهذا الموضوع من هيئة الأمم المتحدة.

وقد ذهب الرئيس الجزائري هواري بومدين إلى موسكو يوم ٩ اكتوبر، وقابل وزير الحربية الماريشال اندريو جريشكو الذي قال له: يجب على جميع العرب إرسال القوات، والأسلحة والمؤن حالاً إلى الجبهتين المصرية والسورية مع المتطوعين من شعوبهم وأن يشجعوا على التطوع ويساندوه لأن هذه الفرصة لا تعوض وقد لا تتكرر،وقال أيضاً أنه يجب على القوى العربية أن لاتقف على خطوط الهدنة، وأن يحلّوا قضيتهم في فلسطين بأيديهم. وصدرت يومها جريدة برافدا الروسية تدعو العرب إلى وقف تصدير البترول وقفاً تاماً ، الى اشعار آخر، والى سحب أرصدتهم من البنوك الأمريكية.

وكانت السفن الروسية قد افرغت آلاف الأطنان من الأسلحة والذخيرة في ميناءي الاسكندرية واللاذقية منذ اليوم الأول من بدء العمليات الحربية وفي يوم ٩ اكتوبر بدأت الطائرات الروسية الضخمة بنقل المهمات والذخيرة من قواعدها في هنغاريا من دبابات ومدافع وغيرها وتفرغها في قاعدة تدمر في سوريا وإلى القاهرة واستمرت هذه العملية حتى يوم ٢٢ اكتوبر.

هذا الاجراء ازعج وزير خارجية أمريكا كيسنجر اليهودي المعروف الذي لعب فيما بعد أدواراً متعددة في المنطقة لمصلحة اسرائيل أكثر منها لمصلحة الأمن العام في المنطقة والحق العربي الواضح .

وفي يوم ٢٢ اكتوبر أبلغت روسيا مصر وسوريا أنها ستتوقف عن ارسال الأمدادات إليهما إذا قبلتا الهدنة ووقف القتال، وأكدوا أن هذه الفرصة لا تعوض للعرب وأن عليهم أن يشتركوا جميعهم، في هذه الحرب ويقدموا كل جهد ممكن.

ولا يخفى دور كيسنجر في محادثات كامب ديفيد بين السادات ونيكسون التي قادت السادات لزيارة القدس واجراء الصلح المنفرد واخلاء سيناء وتسليمها لمصر على أساس أنها هي القوة البشرية الأعظم في المنطقة ولا بد من كسب حيادها.

كما أن أسرار تلك المحادثات ، واتفاقياتها ومقرراتها بقيت في رأس السادات.

إذ لماذا وقفت القوات المصرية على بعد بضعة أميال شرقي القناة وانشغلت باعادة التنظيم الذي لم تنته منه واتيحت الفرصة لاسرائيل لتوجيه قواتها الرئيسية والاحتياطية وسلاحها الجوي إلى الجبهة السورية والقيام بعملياتها هناك في حين أن القوات المصرية تقف موقف الانتظار واعادة التنظيم إلى أن عادت اليها قوات اسرائيل بعد أن انهت مهمتها في الجولان واجتازت القناة ووصلت الى السويس جنوباً وأقامت الهدنة مع مصر كما سيأتي ذكره. لقد سيطر على الممرات الوحيدة المؤدية إلى سيناء شرقاً -المتلا والجدي والكونتيلا - المعروفة باهميتها العسكرية، كما أنه كانت لهم فرقتان مدرعتان ترابطان غربي القناة كقوة احتياطية فعادوا وقرروا عبورهما القناة شرقا لتشتركا بعملية الدفاع شرقاً مع القوات المحتشدة ، شرقي القناة، وعلى هذا صار الجيش بمجموعه شرقي القناة، وفرغت المنطقة الغربية من القوات المقاتلة عدا بعض قطعات الاحتياط التي جرى استدعاؤها على عجل ولم تكن بمستوى عالٍ من التسليح والتدريب والاستعداد للقتال .

وفيما بين يومي ٩و١٣ أكتوبر أعاد اليهود تنظيمهم، وعوضوا جميع خسائر الطيران والدروع والمدفعية لمساعدة اعوانهم وحلفائهم الفورية بعد أن أبقوا قطعات دفاعية مناسبة في الجولان بعد دحر القوات السورية.

وفي ١٢ اكتوبر ابلغ كيسنجر بنفسه البرلمان الأمريكي بأن أمريكا ستباشر باتخاذ الاجراءات العملية والمستعجلة للوقوف بجانب اسرائيل، وامدادها بكل مايلزمها من المتطلبات العسكرية، وفي صباح اليوم التالي بدأت الطائرات الأمريكية الناقلة، من مختلف القواعد بنقل الدبابات والمدفعية وذخائرها، إلى اسرائيل، وفي ١٤ اكتوبر وصلت الموجة الأولى منها الى مطار اللد في فلسطين واستقبل طياروها من قبل الفتيات اليهوديات المجندات يحملن باقات الزهور ترحيباً بهم، وكانت حمولات هذه الطائرات تنقل رأساً إلى الجبهة المصرية في غرب سيناء وكانت الشحنات بهذا اليوم قد بلغت ٢٢ ألف طن من التجهيزات الحربية في ٥٦٦ رحلة من الطائرات كما تبعتها في أوقات قريبة لاحقة شحنات أكثر منها منقولة على سفن شاحنة من مختلف القواعد في أوروبا، وجزر البحر الأبيض، كما قرر الرئيس نيكسون صرف مبلغ بليونين ومائتي مليون دولار كمساعدات مادية لاسرائيل.

هذه المساعدات الفورية لإسرائيل هي التي مكنتها من الوقوف في وجه القوى العربية والتفوق عليها.

وأنا بالحقيقة جمعت هذه المعلومات على حقيقتها وبالأرقام الصحيحة وقصدي الحقيقي هو اطلاع كل مفكر عربي عليها،ومعرفته الموقف الدولي تجاه الأمة العربية وأنه لاحل أمام هذه الأمة إلا بوحدتها او اتحادها أو تعاونها.

عبور القوات اليهودية قناة السويس غربا وتطويق الجيش الثالث

في مساء ١٤ اكتوبر اقترح اللواء شارون على قائد الجبهة بارليف أن يعبر القنال غرباً بفرقته التي كان يقودها، وكان شارون قد فكر بالقيام بهذه العملية في حرب ١٩٦٧ وفي الموقع نفسه الذي اقترحه على بارليف حيث كان قد وجد أن الطرف الشمالي للبحيرات المرة يصلح لمثل هذه العملية وقام في حينها بوضع اشارات مميزة لأماكن العبور.

وحينما اقترح كيسنجر على روسيا العمل على وقف اطلاق النار بين الأطراف المتحاربة وقام ببحث هذا الموضوع مع حكومة اسرائيل رأت قيادة الجبهة أنه لم يعد

أمامهم وقت طويل وأقروا اقتراح شارون باجراء عملية عبور القنال غرباً، وتقدمت قوات مدرعة ووصلت الى بضع مئات الياردات شمال البحيرات المرّة وعندها فُتحت عليها نيران المدفعية المصرية من الجيش الثالث واصيبت بخسائر كبيرة ولكن طلائعها وصلت الى حافة القنال وباشرت بوضع جسور عليه لاجراء العملية، وقد تعرضوا أيضاً لنيران المدفعية، وفي الساعة التاسعة صباحاً هبط مائتا جندي من المظليين غربي القنال لتأمين الحماية للضفة الغربية وتقدم لواءان مدرعان لعبور القنال عبر الجسور المطاطية العائمة وقد تعرضوا أيضاً لنيران المدفعية المصرية ثم اشتبكوا اشتباك مواجهة من مسافة قصيرة مع الدروع المصرية وتمكنت احدى الكتائب من اجتياز القنال، واقامة مركز حماية على الجانب الغربي منه، ولم تكن هناك اية قوات مصرية، لمواجهتها ، وذلك لأن مثل هذه العملية لم تكن متوقعة، وكان تقدير المصريين أنها عبارة عن عملية صغيرة، القصد منها اشغال المصريين عن الاندفاع شرقاً وهي بالحقيقة كذلك ولكنها على نطاق أوسع مما قدّر وفي ١٥ اكتوبر وصل كوسيجن رئيس وزراء روسيا إلى القاهرة، للاطلاع على الموقف عن كثب، ولكن المصريين لم يخبروه عن عملية العبور ولم يكونوا قد قدروا أهميتها حتى الآن، وقد أحضر اليهود كميات من الجسور العائمة ومعداتها ووضعوها عبر القنال رغماً عن تعرضهم لخسائر فادحة من المهندسين والخبراء والعمال والمعدات، لكنهم تمكنوا خلال ثلاثة أيام من ادخال باقي فرقة شارون المدرعة إلى غربي القنال وقامت هذه الفرقة بتدمير قواعد الصواريخ في المنطقة دون أن يقابلوا قوات كافية للدفاع عنها.

وفي يوم ١٨ اكتوبر بحث كوسيجن مع السادات اقتراحاً باقامة هدنة مؤقتة بين الطرفين على أساس نقطتين ، الأولى عودة اسرائيل إلى خطوط الهدنة قبل عام ١٩٦٧ على جميع الجبهات العربية ، والثانية الموافقة على عقد مؤتمر للسلام ينظر بقضية فلسطين برمتها ويضع حلاً عادلاً وشاملاً لها.

وفي المساء نفسه عرض الاقتراح سفير روسيا في واشنطن على وزير الخارجية هنري كيسنجر ولكن المذكور رفض الاقتراح، وبعد عرضه على الرئيس نيكسون اتفقا على أن يذهب كيسنجر إلى موسكو لبحث هذا الموضوع مع الروس، وكان كوسيجن قد عاد إلى موسكو وجرى بحث الموضوع هناك واتفقا على ارسال برقية

إلى جولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل يعرضان عليها موضوع هذه الهدنة، واجابتهم مايير بأنها تفضل بحث الموضوع واتخاذ مثل هذا القرار من قبل هيئة الأمم المتحدة وليس من قبل أمريكا وروسيا فقط، وكان قصدها كسب الوقت ، وعلى أساس اقتراحها، هذا جرى الاتصال مع هيئة الأمم المتحدة التي دعت بدورها إلى عقد اجتماع لهذه الغاية على أساس البحث المباشر بين الطرفين المتحاربين وقد وافق السادات مبدئياً على الاقتراح. ولكن مع هذا فقد استمر شحن الأسلحة والمعدات الأمريكية إلى اسرائيل بالاندفاع نفسه واجتمعت هيئة الأمم المتحدة يوم ٢٢ أكتوبر واتخذت قرارها ٢٤٢، وعارض قرارها هذا مندوب الصين، وبناء على هذا القرار طلبت كل من أمريكا وروسيا المباشرة بتنفيذ القرار بتبادل الأسرى وكان هذا لمصلحة اسرائيل نظراً لوجود عدد كبير من الأسرى«أسرى خط بارليف» اليهود لدى المصريين كانت البداية بتنفيذ هذا الطلب بالحاح من كيسنجر ووافقت كل من سوريا والأردن على هذا القرار الذي تضمن العودة إلى حدود ماقبل عام ٦٧ ومباشرة البحث بالصلح النهائي.

أرادت اسرائيل المماطلة وكسب الوقت في ضوء الواقع غربي القنال قبل تطبيق هذا القرار، واندفع شارون بفرقته شمالاً باتجاه الاسماعيلية ليتم حصر الجيش الثاني شرقي القنال كما جرى مع الجيش الثالث في الجنوب والذي جرى أسر عدد كبير من قواته وبقي له عشرون ألفاً شرقي القنال وتم قطع اتصالاتهم وخطوط إمداداتهم، واتجهت قوة أخرى قبل هذا الى جهة السويس وهي التي قطعت الاتصال مع الجيش الثالث كما سبق ذكره.

هذه الاجراءات اتخذتها اسرائيل على عجل لكسب الوقت قبل المباشرة بتنفيذ قرار الأمم المتحدة يوم ٢٢ اكتوبر المشار إليه، وعلى أساس عدم انصياع اسرائيل لهذا القرار ومواصلة قواتها التقدم شمالاً نحو الاسماعيلية وجنوباً نحو السويس.

تلقى سفير روسيا في واشنطن السيد دوبرنين تعليمات من حكومته لإبلاغ كيسنجر أن روسيا ستدخل الحرب مباشرة اذا لم تعد قوات اسرائيل لمواقعها عند صدور قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ يوم ٢٢ اكتوبر.

اتصل كيسنجر مع اسرائيل فوراً وأبلغهم مضمون قرار روسيا بلزوم تقيدهم بتنفيذ قرار الأمم المتحدة، وقد صدر قرار آخر من الأمم المتحدة رقم ٣٣٩ يلزم اسرائيل بإعادة قواتها الى المواقع التي جاءت بالقرار السابق. لم تتوقف اسرائيل عن التقدم جنوباً ووقف العمليات في مدينة السويس وحواليها أو شمالاً باتجاه الاسماعيلية وعندها وصلت برقية من بريجنيف الى دوبرنين تشير الى أن اسرائيل رفضت تنفيذ الاتفاق الذي أقرتاه روسيا وأمريكا بناءً على قرار الأمم المتحدة وعلى هذا فإن روسيا ستضع كل ثقلها في المنطقة ولن تسمح بتطويق الجيش الثاني المصري ولا أن تتصرف اسرائيل ضد هذا القرار الذي أصدرته الأمم المتحدة.

اتصل كيسنجر بنيكسون هاتفياً وأعلمه مضمون البرقية، وكان جواب نيكسون أن أعلن النفير العام للقوات الأمريكية في أنحاء العالم.

وتجنباً لأخطار حرب عامة بين القوتين قرر سكرتير الأمم المتحدة كورت فالدهايم وربما باشارة من أمريكا ارسال ٧ آلاف جندي من قوات الأمم المتحدة الى مصر ولمدة ستة أشهر لتحول بين الطرفين المتحاربين وتعمل على تطبيق قرار الأمم المتحدة وعندها توقفت العمليات الحربية وبوشر بالتفاوض: كانت خسائر المصريين في هذه الحرب ٧٧٠٠ قتيل والسوريين ٣٥٠٠ والاسرائيليين ٩٠٠٠ عدا الجرحى من هذه الأطراف.

وخسر العرب نحو ٢٠٠٠ دبابة و٥٠٠ طائرة.

وخسر اليهود ٨٠٤ دبابات و ١١٤ طائرة.

وانتهت هذه الحرب دون التوصل إلى سلم حقيقي في قضية فلسطين ووضع حد للصراع العربي اليهودي وفي التاريخ عبر لمن يعتبر.

وجرت المفاوضات السلمية بين أنور السادات واسرائيل وبواسطة أمريكا وليس بين مصر واسرائيل، وكانت رحلة السادات إلى القدس وانسحاب اسرائيل من مصر على مراحل، ومعاهدة الصلح المنفرد وتبادل السفراء وتطبيع العلاقات بين الطرفين كما هو جار الآن ونحن في أواخر عام ١٩٨٨ وبقيت فلسطين على حالها تحت الاحتلال والله أعلم بالنتائج.

ملاحظة:

في بداية حرب ٧٣ بين مصر واسرائيل ومباشرة أمريكا بشحن آلاف الأطنان من الأسلحة والذخيرة التي سبق ذكر مفرداتها، كانت اسرائيل قد طلبت من جملة طلباتها كمية من الدبابات حديثة الصنع والتي تحمل مدفعاً من عيار ١٠٥ ميلمتر ولم يكن هذا النوع متوفرا وجرى شحن دبابات مدافعها عيار ٩٠ ميلمترا، ولم تكن قنابل هذه المدافع متوفرة لدى اسرائيل وطلبت من أمريكا شحن هذه القنابل، فاجيبوا بالأعتذار لعدم وجودها بعد أن اتصلوا مع جميع مستودعاتهم ولم يجدوا فيها شيئاً. وبعد بضعة أيام أعلم الملحق العسكري الاسرائيلي وزارة الدفاع الأمريكية أن هنالك ١٥٠٠٠ قذيفة من هذا العيار في مستودعات البحرية في ولاية هاواي واتصلت الوزارة ووجدوا أن هذه الكمية موجودة فعلاً وجرى شحنها فوراً إلى اسرائيل. كانت التنظيمات اليهودية المتغلغلة في جميع فروع الدولة الأمريكية ولم تزل كذلك تعرف جميع أسرارها العسكرية والإدارية، والسياسية لأن أفرادها يعملون في كل هذه المجالات أكثر وأدق مما يعرفه الموظفون الأمريكيون من غير اليهود، وذلك لأن أكثرهم إن لم يكن كلهم مرتبطون بتنظيمات خاصة خارج نطاق الدولة.

الملحق أ

صدر مقال في جريدة الرأي الأردنية يوم ١٧/٨/٨٣ بقلم الفريق صدقي محمود قائد سلاح الجو المصري في حرب عام ٦٧ مع اسرائيل تحت عنوان «**قصة العشاء الأخير**» وجدت في هذا المقال بعض المغالطات التي تخفى على معظم المواطنين الأردنيين، وعلى غيرهم من المواطنين العرب، والشعوب الأخرى، وحتى على السواد الأعظم من الشعب المصري، وسبق أن اطلعت على بعض الحقائق، والوقائع بحكم الظروف والمصادفات آنذاك.

كتبت الرد عليه بالصحيفة نفسها لكنني أردت تثبيت هذا المقال في مذكراتي هذه لأن الموضوع أصبح جزءاً من تاريخنا والمقال يتبع تالياً:

السيد رئيس تحرير صحيفة الرأي المحترم

اطلعت على المقال الذي صدر يوم أمس في صحيفتكم المحترمة تحت عنوان «**قصة العشاء الاخير**» على لسان الفريق الأول صدقي محمود قائد سلاح الجو المصري عام ١٩٦٧.

الذي لاحظته في هذا المقال أن الفريق صدقي محمود قد وضع مسؤولية هزيمة مصر عام ٦٧ في حربها مع اسرائيل على المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر، وعبد الناصر في دار الحق ونحن في دار الباطل، وقد تمنيت لو أن عبد الناصر حي وأن صدقي هذا، وأنور السادات، وامثالهما ممن ظهروا على المسرح بعد وفاته يتقابلون معه ويناقشون تلك المواقف . لقد شاهدتهم أمامه في عدة مناسبات أو بالحقيقة وراءه وليس أمامه ولا أريد أن أصف وضعهم آنذاك الذي لم يكن يخفى على ابن الشارع المصري والعاقل يعرف موازين الرجال.

وجدت أنه من الوفاء ،ومن الواجب القومي أن أذكر لمحة موجزة جواباً على ماورد بهذا المقال ، لا أنقل هذه المعلومات من الذاكرة بعد مضي ستة عشر عاماً على وقائعها ، بل أنقلها مما هو مدون عندي منذ ذلك الحين وقد سبق ذكر وقائعها في متن هذه المذكرات كما يلي:

كنت أجتمع مع الأخ عارف عبد الرزاق أبي رافع قائد سلاح الجو العراقي ووزير دفاع ورئيس وزراء العراق سابقاً، وزميل سابق كمساعد للملحق الجوي العراقي العقيد عبد الخالق السامرائي في لندن حينما كنت ملحقاً عسكرياً، وجوباً هناك عام ١٩٥٢ ، وبيته في مصر الجديدة في القاهرة مجاور لبيت السيد صدقي محمود، وكنا نلعب الشطرنج معاً وأحياناً مع الفريق صدقي. وقبل نشوب حرب عام ٦٧ ببضعة أيام، وبينما كنا نتحدث عن الوضع العسكري العام وعن الحشود المصرية على الحدود واحتمال نشوب الحرب قال الفريق صدقي أن الرئيس عبد الناصر قد جمع قادة الأسلحة البرية والجوية والبحرية وقال في الاجتماع أن أمريكا وروسيا القوتين الرئيستين طلبتا مني أن لا نبدأ الحرب ونظهر أمام العالم أننا معتدون، وانهما ستتعاونان على حل قضية فلسطين سلمياً، ودولياً وبصورة عادلة يقبلها الجميع. وأضاف عبد الناصر أنه فوق هذه التأكيدات التي نقلها له رسمياً سفيرا البلدين كل على حدة لا يطمئن من ناحية غدر اسرائيل واعوانها وطلب من قادة الأسلحة البقاء على أعلى درجات الإستعداد والحذر حتى إذا بدأت اسرائيل بالعدوان يجري الرد عليها فوراً وبكل عنف. وقال الفريق صدقي إنه هو شخصياً رغم كل ماذكر قانع ومطمئن بأن اسرائيل لن تبدأ الحرب، وحتى لو أنها فرضا بدأتها فإن لدينا ضعف سلاحها الجوي تقريبا ليساند سبع فرق مدرعة موجودة على الحدود مع فلسطين عدا عن الأسلحة الأخرى في جبهات سوريا والأردن والعراق .

وقال إن بامكانه تدمير منشآت اسرائيل العسكرية والجوية في ساعات.

ودليلاً على اطمئنانه قال : أنني كنت في بداية التحركات والأنذار بالحرب أجعل ستين طائرة تحلق في الجو لمدة ٢٤ ساعة بالتناوب وهي في حالة الاستعداد للقتال ولكنني الآن، وكان ذلك يوم ٢٦/ ٥ / ٦٧ خفضتها إلى أربع طائرات تخرج للكشف فوق سيناء وشواطئ البحر، وتعود لقواعدها وذلك اقتصاداً للجهد والوقود ، ثم أردف قائلاً أن مصر ليس في نيتها مهاجمة اسرائيل إلا إذا هاجمت الأخيرة سوريا وقد تبين أنه ليست هنالك تحشدات على الحدود بينهما كما أشيع، كما ادعت سوريا مراراً وجود حشود اسرائيلية على حدودها.

وحينما غادر السيد صدقي المنزل قال السيد عارف: لا أدري كيف أفسّر هذا الموقف، وبناءً على هذا الوضع، وتحذيرات الرئيس هذه يجب أن يقسم سلاح الجو المصري الى ثلاثة أقسام ثلث في الجو والثلث الثاني جاهز للاقلاع والعمل خلال دقائق والثلث الأخير موضوع في الاحتياط للعمل بعد انذار قصير، هذا ماتعرفه أسلحة الجو في مثل هذا الموقف، وأما اربع طائرات تكشف وتعود في وضع خطير كهذا وبعد تأكيد الرئيس شخصياً وهو يبلغ قادة الأسلحة أنه غير مطمئن لتأكيدات الدول العظمى وقد طلب من قادة الأسلحة البقاء في حالة الاستعداد القصوى للرد على أي تحرك فلا أرى تفسيراً لهذا إلا أنها حالة الاهمال القصوى.

وبعد يومين جرى اجتماع لعدد من الضباط العراقيين والسوريين المقيمين في القاهرة وأنا معهم من الأردن مع السيد حسن صبري الخولي مستشار الرئيس عبد الناصر وجرى اعطاء واجبات تسليم المقاومة الشعبية في قطاع غزة لبعض الضباط السوريين ومنهم العقداء جادو عز الدين وجاسم علوان ورائف المعرّي، وطلب العراقيون وأنا معهم الاشتراك مع الوحدات النظامية في الجبهة وقد أعطي اليّ واجب الالتحاق بقيادة الجبهة لتنسيق العمل مع القوات الأردنية في المناطق المقابلة لقطاع غزة وخليج العقبة التي كانت القوة الأردنية ستتقدم منها لمقابلة الجيش المصري وتنظيم التعاون بينهما كضابط ارتباط بين الجيشين على أن نلتحق بأماكن عملنا ٥/٦/٦٧.

وفي صباح اليوم المذكور تحرك الأخوة السوريون الثلاثة بطائرة السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء العراقي الذي كان ذاهباً لزيارة الجبهة ومعه المشير عبد الحكيم عامر والفريق صدقي محمود ليصلوا إلى قطاع غزة أولاً وليتفقدوا الوضع ثم يزوروا قيادة الجبهة.

تحركت من بيتي في حي الدقي في ذلك الصباح قاصداً رئاسة الجمهورية لأخذ التعليمات الأخيرة وتحديد موعد حركتي إلى الجبهة، وفي الساعة السابعة وخمسين دقيقة صباحاً سمعت صفارات الانذار تصدر من جميع الجهات وبدأ رجال المرور يوقفون السيارات على جوانب الطرق وعندما استوضحت عن السبب قيل لي إن هجوماً جوياً يجري على مصانع حلوان وعلى مطار الماظة العسكري.

كان لابد من وصولي إلى رئاسة الجمهورية لترتيب الذهاب إلى الجبهة، أو القيام بواجب جديد، ذهبت عن طريق القلعة – المقطمّ ووصلت الى الرئاسة فوجدت الباب مغلقاً وجماهير الناس تحتشد أمامه يستطلعون الأخبار وكانت الاذاعة تردد أعداد الطائرات المعادية التي أُسقطت ويزداد العدد كل بضع دقائق بصوت المذيع السيد أحمد سعيد. طلبت السيد حسن رأفت مدير مكتب الشؤون العربية هاتفياً وفتح لي الباب وتركت سيارتي بين الجماهير ليستمعوا إلى الأخبار من الراديو لفرط حماستهم وصعوبة تحريك السيارة بينهم ودخلت إلى الرئاسة وعندما قابلت السيد حسن صبري الخولي في مكتبه، وكان صامتاً، ويضع كلتا يديه على صدغيه وسألته عن الموقف أجاب بذهول قائلاً: خلاص انتهينا، واستطرد قائلاً إن تسع مطارات في سيناء يجري ضَرْبها الآن وباستمرار، بالاضافة إلى مطار الماظة ومصانع حلوان وإن حركة طائراتنا في هذه المطارات قد شلت تماماً.

بقيت هناك نحو ساعتين وكانت الغارات الجوية المعادية قد شملت عشرة مطارات أخرى في الدلتا ومناطق القاهرة وأمكن نقل خمسين طائرة إلى المطارات الجنوبية ونقل بعض القاذفات الثقيلة إلى الجنوب ثم إلى خارج الأراضي المصرية.

بعض الطائرات اشتركت بالعمليات وبعودتها وجدت ممرات مطاراتها قد ضربت وتحولت إلى مطارات أخرى، فوجدت أن مطاراتها قد ضربت أيضاً، وقد انتهى وقودها او شارف على الانتهاء فنزلت نزولا اضطرارياً حيثما أمكن وتحطمت أو تعطلت أو أنها لم تعد تتمكن من الاقلاع.

تصورت سيارة الفريق صدقي وحديثه لي وللأخ عارف قبل اسبوع من العملية وكان موقفاً حزيناً يدعو الى اليأس، وفقدان الأمل.

الاخوة الذين ذهبوا بالطائرة الى غزه جرى ابلاغهم عن بدء المعركة بعد تحليقهم فوق سيناء وعادوا، وهبطوا في مطار الاسماعيلية وما أن استقرت طائرتهم وخرجوا منها حتى جاءت طائرة معادية وفتحت النار عليها فاشتعلت وتفجرت وقتل فيها الضابط العراقي المرافق للسيد طاهر يحيى.

بقيت الأمور غير واضحة حتى المساء، وكان مذيع القاهرة يكيل الأخبار كيفما اتفق، ومعظمها او كلها منافية للواقع، وقد اتضح مساءً ان حركة سلاح الجو المصري قد شلّت تماماً وان أمراً قد صدر من القيادة العامة بالانسحاب الشامل من الجبهة ، وكانت القيادة العامة مشلولة ايضا حيث تعطل الاتصال الهاتفي واللاسلكي نهائياً مع الجبهة ولم تعد اجهزتها تعمل ولم تعرف الأسباب في حينها، وقد اتضح فيما بعد ان سفينة الاتصال الأمريكية ليبرتي هي التي عطلت الاتصال اللاسلكي، وان طائرات عامودية اسرائيلية دخلت وراء خطوط الجبهة بعد ضرب قواعد الطيران المصري، وعطلت الاتصال الهاتفي بينها وبين القيادة. ولقد فوجئت الجبهة بغارات جوية مركزة واجتازتها لتضرب القواعد الجوية في سيناء والدلتا وتشل حركتها وقد عجز سلاح الجو عن مساندة الجبهة، او القيام بأي نشاط مؤثر، ثم ركز العدو هجومه على اكداس الذخيرة، والوقود الضخمة الموزعة في احدى وعشرين قاعدة عبر سيناء، ودمرها ثم تحول الى الوحدات العسكرية المكشوفة في الجبهة، وفي العمق والتي عجزت بدورها عن التزود بالوقود والذخيرة بعد نفاد ماتحمله منها وتوقف الاتصال بين قياداتها وفروعها، وصارت الوحدات تتقهقر بلا نظام، ودون امكان تلقي الأوامر ، تاركة جميع آلياتها بعد ان نفد وقودها وبعد ان قطعت مسافات متفاوتة على حسب كمية ماتحمله كل منها، واتجهت غرباً عبر سيناء سيراً على الاقدام ، وقد قتل أومات عطشاً او انهك جسمانياً نحو ثمانية عشر الفاً منهم، ووقع في الأسر نحو خمسة آلاف، وقتل اليهود منهم اثناء الأسر كل من اعتقدوه ضابطاً او اعجبهم شكله انتقاماً فردياً لقتلاهم، ولم يعد منهم إلا القليل.

سمعت شخصياً احاديث كثرة ممن نجوا من الأسر من المعارف والجيران الذين اجتازوا الصحراء ووصلوا الى القاهرة عن المآسي التي واجهوها اثناء هذه الرحلة القاسية بكل مخاطرها.

لقد كتب الكثيرون عن تفصيلات هذه المعركة قبل، وبعد وقوعها اذا حق ان نسميها معركة، وليس هذا موضع الخوض بتفصيلاتها لأن قصدي من هذا العرض هو موقف سلاح الجو المصري الذي بحسب اعتقادي كان السبب الرئيسي لخسارة تلك الحرب سواءً على الجبهة المصرية، او على الجبهتين الأردنية و السورية ،

وايضاح موقف جمال عبد الناصر في هذا المجال، كما ان المشاكل الداخلية التي اعقبت هذه الحرب، ومحاولة التحقيق مع قادة الأسلحة المسؤولين، ومحاكمتهم كان سببها الرئيسي هو اهمال سلاح الجو، وعجزه عن حماية قواعده، وحماية الجبهة ومستودعاتها وخطوط اتصالاتها ، ولأن هؤلاء القادة التجأوا الى بيت المشير عبد الحكيم عامر الذي أصرّ على حمايتهم، وقد تطور الموقف للتحقيق مع المشير نفسه الذي رفض ذلك وتناول جرعة السم التي اودت بحياته، واخذ التحقيق مجراه ووصل الى النهاية المعروفة في محاكمة اولئك القادة.

تعليق

انني كلما استعرضت هذا الموقف ،وعاد الى ذاكرتي احاول ان اقنع نفسي بأن عملية القضاء على سلاح الجو المصري المتواجد في تسع عشرة قاعدة، تسع منها في سيناء وعشر في الدلتا وغيرها جرى تدمير طائراته او تعطيلها عن العمل خلال ١٧٠ دقيقة وكذلك تدمير احدى وعشرين قاعدة تمرين في سيناء من قبل سلاح الجو الاسرائيلي، اعجز عن الاقتناع وتراودني نفسي بأفكار أن هذه العملية اكبر من قدرة اسرائيل وطاقاتها واعتقد أن عملية كهذه لا يمكن لأسرائيل ان تقوم بها منفردة.

واذا استعرضنا معارك الحرب العالمية الثانية نجد أن سلاح الجو الأمريكي مع حلفائه قد أغار على برلين بقوة الف طائرة في آن واحد بسيل لا ينقطع من الأسراب المتلاحقة، ومثلها على مدينة درسدن الصناعية وعلى أماكن أخرى في المانيا ولم يحرز أهدافه كاملة، وقد شاهدت مواقع تلك الغارات ونتائجها بعد الحرب، وكان هدف تلك الغارات في كل مرة على مدينة واحدة، وعلى اهداف محددة وليس على ثلاثين هدفاً في آن واحد وخلال ١٧٠ دقيقة، وبعد استعراض حجم المساعدات التي تلقتها اسرائيل صار عندي اعتقاد أن المحاولات، والمداخلات السياسية، والوعود المزيفة لمصر لحل قضية فلسطين حلاً عادلاً اعطت وقتاً كافياً لتحضير هذه الضربة الجوية بتعاون حلفاء اسرائيل، واعوانها وهيأت أفكار بعض القيادات المصرية واهمها سلاح الجو بأنه ليست هنالك حرب وأن الموقف بطريق الحل السياسي وأن

هدف الحلفاء الغربيين وخاصة الذين تأثروا بتأميم قناة السويس، وإنهاء نفوذهم في المنطقة ، ثم تعاون مصر مع روسيا زاد اهتمامهم بالحفاظ على وضع أسرائيل، وتقوية وجودها في المنطقة لهدف آخر هو إنهاء الحكم القائم في مصر الذي يعمل على إنهاء وجودهم السياسي والاقتصادي في المنطقة ويزاحمهم على مناطق البترول في هذه البلاد.

ماذا بعد حرب حزيران

فوجئنا ليلة ٩/ ١٠/ ١٩٦٧ باثناء خطاب كان يلقيه الرئيس عبد الناصر على شاشة التلفزيون وكان حقاً خطاباً تاريخياً مؤثراً وبمنتهى الجرأة والصراحة أن الرئيس قد تحمل شخصياً مسؤولية الهزيمة كاملة وأعلن استقالته معترفا بالهزيمة وتاركاً المجال لنائبه السيد زكريا محيي الدين وللشعب المصري ليقرروا من سيتحمل المسؤولية على أساس الأمر الواقع.

وبعد بضع دقائق من إنهاء خطابه سمعنا ضجة في الشارع العام شارع التحرير في حي الدقي حيث نقيم ونظرنا من الشرفة واذا بحشود الناس يهرعون الى الشوارع بشكل لم ار له مثيلاً، فنزلت الى الشارع مدفوعا بحب الاستطلاع وإذا بمئات والوف المواطنين يصيحون بالشوارع افراداً وجماعات قائلين لا بد يل لعبد الناصر وكلنا فداء عبد الناصر ، ومشيت باتجاه ميدان التحرير، وعندما وصلت كوبري التحرير على بعد مائتي متر من منزلنا رأيت أن اتوقف عن السير، واعود الى المنزل بسبب كثرة الزحام وخطورته وقد ظهر الناس وكأنهم اصيبوا بمس من الجنون .

وقد وصل الى القاهرة اكثر من مليوني شخص في تلك الليلة ونحو خمسة ملايين في اليوم التالي من الوجه البحري ومن الصعيد وقاموا بتظاهرات جماهيرية لم أشاهد او اسمع بمثلها في اي مكان او زمان مطالبين ببقاء عبد الناصر ورفض اي بديل عنه.

رفض زكريا محيي الدين العمل كبديل لعبد الناصر بخطاب عاطفي ومؤثر اذيع من محطات الاذاعة والتلفزيون ضاماً صوته لأصوات الشعب، واجتمع مجلس النواب وأقر بالأجماع سحب استقالة عبد الناصر الذي بدوره اطلع على القرار ووافق على سحب استقالته.

ادعى المغرضون، والمظللون في مصر، وخارجها بذلك الحين وفي مراحل لاحقة أن العملية مصطنعة وانها جرت بترتيب اعوان عبد الناصر، وأنا أقول حقاً وصدقاً وكشاهد عيان، ومطلع على اسرار الأمور ان العملية نبعت من صميم الشعب العربي المصري، وأنا متأكد من ذلك لأنني من الشعب واعيش معه، وفي الأساس فان الخطاب لم يكن متوقعا والاستجابة كانت فورية وخلال دقائق من انهاء الخطاب ولم يكن هنالك وقت لتحضير ردة الفعل وتحريك الآلاف والملايين من بيوتهم، ومدنهم وقراهم والخطاب كان اساساً مفاجئاً للجميع وغير متوقع.

سحب عبد الناصر استقالته بكلمة مؤثرة وطنية وعاطفية لا يمكن لمن سمعها أن ينسى وقعها في احساسه وضميره، ولا يقدر على القاء مثلها إلا عبد الناصر.

وواصل عبد الناصر المسيرة وبدأ الجسر الجوي الروسي ينقل الأسلحة والمعدات الى مصر، اسلحةً بلغت قيمتها ثلاثة بلايين جنيه كمساعدة وربما أنها تعويض عن الشعور بعقده الذنب بسبب نصيحتهم الشهيرة بعدم بدء الحرب من جانب مصر التي قدمها سفيرهم رسمياً على لسان حكومته لعبد الناصر كما قدم مثلها سفير أمريكا، وربما أنه جرى تظليل روسيا، وخداعها لتقدم هذه النصيحة عن قناعة وان غيرها كان يضمر غير ما يفعل. كما جرى ارسال اسلحة، ومعدات اخرى بقيمة سبعة بلايين جنيه من روسيا وجرى تقسيط أثمانها على مراحل.

بوشر بإعادة تنظيم القوات المسلحة، ولعق الشعب المصري الطيب جراحه ووقف الى جانب عبد الناصر بكل عزم وتصميم.

كان لا يرى بيت في انحاء مصر لا يرفع الراية السوداء حداداً على ابن او قريب أو صديق لم يعد، ولا يعرف مصيره إلا نادراً لكنهم صمدوا لتلك الكارثة، واستجابوا لنداء الواجب. كان لابد من اسناد بعض المسؤوليات وبيان جوانب من اسباب الكارثة

للشعب وجرت انتفاضات وتحقيقات، ومحاكمات ما كانت بطبيعة الحال تتم لو ان النصر كان الى جانب الامة العربية ولكن كلمة السيد غليوم ولهلم امبراطور المانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى «ويل للمغلوب» تبقى صالحة لكل زمان ومكان.

موجز عن بعض الأوضاع الداخلية في مصر وصولا الى حرب ١٩٦٧

اطلعت على مقال كتبه السيد عبد الله إمام الكاتب المصري المعروف في جريدة الرأي الأردنية يوم الثلاثاء الموافق ١٩/ ٧/ ٨٣ بعنوان «**القصة الكاملة لأنقلاب ١٥ مايوفي مصر**» وعلى أساس النكتة التي وردت في المقال على لسان المرحوم جمال عبد الناصر «إذا وقع العجل كثرت السكاكين»، وبهذه المناسبة لابد لي أن اسحب سكيني مع الساحبين لأبين الفرق بين بعض مواقف عبد الناصر والسادات: في عام ١٩٦٦ اثناء إقامتي في القاهرة كنت اتبادل الزيارات مع السيد أحمد حلمي الصّبان الضابط المتقاعد من الجيش الاردني، وابنته مريخ متزوجة لأبن شقيق الرئيس السيد محمد نجيب، وكنت اتقابل مع السيد نجيب في بيت حلمي باستمرار، وقد تحدثنا عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، اسبابها واتجاهاتها ونتائجها وعن الخلافات التي كانت ولم تزل قائمة بين مصر وبعض البلدان العربية، وتطرقت لهذه المقابلات، واحاديثها في الجزء الأول.

لم يعد سراً أن أذكر انني عام ١٩٥٠ كنت قد اطلعت على موضوع تنظيم الضباط الأحرار في مصر، واهدافهم في ذلك الحين، وقبل قيام الثورة بعامين من الأخ شعراوي جمعة حينما كنا معاً في دورة عسكرية في بريطانيا ، وعندما نقلت للقيادة العسكرية المشتركةعام ٥٧ كان شعراوي مديراً لفرع التسليح في قيادة الجيش المصري، وقد تحدثنا مع المشير عبد الحكيم عامر عن تلك المرحلة كما سبق ذكره، ولا شك انه سيكون سعيداً اذا اطلع على هذه المذكرات ، وقد اطلعني شعراوي على مراحل تحركات الثورة المصرية، اسبابها ونتائجها ، وعرفني على الكثيرين من اعضائها.

واعود الى موضوع السيد محمد نجيب حيث قال لي إنه دُعي للاشتراك مع مجموعة الضباط الأحرار قبيل قيام الثورة، ووافق ثم قاموا بالثورة، واستولوا على السلطة بالطريقة المعروفة.

وإنه اختلف مع مجلس قيادة الثورة عندما اصبح هو رئيسها ، على امور جوهرية عامة وليست شخصية، ومنها قوله إن مصر كانت على وفاق، وصداقة مع معظم البلدان العربية إن لم يكن معها كلها في أيام الملكية، وأنه كان يرغب الإبقاء على تلك العلاقات وتقويتها، وقال إن الثورة قامت أصلاً ضد الاقطاع الفاحش، والأستغلال والمفاسد. وطالما ان السلطة صارت بأيديهم، فإنه يعتقد بلزوم إقامة الحكم الديموقراطي بعد تنقيته من الشوائب وان لا يقعوا بالأخطاء نفسها التي ثاروا من اجلها ، وقال أنا أؤمن باستمرار السيطرة على الحكم، وعدم السماح بانحرافه وضمان تطبيق الدستور، والقانون، والنظام،ثم أرى أن يتولى بعض الضباط مناصب وزارية تتلاءم مع كفاءاتهم، والى مرحلة مناسبة ،ولكن لايكون كل الوزراء من الضباط وخصوصاً الوزارات الفنية والعلمية.

طُرح اسم انور السادات، وكان في حينها مسؤولاً عن الصحافة فقال ، ان هذا يعمل على بث التفرقة بين مصر والبلدان العربية ويوجه الصحافة، وكل وسائل الأعلام الى هذا الهدف وهو ليس لمصلحة مصر ولا لمصلحة البلدان العربية وخصوصاً في المشرق العربي الذي يعاني الكثير من القضية الفلسطينية مباشرة ولا أدري ماهو الدافع وما هي الفائدة من تبني هذا الموقف.

إنني لست في سياق البحث بتفصيلات الخلافات بين مجلس قيادة الثورة، والسيد محمد نجيب التي عرفت بعضها منه شخصياً، واوجزتها في متن المذكرات لكنني استشهد هنا باللواء نجيب عن مواقف السادات بذلك الحين مع البلدان العربية ومحاولة ابعادها عن التعاون مع مصر، أو مع بعضها اضافة الى ماذكرته عن موقفه في مؤتمر عدم الانحياز الذي سبق ذكره وبحضوري مع الأخوة نعيم عبد الهادي وشفيق الرشيدات، واوجزه تالياً بهذ المناسبة:

لقد انعقد مؤتمر دول عدم الانحياز في القاهرة عام ١٩٦٦، وحضره مندوبو البلدان المشتركة فيه ولم تكن الأردن ممثلة بذلك الحين، وقد حضرته مع الآخرين

المذكورين اعلاه بتنسيب من السلطات المصرية، وكان السيد انور السادات رئيساً لهذه الدورة.

كان كل وفد يجلس معه على حدة قبل افتتاح المؤتمر لبحث اوضاع بلده، ومدى ارتباطها بأهداف المؤتمر ،وقد جلسنا معه على حدة، ودارت احاديث مختلفة عن اوضاع الأردن العامة، ودورها الرئيسي بقضية فلسطين، وكنا لاجئين سياسيين في مصر لكنني اعتقد أننا مثلنا الأردن بصدق وشجاعة اكثر من اي وفد اردني، وعلى اي مستوى فيما لو اتيح للأردن الإشتراك بالمؤتمر، وارسال وفد رسمي.

وعندما خرج الحديث مع السادات عن مستوى الأردن الى المستوى العربي العام، ولزوم التنسيق بين البلدان العربية اسوة بغيرها قال لنا السادات : اقول لكم بصراحة والحديث بيننا إن مصر قد تضررت، وتدهور اقتصادها بسبب مداخلاتها في العالم العربي.

لقد ساعدنا ثورة الجزائر بكل انواع الأسلحة اثناء ثورتهم ضد فرنسا التي حقدت علينا، وتبنت غزو مصر بالاشتراك مع اسرائيل، وبريطانيا في غزو عام ١٩٥٦ وبعد هذا كله فهذه جزائر ابو مدين تناصبنا العداء «يعني بها الرئيس هوّاري بو مَدين» ثم توحدنا مع سوريا في إقامة الجمهورية العربية المتحدة مدة ثلاث سنوات انفقنا خلالها ملايين الجنيهات من الخزانة المصرية، وخرجنا في نهايتها مطرودين كما هو معروف لديكم انتم بالذات لأنكم كنتم تقيمون في دمشق بتلك المرحلة.

ساعدنا ثورة العراق عام ١٩٥٨ بما امكن من الأسلحة، والعتاد نقلناها لهم جواً، وعلى وجه السرعة، وهاهي ثورة العراق، وقائدها نفسه عبد الكريم قاسم يقفون منا موقف العداء.ذهبنا لمساعدة وتثبيت ثورة اليمن ومساندة الشعب فذبحوا الكثيرين من جنودنا في الشوارع والبيوت اغتيالاً ولم يكن يتورع الجار عن مفاجأة جاره، وذبحه.

نحن مالنا ومال العرب، ان شعب مصر أحوج لهذه المساعدات: قلت يومها للأخوين نعيم وشفيق لو أن هذا الانسان يتولى القيادة السياسية في مصر فإنه سيدير ظهره الى المشرق العربي نهائياً، وكأنني كنت اتنبأ بما حصل مع السادات فيما بعد.

افتتح السادات جلسة المؤتمر بالحديث عن لزوم التعاون العربي والاسلامي بطريقته، ولهجته الخطابية المعروفة ولكن كلامه كان على نقيض اعتقاده الشخصي الذي ذكره لنا قبل الجلسة.

ثم اعطى الكلمة للسيد كريشنافيون مندوب الهند الذي بدأ كلامه قائلاً:

انني انصح الأخوة العرب باسم الشعب الهندي بأن يتعاونوا تعاوناً صادقاً، ومخلصاً، واكيداً، وان لم تفعلوا هذا فأن اسرائيل ستتغلب عليكم جميعاً على مراحل، وتسيطر على معظم اراضيكم،لاتقولوا أن عددكم يزيد على مائتي مليون، وإن مساحة بلادكم شاسعة وإن عدد اليهود في فلسطين لا يزيد على ثلاثة ملايين يقيمون على رقعة صغيرة من الأرض، لقد كان عدد الأنجليز في بلادهم بحدود تسعة عشر مليوناً، وكنا نحن أربعمائة مليون، وجاءوا الينا بالحيلة والمال والعلم وبقصدا التعاون في الصناعة والتجارة واستغلوا كل شيء في بلادنا لمصلحتهم ولمدة مائتي سنة كما تعرفون.

ايها العرب تنبهوا وتعاونوا وخذوا من تجربتنا هذه.

هذا كلام مندوب الهند بعد كلمة السادات الذي حضّ بدوره على التعاون العربي ولكن بعكس حديثه معنا قبل جلسة المؤتمرالذي ذكر فيه عدم الجدوى من التعاون العربي.

أن موضوع التعاون العربي للوصول إلى الإكتفاء الذاتي، ثم العمل على تسويق انتاجها للبلدان الصديقة، والقريبة خصوصاً في آسيا وافريقيا التي تغطيها الصناعات الاوروبية والتي تستورد خاماتها من هاتين القارتين، وتدير مصانعها على بترول المنطقة يعد اكبر مجال حيوي لإنعاش مستوى هذه البلاد، في جميع المجالات وضربة لبلدان اوروبا التي تستغل خامات واموال هذه الشعوب.

لقد خاضت أوروبا عدة حروب بسبب التنافس على استغلال هاتين القارتين وجرى احتلال معظم بلدانهما بالقوة في معظم الحالات وحينما لم يتمكنوا من استمرار هذا الإستغلال، بالطرق السلمية، وبأسم المصالح المتبادلة. وقد عادوا بعد الحرب الثانية لإقامة الأحلاف والإتفاقيات الإقتصادية لتحل مكان الإحتلال السابق

والإستغلال بالقوة. اراد عبد الناصر أن ينهج نهج اوروبا، وقد قال لنا يوماً في القيادة المشتركة إن رقعة الأراضي الزراعية في مصر لم تعد كافية لإعاشة الشعب المصري الذي يزداد عدده بنسبة هائلة، ولا بد من تصنيع مصر وتغطية ما أمكن من اسواق افريقيا وآسيا بالمصنوعات المصرية ولذلك اشترينا مصانع، ومعامل من روسيا ويوغوسلافيا وبلدان الكتلة الشرقية، وبكميات كبيرة وبالدّين ولنسدد اقساطها من ارباح منتجاتها وبأقساط طويلة الأمد.

لقد عيّن السيد عثمان نوري سفيراً في نيجيريا وجاء يودعني، وقد كنا ملحقين عسكريين في المانيا كما سبق ذكره، قال عثمان إن مصر اعطت نيجيريا قرضاً بقيمة ثلاثين مليون جنيهاً ليسدد على مدى عشر سنوات، وبدون فوائد على أن يشتروا بما لا يقل عن عشرة ملايين من منتجات مصرية، وقال إن مثل هذا الإجراء تم مع ثمانية بلدان اسيوية وافريقية.

بدأت الصناعات المصرية تتزايد، وتصل حتى الى أمريكا وتحرك الانتعاش الإقتصادي المصري بقصد تغطية عدة أسواق خارج مصر منافساً للبضائع الأروربية، وهذا من جملة الأسباب التي جعلت بلدان اوروبا تشجع، وتساعد اسرائيل على حرب عام ١٩٦٧ والتي كان من أهدافها الرئيسية إنهاء نظام حكم عبد الناصر.

ربما أن السيد عبد الله إمام أراد في مقاله المشار إليه أن ينحاز إلى جانب السادات والذي لم أشر الى ما ورد به لكنني رغبت اظهار رأي السادات في تعاون مصر مع المشرق العربي، وأما رأي عبد الناصر فلا يحتاج الى بيان، وأنا في الحقيقة اكتب الوقائع كما سمعتها وعرفتها.

ملحق ب

ملاحظات عن مواقف بعض القيادات السياسية العربية

في مراحل التحرر من الأستعمار

١ – اثناء اقامتي في مصر عام ١٩٦١ إلى ١٩٦٩ كان الكثيرون من الأقطار العربية في مثل وضعي آنذاك تجمعنا الأسباب نفسها في تلك المرحلة. ومنهم صالح بن يوسف ويوسف الرويس من تونس. صالح اغتيل في احد فنادق باريس في فرنسا، ويوسف كان معنا في دمشق، وبعد انفصال سوريا عن مصر حضر معنا إلى القاهرة، وكنا نلتقي باستمرار، وفي أحد الأيام وبينما جرت مصالحة بين عبدالناصر والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وحضر الأخير إلى القاهرة للتفاهم مع عبدالناصر، طلبني يوسف هاتفيا، وقال اسرع واحضر لأن بورقيبة قادم لزيارتي فذهبت إلى بيته، ووصل بورقيبة بعدي، وسلّم وجلس معنا، وبدأ الحديث قائلا :يأخ يوسف أنت وصالح بن يوسف وانا شكلنا حزب الأستقلال، وصالح ذهب في طريقه رحمه الله وبقيت أنت وانا، وباقي الرفاق القدامى، وكما تعرف فقد حصل الخلاف بيننا على اساس أنكما تطالبان باخراج فرنسا بالقوة كما كانت الجزائر تعمل على هذه الطريقة وسارت على هذا الهدف، وانا كنت أتبع السياسة السلمية على اساس خذ وطالب واختلفنا على هذا، وحضرتما انت وصالح إلى القاهرة وبقيت ومجموعتي نطالب بتسلم ادارة بلدنا واخذ حقوقنا تدريجيا وبقدر امكانياتنا العملية، واتفقنا أخيراً على اتباع هذا النهج، وصرنا كلما امكننا ادارة جانب من السلطة نتسلمه مع الابقاء على الخبراء الفرنسيين إلى مرحلة تنتهي باتفاق الطرفين وذلك لأننا لم تكن لدينا الكفاءة والمقدرة لطرد الفرنسيين بالقوة وإقامة دولة مستقلة دفعة واحدة دون خلافات داخلية وصراعات على المناصب والحكم ومقدرة مالية للقيام بواجبات دولة، وتأمين الكوادر الإدارية والأمنية الكافية دفعة واحدة.

حصلت الجزائر على استقلالها بالطريقة الأخرى، ولكن بعد خسارة مليون مواطن شهيد وبعد دمار اقتصادي يعادل الاف ملايين الجنيهات، ولم يكن ديغول رئيس فرنسا يتردد في التعاون معهم على اخذهم الأستقلال التدريجي على مراحل كما هو الحال معنا، والأستمرار بالتعاون على قدام المساواة.

وأخيراً هانحن حصلنا على استقلالنا الكامل الناجز، وبقيت علاقاتنا الحسنة قائمة مع فرنسا، نستفيد من تقدمها في جميع نواحي الحياة والتقدم الفني والمهني والعلمي على قدم المساواة ودون صراعات داخلية على السلطة، والمنافع الشخصية، وقد استمر الأمن والأستقرار في بلدنا كأحسن مما هو في أي بلد في المغرب العربي.

هانحن نتمتع بالأستقلال الكامل الناجز فما قولك أن تعود معي، وتسهم بالعمل في بلدك بعد هذا العناء وطول الغياب، ونحن اخوة وكان اختلافنا بناء على اجتهاد كل منا لمصلحة بلده، وليس لمصالح شخصية، وقد اتفقا وعاد يوسف إلى تونس، وعمل رئيساً، للبرلمان، والحقيقة ان هذه القضايا تخضع للاجتهاد والخطأ، والصواب وفي حالة حصول الصواب يعتبر عملاً وطنياً ناجحاً، يسجله التاريخ وتتغنى به الشعوب، وفي حالة الخطأ يعتبر خيانة وطنية يسجلها التاريخ أيضاً، وكلاهما يتوقف على الحظ وليس على علم الغيب.

٢ - موضوع مقابلتي للسيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق الذي ورد في الجزء الأول، ولا ارى داعياً لتكراره، ويمكن للقارئ ان يستعرض، ويستنتج فوائد ومضار حلف بغداد الذي كان يتبناه نوري السعيد والفوائد، التي كان يمكن الحصول عليها من اقامة ذلك الحلف، والحروب التي وقعت في المنطقة اعوام ٥٦ و٦٧ و١٩٧٣، ونتائجها المعروفة والتي اوجزتها في هذه المذكرات والتي ربما كان يمكن تفاديها، والوصول إلى اوضاع مستقرة تتلاءم مع تلك الظروف وربما انها تصل إلى اكبر بكثير مما وصلت اليه تونس وهذا ايضا يخضع للخطأ والصواب.

٣ - مقترحات جلالة الملك عبدالله حول تطبيق مقررات الأمم المتحدة التي تضمنت تقسيم فلسطين على ان يواكب هذا المشروع تنفيذ اتفاقية الحسين- مكماهون المعروفة على اساس تعديلها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتطبيقها مرحليا لتشمل مشروع سوريا الكبرى المتضمن توحيد سوريا، ولبنان، والقسم العربي من فلسطين مع الأردن بدولة عربية. وقد سارت الأمور على هذا الأساس، وتم الأتفاق عليها اخيراً خلال مباحثات عامي ٤٧ و١٩٤٨، ولكن دسائس اليهود، واعوانهم، وتضارب المصالح الامريكية والإنجليزية في المنطقة أخافت الحكام على مصالحهم وسلطاتهم فأخافوا سوريا ولبنان من موضوع سوريا الكبرى فنشطوا مع فرنسا

واعوانها في الامم المتحدة للحصول على الأستقلال المنفرد لبلديهما، واقنعوا امريكا بتفضيل مصالحها في المنطقة ومستقبل بترول الخليج على مصالح بريطانيا المتواجدة فيها، وان بريطانيا تنوي سحب قواتها المرابطة على قنال السويس للمشرق العربي لتقوية سيطرتها على منطقة الخليج، وعلى شاطئ البحرين الأبيض والأحمر. كان هذا قد تم مع امريكا بواسطة النشاط الذي بذلة اليهود وأعوانهم في الأوساط الرسمية الامريكية. وعلى هذه الأسس مجتمعة جرت التدخلات في المنطقة وإحباط مخطط اقامة دولة سوريا الكبرى، وجرى التخطيط لاجلاء بريطانيا عن منطقة الخليج تدريجيا، وعلى مراحل، واحلال نفوذ امريكا ووجودها اخيراً في المنطقة.

وفي نهاية انتداب بريطانيا على فلسطين عام ١٩٤٨ اصر العرب في المنطقة بتوجيه مدسوس أو للحفاظ على كياناتهم، وقبل أيام من جلاء بريطانيا وعن طريق الجامعة العربية على دخول فلسطين حرباً وتحريرها من الوجود الصهيوني واسندوا قيادتها العامة إلى جلالة الملك عبدالله ودخلت هذه الجيوش بأحجامها الرمزية، واسلحتها المحدودة كما سبق بيانها، ولم تعد نتائجها خافية على أحد.

ومن ينظر إلى الوضع العربي العام عام ١٩٤٨ والسياسات التي سار عليها العرب في المشرق العربي ويطلّع على السياسة العسكرية التي ساروا عليها وحجم قواتهم ومقارنتها مع امكانياتهم الحقيقية تتضح له الحقائق.

ملحق بموضوع دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عام ١٩٤٨.

سبق ان ذكرت انه في اثناء وجودي قائداً لمعسكر صرفند في مطلع عام ١٩٤٨ حضر السيد توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء، ومعه كلوب باشا رئيس الأركان ومرافقه الرئيس كمال الحمود، وقضوا ليلة في نادي الضباط في المعسكر، وكان يستشف من حديثه أنهم ذاهبون إلى لندن، بمهمة تتعلق بدور الجيش الأردني في فلسطين بعد نهاية الانتداب البريطاني وفي الصباح ودّعتهم في مطار اللد، وقد سمعت السيد أبو الهدى يقول، الله أعلم هل يبقى هذا المطار معنا أو يصير مع اليهود.

وقد اصدر كلوب باشا كتابا في مرحلة لاحقة بعد قطع علاقته من الأردن والعودة إلى بريطانيا تطرق فيه إلى هذه الرحلة إلى بريطانيا ومقابلتهم مع السيد بيفن رئيس وزراء بريطانيا ورد فيه ما يلي:

قبل نهاية انتداب بريطانيا على فلسطين بشهرين ذهب رئيس وزراء الأردن السيد توفيق أبو الهدى إلى لندن واصطحبه معه حيث قضوا ليلة في معسكر صرفند وسافروا صباح اليوم التالي جوا من اللد إلى لندن وهناك قابلا السيد بيفن رئيس الوزراء، وصار هو يترجم حديث السيد توفيق بينهما. حيث قال توفيق لبيفن أن لليهود جيشاً منظماً وجهاز حكومة يسمونها حكومة الظل جاهزة لتولي الحكم وليس لدى الفلسطينيين ما يقابل هذا الاستعداد، وقد وصلت عدة وفود منهم إلى عمان يطلبون المساعدة والحماية عند جلاء السلطات البريطانية، فما هي وجهة نظركم في حال دخول الجيش الأردني إلى فلسطين بعد نهاية الإنتداب لحفظ الأمن وحماية المنطقة المخصصة للعرب في مشروع التقسيم، فقال بيفن أن هذا خير شيء، تعملونه ولكن لاتدخلوا لأي موقع مخصص لليهود بأية حال- وقال اننا سنساعد على تطبيق قرار التقسيم الذي قررته الأمم المتحدة ولن نعمل ضده تحت أي ظرف من الظروف، واستطرد كلوب يقول في كتابه اننا لم نكن نفكر في تلك المرحلة أن اية دولة عربية ستعارض تطبيق هذا الإجراء، كما أنه لم يكن في تقديرنا أننا سنتصادم مع اليهود، أو ستكون بيننا مواجهة عسكرية لأنهم كانوا بدورهم موافقين على تطبيق قرار التقسيم ولم يكن يدور في بال الأردن واهدافة السياسية ان موافقة اليهود على مشروع التقسيم كانت صورية وبقصد التضليل وذلك كي لا يبقى لبريطانيا عذر أو حجة امام الأمم المتحدة للبقاء في فلسطين وكان هذا أيضا عذراً لبريطانيا للأنسحاب.

بهذه المناسبة التي وردت في مذكرات كلوب باشا اذكر ما يلي:

في عام ١٩٥٢ وأنا ملحق عسكري في لندن جاء مرشح الضباط محمد القطب من عمان لمعالجة عملية كليته التي قُطع شريانها خطأ في بيروت، واشار الأطباء في لندن بارساله إلى مستشفى في بوسطن بأمريكا لأن طبيبا مختصا هناك اجرى عملية مماثلة ونجحت وكتبنا لذلك المستشفى مع التقارير والصور اللازمة وجاء الجواب ان تكاليف العملية عشرة آلاف دولار، قال بعضهم إنه اذا توسط السيد بيفن رئيس الوزراء الحالي فأنه يمكن تخفيض المبلغ لأقل من النصف، وكان المبلغ المطلوب في تلك الأيام عاليا جداً. تحمّست للفكرة، وطلبت مكتب الرئيس، وتم الأتصال معه

شخصياً، وطلبت مقابلته فقال هل ترغب ان تحضر إلى بيتي مساء فرّحبت بذلك شاكراً فقال نتناول العشاء معاً واحضر معك من تحب قلت أحضر معي ضابطا قادماً من الأردن، وذهبت مساء ومعي الرئس ضرغام الفالح وقصصت عليه موضوع معالجة محمد القطب. وما كان منه الا ان طلب رئيس اساقفة كنتر بري السيد صمويل وكلمه بالموضرع، وبعد العشاء تكلم السيد صمويل، وقال إنهم وافقوا على اجراء العملية مجاناً واعطاني اسم وعنوان الطبيب. وفي اليوم التالي اخبرت كلوب باشا الذي كان باجازة عمل قصيرة في لندن بالموضوع فاستغرب هذا التصرف وقال والله أنا لا اتمكن من عملها مع رئيس الوزراء مباشرة. جرى ارسال القطب وتمّت العملية بنجاح. الذي قادني لهذا الحديث بهذه المناسبة هو أن هذه المقابلة فتحت مجالا للحديث بموضوع قضية فلسطين التي كانت ولم تزل على كل لسان والحديث عن ذهاب رئيس وزراء الأردن ومعه كلوب باشا لمقابلته واحاديثهما في معسكر صرفند كما سبق ذكره، وطرح فكرة ارسال قوات اردنية بعد الجلاء بقصد حفظ الأمن إلى حين اجراء الحل بموجب قرار التقسيم فقال هذا هو ما اتفقنا عليه انا والسيد توفيق أبو الهدى، ولكن الذي جري عمليا هو خلاف ذلك. فقد قررت الدول العربية المحيطة بفلسطين ادخال جيوشها لاحتلال كل اراضي فلسطين، واقامة دولة عربية فلسطينية فيها، خلافا لقرار الأمم المتحدة والى الفكرة التي اقترحها السيد أبو الهدى حول حفظ الأمن إلى حين تنفيذ القرار، ثم ان البلدان المحيطة بفلسطين شكلت قيادة عسكرية موحّدة ودخلت فلسطين لهذا الغرض. وبالرغم من وجود معاهدة دفاعية بيننا، وبين الأردن فقد اصبحنا في حل من التدخل لأن المعاهدة تشمل أراضي شرق الأردن فقط. ولو أن الأردن دخلت فلسطين لتطبيق ما تفقنا عليه ودون تدخل القوات العربية الأخرى لما وقعت الصدامات اصلا، ولجرى الاتفاق بين الاطراف المعنية على ترسيم الحدود، واقامة دولة فلسطينية مستقلة، أو على الأرجح ضم المناطق العربية إلى الأردن، وذلك لعدم وجود جهاز دولة وكوادرها، أو قوات أمن أو موازنة مالية فلسطينية لاقامة دولة بالمعنى المقصود وبهذه الصورة المستعجلة.

هذا ما قاله السيد بيفن لي وللأخ ضرغام الفالح وقد ذكرته إلى كلوب باشا وكان جوابه المختصر ما الفائدة، أن الماضي لايعود.

كان اليهود ولايزالون يخفون نياتهم الحقيقية، ومخططاتهم للاستيلاء على جميع أراضي فلسطين، واقامة دولتهم بعد انسحاب بريطانيا، وكانت الأردن حسنة النية، ولم تتوقع حصول المخالفات لمشروع الأمم المتحدة.

كان من مخطط الحكومة الأردنية ان لاتدخل قواتها لمدينة القدس على اساس إن مشروع التقسيم قرر تدويلها، واعتقد الأردن في حينها أن الأمم المتحدة ستقوم بادارتها فور إنهاء الانتداب. وقد اناطت الأمم المتحدة الاشراف على القدس ببعض قناصل الدول المتواجدين فيها في أواخر أيام الانتداب ولكنها لم تنتدب قوات عسكرية أو امنية تتسلم الادارة الفعلية من سلطة الانتداب قبل رحيلها ولم تكن للقناصل اية سلطة أو نفوذ عملي. وحتى الأمم المتحدة نفسها لم تكن لها اية قيمة لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل. وعندما اغتال اليهود الكونت برنادوت ممثل الأمم المتحدة في القدس لم يصدر عن الأمم المتحدة أي اجراء اكثر من التصاريح والبيانات، ولم تنطبق قرارات الأمم يوما على الدول القوية، أو المتحالفة، وتظهر بطولاتها فقط على الأمم الضعيفة، وان ما جرى في العراق وما يجري حاليا في مطلع عام ١٩٩٣ في يوغوسلافيا وبالذات في البوسنة الذي لم يجر مثله في تاريخ البشرية يعطي الصورة الحقيقية للأمم لمتحدة.

اعداد القوات العربية واليهودية المتواجدة عام ١٩٤٨.

في كل بلد والأدوار التي قامت بها حتى تطبيق الهدنة

الجيش المصري ١٠,٠٠٠

الجيش الأردني ٤,٥٠٠

الجيش السوري ٣,٠٠٠

الجيش العراقي ٣,٠٠٠

ومجموع القوات التي تحركت إلى فلسطين كانت عشرين الفا وخمسمائة فرد من جميع الرتب والمهن من الضباط إلى الجندي والسائق، والكاتب والطاهي، وغيرهم ممن يقومون بالأعمال الإدارية، والمهنية غير المسلحة وهذا ما يعرفه العسكريون:

٦٠,٠٠٠ مجموع القوات اليهودية بمن فيهم المهنيون وغيرهم من نظاميين ومنهم عصابات، ومنظمات بمن فيهم مجموعة البالماخ بحدود اربعة الاف، وهم عبارة عن اللواء اليهودي الذي جهزته بريطانيا في اواخر الحرب العالمية الثانية، وتأتي بعده منظمة الهاجانا التي هي عبارة عن عصابة سرية مسلحة تشكلت اثناء الانتداب، وقاومت العرب ثم الانجليز في مختلف المراحل. ثم حرس المستعمرات وهم مجموعات من السكان جرى تسليحهم أيام الانتداب، وبعلم السلطات البريطانية بقصد حماية مستوطناتهم، والدفاع عنها، وقد طوروا هذه المستوطنات وحصنوها بالخنادق، والأسلاك الشائكة والألغام وحتى أنهم أقاموا في بعضها معامل صنع الأسلحة الخفيفة ومدافع المورتر وذخائرها التي صاروا يمدون بها القوات البريطانية اثناء الحرب، وكان استعداد هؤلاء مهيئا ومصمما للعمل ضد الفلسطينيين وعصاباتهم وليس على اساس مواجهة جيوش عربية.

وقد ورد في مذكرات كلوب باشا مايلي:

الصور التي اشيعت على ان اليهود من أذكى الشعوب، واعلاهم ثقافة، كانت حقيقتهم ليس اليهود الفلسطينيين الذين لايزيد مستواهم عن مستوى المواطنين الأخرين ولكن اليهود الذي نزحوا ضمن برامج الهجرة والأستيطان بهدف إقامة الوطن اليهودي منذ الحرب العالمية الأولى، وما بعدها، كانوا مختارين من طبقات الأطباء والمهندسين والعلماء والأغنياء الذين جرى التخطيط لحضورهم بمختلف الطرق، والأعذار من البدان الأوروبية وروسيا وغيرها، وهؤلاء هم الذين ابرزوا تقدم اليهود على العرب من النواحي العلمية، والمالية، وذلك لأن مستواهم هذا كان أعلى مما هو موجود في المنطقة وزاد على هذا المساعدات المالية التي قدمتها وتقدمها الجاليات اليهودية في كل مكان، والدعم المادي والسياسي والعسكري الذي تقدمه الولايات المتحدة والبلدان الضالعة معها لإسرائيل.

ومع هذا فلو أن هؤلاء المهاجرين تعاونوا مع المواطنين في البلدان العربية معاملة صداقة، وتعاون اقتصادي لكسبوا صداقة الجميع، واندمجوا معهم بسهولة بعيدا عن التعصب العنصري، والديني وتعايشوا معهم بأمن وسلام. ولكن قادة الصهيونية وجّهوهم اتجاها خاطئا، وعرضوهم جميعا إلى عداء الأمة العربية

ولايزالون كذلك ولاشك أن هذا ليس في مصلحتهم مستقبلاً وفي التاريخ شواهد كثيرة على حوادث مماثلة وخاصة في المنطقة العربية.

لاشك في أن معاملة النازية في المانيا لهم ولدت فيهم عُقد الأنتقام وقد وجدوا امامهم الشعب الفلسطيني المسالم والأعزل من السلاح فصاروا يعاملونه المعاملة نفسها التي عاملهم بها النازيون بالاضافة إلى تنسيق برامج الصهيونية مع دولة الانتداب لأقامة الدولة اليهودية، وهو الهدف الذي يعمل الجميع في سبيل تحقيقه، والتي قامت اخيرا، واعترفت بها اغلب بلدان العالم والتي ليست لها حدود معترف بها ولا خرائط في جغرافية العالم فهي نشاز بين دول العالم بوصفها غير معترف بها، كجسم غريب في المنطقة العربية لاشك في انه يصعب استيعابه.

واعود إلى ذكر دخول الجيش الأردني إلى فلسطين يوم ١٥/٥ / ٤٨ والذي أوجزت عن توزيعاته وواجباته وبعض مناوشاته ومشاكله اليومية في الجزء الأول. دخل الجيش الأردني إلى فلسطين بهدف حماية المناطق المخصصة للعرب وصيانة الأمن والأستقرار فيها باستثناء مدينة القدس على اساس ان تكون فيها ادارة خاصة تحت اشراف الأمم المتحدة وعلى انها مركز ديني لجميع الأديان، وبطبيعة الحال فأن موقع مدينة القدس الجغرافي هو اهم موقع استراتيجي في فلسطين لأنها قائمة على منطقة جبلية حصينة طبيعيا وهي نقطة اتصال بين البحر الأبيض وسواحله من جهة وبين شرق الأردن عبر الأغوار والجبال المشرفة عليها من الجهتين الشرقية والغربية. كما انها مركز اتصال بين جنوب فلسطين وشمالها. كانت التعليمات التي أعطيت للقوات الأردنية تقضي بعدم دخول مدينة القدس لأنها ستكون تابعة لاشراف، وادارة الأمم المتحدة وليس للقسم العربي من فلسطين، وكانت سياسة الدولة الأردنية وربما انها لم تزل كذلك مع غيرها من الدول العربية مقتنعة بأن هيئة الأمم المتحدة تستطيع أن تنفذ قراراتها التي تتخذها بالرغم من أنه ثبت من عشرات التجارب ان الأمم المتحدة ومركزها مدينة نيويورك التي تحوي اكبر جالية يهودية في العالم والمسيطرة على سياسة الولايات المتحدة عمليا تحول دون تنفيذ أي قرار لايلائمها وهانحن بصدد القرار ٧٩٧ وامثاله الاتتساءل البلدان، والدول المعنية بهذه القرارات عن أي منها له علاقة بإسرائيل جرى تنفيذه، وهذا علاوة على مداخلاتها، وسيطرتها

هي وكافة فروعها في الولايات المتحدة على تسيير سياسة الدولة لصالحها، وحتى أن رؤساء الجمهورية المتعاقبين ينشدون مساعدة الجالية اليهودية وينطبق هذا على اعضاء البرلمان في جميع الأنتخابات، ومن النادر ان يصل احد هؤلاء إلى مقعده اذا لم يجار مصلحة اليهود في برامجه السرية والعلنية.

ومع هذا فأن معظم السياسات العربية اذا كانت هنالك سياسات عربية فعلا لم تزل تتعلّق بالأمم المتحدة وتعلّق أمالها بالحصول على قراراتها التي لا ينفذ منها إلا ما يتعلّق بالأمم الضعيفة، مع ان الاجدى بهذه الأمة العربية، أن تتعاون سياسيا واقتصاديا وعسكريا، ولايبدوا أن هذا سيحصل بين الأوضاع القائمة حالياً، وقد يحصل بعد بضعة اجيال لاحقة.

وعندما دخل الجيش الأردني إلى فلسطين وبعد البلبلة التي حصلت بين عملية حماية الأراضي المخصصة للعرب بحسب البرنامج الذي تحركنا من الأردن لتطبيقه وبين ماقررته دول الجامعة العربية للدخول حربا وعدم وجود قيادة عسكرية موحّدة باركانها وفروعها المعروفة وعدم وجود اعتدة تتناسب مع هذه العملية، اضطرت الوحدات الأردنية المحدودة لحماية الطريق المؤدية من تل ابيب إلى القدس لمنع وصول القوات اليهودية إلى المدينة، وجرى ارسال احدى الكتائب الاربع إلى مدخل باب الواد وحالت دون مرور القوات اليهودية عبر هذا الطريق الوحيد، وجرت عدة صدامات بين الطرفين قامت تلك الكتيبة بصدها ودحرها مع انها بلغت تسعة اضعاف قوة الكتيبة في هذه المحاولات. ذكرت في الجزء الأول مشاهداتي أو اشتراكي ببعض هذه العمليات المحدودة في تلك المرحلة.

ومع ان القدس كانت بحماية وادارة هيئة الأمم فأن اجراءات ممثليها من القناصل لم تتجاوز الكلام والتصاريح.

وأن مدينة القدس مقسومة بطبيعتها إلى قسمين عربي ويهودي وقد بدأ اليهود يتحركون للاستيلاء عليها كلها وذلك لأن سكان القسم اليهودي البالغ عددهم نحو مائة الف معظمهم حائزون على السلاح منذ أيام الانتداب بينما ان الأقسام العربية تكاد تكون خالية من السلاح إلا بعض ما ادخلته عناصر المناضلين تهريبا في اواخر

أيام الانتداب، وقد امضت الحكومة الأردنية مدة خمسة أيام وهي تتصل مع قناصل الدول في القدس ومع هيئة الأمم المتحدة للتدخل ووقف الحركات اليهودية والتعدي على الأحياء العربية وكان كل هذا عبثاً، وكان سكان المدينة العرب يرسلون الوفود المتتابعة إلى عمان يطلبون النجدة والمساعدة.

واخيرا اضطرت الحكومة لادخال بعض قطعات الجيش إلى القدس لحماية الأحياء العربية وادخلت احدى الكتائب نصف قواتها تقريبا وسيطرت على الأحياء العربية في شرق القدس ومنطقة الشيخ جراح وطردت طلائع اليهود منها ولم تحاول دخول الأحياء اليهودية غرباً ثم دخلت بعض القطعات من بقايا سرايا الحاميات إلى القدس القديمة داخل الأسوار لاتزيد على ثلاثمائة جندي ومعهم بعض مجموعات المناضلين.

كتبت الصحف اليهودية في الداخل والخارج واذاعت وسائل اعلامهم ان الجيش الأردني هاجم القدس بقوة كتيبتين من المشاة تساندهما وحدات كبيرة من الدبابات والسيارات المدرعة، واربع بطاريات من المدفعية الثقيلة، وبعد القصف المدفعي الكثيف دخلوا بهذه القوة تتقدمهم الدبابات. أن القوة التي دخلت القدس في ذلك اليوم ٢١/٥/-٤٨ كانت مؤلفة من سرية مشاة ونصف تقريباً ومعها اربع سيارات مدرعة مع الملازم محمد نجيب النصيرات «لم تكن في الجيش الأردني ولادبابة واحدة في تلك المرحلة» الذي قتل بذلك اليوم، وتساندها من ستة مدافع عيار ٢٥ رطلا «كانت مدفعية الجيش آنذاك كتيبة واحدة مؤلفة من ١٨ مدفعاً منها ستة مدافع مع كل لواء وستة بقيت بأمر قيادة الفرقة وعند اعلان الهدنة الأولى كانت قنابل المدفعية الموجودة في لوائنا بمنطقة القدس ١٦٤ قنبلة احصيتها بنفسي بذلك اليوم.

وقد اثيرت تساؤلات في الصحف العالمية وفي طليعتها الصحف الامريكية وعلى السنة المنظمات اليهودية مشيرة إلى ان الجيش الأردني يهاجم بزخم مدينة السلام المقدسة مركز الأديان السماوية الخ..

وفي ٣١/٥ قررت بريطانيا سحب جميع ضباطها المعارين للجيش الأردني والذين هم القادة الرئيسيون على مستوى الألوية والكتائب والوحدات الفنية وتم

استبدالهم بضباط آخرين ممن يعملون في مختلف فروع القيادة في عمان بأعمال إدارة وبعقود خاصة ولا صلة لهم بالأعمال العسكرية وقد وردت تفصيلات هذه التنقلات في الجزء الأول.

وبعد الهدنة الأولى مباشرة بدأ اليهود يستعدون لاحتلال مدينتي اللد والرملة ويعززون قواتهم في القدس، وبدأت الأسلحة تصلهم من عدة بلدان وعزموا على التقدم شرقاً إلى رام الله ليطوقوا الكتيبتين الثانية والرابعة في اللطرون وباب الواد.

منطقتا اللد والرملة هما في القسم المخصص للعرب وتبعدان بضعة اميال عن تل ابيب شرقا، ولم يكن فيهما جندي واحد من الجيش الأردني فجرى ارسال سرية واحدة حلّت في المدينتين بقصد إثبات الوجود بعد الهدنة.

حرّك اليهود قوات البالماخ المؤلفة من ٦٥٠٠ رجل من المسلحين نظموهم على اساس ثلاثة ألوية بقصد تطويق المدينتين واحتلالهما ثم تطويق اللطرون وباب الواد من الجهة الشرقية لعزل الكتيبة الأردنية الموجودة في اللطرون. جرى تطويق اللد والرملة بعد مناوشات محلية مع السرية المتواجدة هناك والتي انسحبت شرقا ووصلت إلى رام الله كما سبق شرحه، وجرى احتلال المدينتين وطرد سكانهما بمن فيهم ٣٠ الف من النساء والأطفال الذين شردوا من الرعب وقد ساعد رجال الصليب الأحمر على التقاط بعض الأطفال واعادتهم إلى امهاتهم ولكن كثيرين منهم فقدوا ولم يعرف مصيرهم، وحاولت هذه القوات تطويق الكتيبة في باب الواد ولكنها عجزت عن اكمال هذا الواجب.

وفي يوم ١٥/٧/٤٨ أي بعد ثلاثة أيام من احتلال المدينتين تجمعت القوات اليهودية، وحاولت تطويق قريتي بيت سيرا واللطرون تتقدمهم خمس مدرعات وبعض وحدات المشاة ووصلوا إلى مخفر شرطة اللطرون الذي كانت ترابط فيه فئة من الجيش بقيادة الملازم محمد المعايطة ومعه مدفع مقاومة دروع عيار ٦ رطل كان قد وضعه على سطح المخفر وقد تمكن رجال هذا الموقع من تحطيم المدرعات الخمس وصد هذا الهجوم ولكن الملازم محمد اصيب بقذيفة مدفع مباشرة، واستشهد ومعه اربعة جنود، ثم واصل احد الألوية اليهودية التقدم إلى بيت سيرا فتعرضت له سرية

من الكتيبة الأولى كانت قادمة من منطقة بير زيت وارغمته على التقهقر بعد تكبده خسائر جسيمة، وبعد عدة مناوشات ليلا ونهاراً طوال أيام ١٥،١٦،١٧/٧/٤٩ تم قبول وقف اطلاق النار بين جميع الأطراف العربية واليهودية باقامة الهدنة الثانية وإلى اجل غير مسمى.

الخاتمة

ورد في متن المذكرات دور كل بلد عربي عام ١٩٤٨ في فلسطين تلميحاً، او إيجازاً ، بحدود إطلاعي، ومعرفتي، ومعلوماتي الشخصة آنذاك ، او ما توصلت الى معرفته في مراحل لاحقة، وما كان عليه وضع كل بلد عربي اشترك بتلك العمليات، وحجم ،وتسليح قواته، والواجبات التي اسندت اليها، والأعمال التي قامت بها في تلك المرحلة، والنتائج التي توصلت اليها، ولا اعتقد انه كان هنالك سوء نيات للوصول الى النتائج التي وصلت اليها القضية عملياً بل كانت هنالك اجتهادات مختلفة حول الوصول الى نتيجة حسنة، والاجتهاد يخضع للخطأ والصواب.

كانت هنالك مخططات اجنبية مدروسة كرّست التجزئه العربية، وساعدت، ولم تزل تساعد على تكريسها، ولم يكن الاستعداد اليهودي مثالياً في تلك المرحلة، ولكن كان هنالك تخلف عربي في مختلف المجالات ملائم لتدخل اصحاب المصالح في المنطقة، ولنفرض على سبيل المثال، وليس على اساس الواقع القائم ان يتم تنسيق تعاون اقتصادي عربي، واقامة صناعات عربية يستعاض بها عن الصناعات الاوروبية، ويحد من الاستهتار والتفاخر باستعمالها، وان يتوقف تصدير البترول للبلدان التي تقف في الصف المعادي للأمة العربية، وعدم استيراد منتجاتها ، فماذا سيكون موقفهم؟ بهذا يتضح ان مساعدة معظم بلدان الغرب الى اسرائيل تقوم على اساس اعتقادهم انه يقوي استمرار حاجة البلدان العربية الى منتجاتهم . ولعلهم يعون الآن ان هذا بعكس مصالحهم مستقبلاً.

ان مخططات الصهيونية الاساسية، وكما ورد في مطلع هذا الكتاب في حديث الزعيم الصهيوني بن غوريون الى السادة احسان الجابري، وشكيب ارسلان وصحبهم، والذي اتضحت منه نيات الصهاينة في التوسع في الاراضي العربية بالطرق السلمية ، دون التقيد باراضي فلسطين، ولذلك فإن الخطر الصهيوني قائم ومستمر وهو ليس كالاستعمار الاوروبي السابق الذي كان يأتي ، ويذهب بل انه خطر استيطاني ينتزع الارض، ويطرد سكانها، ويعمل على جمع اكبر عدد ممكن من يهود العالم، وتوطينهم في قلب الوطن العربي، وهذا لا يمكن التفاوض من اجله والمساومة عليه.

في عام ١٩٤٢ كان عددا اليهود في فلسطين بحدود ٨٤الفاً، وكانوا مواطنين فلسطينيين ولم يكن فارق آنذاك بين مسلم ومسيحي ويهودي واما الآن فعددهم بحدود الستة ملايين.

أن الامة العربية بوضعها الراهن ليست لها صداقات، وعلاقات يعتمد عليها مع القوى العالمية الرئيسية، بينما ان لأسرائيل ارتباطات وتعاقدات، عسكرية واقتصادية ،وسياسية مع معظم بلدان العالم .

ربما ان إحجام البلدان العربية عن التعاون مع البلدان التي تتعامل مع اسرائيل يعطي الاخيرة قوة دفع ويخلي لها الجو لتقوية علاقاتها اكثر مع تلك البلدان.

وهنا يأتي دور مساندة البلدان الغربية المعروفة للجميع الى اسرائيل باسم الامم المتحدة، او الأتحاد الاوروبي، وهدفها الاساسي من مساندة اسرائيل هو دوام إثبات وجودها في المنطقة ، والسيطرة على مناطق البترول الذي هو عصب الحياة لبلدانهم، واعتقادهم ان وجود اسرائيل قوية ومسيطرة، اقتصادياً وعسكرياً، هو من اكبر العوامل التي تساعد على استغلال منطقة المشرق العربي، والحيلولة دون تمكينها من إنتاج صناعات محلية، يستعاض بها عن المصنوعات الاوروبية ، ومن جهة ثانية ، استمرار حاجة بلدان المنطقة لشراء الاسلحة من مصنوعاتهم للمحافظة على امنهم الداخلي ، وعلى حدودهم، والاستعداد الدائم للحصول على الاسلحة المتطورة، ودوام الاستعداد لمواجهة التحديات وان الولايات المتحدة الامريكية، وحلفاءها الاوربيين

وفي طليعتهم بريطانيا وفرنسا هم الاعمدة الحقيقية لوجود اسرائيل، وهم الذين عملوا على تغييت الامة العربية، والحيلولة دون وحدتها او اتحادها ، وحتى تعاونها،وعملوا على تجزئتها الحالية التي بتنا نتمسك بها، ونحرص عليها كل الحرص، وقد تعاونوا مع اسرائيل في كل مراحل انشائها، وقيامها، والاعتراف بها دولياً، ومساعدتها في جميع المجالات، لكي تكون في موقعها الجغرافي، وعنصريتها اداة تفرقة بين البلدان العربية، والحيلولة دون تمكنها من انتاج صناعات محلية يمكن ان تضارب على الصناعات الاوروبية ، ثم تحل محلها في بلدان افريقيا والشرق الاوسط.

ومساعدات هذه الدول لأسرائيل خلال لقاءاتها المسلحة المصطنعة مع الاردن، وسوريا، ومصر لم تعد خافية وقد سبق بحثها في متن هذه المذكرات ، وان بعض ساستهم ومؤرخيهم قد وجهوا الانتقادات لقادتهم منددين بأخطائهم باتباع تلك السياسات التي هي ضد مصلحة بلدانهم وان تعاونهم مع البلدان العربية البالغ عدد سكانها اكثر من مائتين وثلاثين مليوناً اجدى من التعاون مع اسرائيل التي بدأت بنحو مليوني انسان.

لم تزل المساعدات المادية تصل الى اسرائيل سنوياً، وفي كل مناسبة كما هو معروف، وتكتبه الصحف الاوروبية، والأمريكية منددة بهذه الإجراءات، ومن جملتها المليارات الثلاثة ونصف التي تدفعها الولايات المتحدة سنوياً لاسرائيل بالرغم من ان احد عشر مليوناً من مواطنيها بلا مأوى، وليست لهم اماكن سكن، وينامون في الشوارع، والخرائب واماكن عملهم، ومن يريد ان يرى ويعرف هذا، فليذهب حتى الى قلب المدن الرئيسية ومنها واشنطن ، ونيويورك وشيكاغو ولوس انجليوس ، ومدن كثيرة غيرها ، ليرى الفقر والعوز بعينه ويعرف الواقع الحقيقي، الذي تصرف دولته بلابين الدولارات هباءً . أنا شاهدت هذه الحالات في المدن التي ذكرتها، ولا يمكن ان اصدق الدعايات واكذب نفسي.

لم تزل المساعدات المادية تصل الى اسرائيل من البلدان التي ذكرتها، وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، والبلدان التي تسير في ركابهم هم وحتى المانيا التي قد اوفت بالتزاماتها المادية ، التي فرضتها عليها الامم المتحدة باسم

تعويضات عن خسائر اليهود قبل وفي اثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد سددت القيمة التي فرضت عليها منذ عشر سنوات لكنها لم تزل تدفع قيمة الاقساط السنوية نفسها.

والولايات المتحدة تعفي التبرعات التي تقدم لاسرائيل من الضرائب، وهذا يشجع دافعي الضرائب على التبرع، ولا شك انهم لا يعدمون الطرق التي يقدمون بها اثبات كميات تبرعاتهم.

والولايات المتحدة اثبتت موقفها الصريح الواضح مع اسرائيل بتوقيع الاتفاقية العسكرية مع اسرائيل في شهر نوفمبر عام ١٩٨٧ في واشنطن، والتي كتب مقتطفات منها السيد ميليشيا هيلي محرر جريدة التايمز التي تصدر في لوس انجيلوس، وقد قرأت ذلك المقال في حينه، واورد ترجمته تالياً:

وقع كل من وزير الدفاع الامريكي فرانك كارلوتشي ووزير الدفاع الاسرائيلي اسحق رابين، معاهدة عسكرية، تنص على رفع مستوى تحالف اسرائيل مع الولايات المتحدة الى الدرجة التي تلي اعضاء حلف الاطلسي، وهذه الاتفاقية تسمح لشركات الاستيراد الاسرائيلية ان تعقد اتفاقياتها مع البنتاغون على قدم المساواة مع الشركات الامريكية المماثلة ، وعلى هذا الاساس يكون لاسرائيل الحق بالحصول على الاسلحة، والتكنولوجيا، والمعدات العسكرية الممنوع تصديرها الى خارج الولايات المتحدة دون ان تكون عضواً في حلف الاطلسي بشكل رسمي، وان تكون الولايات المتحدة مسؤولة عن حماية اسرائيل، والدفاع عنها.

إن وضع اسرائيل هذا كحليفة للولايات المتحدة، قد أقره البرلمان الامريكي وارسل قراره الى وزارة الدفاع، لتقييم اسرائيل مثل البلدان التي ترتبط مع امريكا بمثل هذه المعاهدة ، وعلى هذا اصبحت اسرائيل الرابحة الوحيدة التي تنال هذه المساعدات دون ان تتحمل مسؤولية ملزمة .

وأضاف المحرر قائلاً: إنه قبل هذه الاتفاقية كانت اسرائيل تحصل على صفقات الاسلحة الامريكية ، بعد مباحثات طويلة بين الحكومتين وإجراء دراسات تحدد كميات ، وانواع الاسلحة، ثم يجري عرضها على البرلمان للموافقة عليها ، ولكن الآن

اصبحت اسرائيل تحصل على امتيازات ،وعقد صفقات مع الشركات المنتجة وتسهم بالدفاع المشترك لصيانة المعدات، والقواعد الامريكية في اوروبا، والبلدان الاخرى. والقواعد البحرية ، وتسهم اداريا بالعمليات الحربية او الاستعداد لها، وهذا يكسبها موارد مادية كبرى، دون ان تشترك عملياً بالمعارك، او تتحمل مسؤولية .

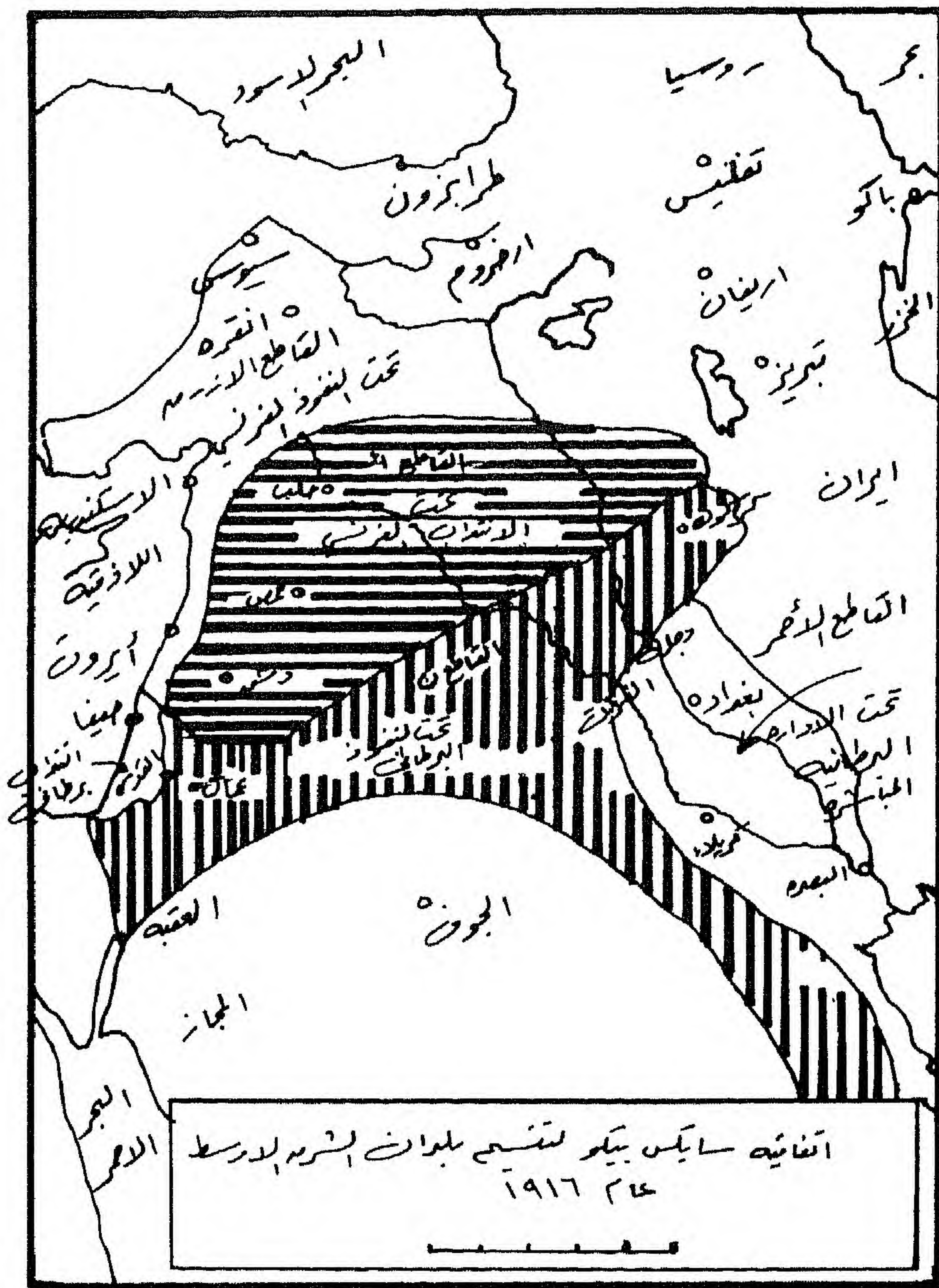
وقياساً على هذه الاتفاقية، وامثالها، فإنه يتحتم على القيادات السياسية العربية، ان تنسق التعاون بينها على غرار ما هو قائم بين مختلف البلدان ، التي لا يجمعها جنس، ولا لغة، ولا حتى قارة، ودون النظر الى احجام البلدان العربية، ومواردها وعلى اساس انها امة واحدة تجمعها روابط لا مثيل لها بين معظم بلدان العالم .

والله الموفق

ملحق

الخرائط

الصور


البحر الاسود
روسيا
طرابزون
تفليس
باكو
ارضروم
اريفان
تبريز
ايران
انقرة
الاسكندرونة
اللاذقية
بيروت
حيفا
حلب
دمشق
عمان
بغداد
البصرة
العقبة
الجوف
الحجاز
البحر الاحمر
القاطع الاحمر
اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم بلدان الشرق الاوسط
عام ١٩١٦

خطة الامم المتحدة لتقسيم فلسطين
الصادر في ٢٩/١١/١٩٤٧

تابع لليهود
تابع للعرب
تابع للامم المتحدة في القدس

لبنان
بحيرة الحولة
دمشق ٧٠ ميل
سوريا
عكا
صفد
حيفا
بحيرة طبريا
الناصرة
البحر الابيض المتوسط
جنين
الأردن
طولكرم
نابلس
تل ابيب
يافا
اللد
الرملة
رحوبت
اسدود
عسقلان
غزة
اللطرون
رام الله
القدس
بيت لحم
الخليل
البحر الميت
عمان
الزرقاء
الكرك
العوجا
خط الهدنة في اتفاقية رودس

الهجوم المصري عبر قناة السويس في ٦/١٠/١٩٧٣

رأس الجسر الأول

مواقع المصرية بعد العبور

تحصينات خط بارليف

بورسعيد

البحر الأبيض المتوسط

رمانة

بالوظة

القنطرة

الهجوم الإسرائيلي المعاكس

الإسماعيلية

صحراء سيناء

بحيرة التمساح

تاسا

اتصال القوات المصرية مع قوات العبور بعد

بير تمادا

البحيرة المرة الكبرى

ممر الجدي

البحيرة المرة الصغرى

الهجوم المعاكس اليهودي

ممر متلا

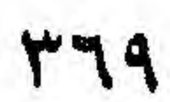
السويس

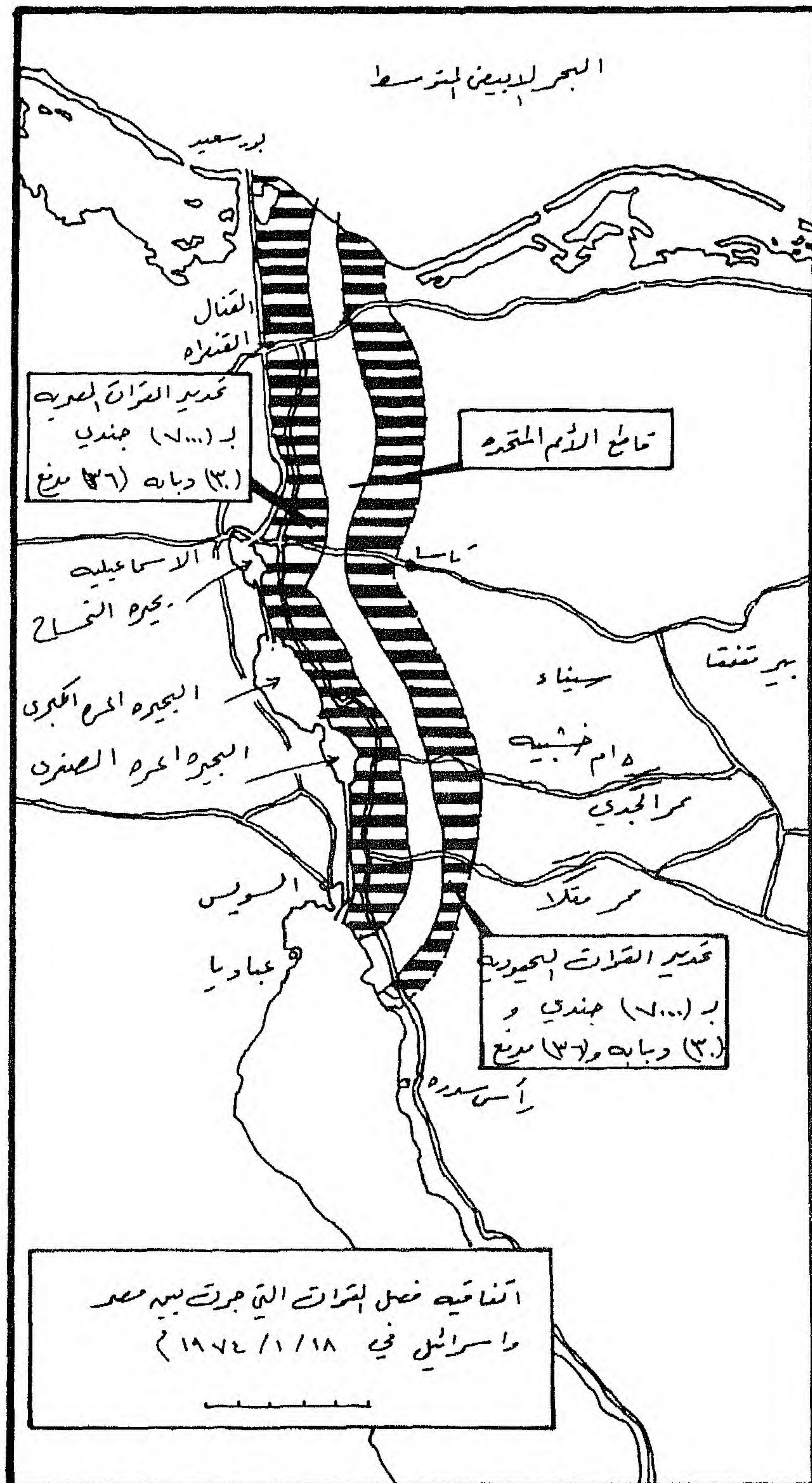
عتاقة

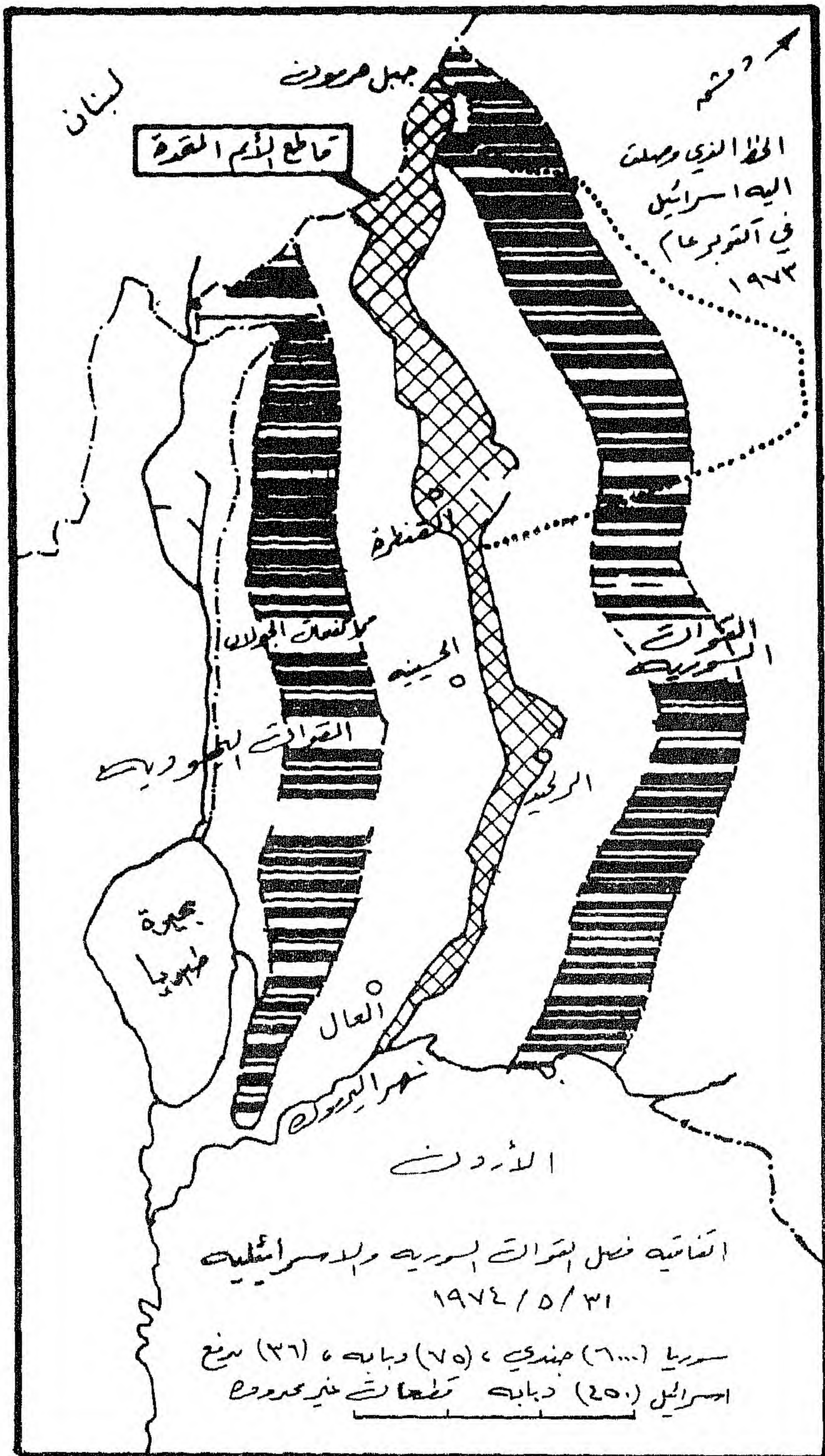
خليج السويس

الهجوم المضاد الإسرائيلي على الجبهة الجنوبية حتى
وقف إطلاق النار - في ٢٢-٢٤/١٠/١٩٧٣
هجمات إسرائيلية
رأس الجسر اليهودي عند وقف إطلاق النار يوم ٢٢/١٠
رأس الجسر اليهودي عند وقف إطلاق النار الثاني ٢٣-٢٤ أكتوبر
رأس الجسر المصري عند نهاية الحرب

بورسعيد
روماني
بالوظة
القنطرة
قناة السويس
الإسماعيلية
تاسا
بحيرة التمساح
البحيرة المرة الكبرى
البحيرة المرة الصغرى
ممر الجدي
الجيش الثالث المصري
الكيلو ١٠١
السويس
ممر المتلا
خليج السويس




البحر الابيض المتوسط
بورسعيد
القنال
القنطرة
تحديد القوات المصرية
بـ (٧٠٠٠) جندي
(٣٠) دبابة (٣٦) مدفع
قوات الأمم المتحدة
الاسماعيلية
بحيرة التمساح
طاسا
بير تمادا
سيناء
البحيرة المرة الكبرى
البحيرة المرة الصغرى
ام خشيبة
ممر الجدي
ممر متلا
السويس
عبادية
تحديد القوات الصهيونية
بـ (٧٠٠٠) جندي و
(٣٠) دبابة و (٣٦) مدفع
رأس سدره
اتفاقية فصل القوات التي جرت بين مصر
واسرائيل في ١٨/١/١٩٧٤م



جبل حرمون
لبنان
دمشق
قاطع الأمم المتحدة
الخط الذي وصلت اليه اسرائيل في اكتوبر عام ١٩٧٣
القنيطرة
مرتفعات الجولان
القوات اليهودية
القوات السورية
الرفيد
بحيرة طبريا
العال
نهر اليرموك
الأردن
اتفاقية فصل القوات السورية والاسرائيلية
٣١/٥/١٩٧٤
سوريا (٦٠٠٠) جندي ، (٧٥) دبابة ، (٣٦) مدفع
اسرائيل (٤٥٠) دبابة قطعات غير محدودة

البحر الأبيض المتوسط

بورسعيد

القنطرة

القاطع المخصص للقوات
المصرية (٨٠٠٠) جندي
(٧٥) دبابة (٦٠) مدفع

الإسماعيلية

بحيرة التمساح

البحيرة المالحة الكبرى

البحيرة الصغرى

السويس

عباديا

تابع
قوات الأمم
المتحدة

صحراء
سيناء

بير تمضا

نقطة مراقبة يهودية

ام خشيبة

نقطة مراقبة مصرية

ممر المتلا

تابع
أمم متحدة

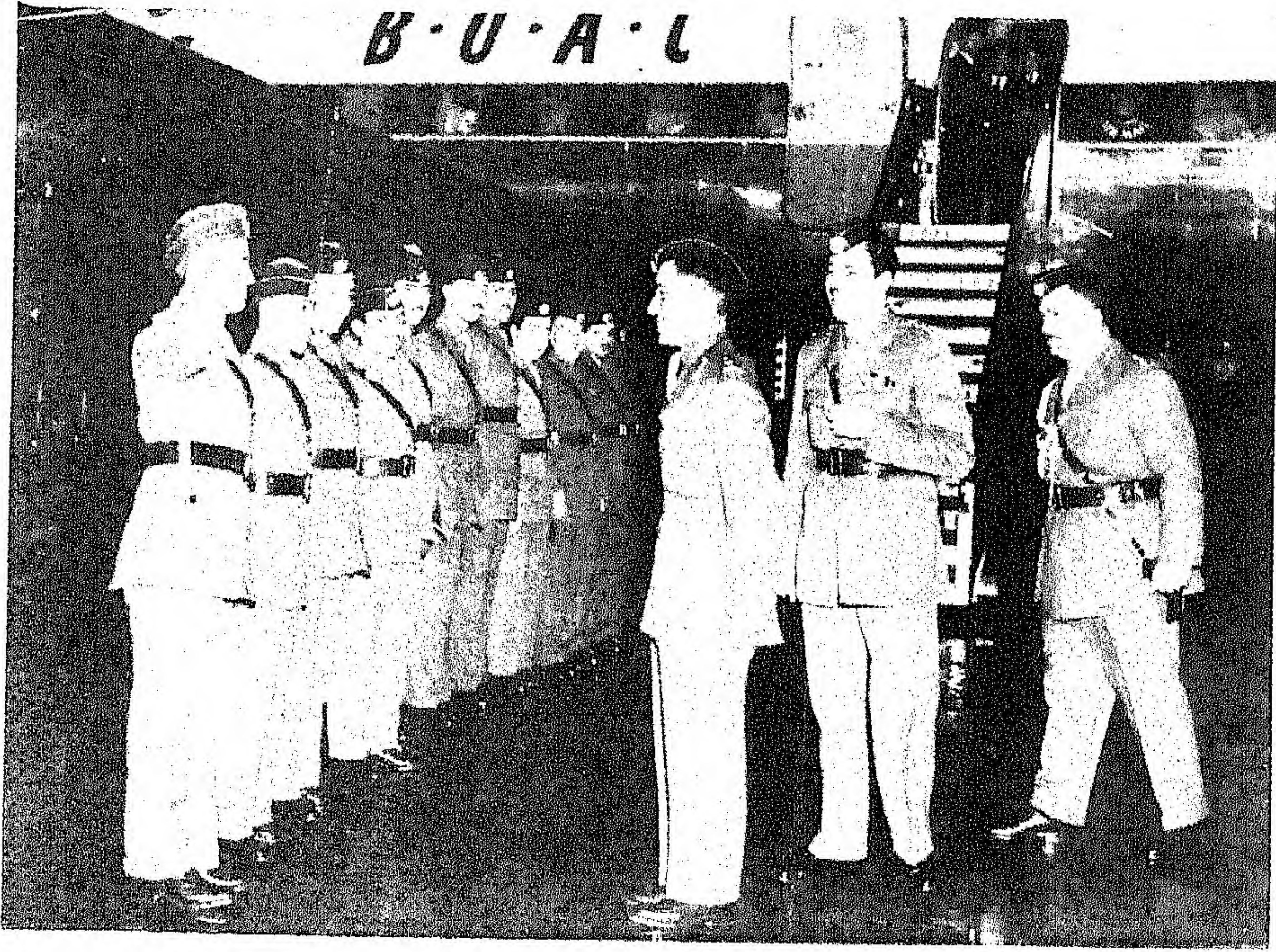
القاطع المخصص للقوات
اليهودية (٨٠٠٠) جندي
(٧٥) دبابة ، (٦٠) مدفع

رأس سدر

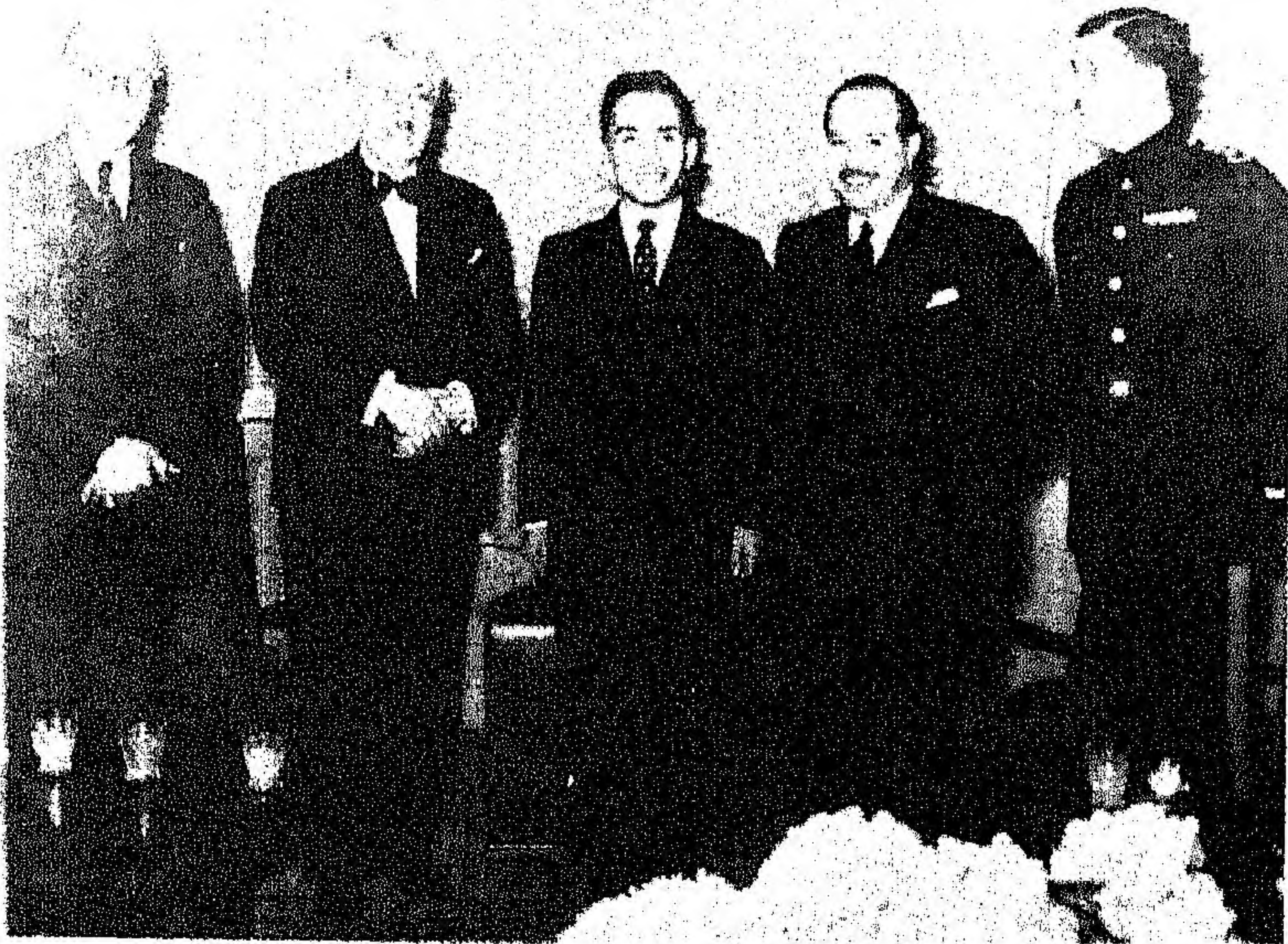
خليج السويس

أبو رديس

اتفاقية فصل القوات بين مصر وإسرائيل
١٩٧٥/٩/٤



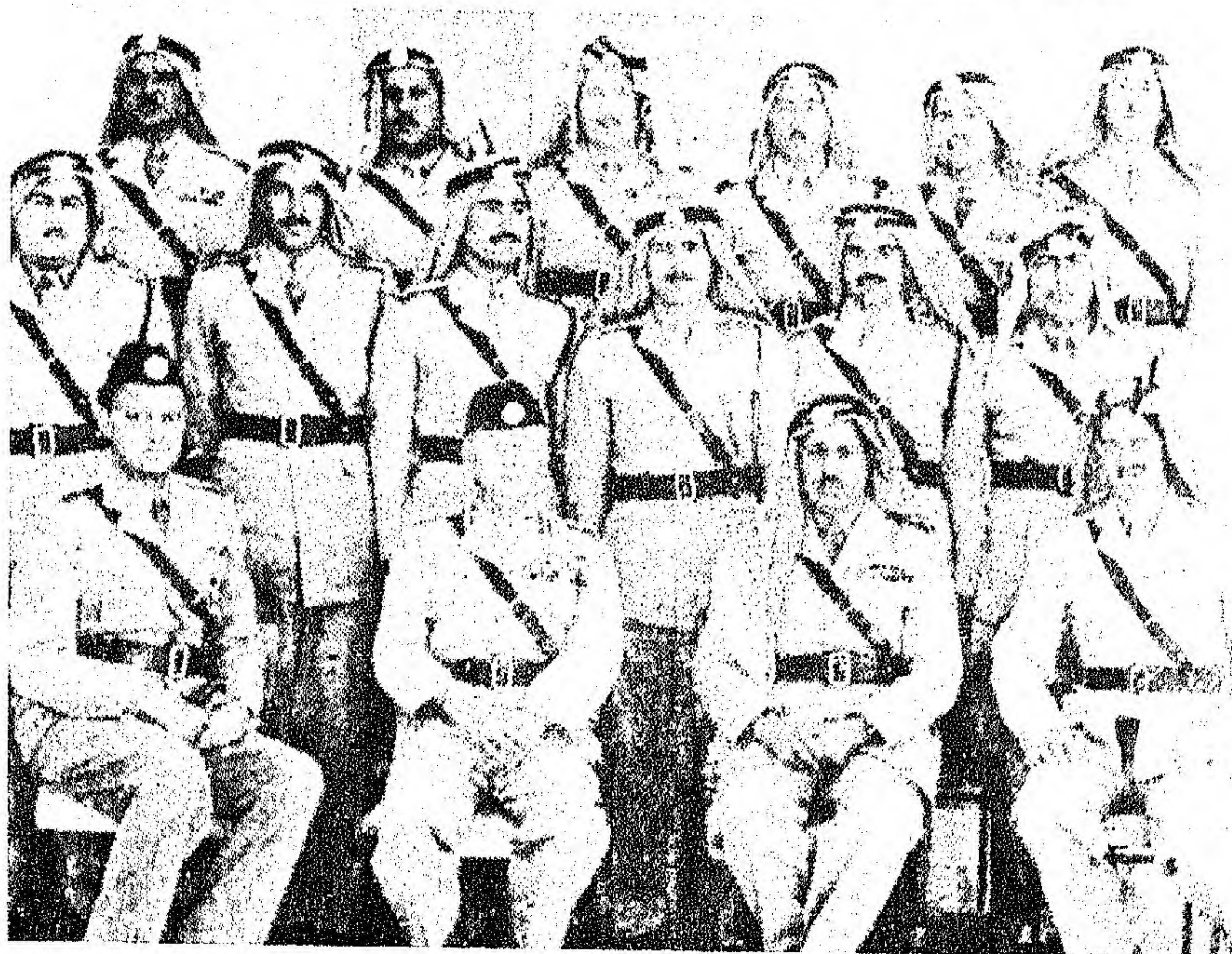
من اليمين المرحوم الشريف ناصر بن جميل، المؤلف، جلالة الملك الحسين، ومجموعة من الضباط
(مطار لندن ١٩٥٣)



من اليمين المؤلف، فوزي الملقي، الملك الحسين، عبد المجيد حسن، محمد أديب العامري (لندن ١٩٥٣)



مع جلالة الملك الحسين، ومجموعة من الضباط في مطار لندن عام ١٩٥٣،



مع كلوب باشا رئيس الأركان، ودورة كلية الأركان الأولى عام ١٩٥٥



المؤلف مع الرئيس أحمد حسين الغشمي رئيس جمهورية اليمن الشمالي السابق ١٩٧٩



المؤلف سفير الأردن مع الشيخ جابر الأحمد أمير دولة الكويت ١٩٨٠/٦/٩



مع السفير فوزى الملقى في زيارة للملكة اليزابيث بلندن عام ١٩٥٣

مراجع الكتاب

١ ـ كتاب التبصُّر في حروب الشرق الأوسط ـ فريق تحرير الصندي تايمز

٢ ـ كتاب الجرأة في الحديث لمؤلفه السيد باول ونزلي من ولاية الينوي الذي عمل في البرلمان الأمريكي لمدة ٢٢ عاماً.

٣ ـ كتاب تبديل نمط الحياة والسيرة الذاتية بقلم السيرجون باجت كلوب.

٤ ـ كتاب مولد اسرائيل أساطير وحقائق، مكتبة بارنيتون ـ نيويورك.

1 - Insight on the Middle East war
By the Insight Teaur of the Sunday Times.
2 - They Dare to Speak out
By Paul Tindley
A congress-man From I llinois for 22 years.
3 - The changing of life
An Autobiography
Sir Jhon G. Lubb.
4 - Birth of I srael
My ths And Realities
Panthean Books
New york.

وأخـــيراً..،

خبـرة ومـلاحظات المؤلف التي شاهد مجرياتها أو اطلع عليها بحكم ظروف العمل في مختلف مراحل القضية الفلسطينية كما هو مبيناً في تسلسل الحوادث الواردة في الكتاب.

الصف والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف: **الشروق**

٦١٨١٩٠ - ٦١٨١٩١ - ٦٢٤٣٢١ عمان - الأردن



المؤلف في سطور

- من مواليد حواره / اربد ١٥/٦/١٩١٨.
- أنهى دراسته المدرسية في اربد عام ١٩٣٤.
- التحق بالجيش الأردني عام ١٩٣٤، حين كان عدده (٧٥٠) جندياً وضابطاً.
- عاصر الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وكان قائداً لأول سرية فرسان.
- عمل قائداً لأول مدرسة تدريب في اللواء الأول / البويضا شرقي اربد ١٩٤٣.
- عمل ركن عمليات وتدريب في اللواء الأول وشارك في حرب فلسطين ١٩٤٨.
- عمل ضابط ارتباط في لجنة الهدف العربية - الإسرائيلية ومسؤولاً عن المنطقة من حدود القدس شمالاً حتى نهر الأردن ١٩٤٩.
- عين ملحقاً عسكرياً وجوياً في لندن ١٩٥٢.
- التحق بكلية الأركان البريطانية في كامبرلي وعاد بعدها للأردن حيث تم تشكيل كلية الأركان الأردنية وعين فيها «كبير معلمين» ١٩٥٥.
- عين قائداً للكتيبة الأولى بعد خروج كلوب باشا وتعريب الجيش ثم عين بعد ذلك قائداً للواء الأول في منطقة نابلس وحاكماً عسكرياً للمنطقة.
- عمل ملحقا عسكرياً في القاهرة عام ١٩٥٧، وممثلاً للأردن في القيادة العربية المشتركة التي شكلت عام ١٩٥٦، وضمت الأردن ومصر وسوريا، والسعودية واليمن.
- عمل ملحقاً عسكرياً في المانيا ١٩٥٩.
- صدر بحقه حكماً غيابياً بالاعدام أثناء وجوده في المانيا ولجأ لجوءاً سياسياً إلى سوريا ومصر ١٩٦٠ - ١٩٦٩.
- عاد إلى الأردن في أواخر ١٩٦٩ حيث شمله العفو العام الذي أصدره جلالة الملك الحسين ١٩٦٥.
- عين مديراً لشرطة البلقاء / السلط برتبة عميد ١٩٧٠.
- عين وزيراً للداخلية في الحكومتين العسكرية والمدنية ١٩٧٠.
- عين محافظاً للكرك ٧٤ - ١٩٧٦.
- عين سفيراً مقيماً في اليمن الشمالي، وغير مقيم في الجنوبي ٧٦-١٩٨٠.
- عين سفيراً للأردن في الكويت ٨٠- ١٩٨١
- أحيل على التقاعد ١٩٨٢.

تصميم الغلاف: موسى عساف